

اللبّيات

في

تفسير القرآن

تأليف

١٤٤٠ هـ

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

الجزء الأول

مختصر

مؤسسة النشر الإسلامي

الطبعة الخامسة المراجعة



٦٥٠





٦٥٠

التبليكات

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

الجزء الأول

تتبع

بمؤسسة النشر الإسلامية
الطائفة بجماعة الإمام الحسين عليه السلام



شابك (دورة) ٥ - ٧٠ - ٤٧٠ - ٩٦٤ - ٩٧٨
ISBN 978 - 964 - 470 - 070 - 5



التيان في تفسير القرآن (ج ١)

- تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي رحمته الله
- الموضوع: التفسير
- طبع و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي
- عدد الصفحات: ٤٨٨
- الطبعة: الثانية
- المطبوع: ٥٠٠ نسخة
- التاريخ: ١٤٣١ هـ. ق
- شابك ج ١: $\frac{٩٧٨-٦٠٠-١٤٣-٠٢٣-٧}{ISBN 978 - 600 - 143 - 023 - 7}$

قم - شارع الأمين - ابتداء شارع الجمهورية الإسلامية ص. ب ٧٤٩ - ٣٧١٨٥

تلفون: ٢٩٣٣٢١٩ - ٢٩٣٢٢١٩ فاكس: ٢٩٣٣٥١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ عَبْدِهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ
بِاللهِ أَفْضَلَ مِنْ الْعِلْمِ بِكِتَابِ اللهِ وَالْمَعْرِفَةِ
بِرَسُولِهِ».

الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ (ص)

إِنَّ الْإِسْتِغْثَالَ بِكِتَابِ اللهِ وَالسَّنَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّامِلَةِ لِأَحَادِيثِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ،
وَالْعُكُوفِ عَلَيْهَا دِرَاسَةً وَتَحْقِيقًا، وَتَفْهِيمًا وَتَفَقُّهًا لِمَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ وَالْقُرْبَاتِ، وَأَشْرَفِ
الْأَفْعَالِ وَالْحَسَنَاتِ، إِذَ الْكِتَابِ الْعَزِيزُ فِيهِ الثَّرْوُ وَالْهُدَى، وَالسَّنَةُ الْمُطَهَّرَةُ فِيهَا الْفَلَاحُ
وَالنَّجَاحُ، وَفِيهَا مَعَا خَيْرُ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَعِزُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

عَلَى أَنَّهُ يَحْضِي الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِأَهْمِيَّةٍ خَاصَّةٍ وَأَكْبَرٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ، فَهُوَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ
رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ أَرَدْتُمْ عَيْشَ السُّعْدَاءِ، وَمَوْتَ الشُّهْدَاءِ، وَالنَّجَاةَ يَوْمَ
الْحَشْرِ، وَالظَّلْ بَوْمَ الْحُرُورِ، وَالْهُدَى يَوْمَ الضَّلَالَةِ، فَأَدْرُسُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ كَلَامُ الرَّحْمَنِ،
وَحَرَزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُجْحَانٌ فِي الْمِيزَانِ»، وَبِالتَّالِي فَهُوَ دَسْتُورُ الْإِسْلَامِ وَقَانُونُ الشَّرِيعَةِ
الْمُحْمَدِيَّةِ.

وَلِهَذَا اهْتَمَّ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِهْتِمَامًا

بالغاً، وعكفوا عليه لاستجلاء حقائقه واستخراج كنوزه، ثم بيان ذلك للناس وعرضه على الملأ بأوضح تعبير، وأجلى بيان، بالتدريس تارةً، وبالتأليف أخرى، فخلّفوا ثروة علميةً ضخمةً، وخزانةً فكريةً غنيةً لم يشهد تاريخُ الديانات والشرائع لها مثيلاً، وطلعوا على الأسرة البشرية بمكتبةٍ زاخرةٍ لا تحصى نوادرها ولا تُنَمَّن جواهرها.

ونخصّ بالذكر - من بين أولئك العظام - شيخ الطائفة: محمد بن الحسن الطوسي الذي حفلت حياته بشتى ألوان النشاط والعطاء العلميين، واتسمت بالعمل الدؤوب في مجالات: الفقه، والأصول، والحديث، والكلام، والرجال، والدعاء، فجاء فيها بمؤلفاتٍ بدعيةٍ ودراساتٍ قيّمةٍ كالنهاية والمبسوط والخلاف والعُدّة والتهذيب والإستبصار واختيار الرجال وأصول العقائد والأُمالي وغيرها مما يقارب السبعين.

قال الشيخ أغا بُزرك : «استقى شيخ الطائفة مادة مؤلفاته من تصانيف القدماء، وكتب في كافة العلوم من الفقه وأصوله، والكلام والتفسير، والحديث والرجال، والأدعية والعبادات، وغيرها، وكانت ولم تزل مؤلفاته في كلِّ علم من العلوم مآخذ علوم الدين بأنوارها يستضيئون ومنها يقتبسون وعليها يعتمدون.

ولهذه الناحية فإنَّ لشيخ الطائفة على الشيعة حقاً لا ينكر وفضلاً لا يستر، على أن جمعاً من علماء الشيعة القدماء عملوا ماعمله، فإنَّ الشيخين الكليني والصدوق ألفا «الكافي» و«من لا يحضره الفقيه» اللذين هما من الكتب الأربعة أيضاً، وكذا غيرها من الأقطاب، وإنا لانكر فضلهم بل نشكرهم على حسن صنيعهم ونقدّر مجهودهم، ونسأل الله لهم الأجر والثواب الجزيل، إلّا أنه لا بدّ لنا من الاعتراف بأنَّ شيخ الطائفة بمفرده قام بما لا تقوم به الجماعة، ونهض بأعباء ثقيلة لم يكن من السهل على غيره النهوض بها لولا العناية الربانية التي شدّت عضده، فإنَّ الغبر من أجهد نفسه الكريمة فكتب وألّف قد خصّ موضوعاً واحداً كالفقه أو الحديث أو الدعاء أو غير ذلك بينما لم يدع شيخ الطائفة باباً إلّا طرقه، ولا طريقاً إلّا سلكها، وقد ترك لنا نتاجاً طيباً متنوعاً غدّى عقول فطاحل عدّة قرون وأجيال».

ثم إنّه - قدس الله سرّه - رغم مشاغله الإجتماعية والعلمية الكثيرة، ورغم تعرّض مكنته العظيمة في بغداد للحريق المتعمّد، أولى الكتاب الإلهي العزيز إهتماماً خاصاً

حيث طلع على العالم الإسلامي بتفسير كبير وشامل للقرآن الكريم امتاز بمنهجه المبتكر، حيث اشتمل على جميع فنون علم القرآن من القراءة، والمعاني، والإعراب، والجواب عن مطاعن الملاحدين، وأنواع المبطلين.

فقد كتب الشيخ نفسه في مقدمة هذا التفسير يقول: «... فَإِنَّ الذي حَمَلَنِي عَلَى الشُّرُوعِ فِي عَمَلِ هَذَا الْكِتَابِ أَنِّي لَمْ أَجِدْ أَصْحَابَنَا مَنْ عَمِلَ كِتَابًا يَحْتَوِي عَلَى تَفْسِيرِ جَمِيعِ الْقُرْآنِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونِ مَعَانِيهِ».

ويكفي لبيان جانب من عظمة هذا التفسير وأهميته ما كتبه عنه المفسر الإسلامي الذائع الصيت الشيخ الطبرسي إذ قال: «... فَإِنَّهُ الْكِتَابُ الَّذِي يُقْتَنَسُ مِنْهُ ضِيَاءُ الْحَقِّ، وَيُلَوِّحُ عَلَيْهِ رِوَاءُ الصَّدَقِ، قَدْ تَضَمَّنَ مِنَ الْمَعَانِي الْأَسْرَارَ الْبَدِيعَةَ، وَاخْتَضَّنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ اللَّغَةَ الْوَسِيعَةَ، وَلَمْ يَقْعُدْ بِتَدْوِينِهَا دُونَ تَبْيِينِهَا، وَلَا بِتَنْمِيقِهَا دُونَ تَحْقِيقِهَا».

وما كتبه عنه آية الله السيد بحر العلوم في فوائده الرجالية حيث قال: «إِنَّ كِتَابَ التَّبْيَانِ الْجَامِعَ لِعُلُومِ الْقُرْآنِ كِتَابٌ جَلِيلٌ كَبِيرٌ، عَدِيمُ النَّظَرِ فِي التَّفَاسِيرِ، وَشَيْخُنَا الطَّبْرَسِيُّ إِمَامُ التَّفْسِيرِ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ يَزْدَلِفُ، وَمَنْ بَحْرُهُ يَغْتَرَفُ».

وما كتبه عنه المحقق البهائى المتنبئ العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني: «هُوَ أَوَّلُ تَفْسِيرٍ جَمَعَ فِيهِ مَوْلُفُهُ أَنْوَاعَ عُلُومِ الْقُرْآنِ».

ونظراً لأهمية هذا التفسير، ومكانته العليا بين التفاسير، وعدم وجود طبعة مُحَقَّقةٍ وموثَّقةٍ منه أقدمت مؤسستنا على إخراجِه في حِلَّتِه القَشِيَّةِ الْحَاضِرَةِ بَعْدَ تَحْقِيقِهِ وَتَوْثِيقِهِ. وَتَنْظِيمِ فَهَارِسٍ مَتَّوَعَةٍ لَهُ كَيْ تَسَهَّلَ مِرَاجَعَتُهُ وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْهُ.

والمؤسسة إذ تشكرُ الله تعالى على مأمَنَ به عليها مِنَ التَّوْفِيقِ فِي هَذَا الْمَجَالِ لَا تَنْسَى أَنْ تَذَكِّرَ أَنَّهَا اسْتَفَادَتْ فِي تَنْظِيمِ تَرْجُمَةِ الْمُؤَلَّفِ وَتَقْيِيمِ هَذَا السَّفَرِ الْجَلِيلِ مِمَّا دَبَّجَتْهُ يَرَاعَتَا الْحَقِّقِ الْبَهَائِيِّ الشَّيْخِ آغَا بَرْزُكَ الطَّهْرَانِيِّ حَوْلَ شَخْصِيَّةِ الشَّيْخِ الْمُؤَلِّفِ، وَسِمَاحَةِ الْحُجَّةِ الْحَقِّقِ الشَّيْخِ جَعْفَرِ السَّبْحَانِيِّ حَوْلَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمَرَاحِلِ تَطَوُّرِهِ وَمَكَانَةِ تَفْسِيرِ التَّبْيَانِ (التفسير الحاضر) فَشَكَرَ اللَّهُ مَسَاعِيَهَا، وَأَجْزَلَ عَطَاءِهَا، وَتَقَبَّلَ جَهْدَهَا.

وفي الختام إذ تقدِّمُ المؤسسة هَذَا الِيفْرَ الْقُرْآنِيَّ الْقِيَمَ إِلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَدْعُو أَبْنَاءَهَا إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِهِ، فِي ظُرُوفِ تَكَالُبَتْ فِيهِ قُوَى الشَّرِّ وَالْكَفْرِ وَالطَّغْيَانِ عَلَى هَذِهِ

الأئمة المرحومة، واشتدّت فيها الحاجة الى العودة إلى القرآن الكريم والسنة القطعية من الرسول الأعظم والأئمة المعصومين عليهم السلام والإستفادة من بصائره وهداياتهم، والله هو الموفقُ والمعين.

مؤسسة النشر الاسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

حياة الشيخ الطوسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وله الحمد

ارتسمت على كلّ أفق من آفاق العالم الاسلامي أسماء رجال معدودين امتازوا بمواهب وعبقريات رفعتهم الى الأوج الأعلى من آفاق هذا العالم، وسجلت أسماءهم في قائمة عظماء التاريخ وجهابذة العلم، وأصبحوا نجوماً لامعة، ومصابيح ساطعة تتلألأ في كبد السماء كتلألؤ الجوزاء، وتضيء لأهل هذه الدنيا فتستفيد من نورها المجموعة البشرية كلّ حسب مكانته وعلى مقداره، وبذلك بنوا لأنفسهم مجداً لا يطرأ عليه التلاشي والنسيان، وخلّد ذكرهم على مرّ الزمان وتعاقب الملوان.

وثمة رجال ارتسمت أسماؤهم في كلّ أفق من تلك الآفاق، وهم قليلون للغاية شدّت بهم طبيعة هذا الكون، فكان لهم من نبوغهم وعظمتهم ما جعلهم أفذاذاً في دنيا الاسلام، وشواذاً لا يمكن أن يجعلوا مقياساً لغيرهم، أو ميزاناً توزن به مقادير الرجال، إذ لا يمكنها أن تنال مراتبهم وإن أشرأبت إليها أعناقهم وحدثتهم بها نفوسهم.

ومن تلك القلّة شيخنا الكلّي في الكلّ علامة الآفاق شيخ الطائفة الطوسي أعلى الله درجاته وأجزل أجره، فقد شاءت إرادة الله العليا أن تبارك في علمه وقلمه فتخرج منها للناس نتاجاً من أفضل النتائج، فيه

كلّ ما يدلّ على غزارة العلم وسعة الاطلاع، وقد مازّه الله تعالى بصفات بارزة، وخصّه بعناية فائقة، وفَضّله على كثير ممّن خلق تفضيلاً.

وقد قرّس -قدّس الله نفسه- حياته طوال عمره لخدمة الدين والمذهب، وهذا استحقّ مكانته السامية من العالم الاسلامي عامّة والشيعة خاصّة، وبيانناجه الغزير أصبح وأمسى علّماً من أعظم أعلامه، ودعامة من أكبر دعائمه، يذكر اسمه مع كلّ تعظيم وإجلال وإكبار وإعجاب، ولقد أجاد من قال فيه:

أثر القرون السالفه	شيخ الهدى والطائفة
بنهى الأمور العارفة	وصل إليه فخصّه
بالفضل عنه كاشفه	ظهرت سريرة علمه
شكر الإله مواقفه	الله أوقف نفسه
قبر يضمّك، واكفه	سحب الرضا هتفت على
متبوعة مترادفة ^(١)	كم قد حباه فضيلة

نسبه:

هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى طوس من مدن خراسان التي هي من أقدم بلاد فارس وأشهرها، وكانت ولا تزال من مراكز العلم ومعاهد الثقافة، لأنّ فيها قبر الامام علي الرضا عليه السلام، ثامن أئمة الشيعة الاثني عشرية، وهي لذلك مهوى أفئدتهم، يقصدونها من الأماكن الشاسعة والبلدان النائية، ويتقاطرون إليها

(١) كتبت هـ. الأبيات على ثريّا أهديت لمقرّد شيخ الطائفة ولم يُذكر ناظمها.

من كلّ صوب وحذب، للثم تلك العتبة المقدّسة والتمرّغ في ذلك الثرى الطيّب.

ومن أجل هذا وذاك أصبحت كغيرها من مراقد آل محمّد عليهم السلام هدفاً لأعدائهم، فقد انتابتها النكبات، وخربت ثلاث مرّات، هدمها للمرّة الأولى الأمير سبكتكين، وقوضها للمرّة الثانية الغزنويون، وأتلفتها للمرّة الثالثة عاصفة الفتنة المغولية عام ٧١٦هـ على عهد الطاغية جنگيزخان، وقد تجددت أبنيتها وأعيدت آثارها بعد كلّ مرة، وهي اليوم -مع ما حلّ فيها من تخريب ودمار- من أجلّ معاهد العلم عند الشيعة بالرغم من أعدائهم، وفيها خزانة كتب للامام الرضا عليه السلام، يحقّ للعالم الشيعي أن يعدّها من مفاخره، والله غالب على أمره.

ولادته ونشأته:

ولد شيخ الطائفة في طوس في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هجرية -أعني عام وفاة هارون بن موسى التلعكبري، وبعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق- وهاجر الى العراق فهبط بغداد في سنة ٤٠٨هـ^(١) وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً.

وكانت زعامة المذهب الجعفري فيها يومذاك لشيخ الأئمة وعلم الشيعة

(١) فا ذكره في «الروضات» من روايته عن الشريف الرضي كما في ترجمة الشريف ص ٥٧٣ من الطبعة الأولى من سبق القلم، حيث كانت وفاة الشريف سنة ٤٠٦هـ بالاجماع، ودخول الشيخ بغداد كان في ٤٠٨ كما صرح به هو أيضاً في ص ٥٨١، والغريب نقل بعض لذلك عن «مستدرک الوسائل» لشيخنا الحجة النوري وهو خالٍ من ذلك بل هو الذي نبّه على هذا الاشتباه.

محمد بن محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد عظم الله مثواه، فلازمه ملازمة الظل، وعكف على الاستفادة منه، وأدرك شيخه الحسين بن عبيد الله بن الغضائري المتوفى سنة ٤١١هـ، وشارك النجاشي في جملة من مشايخه، وبقي على اتصاله بشيخه حتى اختار الله للاستاذ دار لقائه في سنة ٤١٣هـ، فانتقلت زعامة الدين ورئاسة المذهب الى علامة تلاميذه علم الهدى السيد المرتضى طاب رمسه، فأنحاز شيخ الطائفة إليه، ولازم الحضور تحت منبره، وعني به المرتضى، وبالغ في توجيهه وتلقينه، واهتم له أكثر من سائر تلاميذه، وعين له في كلّ شهر اثني عشر ديناراً^(١) وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة، حتى توفي السيد المعظم لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦هـ.

فاستقلّ شيخ الطائفة بالامامة، وظهر على منصّة الزعامة، وأصبح علماً للشيعة. ومناراً للشريعة، وكانت داره في الكرخ مأوى الأئمة، ومقصد الوفاة،

(١) ان هذا وأمثاله مما يكذب ما ينسونه الى السيد المرتضى من البخل، وانه دخل على الوزير المهلبى فقدم له عريضة يطلب فيها رفع ضريبة قدرها عشرون ديناراً فرضت على أرض له فلم يحفل الوزير به وأعرض عنه فلامه بعض الحضور على إهانته واحترام أخيه الرضي مع أنه دونه في العلم والفضل، فعلم ذلك بما مرّ. هذا كلّهُ مما خلقه المغرضون، وأنت ترى ان انتقال الرئاسة الدينية إليه في بغداد بذلك العصر يستلزم الكرم والجلود الفائقين، كما أنّ ممّا لاشكّ فيه أنه كان يعول جماعة من تلامذته - غير الشيخ الطوسي - إن لم يعمل بالجمع، ويذلّ لهم ما كان يذلّ له، وقد ذكر الشيخ البهائي في «الكشكول» ما كان يجريه المرتضى للشيخ الطوسي وقال بعده: ولأبي البرّاج كلّ شهر ثمانية دنانير... إلخ. وقد تصدّى لرد مثل هذه المحتلقات. ولدنا الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كتابه «أدب السيد المرتضى» الذي نال به شهادة الدكتوراه في الأدب من القاهرة، والذي عرضه علينا بعد عودته الى العراق فراقنا كثيراً وكتبنا عليه تقرّباً.

يأتونها لحلّ المشاكل وإيضاح المسائل، وقد تقاطر اليه العلماء والفضلاء للتملذة عليه والحضور تحت منبره، وقصدوه من كلّ بلدٍ ومكان، وبلغت عدّة تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدِي الشيعة، ومن العامة ما لا يحصى كثرة.

وقد اعترف كلّ فرد من هؤلاء بعظمته ونبوغه، وكبر شخصيته وتقديره على من سواه، وبلغ الأمر من الاعتناء به والإكبار له أن جعل له خليفة الوقت القائم بأمر الله عبدالله ابن القادر بالله أحد كرسيّ الكلام والإفادة، وقد كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدرًا فوق الوصف، إذ لم يسمحوا به إلّا لمن برز في علومه وتفوّق على أقرانه، ولم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدرًا أو يفضل عليه علمًا، فكان هو المتعيّن لذلك الشرف.

هجرته الى النجف الأشرف:

لم يفتأ شيخ الطائفة إمام عصره وعزيز مصره، حتى ثارت القلاقل وحدثت الفتن بين الشيعة والسنة، ولم تزل تنجم وتخيبون الفينة والأخرى، حتى اتّسع نطاقها بأمر طغرل بيك أول ملوك السلجوقية، فإنّه ورد بغداد في سنة ٤٤٧ هـ وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبونصر سابور بن أردشير^(١) وزير بهاء الدولة البويهى،

(١) سابور معرب شاپور «شاه پور» كان من وزراء الشيعة للملك الشيعي بهاء الدولة، وكان من أهل العلم والفضل والأدب، وكانت دار علمه محظّ الشعراء والأدباء، ذكره الثعالبي في «يتيمة الدهر» وعقد فصلاً خاصاً للشعراء الذين مدّحوه، منهم أبو العلاء المعري، فقد مدّحه بقصيدة مشهورة وذكر فيها دار كتبه هذه بقوله:

وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الأصائل مهباب

ترجم له ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ج ١ ص ١٩٩ و ٢٠٠ فقال: كان من أكابر

وكانت من دور العلم المهمة في بغداد.

بناها هذا الوزير الجليل والأديب الفاضل في محلة بين السورين في الكرخ سنة ٣٨١هـ، على مثال (بيت الحكمة) الذي بناه هارون الرشيد، وكانت مهمة للغاية، فقد جمع فيها هذا الوزير ماتفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تأليف أهل الهند والصين والروم كما قاله محمد كرد علي^(١) ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين.

قال ياقوت الحموي^(٢): وبها كانت خزانة الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحررة... إلخ.

وكان من جملة مائة مصحف بخط ابن مقله على ما ذكره ابن الأثير^(٣)، وحيث كان الوزير سابور من أهل الفضل والأدب أخذ العلماء

الوزراء وأمائل الرؤساء، جمعت فيه الكفاية والدراية، وكان باب محظ الشعراء... إلخ. وهذه المكانة المادية - مضافاً إلى ما للرجل في نفسه من الفضائل العلمية والكرامات الروحية - من الأسباب القوية لتحريضه على جمع الكتب العلمية ووقفها لأهل مذهبه، ولا سيما النفيسة القليلة الوجود المصححة المعتمدة كما هي صفة جماعي الكتب حتى اليوم. ولد بشيراز في سنة ٣٣٦هـ وتوفي في ٤١٦هـ وتوفي مغدومه بهاء الدولة في ٤٠٣هـ عن ٤٢ سنة. ودفن في النحف عند والده فنا خسرو الملقب بعضد الدولة كما ذكره القاضي نور الله المرعشي في «مجالس المؤمنين» ص ٣٧٩ رحمه الله جميعاً.

(١) خطط الشام: ج ٦ ص ١٨٥.

(٢) معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٤٢.

(٣) التاريخ الكامل: ج ١٠ ص ٣.

يهدون إليه مؤلفاتهم، فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد، وقد احترقت هذه المكتبة العظيمة فيما احترق من محال الكرخ عند مجيء طغرل بك، وتوسعت الفتنة حتى اتجهت الى شيخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه للكلام.

قال ابن الجوزي^(١) في حوادث سنة ٤٤٨ هـ: وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.

ثم قال في حوادث سنة ٤٤٩ هـ: وفي صفر في هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ، وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسيه كان يجلس عليه للكلام، وأخرج الى الكرخ وأضيف إليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة فأحرق الجميع... إلخ.

ولما رأى الشيخ الخطر محققاً به هاجر بنفسه الى النجف الأشرف، لاثناً بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وصيرها مركزاً للعلم وجامعة كبرى للشيعة الامامية، وعاصمة للدين الاسلامي والمذهب الجعفري، وأخذت تشد إليها الرحال وتعلق بها الآمال، وأصبحت مهبط رجال العلم ومهوى أفئدتهم، وقام فيها بناء صرح الاسلام.

وكان الفضل في ذلك لشيخ الطائفة نفسه، فقد بث في أعلام حوزته الروح العلمية، وغرس في قلوبهم بذور المعارف الإلهية، فحسروا للعلم عن سواعدهم، ووصلوا فيه ليلهم بنهارهم، عاكفين على دروسهم، خائضين عباب العلم، غائصين على أسرارهم، موهلين في استبطان دخائله واستخراج

مُخبَّاتِهِ، وكيف لا يكونون كذلك وقد شرح الله للعمل صدورهم وصقل أذهانهم وأرهف طباعهم فحموا وطيس العلم، وبان فضل النجف على ماسواها من المعاهد العلمية، وخلفوا الذكر الجميل على مرِّ الدهور والأعصار، أعلى الله في الفردوس درجاتهم، ولقد أحسن وأجاد صديقنا العلامة الحجة السيد علي نقى النقوي دام ظلّه حيث قال:

لربوع شرع المصطفى شرف	ذا شيخنا الطوسي شيد بها
مأوى به العليا تعتكف	فهو الذي اتخذ (الغري) له
مثل الفراش إليه تزدلف	فتهافتوا لسراج حكمته
تجديد ماقد شاءه السلف	وقفتهم الأبناء ضامنة

تلك هي جامعة النجف العظمى التي شيد شيخ الطائفة ركنها الأساسي ووضع حجرها الأول، وقد تخرّج منها خلال هذه القرون المتطاولة آلاف مؤلفة من أساطين الدين وأعظم الفقهاء، وكبار الفلاسفة ونوابغ المتكلمين، وأفاضل المفسرين وأجلّاء اللغويين، وغيرهم ممن خبروا العلوم الإسلامية بأنواعها وبرعوا فيها أنما براعة، وليس أدلّ على ذلك من آثارهم المهمة التي هي في طليعة التراث الاسلامي ولم تزل زاوية حتى هذا اليوم، يرتحل إليها رواد العلوم والمعارف من سائر الأقطار والقارات فيرتوون من مناهلها العذبة وعيونها الصافية (والمهل العذب كثير الزحام).

وقد استدلّ بعض الكتاب المحدثين على وجود الجامعة العلمية في النجف قبل هجرة شيخ الطائفة إليها، وذلك اعتماداً على استجازه الشيخ أبي العباس النجاشي من الشيخ أبي عبدالله الخمري، فقد قال في كتاب رجاله المطبوع ص ٥٠ عن كتاب «عمل السلطان» للبوشنجي مالفظة: أجازنا بروايته أبو عبدالله الخمري الشيخ الصالح في مشهد مولانا

أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربعمائة.

وهذا لا يكفي للتدليل، فالنجف مشهد يقصد للزيارة، فرمى تلاقيا في النجف زائرين فحصلت الاستجازه، كما هو الحال في المحقق الحلي صاحب «الشرائع» فقد أجاز البعض في النجف أيام ازدهار العلم في الحلة وفوره في النجف، فهل يمكن عدّ المحقق من سكنة النجف؟ وقد استجزت أنا بعض المشايخ في كربلاء ومشهد الكاظمين ومكة والمدينة والقاهرة وغيرها، وأجزت جمعاً من العلماء في الري ومشهد الرضا عليه السلام بخراسان وغير ذلك من البلاد، ودون بعض ذلك في بعض المؤلفات فهل ينبغي عدي أو عدّ المجازين في علماء فارس أو الحجاز أو مصر؟.

ثم إنني اذهب الى القول بأنّ النجف كانت مأوى للعلماء ونادياً للمعارف قبل هجرة الشيخ إليها، وأنّ هذا الموضع المقدس أصبح ملجأ للشيعة منذ انشأت فيه العمارة الأولى على مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام، لكن حيث لم تأمن الشيعة على نفوسها من تحكّكات الأمويين والعباسيين، ولم يستطيعوا بثّ علومهم ورواياتهم كان الفقهاء والمحدثون لا يتجاهرون بشيء مما عندهم، وكانوا متبذّدين حتى عصر الشيخ الطوسي والى أيامه، وبعد هجرته انتظم الوضع الدراسي وتشكّلت الحلقات، كما لا يخفى على من راجع «آمالى الشيخ الطوسي» الذي كان يمليه على تلامذته.

مكانته العلمية:

من البديهيات أنّ مكانة شيخ الطائفة المعظم وثرته العلمية الغزيرة في غنى عن البيان والاطراء، وليس في وسع الكاتب -مهما تكلف- استكناه

ماله من الأشواط البعيدة في العلم والعمل، والمكانة الراسية عند الطائفة، والمنزلة الكبرى في رئاسة الشيعة، ودون مقام الشيخ المعظم كلاً ذكره الأعلام في تراجمهم له من عبارات الثناء والإكبار.

فن سبر تأريخ الامامية ومعاجهم، وأمعن النظر في مؤلفات الشيخ العلمية المتنوعة علم أنه أكبر علماء الدين، وشيخ كافة مجتهدى المسلمين، والقُدوة لجميع المؤسسين، وفي الطليعة من فقهاء الاثنى عشرية، فقد أسس طريقة الاجتهاد المطلق في الفقه وأصوله، وانتهى إليه أمر الاستنباط على طريقة الجعفرية المثل.

وقد اشتهر بالشيخ فهو المراد به اذا أطلق في كلمات الأصحاب، من عصره الى عصر زعيم الشيعة بوقته، مالك أزمة التحقيق والتدقيق، الحجة الكبرى، أبي ذر زمانه، الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى سنة ١٢٨١هـ، فقد يطلق الشيخ في عصرنا هذا وقبيله ويكون المراد به الشيخ الأنصاري، أما في كتب القدماء والسلف فالمراد هو شيخ الطائفة قدس الله نفسه^(١).

مضت على علماء الشيعة سنون متطاولة وأجيال متعاقبة ولم يكن من الهين على أحد منهم أن يعدو نظريات شيخ الطائفة في الفتاوى، وكانوا يعدون أحاديثه أصلاً مسلماً، ويكتفون بها، ويعدّون التأليف في قباها

(١) وقد يقال: الشيخان. ويراد به الشيخ المفيد والشيخ الطوسي. والشيخان في اصطلاح المتكلمين هما الجبائيان أبو علي محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ٣٠٣هـ، وابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد المتوفى سنة ٣٢١هـ وكلاهما من رؤساء المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، والكتب الكلامية مشحونة بمقالاتها. ويطلق الشيخ في كتب الحكمة والمنطق على أبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا البخاري المتوفى سنة ٤٢٨هـ. ويطلق الشيخ في كتب البلاغة على الشيخ أبي بكر عبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ، وغير ذلك.

وإصدار الفتوى مع وجودها تجاسراً على الشفء وإهاناً له.
واستمرت الحال على ذلك حتى عصر الشفء ابن ادرىس فكان أعلى الله مقامه ىسمهم بالمقلدة؁ وهو أول من خالف بعض آراء الشفء وفتاواه؁ وفتح باب الرد على نظرىاته؁ ومع ذلك فقد بقوا على تلك الحال حتى أن المحقق وابن اخته العلامة الحلّى ومن عاصرهما بقوا لا يعدون رأى شفء الطائفة.

قال الحجة الففقه الشفء أسد الله الذرفولى التسترى فى «المقابس» مالفظه: حتى أن كثيراً ما ذكر-مثل المحقق والعلامة أو غيرهما- فتاوىه من دون نسبها إليه؁ ثم يذكرون ما يقتضى التردد أو المخالفة فيها؁ فىتوهم التنافى بين الكلامين مع أن الوجه فىها ماقلناه.

نعم لما ألف المحقق الحلّى «شرائع الاسلام» استعاضوا به عن مؤلفات شفء الطائفة؁ وأصبح من كتبهم الدراسية؁ بعد أن كان كتاب «النهاية» هو المحور؁ وكان بحثهم وتدرىسهم وشروحهم غالباً فىه وعليه.

ولى معنى ذلك أن مؤلفات شفء الطائفة فقدت أهمىتها أو أصبحت لغواً لا يحتفل بها؁ كلاً بل لم تزل أهمىتها تزداد على مرور الزمن شيئاً فشيئاً؁ ولن تجد فى تأرىخ الشىعة ومعاجهم ذكر عظم طار اسمه فى البلدان؁ واعترف له خصومه بالجلالة إلا ووجدته يتضاءل أمام عظمة الشفء الطوسى؁ ويعترف بأعلمىته وأفضلىته وسبقه وتقدمه.

هذا النابغة الفذ الشفء جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف الحلّى المتوفى سنة ٧٢٦هـ الشهىر بالعلامة؁ الذى طبقت العالم الاسلامى شهرته؁ والذى تضاءل فى سائر العلوم ونىغ فى كافة الفنون؁ وانتهت إليه رئاسة علماء عصره فى المعقول والمنقول؁ وألف فى كل علم عدة كتب؁ ولم يشك أحد فى

أنه من عظماء العالم ونوادير الدهر، هذا الرجل الذي مرّ عليك بعض وصفه ذكر شيخ الطائفة في كتابه «خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال»^(١) ص ٧٣ ووصفه بقوله:

شيخ الامامية ووجههم، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه، صتّف في كلّ فنون الاسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل... إلخ.

وكذا الحجة الكبير والعالم العظيم محيي علوم أهل البيت الشيخ محمد باقر المجلسي، صاحب دائرة المعارف الكبرى «بحار الأنوار» والمتوفى سنة ١١١١هـ، فقد ذكر شيخ الطائفة في كتابه «الوجيزة» ص ١٦٣ فقال ما بعضه:

فضله وجلالته أشهر من أن يحتاج إلى البيان... إلخ.
وكذا العلامة الشهير الحجة السيد مهدي الطباطبائي الملقّب ببحر العلوم والمتوفى سنة ١٢١٢هـ فقد ترجم لشيخ الطائفة في كتابه «الفوائد

(١) طبع هذا الكتاب في طهران عام ١٣١١هـ طبعة سقيمة مملوءة بالأغلاط. وقد رأيت منه نسخاً صحيحة متقنة (إحداها) في الخزانة الغروية تأريخ كتابتها ٧٦٦هـ وهي مقروءة على المشايخ وعليها بلاغاتهم، وفيها فوائد كثيرة. (والثانية) في مكتبة الحجة السيد حسن الصدر وهي نفيسة أيضاً قرئت على مصنفها العلامة فكتب على ظهر القسم الأول منها إجازة، وفي آخر القسم الثاني إجازة أخرى أيضاً، كلتاهما في سنة ٧١٥هـ وهما لواحد. (والثالثة) كتبت عن نسخة بخط حفيد المؤلف أي أبي المظفر يحيى بن محمد بن الحسن، الى غير ذلك. ولعرفة خصوصيات هذا الكتاب وزيادة الاطلاع عليه راجع كتابنا «الذريعة الى تصانيف الشيعة» ج ٧ ص ٢١٤ و ٢١٥.

الرجالية» فقال ماملخصه:

شيخ الطائفة المحقة، ورافع أعلام الشريعة الحقة، إمام الفرقة بعد الائمة المعصومين عليهم السلام، وعماد الشيعة الامامية في كل مايتعلق بالمذهب والدين، محقق الأصول والفروع، ومهذب فنون المعقول والمسموع، شيخ الطائفة على الإطلاق، ورئيسها الذي تلوى إليه الأعناق، صنف في جميع علوم الاسلام، وكان القدوة في ذلك والإمام.

ومثلهم شيخنا وأستاذنا حجة العلماء وشيخ المجتهدين الشيخ ميرزا حسين النوري المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ فقد ذكره في كتابه «مستدرک وسائل الشيعة» فأطراه وبالع في الثناء عليه، الى غير ذلك من عشرات الرجال من الشيعة والستة، وسنذكر قسماً منهم في هذه الترجمة.

ومن هذه الأقوال البليغة وغيرها التي صدرت من عظماء الشيعة وكبرائهم نعرف مكانة الشيخ ونستغني عن سرد فضائله ومناقبه الكثيرة.

آثاره ومآثره:

لم تزل مؤلفات شيخ الطائفة تحتل المكانة السامية بين آلاف الأسفار الجليلة التي أنتجتها عقول علماء الشيعة الجبارة، ودبحتها يراعة اولئك الفطاحل الذين عزّ على الدهر أن يأتي لهم بمثل، ولم تزل أيضاً غرة ناصعة في جبين الدهر وناصية الزمن، وكيف لاوقد جمعت معظم العلوم الاسلامية أصلية وفرعية، وتضمنت حلّ معضلات المباحث الفلسفية والكلامية التي لم تزل آراء العباقرة والنيافذة حائمة حولها، كما احتضنت كل ما يحتاج إليه علماء المسلمين على اختلاف مشارهم ومذاهبهم.

وحسب الشيخ عظمة أن كتابيه «التهذيب» و«الاستبصار» من الأصول المسلمة في مدارك الفقه، ومن الكتب الأربعة التي عليها المدار على

مرور الأعصار في استنباط أحكام الدين بعد كتاب الله المبين.

لم يكن خلود الشيخ في التاريخ وحصوله على هذه المرتبة الجليلة إلا نتيجة لإخلاصه وتبثله الواقعي، حيث لم يؤلف طلباً للشهرة أو حباً للرئاسة، أو استمالة لقلوب الناس وجلباً لهم، أو مباهاة لعالم من معاصريه، أو رغبة في التفوق، أو غير ذلك من المقاصد الدنيئة والمآرب الدنيوية التي ابتلي بها الكثير من معاصرنا - للأسف - حاشا وكلاً بل لم تخطر له على بال، وإنما كان في ذلك كله قاصداً وجه الله تعالى شأنه، راغباً في حسن جزائه وطالباً لجزيل ثوابه، حريصاً على حماية الدين وإحياء شريعة سيد المرسلين ومحو آثار المفسدين، ولذلك كان مؤيداً في أعماله مسدداً في أقواله وأفعاله، وقضية واحدة تدلنا على شدة إخلاص الشيخ تثبتها بنصها عبرة للمعتبرين.

قال شيخنا ومولانا الحجة خاتمة المحدثين الميرزا حسين النوري أعلى الله مقامه في «مستدرك الوسائل» ج ٣ ص ٥٠٦ ما لفظه:

وعثرت على نسخة قديمة من كتاب «النهاية» وفي ظهره بخط الكتاب، وفي موضع آخر بخط بعض العلماء ما لفظه: قال الشيخ الفقيه نجيب الدين أبوطالب الاسترابادي رحمه الله: وجدت على كتاب «النهاية» بـ (خزانة مدرسة الري): قال: حدثنا جماعة من أصحابنا الثقات أن المشايخ الفقهاء الحسين بن المظفر الحمداي القزويني، وعبد الجبار بن علي المقرئ الرازي، والحسن بن الحسين بن بابويه المدعوب (حسكا)، المتوطن بالري - رحمهم الله - كانوا يتحدثون ببغداد، ويتذاكرون كتاب «النهاية» وترتيب أبوابه وفصوله، فكان كل واحد منهم يعارض الشيخ الفقيه أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله عليه في مسائل، ويذكر أنه لا يخلو من خلل، ثم

اتفق أنهم خرجوا لزيارة المشهد المقدس بالغري على صاحبه السلام، وكان ذلك على عهد الشيخ الفقيه أبي جعفر الطوسي رحمه الله وقدس روحه، وكان يتخالج في صدورهم من ذلك مايتخالج قبل ذلك، فأجمع رأيهم على أن يصوموا ثلاثاً ويغتسلوا ليلة الجمعة، ويصلّوا ويدعوا بحضرة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام على جوابه فلعلّه يتضح لهم ماختلفوا فيه.

فسنح لهم أميرالمؤمنين عليه السلام في النوم، وقال: لم يصتف مُصتَف في فقه آل محمد عليهم السلام كتاباً أولى بأن يعتمد عليه ويتخذ قدوة ويرجع إليه أولى من كتاب «النهاية» التي [كذا] تنازعت فيه، وإنما كان ذلك لأن مصنفه اعتمد فيه على خلوص النية لله، والتقرب والزلفى لديه فلا ترتابوا في صحة ماضمته مصتفه، واعملوا به وأقيموا مسائله، فقد تعنى في تهذيبه وترتيبه والتحريّ بالمسائل الصحيحة بجميع أطرافها.

فلما قاموا من مضاجعهم أقبل كلّ واحد منهم على صاحبه، فقال: رأيت الليلة رؤيا تدلّ على صحة «النهاية» والاعتماد على مصنفها، فأجمعوا على أن يكتب كلّ واحد منهم رؤياه على بياض قبل التلقّظ، فتعارضت [كذا] الرؤيا لفظاً ومعنى.

وقاموا متفرقين مغتبطين بذلك، فدخلوا على شيخهم أبي جعفر الطوسي قدس الله روحه، فحين وقعت عينه عليهم، قال لهم: لم تسكنوا الى ماكنت أوقفتم عليه في كتاب «النهاية» حتى سمعتم من لفظ مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، فتعجبوا من قوله وسألوه عما استقبلهم به من ذلك، فقال: سنح لي أميرالمؤمنين عليه السلام كما سنح لكم فأورد عليّ ماقاله لكم. وحكى رؤياه على وجهها.

وهذا الكتاب يفتي الشيعة فقهاء آل محمد عليهم السلام، والحمد لله

وحده، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، انتهى.

انتهى ما في مستدرك شيخنا النوري.

وهذه القضية وحدها كافية للتدليل على إخلاص شيخ الطائفة وصدق خدمته - وإن كان في غنى عن ذلك - وحسبه ذخراً يوم العرض شهادة أمير المؤمنين عليه السلام: بأنه لم يقصد بتأليف الكتاب غير وجه الله. ومثل هذا فليعمل العاملون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ومما يجدر بالذكر إننا نستفيد من هذه الواقعة أمرين لم يصرح بها شيخنا النوري عظم الله مثواه.

الأول: إن معارضي الشيخ لم يكن لهم معه غرض شخصي في تخطئته ونقده، وإنما اختلفوا معه في بعض الآراء الفقهية فظنوا أنه غلط وأن فتاويه غير مرضية عند آل محمد عليه وعليهم السلام. ولم يكن ذلك إلا غيرة على الدين، وتحمساً له، وتحفظاً من وقوع الخطأ فيه، ولذلك لجأوا إلى الامام عليه السلام مستفسرين منه عن وقع ذلك في نفسه، فأجابهم عليه السلام بالرضا والقبول فسروا واطمأنوا وغبطوا شيخ الطائفة على توفيقه، كما تدل عليه عبارة: وقاموا متفرقين مغتبطين... إلخ.

الثاني: - وهو أهم من سابقه - إنهم كانوا على بصيرة من أمرهم، واطمئنان من أنفسهم، وكانوا يشعرون برضا أئمتهم عليهم السلام عنهم، ويرون أنفسهم عبيداً وخداماً لمواليهم، وليس على العبد إذا أراد المثل بين يدي مولاه إلا أن يكون على نحو رضىه وشكل يبتغيه، وأن يكون ممثلاً لأوامره مبتعداً عن نواهيه، وإذا فأتى مانع من وصوله إلى حضرة مولاه، وتشرفه بخدمته؟.

وأنت ترى أن هؤلاء المشايخ رضوان الله عليهم لما عسر عليهم فهم هذا

الأمر وانغلقت في وجوههم أبواب الرجاء والأمل لجأوا الى مواجهة الامام عليه السلام، ولم تكن مقدماتهم لذلك سوى بعض الآداب الشرعية المرعية من الصوم والوضوء والدعاء والرجاء، فلو علم هؤلاء بتقصير لهم أو شعروا بتخلفهم عن بعض أوامره لما جسروا على طلب مواجهته ومقابلته.

وهذا وغيره أعلمنا قداماؤنا رضوان الله عليهم أنهم كانوا في غاية الالتزام بالتكاليف الشرعية كبيرة وصغيرة، وفي غاية البعد عن كل ذنية حتى المكروه والمباح، وقد وعظونا بأعمالهم أكثر مما وعظونا بأقوالهم، فيجب علينا اتباعهم والسير على الخطى التي رسموها لنا والطرق التي سنها من أجلنا، وأن لانزل عن النهج القويم والصراط المستقيم عسى أن يشملنا عطف أئمة الهدى عليهم السلام فيكونوا شفعاءنا يوم لا تغني نفس عن نفس شيئاً ولا تنفعها شفاعة.

لقد طال بنا الكلام وخرجنا عما نحن بصدده فنعود الآن الى ذكر مؤلفات الشيخ فنقول:

إن في مؤلفات شيخ الطائفة ميزة خاصة لا توجد فيما عداها من مؤلفات السلف، وذلك لأنها المنبع الأول والمصدر الوحيد لمعظم مؤلفي القرون الوسطى، حيث استقوا منها مادتهم وكوّنوا كتبهم، ولأنها حوت خلاصة الكتب المذهبية القديمة وأصول^(١) الأصحاب.

(١) الأصل: عنوان يصدق على بعض كتب الحديث خاصة، والأصول الأربعمئة هي: أربعمئة كتاب ألّفت من جوابات الامام الصادق عليه السلام، وقد تكلمنا عنها في غاية الوضوح والدقة في كتابنا «الذريعة الى تصانيف الشيعة» ج ١ ص ١٢٥ - ١٣٥ فليراجعه طالب التفصيل.

فقد مرّ عليك عند ذكر هجرة الشيخ الى النجف الأشرف أن مكتبة سابور في الكرخ كانت تحتضن الكتب القديمة الصحيحة التي هي بخطوط مؤلفيها أو بلاغاتهم، وقد صارت كافة تلك الكتب طعمة للنار كما ذكرناه، ولم نفقد بذلك - والحمد لله - سوى أعيانها الشخصية وهيئاتها التركيبية الموجودة في الخارج، وأما محتوياتها وموادها الأصلية فهي باقية على حالها دون زيادة حرف ولانقيصة حرف، لوجودها في المجمع القديمة التي جمعت فيها مواد تلك الأصول قبل تأريخ إحراق المكتبة بسنين كثيرة، حيث ألّف جمع من أعظم العلماء كتباً متنوعة، واستخرجوا جميع ما في كتبهم من تلك الأصول وغيرها مما كان في المكتبات الأخرى.

وتلك الكتب التي ألّفت عن تلك الأصول موجودة بعينها حتى هذا اليوم، وأكثر أولئك إستفادة من تلك المكتبة وغيرها شيخ الطائفة الطوسي رحمة الله عليه لأنّها كانت تحت يده وفي تصرفه، وهو زعيم الشيعة ومقدمهم يومذاك، فلم يدع كتاباً فيها إلّا وعمد الى مراجعته واستخراج ما ينحصر مواضعه منه.

وهناك مكتبة أخرى كانت في متناول يده، وهي مكتبة أستاذه السيد المرتضى الذي صحبه ثمان وعشرين سنة، وكانت تشتمل على ثمانين ألف كتاب سوى ما أهدي منها الى الرؤساء كما صرح به كلّ من ترجم له، وذلك أحد وجوه تلقّيه بالثمانيني.

نعم كان شيخ الطائفة متمكناً من هاتين الخزانيتين العظيمتين، وكأنّ الله ألهمه الأخذ بحظه منها قبل فوات الفرصة، فقد اغتنمها أجزل الله أجره، وغربل كوم الكتب فأخذ منها حاجته وظفر فيها بضالته المنشودة، وآلف كتابيه الجليلين «التهذيب» و«الاستبصار» اللذين هما من الكتب

الأربعة، والجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الاحكام الشرعية عند الفقهاء الاثنى عشرية منذ عصر مؤلفه حتى اليوم، وآلف أيضاً غيرهما من مهام الأسفار قبل أن يحدث شيء مما ذكرنا، وكذا غيره من الحجج، فقد أجهدوا نفوسهم وتفتنوا في حفظ تراث آل محمد عليه وعليهم السلام، فكان لهم بحمد الله ما أرادوا.

وهكذا استقى شيخ الطائفة مادة مؤلفاته من تصانيف القدماء، وكتب في كافة العلوم من الفقه وأصوله، والكلام والتفسير، والحديث والرجال، والأدعية والعبادات، وغيرها، وكانت ولم تنزل مؤلفاته في كل علم من العلوم مآخذ علوم الدين بأنوارها يستضيئون ومنها يقتبسون وعليها يعتمدون. ولهذه الناحية فإن لشيخ الطائفة على الشيعة حقاً لا ينكر وفضلاً لا يستر، على أن جمعاً من علماء الشيعة القدماء عملوا ماعمله، فإن الشيخين الكليني والصدوق ألفا «الكافي» و«من لا يحضره الفقيه» اللذين هما من الكتب الأربعة أيضاً، وكذا غيرهما من الأقطاب، وإنا لانكر فضلهم بل نشكرهم على حسن صنيعهم ونقدر مجهودهم، ونسأل الله لهم الأجر والثواب الجزيل، إلا أنه لا بد لنا من الاعتراف بأن شيخ الطائفة بمفرده قام بما لا تقوم به الجماعة، ونهض بأعباء ثقيلة لم يكن من السهل على غيره النهوض بها لولا العناية الربانية التي شددت عضده، فإن الغير من أجهد نفسه الكرمية فكتب وآلف قد خصّ موضوعاً واحداً كالفقه أو الحديث أو الدعاء أو غير ذلك بينما لم يدع شيخ الطائفة باباً إلا طرقه، ولا طريقاً إلا سلكها، وقد ترك لنا نتاجاً طيباً متنوعاً غذى عقول فطاحل عدة قرون وأجيال.

ومع ما ذكرناه مما حلّ بكتب الشيعة من حريق وتلف وتدمير، فقد شددت مجموعة نادرة منها، وبقيت عدة من تلك الكتب بهيئتها الى أوائل

القرن الثامن، ومنها عدد كثير من كتب الأدعية، فقد حصلت جملة وافية للسيد جمال السالكين رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن محمد الطاووسي الحسيني الحلبي المتوفى سنة ٦٦٤هـ، كما يظهر ذلك من النقل عنها في أثناء تصانيفه.

فقد ذكر في الفصل الثاني والأربعين بعد المائة من كتابه «كشف المحجة» الذي ألفه سنة ٦٤٩هـ بعد ترغيب ولده الى تعلم العلوم مالفظه: «هياً الله جلّ جلاله لك على يديّ كتباً كثيرة - الى قوله بعد ذكر كتب التفسير: - وهياً الله جلّ جلاله عندي عدة مجلدات في الدعوات أكثر من ستين مجلداً.

وبعد هذه السنة حصلت عنده عدة كتب أخرى، فقال في آخر كتابه «مهج الدعوات» الذي فرغ منه يوم الجمعة ٧ جمادى الأولى سنة ٦٦٢هـ يعني قبل وفاته بسنتين تقريباً: فإنّ في خزانة كتبنا هذه الأوقات أكثر من سبعين مجلداً في الدعوات.

أقول: وأما سائر كتبه فقد جاء في «مجموعة الشهيد» أنه جرى ملكه في سنة تأليفه «الأقبال» - وهي سنة ٦٥٠هـ - على ألف وخمس مائة كتاب، والله أعلم بما زيد عليها من هذا التاريخ الى وفاته في سنة ٦٦٤هـ.

وهذه النيف والسبعون مجلداً من كتب الدعوات التي عنده، كلّها كانت من كتب المتقدمين على الشيخ الطوسي - الذي توفي سنة ٤٦٠هـ - لأنّ الشيخ منتجب الدين بن بابويه القمي جمع تراجم المتأخرين عن الشيخ الطوسي الى مايقرب من مائة وخمسين سنة وذكر تصانيفهم، ولا نجد في تصانيفهم من كتب الدعاء إلا قليلاً، وذلك لما ذكرناه من أنّ علماء الشيعة بعده الى مائة سنة أو أكثر كانوا مكثفين بمؤلفاته ومتحاشين عن

التأليف في قبالها.

والحديث في هذا الباب طويل تكاد تضيق عن الإحاطة به هذه الصحائف، فلنمسك عنان القلم محيلين طالب التفصيل الى مقالتين مبسوطتين كتبناهما في «الذريعة» الأولى في ج ١ ص ١٢٥ - ١٣٥ والثانية في ج ٨ ص ١٧٢ - ١٨١.

وإليك الآن فهرس ماوصل إلينا من مؤلفات شيخ الطائفة مرتباً على حروف الهجاء:

١ - الأبواب: سمي بذلك لأنه مرتب على أبواب بعدد رجال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب كل واحد من الأئمة عليهم السلام ويسمى بـ «رجال شيخ الطائفة».

وقد ذكرناه بالعنوانين في «الذريعة» في ج ١ ص ٧٣ وج ١٠ ص ١٢٠. وهو أحد الاصول الرجالية المعتمدة عند علمائنا، وقد انتخبه شيخنا العلامة الحجة السيد محمد علي الشاه عبدالعظيمي النجفي المتوفى سنة ١٣٣٤هـ كما انتخب فهرست الشيخ ورجال كل من الكشي والنجاشي وخلاصة العلامة الحلبي، وسمي الجميع «منتخب الرجال» وقد طبع أيضاً.

٢ - اختيار الرجال: هو كتاب رجال الكشي الموسوم بـ «معرفة الناقلين» لابي عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي معاصر ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩هـ والراوي كل منها عن الآخر.

وكان كتاب رجاله كثير الأغلاط كما ذكره النجاشي، ولذلك عمد شيخ الطائفة الى تهذيبه وتجريده من الأغلاط وسمّاه بذلك، وأملاه على تلاميذه في المشهد الغروي وكان بدء إملائه يوم الثلاثاء ٢٦ صفر سنة

٤٥٦ كما حكاها السيد رضي الدين بن طاووس في «فرج المهموم» راجع تفصيله في «الذريعة» ج ١ ص ٣٦٥ و ٣٦٦، والنسخة المطردة المعروفة برجال الكشي هي عين اختيار شيخ الطائفة، وأما الأصل فلم نجد له أثراً.

٣- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: هو أحد الكتب الأربعة والمجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثني عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم، جزآن منه في العبادات والثالث في بقية أبواب الفقه من العقود والايقاعات والأحكام الى الحدود والديات.

وهو مشتمل على عدة كتب التهذيب غير أنه مقصور على ذكر ما اختلف فيه من الأخبار وطريق الجمع بينها، والتهذيب جامع للخلاف والوفاق، وقد حصر الشيخ نفسه أحاديث الاستبصار في آخره في ٥٥١١ حديثاً، وقال: حصرتها لئلا تقع فيها زيادة أو نقصان... إلخ.

وقد طبع في المطبعة الجعفرية في لكةهو (الهند) سنة ١٣٠٧هـ، وطبع ثانياً في طهران سنة ١٣١٧هـ، وطبع ثالثاً في النجف الأشرف سنة ١٣٧٥هـ على نفقة الفاضل الشيخ علي الآخوندي، وقد قوبل بثلاث نسخ مخطوطة، وفاتهم مقابلة النسخة المقابلة بخط شيخ الطائفة نفسه الموجودة في (مكتبة العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء) في النجف الأشرف، كما ذكرتها تفصيلاً عند ذكر الكتاب في «الذريعة» ج ٢ ص ١٤-١٦.

وعلى «الاستبصار» شروح وتعليقات ذكرنا منها ثمانية عشر، وقد أشار إليها العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم في مقدمة «الفهرست» الذي طبع بإشرافه، ونقلها عنا برمتها العلامة الشيخ محمد علي الاوردبادي في مقدمته للاستبصار طبع النجف.

وكتب لنا بعد ذلك السيد شهاب الدين التبريزي أنه حصل على نسخة من حواشي الاستبصار للعلامة المحقق الملقّب بمجذوب، كتبها بخطه السيد محمد هاشم الحسيني ابن مير خواجه بيك الكججي، وذكر الكاتب أنّ المحشّي كان استاذة، وكان حياً في سنة ١٠٣٨هـ، ويعبّر المحشّي عن المولى عبدالله التستري المتوفى سنة ١٠٢١هـ بشيخنا ومولانا الاستاذ، فرغ الكاتب من النسخة في سنة ١٠٨٣هـ.

٤ - أصول العقائد: قال في فهرسه عند ترجمته لنفسه وتعدد تصانيفه مالفظة: وكتاب في الأصول كبير خرج منه الكلام في التوحيد وبعض الكلام في العدل.

٥ - الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد: وهو فيما يجب على العباد من أصول العقائد والعبادات الشرعية على وجه الاختصار، راجع تفصيله ومحلّ وجود نسخه المخطوطة في «الذريعة» ج ٢ ص ٢٦٩ و ٢٧٠.

٦ - الأمالي: في الحديث، ويقال له «المجالس» لأنه أملاه مرتباً في عدة مجالس، وقد طبع في طهران عام ١٣١٣هـ منضمّاً الى كتاب آخر إسمه (الأمالي) أيضاً شاعت نسبته الى الشيخ ابي علي الحسن بن الشيخ الطوسي، وليس كما اشتهر بل هو جزء من أمالي والده شيخ الطائفة أيضاً، إلّا أنه ليس مثل جزئه الآخر مرتباً على المجالس، ولهذه الشايعة أسباب ذكرناها بغاية الدقة والتفصيل في «الذريعة» ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١١ وص ٣١٣ و ٣١٤ فليرجع إليها.

٧ - أنس الوحيد: كذا ذكره في ترجمته عند عدّ تصانيفه في كتابه «الفهرست» وقال: إنه مجموع.

٨ - الإيجاز: في الفرائض، وقد سمّاه بذلك لأنّ غرضه فيه الإيجاز،

وأحال فيه التفصيل الى كتابه «النهاية»، وهو من مآخذ «بجارات الأنوار» وقد ذكرناه في «الذريعة» ج ٢ ص ٤٨٦، وشرحه قطب الدين الراوندي فسماه بـ «الانجاز» كما ذكرناه في ج ٢ أيضاً ص ٣٦٤.

٩ - التبيان في تفسير القرآن: وهو هذا الكتاب العظيم، والأثر الثمين الذي يمثل الطبع اليوم الى الملأ العلمي، ويقدمه ناشره الى أنظار القراء الكرام، وهو أول تفسير جمع فيه مؤلفه أنواع علوم القرآن، وقد أشار الى فهرس مطوياته في ديباجته ووصفه بقوله: «لم يعمل مثله».

واعترف بذلك إمام المفسرين أمين الاسلام الطبرسي في مقدمة كتابه الجليل «مجمع البيان في تفسير القرآن»^(١) فقال: إنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح عليه رواء الصدق، وقد تضمن من المعاني الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبينها، ولا بتنسيقها دون تحقيقها، وهو القدوة أستضي بأنواره، وأطأ مواقع آثاره.

وقال العلامة السيد مهدي بحر العلوم في «الفوائد الرجالية» مالفظة: أما التفسير فله فيه كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن، وهو كتاب جليل كبير عديم النظير في التفاسير، وشيخنا الطبرسي إمام التفسير في كتبه، إليه يزدلف، ومن بحره يغترف، وفي صدر كتابه الكبير بذلك يعترف.

وكان الشيخ المحقق محمد بن إدريس العجلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ كثير

(١) اشتهب الأمر على البحانة المرحوم الحاج كاتب الجلي في «كشف الظنون» ج ١ ص ٣١٢ وج ٢ ص ٣٨٥ فنسب «مجمع البيان» للشيخ الطوسي وقال: إنه توفي سنة ٥٦١ هـ. ثم قال: واختصر «الكشاف» وسمّاه «جوامع الجامع» وابتدأ بتأليفه في سنة ٥٦٢ هـ، وكأنه لم يميز بين الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ والشيخ الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ و «جوامع

الوقائع مع شيخ الطائفة، دائم الرّد على معظم مؤلفاته، وهو أول من خالف أقواله كما أسلفناه، إلّا أنه يقف عند كتابه التبيان ويعترف له بعظم الشأن، واستحكام البنيان، كما لا يخفى ذلك على من راجع «خاتمة المستدرک» لشيخنا النوري، وقد بلغ من إعجابه به أن لخصه وسمّاه «مختصر التبيان» وهو موجود كما ذكرناه في محله.

واختصره أيضاً الفقيه المفسّر أبو عبدالله محمد بن هارون المعروف والده بالکال (الکيال خ ل) شيخ محمد بن المشهدي صاحب المزار، وقد سمّاه بـ «مختصر التبيان» كذلك كما ذكره المحدث الحرّفي «أمل الآمل»، وعده ابن نما من تصانيفه أيضاً كما في إجازة صاحب «المعالم».

وقد ذكرنا هذا الكتاب في «الذريعة» ج ٣ ص ٣٢٨ - ٣٣١ بغاية الوضوح، كما أشرنا الى تفاصيل أجزائه وذكرنا ندرته وأنه كان عند العلامة المجلسي بأجمعه كما ذكره في مآخذ «البحار» في أوله، وذكرنا محال وجود أجزائه المتفرقة، كمكتبة الجامع الأزهر بمصر، ومكتبة السلطان محمد الفاتح، ومكتبة السلطان عبدالحميد خان باسلامبول، ومكتبة الحاج حسين الملك بطهران، ومكتبة الشيخ جعفر في القطيف، ومكتبة شيخ الاسلام في زنجان، والخزانة الغروية في النجف الأشرف ومكتبة مجدالدين النصيري في طهران، الى غير ذلك من النسخ.

واستدرکنا البحث في الجزء الرابع ص ٢٦٦ و ٢٦٧ عند ذكر تفاسير الشيعة وذكرنا ما عثرنا عليه بعد ذلك من النسخ في مكتبة المرحوم الشيخ

محمد السماوي في النجف، ومكتبة صديقنا المعظم زعيم الشيعة الأكبر والمرجع الأعلى للتقليد اليوم السيد أغا حسين البروجردي دام ظلّه، ومكتبة المرحوم السيد نصرالله التقوي رئيس المجلس الإيراني في طهران وغير ذلك . وكانت في كتب المرحوم الشيخ موسى الأردبيلي نسخة فيها الجزء الأول والرابع والسادس من هذا التفسير، ولما توفي طلب مني الفاضل السيد شفيع الأردبيلي الوقوف على كتبه، فحضرت هناك ورأيت هذه النسخة وكان تأريخ كتابتها ١٠٨٧ هـ وهي من موقوفات خاصة للنجف سنة ١١٤٠ هـ فرغب إليّ السيد شفيع أن أحفظ بها عندي خوفاً عليها من التلف ففعلت، ولما لم أكن أعهد الجزء الأول في مكان آخر أمرت ولدي الفاضل الميرزا علي نقي المنزوي - صاحب عدّة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة - أن يستنسخها تكثيراً للنسخ، ثم بعثت النسخة الأصلية الموقوفة الى مكتبة الحسينية التسترية ليستفاد منها، وبقيت عندي نسخة خط ولدي.

وبعد ذلك بسنين رغب الفقيه الكبير الحجة السيد محمد الكوه كمرى التبريزي رحمه الله في طبع الكتاب، وسعى فجمع بعض أجزائه المتفرقة في البلدان وضمّ بعضها الى بعض، ولم يكن فيها الجزء الأول، فكتب الى جماعة يستفسر منهم.

منهم العلامة المجاهد الشيخ عبدالحسين الأميني حفظه الله صاحب «الغدير» فراجعني الشيخ الأميني فأخبرته بوجوده لديّ وأعطيته نسختي فبعثها الى قم للسيد الكوه كمرى فصحت وتمم بها الكتاب والحمد لله، وطبع في مجلدين كبيرين يقرب كلّ واحد منهما من ٩٠٠ صفحة وذلك من سنة ١٣٦٠ - ١٣٦٥ هـ وكان الباذل لنفقته المحسن الصالح السيد عبدالرسول الروغني الشهير من تجار اصفهان، وهو من المثريين وأهل الخير

وكانت له بعض المبرات يجربها على يدنا في النجف الأشرف. والحق أن السيد الحجة قد أسدى الى الامة جمعا يداً لا تنكسر، وقام بخدمة كبيرة، إذ طالما حنّت نفوس المئات من أكابر العلماء الى مشاهدة هذا التفسير الجليل مجموعاً في مكان واحد بعد تفرق أجزائه وتشتتها في مختلف البلدان.

وقد وفق لتحقيق هذه الامنية السيد الكوه كمرى فبذل جهوداً لا يستهان بها حتى استطاع جمعه وترتيبه فله منا الشكر، ونسأل الله ان يتغمده برحمته ويحجز أجره.

وقد نقل على ظهر الكتاب من «الذريعة» بعض أوصاف التفسير وما قيل فيه، ورغم ما بذله الناشر والمصححون من الخدمات المشكورة فقد جاء حافلاً بالأغلاط المطبعية والاملائية، ولذلك عمد صاحب مكتبة الأمين في النجف الأشرف فأجهد نفسه في تصحيحه وحسن إخراجة فجاء - والحق يقال - أحسن بكثير من الطبعة الاولى، والمأمول من أهل العلم والفضل المبادرة الى الاشتراك بهذا الكتاب واقتنائه وتشجيع أمثال هذه الخدمات الدينية التي لا تقابل بثمن، لتنتشر أسفار قدمائنا، وتظهر للعيان مكانة سلفنا وما لهم من خدمات وما بذلوه من جهود والله الملمهم للصواب.

وقد ذكرنا في «الذريعة» ج ٣ ص ١٧٣ «البيان في تفسير القرآن» كبير في ستة مجلدات رأينا في مكتبة الشيخ عبدالحسين الطهراني الشهير بـ «شيخ العراقيين» وقلنا: وليس هذا التفسير هو تبيان الشيخ الطوسي ظاهراً لأنه عشرون مجلداً كما يقال أو أكثر، نعم آخر الجزء الثاني وأول الثالث منه مطابق مع التبيان... إلخ.

ثم طابقنا الكتاب مع بعض النسخ فاتضح لنا أنه من أجزاء التبيان

فاستدركنا ذلك وصرّحنا باتحادهما في «الذريعة» أيضاً ج ٤ ص ٢٦٦ عند ذكر التفاسير.

١٠ - تلخيص الشافي: في الامامة، أصله لعلم الهدى السيد المرتضى رحمة الله عليه، وقد لخصه تلميذه شيخ الطائفة، وطبع التلخيص في آخر الشافي بطهران سنة ١٣٠١ هـ كما ذكرناه في «الذريعة» ج ٤ ص ٤٢٣.

١١ - تمهيد الأصول: شرح لكتاب «جمل العلم والعمل» لاستاذ المرتضى لم يخرج منه إلا شرح مايتعلق بالأصول كما صرح به في الفهرست، ولذا عبّر عنه النجاشي بـ «تمهيد الأصول» توجد منه نسخة في خزانة الرضا عليه السلام بخراسان كما في فهرسها، وقد ذكرناه في «الذريعة» ج ٤ ص ٤٣٣.

١٢ - تهذيب الأحكام: أحد الكتب الأربعة والمجاميع القديمة المعول عليها عند الأصحاب من لدن تأليفها حتى اليوم، استخرجه شيخ الطائفة من الأصول المعتمدة للقدماء، والتي هيأها الله له وكانت تحت يده من وروده الى بغداد سنة ٤٠٨ هـ الى هجرته الى النجف الأشرف سنة ٤٤٨ هـ، وقد خرج من قلمه الشريف تمام كتاب الطهارة الى كتاب الصلاة بعنوان الشرح على «المقنعة» تأليف استاذه الشيخ المفيد الذي توفي عام ٤١٣ هـ، وذلك في حياة استاذه، وكان عمره يومذاك خمساً - أو ستاً - وعشرين سنة، ثم تممه بعد وفاته، وقد أنهت أبوابه الى ثلاثمائة وثلاثة وتسعين باباً، وأحصيت أحاديثه في ١٣٥٩٠، وقد طبع في مجلدين كبيرين سنة ١٣١٧ هـ، ويوجد في تبريز الجزء الأول منه بخط مؤلفه شيخ الطائفة، وعليه خط الشيخ البهائي وهو في مكتبة السيد الميرزا محمد حسين بن علي أصغر شيخ الاسلام الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ، كما ذكرناه في

«الذريعة» مفصلاً ج ٤ ص ٥٠٤-٥٠٧، وأحصينا هناك من شروح الكتاب ستة عشر، ومن حواشيه عشرين، كما أشرنا الى عدة كتب تتعلق به، كـ «إنتخاب الجيّد من تنبيهات السيّد» و«ترتيب التهذيب» و«تصحيح الاسانيد» و«تنبيه الأريب في إيضاح رجال التهذيب» الى غير ذلك مما لاغنى للباحثين عن مراجعته.

١٣ - الجمل والعقود: في العبادات، وقد رأيت منه عدة نسخ في النجف الأشرف وفي طهران، ألفه بطلب من خليفته في البلاد الشامية، وهو القاضي عبدالعزيز بن تحرير بن عبدالعزيز بن البراج قاضي طرابلس المتوفى سنة ٤٨١هـ، كما صرح في أوله بقوله: فاني مجيب الى ما سأل الشيخ الفاضل أطال الله بقاءه. وقد صرح في هامش بعض النسخ القديمة بأن القاضي المذكور هو المراد بالشيخ كما ذكرناه في «الذريعة» ج ٥ ص ١٤٥.

١٤ - الخلاف في الأحكام: ويقال له «مسائل الخلاف» أيضاً، وهو مرتب على ترتيب كتب الفقه، وقد صرح فيه بأنه ألفه قبل كتابه «التهذيب» و«الاستبصار» وناظر فيه المخالفين جميعاً، وذكر مسائل الخلاف بيننا وبين من خالفنا من جميع الفقهاء، وذكر مذهب كل من خالف على التعيين، وبيان الصحيح منه وما ينبغي أن يعتقد، الى غير ذلك مما شرحه في أول الكتاب.

وهو في مجلدين كبيرين، يوجدان تماماً في مكتبة الحجة السيد ميرزا باقر القاضي في تبريز، وهناك نسخ في النجف الأشرف في مكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ومكتبة الشيخ محمد السماوي ومكتبة الشيخ مشكور الحولوي ومكتبة الحسينية التستيرية، ونسخة في الكاظمية في مكتبة السيد حسن الصدر وهي أقدم نسخة رأيتها حيث إنّ على ظهر

الصفحة الأخيرة منها إجازة تأريخها سنة ٦٦٨ هـ ونظراً لنفاسة هذه الإجازة فقد نشرتها حرفياً في هامش الجزء السابع من «الذريعة» ص ٢٣٦ عند ذكر الخلاف، ونسخة أخرى في الحزاة الرضوية بخراسان، تجد تفصيل ذلك في «الذريعة» وقد طبع الكتاب بحمد الله في طهران سنة ١٣٧٠ هـ بأمر من زعيم الشيعة الحجة السيد أغا حسين البروجردي دام ظلّه مع تعليقه له عليه، وذلك بنفقة الوجيه الصالح الحاج محمد حسين كوشان پور جزاها الله خير الجزاء إن شاء الله، والأسف أنّ السيد البروجردي لم يرجع الى «الذريعة» ولو رجع إليها لدلّته على النسخة التامة التي ذكرناها ولاستغنى عن استكتاب القطع، وضّم بعضها الى بعض، كما شرح ذلك بقلمه على ظهر الكتاب.

١٥ - رياضة العقول: شرح فيه كتابه الآخر الذي سَمّاه «مقدمة في المدخل الى علم الكلام» ذكرها النجاشي في رجاله والمترجم له في فهرس كتبه وابن شهر آشوب في «معالم العلماء» كما ذكرناه في حرف الراء من «الذريعة» المخطوط.

١٦ - شرح الشرح: في الأصول، قال تلميذه الحسن بن مهدي السليقي: إنّ من مصنفاته التي لم يذكرها في الفهرست كتاب شرح الشرح في الأصول، وهو كتاب مبسوط أملى علينا منه شيئاً صالحاً، ومات رحمه الله ولم يتمّه ولم يصتف مثله.

١٧ - العدة: في الأصول، ألفه في حياة أستاذه السيد المرتضى، وقسمه قسمين الأول في أصول الدين والثاني في أصول الفقه، وهو أبسط ما ألف في هذا الفن عند القدماء، أفاض فيه القول في تنقيح مباني الفقه بما لا مزيد عليه في ذلك العصر، طبع ببجي في سنة ١٣١٢ هـ، وطبع في ايران ثانياً سنة

١٣١٤ هـ مع حاشية المولى خليل القزويني المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ، وليست شرحاً كما قاله الشيخ الحرّ في «أمل الآمل» بل هي حاشية مبسّطة في مجلّدين كما فصله المولى عبدالله الأفندي في «رياض العلماء»، وللوقوف على تفصيل ذلك راجع «الذريعة» ج ٦ ص ١٤٨.

١٨ - الغيبة: في غيبة الامام الحجة المهدي المنتظر عليه السلام، طبع في تبريز على الحجر طبعاً صحيحاً متقناً في سنة ١٣٢٤ هـ مع حاشية كلّ من العلامة الشيخ فضل علي الايرواني المتوفى سنة ١٣٣١ هـ والعلامة الشهيد الميرزا علي أغا التبريزي الملقب بثقة الاسلام، وكان طبعه بنفقة الفاضل التقي الشيخ محمد صادق التبريزي المعروف بالقاضي ابن الحاج محمد علي ابن الحاج علي محمد ابن الحاج الله وردي، وهو من الكتب التي حصل عليها من إرث أبي زوجته السيد ميرزا مهدي خان الطباطبائي التبريزي، وقد ظنّ بعضهم أنه ألفه في حياة أستاذه الشيخ المفيد، وأنه هو المراد بقوله: مارسه الشيخ الجليل أطال الله بقاءه... إلخ. وليس كذلك فقد قال في جواب الاعتراض على طول عمر الحجة كما في ص ٨٥ من الكتاب مانصه: الى هذا الوقت الذي هو سنة سبع وأربعين وأربعمائة... إلخ، فأين هذا الشيخ من الشيخ المفيد الذي توفي سنة ٤١٣ هـ.

١٩ - الفهرست^(١): ذكر فيه أصحاب الكتب والأصول، وأنهى إليهم وإليها أسانيده عن مشايخه، وهو من الآثار الثمينة الخالدة، وقد اعتمد عليه

(١) ذكره البحاث المفضل يوسف أسعد داغر في مصادر كتابه «مصادر الدراسة الأدبية» ج ١ ص ٩ وذكر أن وفاة الشيخ في ٤٦٥ هـ والصحيح ٤٦٠ كما سيأتي، وقال: إنه في ٢٨٣ صفحة والصحيح ٣٨٣.

علماء الامامية على بكرة أبيهم في علم الرجال، وقد شرحه العلامة المحقق الشيخ سليمان الماحوزي المتوفى ١١٢١هـ وسمّاه «معراج الكمال الى معرفة الرجال»؛ ورتبه على طريقة كتب الرجال كلّ من العلامة الشيخ علي المقشاعي الاصبعي البحراني المتوفى سنة ١١٢٧هـ والعلامة المولى عناية الله القهپائي النجفي المتوفى بعد سنة ١١٢٦هـ، وغيرهما مما ذكرنا كلاً في محله من «الذريعة».

طبع الفهرست في ليدن قبل سنين متطاولة ولاأذكر الآن عام طبعه، على إنني وقفت عليه في طهران، وكانت نسخه عزيزة جداً ولذلك كتبت عليه نسخة لنفسي قبل إحدى وستين سنة، ولا تزال موجودة عندي بورقها وخطها القديم مع غيرها مما استنسخته يومذاك من الكتب لندرت، وتأريخ فراغي من كتابتها في طهران أيام عودتي إليها من النجف الاشرف صحيحة يوم الأحد غرة شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥هـ.

وهذه الطبعة كانت جيدة متقنة صحيحة ثمينة جداً، حتى أنّ مكتبات طهران وعلمائها يومذاك لم تكن تضمّ غير هذه النسخة، لأنّ جلبها من الخارج كان يكلف ثمناً لا بأس به، وقد كانت هذه النسخة في مكتبة الزعيم الحجة المعروف والأديب الكبير الميرزا أبي الفضل الطهراني الشهير بـ «الكلانتری» والمتوفى سنة ١٣١٩هـ استعرتها من تلميذه استاذي الشيخ علي النوري الايلكائي رحمه الله فرأيت في آخرها عدة صفحات باللغة اللاتينية، ففتّشت في طهران كثيراً حتى عثرت بن يحسنها فترجمها لي بالفارسية ونقلتها أنا الى العربية وصدرت بها نسختي، وهي كلمة الناشر وخلاصتها: أنه أجهد نفسه في مقابلة النسخ والتدقيق في التصحيح الى غير ذلك.

وطبع ثانياً في كلكتة من بلاد الهند عام ١٢٧١هـ فجاء في ٣٧٣ صفحة وقد تولّى نشره وتصحيحه (١. سبرنج) والمولى عبدالحق، وقد طبع في ذيل صفحاته (نضد الايضاح) - يعني إيضاح الاشتباه للعلامة الحلّي - تأليف علم الهدى محمد بن الفيض الكاشاني المتوفى بعد سنة ١١١٢هـ ولم أقف على هذه النسخة وإنما ذكرها ناشر الطبعة الثالثة.

وفي سنة ١٣٥٦هـ طبعه في النجف الأشرف صديقنا العلامة المحقق السيد محمد صادق آل بحر العلوم حفظه الله قاضي البصرة اليوم، مع مقدمة ضافية عن حياة الشيخ وتعاليق مفيدة، تدارك فيها مافات في طبعته الأولى والثانية، مع التصحيح الدقيق، والمراجعة إلى الأصول المعتمدة، وكتب الرجال وتطبيق المنقول فيها عن الفهرست، إلى غير ذلك مما تظهر به ميزة هذه الطبعة، وقد راعى فيها الأمانة على خلاف عادة بعض المعاصرين، فما نقل عنّا شيئاً إلّا وأشار إلى مصدره أيّده الله.

وللفهرست ذبول وتتمات هي من أنفس الكتب الرجالية:

منها «فهرست الشيخ منتجب الدين» المتوفى بعد سنة ٥٨٥هـ ذكر فيه المصنفين بعد عصر الشيخ إلى عصره، وقد طبع مع الجزء الأخير من «بحار الأنوار» وعندي منه نسخة بخطي فرغت من كتابتها في النجف الأشرف سنة ١٣٢٠هـ كتبها قبل أن اطلع على طبعه في آخر «البحار».

ومنها معالم العلماء للشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي صاحب «المناقب» المطبوع والمتوفى سنة ٥٨٨هـ، وقد زاد هذا الأخير على ما ذكره شيخ الطائفة من أسماء المصنفين ثلاث مائة مصنف.

وقد لخص «الفهرست» الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الشهير بالمحقق الحلّي صاحب «الشرائع» والمتوفى

سنة ٦٧٦ هـ لخصه بتجريده عن ذكر الكتب والأسانيد إليها، والاقتصار على ذكر نفس المصنفين وسائر خصوصياتهم مرتباً على الحروف في الأسماء والألقاب والكنى، رأيته في مكتبة السيد حسن الصدر في الكاظمية كما ذكرته في «الذريعة» ج ٤ ص ٤٢٥.

٢٠ - مالايسع المكلف الإخلال به: في علم الكلام، ذكره النجاشي في «رجاله» والشيخ في «الفهرست»، ورأيت عند العلامة المرحوم الشيخ هادي آل كاشف الغطاء مجموعة بخط جده الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، وفي أولها كتاب في أصول الدين وفروعه ليس بخط الشيخ الأكبر، أوله: «الحمد لله كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على سيد الأنبياء محمد وعترته الأبرار الأخيار صلاة لانقطاع لمددها، ولانتهاء لعددها، وسلم وكرم، أما بعد فقد أجبت الى مأسأله الأستاذ أدام الله تأييده من إملاء مختصر محيط مما يجب اعتقاده في جميع أصول الدين، ثم مايجب عمله من التبرعات، لايكاد المكلف من وجوها عليه - كذا - لعموم البلوى، ولم أخل شيئاً مما يجب اعتقاده من إشارة الى دليله وجهة علمه على صغر الحجم وشدة الاختصار، ولن يستغني عن هذا الكتاب مبتدئ تعليمياً وتبصرة، ومنته تنبيهاً وتذكراً، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق... إلخ.

وعنوان شروعه في المطلب هكذا بلفظه: «مايجب اعتقاده في أبواب التوحيد، الأجسام محدثة لأنها لم تسبق الحوادث فلها حكمها في الحدوث... الى آخر كلامه». والمظنون قوياً كون هذا الكتاب هو «مالايسع المكلف الإخلال به» والله العالم.

٢١ - مايعلّل وما لايعلّل: في علم الكلام أيضاً، ذكره النجاشي في «رجاله» وشيخ الطائفة نفسه في «الفهرست» أيضاً.

٢٢ - المبسوط: في الفقه من أجل كتب هذا الفن، يشتمل على جميع أبوابه في نحو سبعين كتاباً، طبع في إيران سنة ١٢٧٠هـ، وقد وقفت على بعض نسخه المخطوطة النفيسة في مختلف الاماكن، وفصلت ذكرها وذكرت خصوصياتها في حرف الميم من «الذريعة» ولا حاجة الى ذكرها بعد أن طبع الكتاب، ومن أراد الوقوف عليها فعليه بمراجعة الكتاب المذكور.

٢٣ - مختصر أخبار المختار بن أبي عبيد الشقي: ويعبر عنه بـ «أخبار المختار» أيضاً كما ذكرناه بهذا العنوان في «الذريعة» ج ١ ص ٣٤٨.

٢٤ - مختصر المصباح: في الأدعية والعبادات، اختصر فيه كتابه الكبير «مصباح المتجدد» ويقال له «المصباح الصغير» أيضاً في قبال أصله «المصباح الكبير»، نسخة منه في مكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء، ونسختان في مكتبة مدرسة فاضل خان في مشهد الرضا عليه السلام بخراسان كما ذكرناه في الميم من «الذريعة».

٢٥ - مختصر في عمل يوم وليلة: في العبادات، وقد سماه بعضهم «يوم وليلة» لكن الشيخ نفسه ذكره في «الفهرست» بهذا العنوان، وقد اقتصر فيه على الفرائض والنوافل الإحدى والخمسين ركعة في اليوم والليلة وبعض التعقيبات في غاية الاختصار.

رأيت منه عدة نسخ، إحداها بخط العلامة السيد أحمد زوين النجفي فرغ من كتابتها في سنة ١٢٣٤هـ، والثانية بخط مولانا الحجة الميرزا محمد الطهراني العسكري وهي الآن بمكتبته في سامراء، وغيرهما مما ذكرته في الميم من «الذريعة».

٢٦ - مسألة في الأحوال: ذكرها شيخ الطائفة نفسه في عداد تصانيفه في كتابه «الفهرست» ووصفها بقوله: مليحة.

٢٧ - مسألة في العمل بخبر الواحد وبيان حجيته: ذكرناها في «الذريعة» ج ٦ ص ٢٧٠ بعنوان «حجية الأخبار».

٢٨ - مسألة في تحريم الفقاع: ذكرها الشيخ نفسه في الفهرست، نسخة منها بخط الحجة المرحوم الميرزا محمد الطهراني العسكري رأيتها عنده بمكتبته في سامراء، ونسخة أخرى في مكتبة الحسينية التستيرية في النجف الأشرف، وثالثة في مكتبة راجة فيض آباد في الهند كما فصلناه في «الذريعة».

٢٩ - مسألة في وجوب الجزية على اليهود والمنتمين الى الجبابرة، لا ذكر لها في فهرست الشيخ المطبوع المتداول، بل ذكرها المولى عناية الله القهپاي في كتابه «مجمع الرجال» الموجود عندنا بخطه نقلاً عن فهرست الشيخ، وهذا يدل على وجودها في النسخة التي وقف عليها، ويظهر من ذلك وجود بعض النقصان في المتداول.

٣٠ - مسائل ابن البراج: ذكره شيخ الطائفة نفسه في كتابه «الفهرست».

٣١ - الفرق بين النبي والإمام: في علم الكلام، ذكرها في «الفهرست» أيضاً.

٣٢ - المسائل الإلياسية: هي مائة مسألة في فنون مختلفة، ذكرها هوفي «الفهرست»، وذكرناها بعنوان «جوابات المسائل الإلياسية» في «الذريعة» ج ٥ ص ٢١٤.

٣٣ - المسائل الجنبلائية: في الفقه، وهي أربع وعشرون مسألة كما ذكره الشيخ في «الفهرست»، وذكرناها في «الذريعة» ج ٥ ص ٢١٩ بعنوان جوابات. وفي بعض المواضع «الجيلانية» وهو غير صحيح.

٣٤ - المسائل الحائرية: في الفقه، وهي نحو من ثلاثمائة مسألة، كما في «الفهرست»، وهي من مآخذ «بحار الأنوار» كما ذكره المجلسي في أوله، وينقل عنه ابن إدريس في «السرائر» بعنوان «الحائريات» كما ذكرناه في «الذريعة» ج ٥ ص ٢١٨.

٣٥ - المسائل الحلبية: في الفقه أيضاً، ذكره الشيخ نفسه في «الفهرست» ونقلناه في «الذريعة» ج ٥ ص ٢١٩.

٣٦ - المسائل الدمشقية: في تفسير القرآن، وهي إثنتي عشرة مسألة، في تفسير القرآن، ذكرها الشيخ نفسه في «الفهرست» وقال: لم يعمل مثلها. وذكرناها بعنوان الجوابات في «الذريعة» ج ٥ ص ٢٢٠.

٣٧ - المسائل الرازية: في الوعيد، وهي خمس عشرة مسألة وردت من الري الى استاذة السيد المرتضى فأجاب عنها، وأجاب عنها الشيخ الطوسي أيضاً، ذكرها في «الفهرست»، وذكرناها في «الذريعة» ج ٥ ص ٢٢١ بعنوان «جوابات المسائل الرازية»، كما ذكرنا هناك جوابات أستاذة المرتضى.

٣٨ - المسائل الرجبية: في تفسير آي من القرآن، ذكرها الشيخ نفسه في «الفهرست» ووصفها بقوله: لم يصنف مثلها. ذكرناها في حرف الميم من «الذريعة» القسم المخطوط.

٣٩ - المسائل القمية: ذكرها المولى عناية الله القهپاي نقلأ عن «الفهرست» للشيخ لكن لم نجده في النسخة المطبوعة، وقد ذكرناه في «الذريعة» ج ٥ ص ٣٣٠ بعنوان «جوابات المسائل القمية».

٤٠ - مصباح المهجد: في أعمال السنة، كبير، وهو من أجل الكتب في الأعمال والأدعية، وهو قدوتها، وأصلها ودوحها، ومنه اقتبس كثير من

كتب الباب، كـ «اختيار المصباح» لأبن باقي و«ايضاح المصباح» للنيلي و«تتمات المصباح» في عشرة مجلدات كلّها كتاب مستقل، وله عنوان خاص، وهي للسيد ابن طاووس، و«قبس المصباح» للصهرشتي، و«منهاج الصلاح» للعلامة الحلي، ولكلّ من المولى حيدر علي الشيرواني المعروف بالمجلسي والسيد عبدالله شبر ونظام الدين علي بن محمد^(١) «مختصر المصباح»، و«منهاج الصلاح» لأبن عبدربه الحلي وغير ذلك طبع في طهران على نفقة المرحوم الحاج سهم الملك بيات العراقي بترغيب العالم التقي السيد علم الهدى الكابلي نزيل ملاير أخيراً، وذلك في سنة ١٣٣٨ هـ وهامشه ترجمة فارسية للعلامة الشيخ عباس القمي.

٤١ - الفصح: في الامامة، وهو من الآثار الهامة، توجد نسخة منه في مكتبة راجة فيض آباد في الهند، وحصلت نسخة منه لشيخنا الحجة الميرزا حسين النوري، وجدها مع «النهاية» وهي بخط أبي المحاسن بن إبراهيم بن الحسين بن بابويه كان تأريخ كتابته للنهاية الثلاثاء ١٥ ربيع الآخر سنة ٥١٧ هـ فاستنسخها جماعة منهم: الحجة المرحوم الميرزا محمد الطهراني العسكري، وهي بخطه في مكتبته بسامراء.

٤٢ - مقتل الحسين عليه السلام: ذكره الشيخ في «الفهرست»، وعنه نقلناه في حرف الميم من «الذريعة» المخطوط.

٤٣ - مقدّمة في المدخل الى علم الكلام: ذكره النجاشي في رجاله، والشيخ نفسه في «الفهرست» ووصفها فيه بقوله: لم يعمل مثلها.

(١) كنّا نظنّ انه نظام الدين الساجي، لكن المولى عبدالله الأفندي صاحب «الرياض» قال: واحتمال كون نظام الدين هذا هو الساجي تلميذ البهائي بعيد.

أقول: رأيت في كتب الزعيم الفقيه المرحوم السيد محمد الكوه كمرى الشهير بالحجة نسخة من كتاب «المستجاد من الارشاد» تأريخ كتابتها سنة ٩٨٢هـ، وفي حاشيتها كتاب في أصول الدين منسوب الى شيخ الطائفة الطوسي، أوله: «إذا سألك سائل وقال: ما الايمان؟ فقل: هو التصديق بالله وبالرسول وبما جاء به وبالأئمة عليهم السلام، كلّ ذلك بالدليل لا بالتقليد، وهو مركّب مبنوّ على خمسة أركان من عرفها كان مؤمناً، ومن جحدّها كان كافراً، وهي التوحيد والعدل والنسبة والإمامة والمعاد، وحدّ التوحيد... الى قوله:- والدليل على أنّ الله موجود أنّ العالم أثره وعناوينه الى آخره هكذا والدليل على كذا فهو كذا... إلخ» ولعلّ هذا الكتاب هو المقدمة.

ونسخة أخرى منه بعينه في مجموعة كانت في مكتبة المولى محمد علي الخوانساري في النجف الأشرف من دون نسبتها الى الشيخ، وتأريخ كتابتها ٩٨٢هـ أيضاً، ومعها في المجموعة «النكت الاعتقادية» للشيخ المفيد، و«مختصر التحفة الكلامية».

ونسخة ثالثة عليها خط شيخ الطائفة في مكتبة السيد محمد المشكاة في طهران^(١) كتب على ظهرها ما لفظه: «مقدمة الكلام: تصنيف الشيخ

(١) هذه المكتبة تحتوي على أكثر من ألف مجلّد كلّها مخطوطة قديمة نادرة من مؤلّفات أعلام القرون الأولى والوسطى، ولها بين أهل العلم والأدب في إيران شهرة واسعة، وقد رأيناها وضبطنا خصوصيات نوادرها، وصاحبها الجليل من العلماء الأفاضل، وهو اليوم من أساتذة جامعة طهران على بزته الروحية وعمته الشريفة، وهو من أصدقائنا ومن الآحاد الذين أجزأناهم في الاجتهاد المطلق ورواية الحديث، وقد أهدى هذه المكتبة العظيمة - التي خسر في سبيل جمعها ما ورثه من الأملاك - الى جامعة طهران، فكان لذلك صدق ارتياح واستحسان. وقد اختارت الجامعة

الامام الورع قصوة العارفين، وحجة الله على العالمين، لسان الحكماء والمتكلمين، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي متعنا الله بطول بقائه ونفعنا بعلومه».

وكتب على الصفحة الثانية منه ما لفظه: «قرأ عليّ هذا الكتاب وبحث على معانيه صاحبه في عدة مجالس آخرها السادس والعشرين من المحرم لسنة خمس وأربعين وأربعمائة بحدود دارالسلام، وكتبه محمد بن الحسن بن علي والله الحمد والمئة صلى الله على محمد وآله الطيبين».

وأخرها مأنصه: «... مفيض الحياة وبارئ النسمة وهو المستحق له دائماً سرمداً وحسي الله ونعم الوكيل، رب أتمم بالخير، وقع الفراغ من استنساخه بتوفيق الله وبحسن معونته سادس عشرين - كذا - من رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة في مدينة السلام على يد العبد الضعيف نظام الدين محمود بن علي الخوارزمي حامداً لله تعالى مصلياً على نبيه...».

٤٤ - مناسك الحج في مجرد العمل: ذكره في «الفهرست» أيضاً.

٤٥ - النقص على ابن شاذان في مسألة الغار: ذكره كذلك في «الفهرست»، وذكره العلامة السيد مهدي بحر العلوم في «الفوائد

لتأليف فهرس لها فاضلين من أهل الفن والخبرة أحدهما ولدي الأرشد الاديب الباحثة الميرزا علي نقي المنزوي والثاني الفاضل الباحثة محمد تقي دانش پژوه هما من خيرة تلامذة صاحب المكتبة السيد محمد المشكاة في كلية المعقول والمنقول، وقد أخرج ولدي المحروس حتى الآن جزءين الأول خاص بالكتب المؤلفة في القرآن والدعاء طبع في سنة ١٣٧٠ هـ فجاء في ٢٧٥ صفحة، والثاني خاص بكتب الأدب طبع عام ١٣٧٢ هـ فجاء في ٨٨٩ صفحة وقد صدره بتقرير جليل من أخينا في الله الحجة فقيه الاسلام ومفخرة الشيعة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله كتبه على الجزء الأول عندما بعث نسخة منه الى مكتبته الموقوفة في النجف الأشرف، وقد أخرج الفاضل الآخر بعد الجزء الثاني سلسلة وصلنا منها حتى كتابة هذه السطور ٢٠٧٢ صفحة ولها تمة على ما يقال، وهي في مختلف العلوم وفي فصول مختلفة.

الرجالية»: وقال إنه نقض في مسألة الغار ومسألة العمل بالخبر الواحد، فظاهر كلامه أنه رآه.

٤٦ - النهاية في مجرد الفقه والفتوى: من أعظم آثاره وأجل كتب الفقه، ومتون الأخبار، أحصي في فهرسه المخطوط عند العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في ٢٢ كتاباً و٢١٤ باباً.

وقد كان هذا الكتاب بين الفقهاء من لدن عصر مصتفه الى زمان المحقق الحلّي كالشرائع بعد مؤلفها، فكان بحثهم وتدرّسهم فيه، وشروحهم عليه، وكانوا يخصّونه بالرواية والإجازة، وله شروح متعدّدة ذكرناها في محالها من «الذريعة».

وقد رأيت منه عدّة نسخ أقدمها بخط الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن الحسن بن موسى الفراهاني فرغ من كتابتها غرة رجب سنة ٥٩١هـ، رأيتها في مكتبة العلامة الحجة الشيخ عبدالحسين الطهراني الشهير بشيخ العراقين، الى غير ذلك من النسخ التي ذكرت خصوصياتها مفصلاً في حرف النون من «الذريعة» عند ذكر الكتاب.

وقد طبع كتاب النهاية في سنة ١٢٧٦هـ مع «نكت النهاية» للمحقق و«الجواهر» للقاضي وغيرهما في مجلّد كبير، وله ترجمة فارسية لبعض الأصحاب المقارّين لعصر الشيخ الطوسي وهي نسخة عتيقة رأيتها في مكتبة السيد نصرالله التقوي في طهران كما ذكرته في «الذريعة» ج ٤ ص ١٤٣ و ١٤٤.

٤٧ - هداية المسترشد وبصيرة المتعبّد: في الأدعية والعبادات ذكره الشيخ في «الفهرست» وعنه نقلناه في حرف الهاء المخطوط من «الذريعة». هذا ماوصل إلينا من أسماء مؤلّفات شيخ الطائفة أعلى الله مقامه ومنه

ما هو موجود وما هو مفقود، ولعلّ هناك ما لم نوفق للعثور عليه «فوق كلّ ذي علم عليم».

مشايخه وأساتذته:

إن مشايخ شيخ الطائفة في الرواية وأساتذته في القراءة كثيرون، فقد أحصى شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري في «مستدرک وسائل الشيعة» ج ٣ ص ٥٠٩ سبعة وثلاثين شخصاً استخرج أسماءهم من مؤلفات الشيخ، ومن «الاجازة الكبيرة» التي كتبها العلامة الحلّي أعلى الله مقامه لأولاد السيد ابن زهرة الحلبي وغير ذلك.

إلا أنّ مشايخه الذين تدور روايته عليهم في الغالب، والذين أكثر الرواية عنهم وتكرر ذكرهم في «الفهرست» وفي مشيخة كلّ من كتابيه «التّهذيب» و«الاستبصار» خمسة، وإليك أسماءهم حسب حروف الهجاء لافاوت الدرجات:

- ١ - الشيخ أبو عبد الله أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزّاز، المعروف بابن الحاشر مرة، وبابن عبدون أخرى، والمتوفى سنة ٤٢٤ هـ.
- ٢ - الشيخ أحمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الصلت الأهوازي، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ^(١).
- ٣ - الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن الغضائري، المتوفى سنة ٤١١ هـ.

(١) إن تواريخ وفيات أكثر مشايخ شيخ الطائفة مجهولة، فمن لم نقف على تأريخ وفاته من أهل العراق نذكر له هذا التاريخ لأنه كان حياً فيه، وذلك لأن ورود شيخ الطائفة الى العراق كان في سنة ٤٠٨ هـ، ولا شك أنه استجازهم بعد وروده في تأريخ لانعرفه، ولذا فإننا نسبنا ما يتقناه راجين أن يوفق غيرنا لاكتشاف ما لم نوفق له.

٤ - الشيخ أبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ.

٥ - شيخ الأئمة ومعلمها أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان، الشهير بالشيخ المفيد، والمتوفى سنة ٤١٣ هـ.

هؤلاء الخمسة هم الذين أكثر في الرواية عنهم في كتبه المهمة. وقد روى عن باقي مشايخه في كتبه المذكورة وغيرها لكن لا بهذه الكثرة، وإلى القارئ أسماءهم مرتبة على حروف الهجاء:

١ - أبو الحسين الصفار (ابن الصفارخ ل).
٢ - أبو الحسين بن سوار المغربي، عدّه العلامة الحلّي في «الاجازة الكبيرة» من مشايخه من العامة.

٣ - الشيخ أبو طالب بن غرور.

٤ - القاضي أبو الطيب الطبري الحويري، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ.

٥ - أبو عبدالله أخو سروة.

٦ - أبو عبدالله بن الفارسي.

٧ - أبو علي ابن شاذان المتكلّم، وقد عدّه العلامة الحلّي في «الاجازة الكبيرة» من مشايخه من العامة أيضاً.

٨ - أبو منصور السكري، قال صاحب «الرياض»: «يحتمل أن يكون من العامة أو الزيدية.

أقول: استبعد شيخنا النوري كونه من العامة مستدلاً بما وجدته من رواياته التي لا يروها أبناء العامة، إلا أنه لم ينف كونه زيدياً.

٩ - أحمد بن إبراهيم القزويني، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ.

١٠ - أبو الحسين وأبو العباس أحمد بن علي النجاشي، صاحب كتاب

الرجال المعروف، والمتوفى سنة ٤٥٠هـ.

١١ - جعفر بن الحسين بن حسكة القمي، المتوفى بعد ٤٠٨هـ.

١٢ - الشريف أبو محمد الحسن بن القاسم المحمدي، المتوفى بعد سنة ٤٠٨هـ.

١٣ - أبو علي الحسين بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن أشناس، المعروف بابن الحمامي البزاز. عبّر عنه كذلك السيد ابن طاووس في «الاقبال» في عمل يوم الغدير والشيخ محمد الحر العاملي في «اثبات الهداة».

وذكر شيخنا النوري في عداد مشايخ شيخ الطائفة الحسن بن إسماعيل المعروف بابن الحمامي، وهما واحد حتماً، وقد عبّر عنه في بعض المواضع بأبي الحسن محمد بن إسماعيل، كما في صدر اسناد بعض نسخ الصحيفة السجادية، فإنّ هذا الرجل هو الراوي للصحيفة الكاملة بنسخة مخالفة للصحيفة المشهورة في بعض العبارات، وفي الترتيب، وفي عدد الأدعية، ونحو ذلك كما قاله صاحب «الرياض» وذكر وجود عدة نسخ منها إحداها عنده، وقد عبّر عنه أيضاً بالحسن بن إسماعيل وقد ترجم له بهذا العنوان في «أمل الآمل» ص ٤٦٧ من طبعة طهران سنة ١٣٠٧هـ التي هي مع «الرجال الكبير» سلسلة الأرقام، ولذلك توهم فيه شيخنا النوري رحمه الله فذكره بهذا العنوان كما أسلفناه محتملاً التعدّد.

ونقل السيد ابن طاووس في أواخر «الاقبال» عن أصل كتاب الحسن ابن إسماعيل بن العباس ومراده هذا الشيخ أيضاً، ويعبّر عنه بابن أشناس وبابن الأشناس وغير ذلك، والصحيح في اسمه ونسبه ما ذكرناه.

وقد ترجم له بهذا العنوان الصحيح معاصره أبو بكر الخطيب في «تأريخ

بغداد» ج ٧ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ فقال: ... كتبت عنه شيئاً يسيراً، وكان سماعه صحيحاً، إلا أنه كان رافضياً خبيث المذهب، وكان له مجلس في داره بالكرخ يحضره الشيعة ويقرأ عليهم مثالب الصحابة واللعن على السلف... سألته عن مولده فقال في شوال من سنة ٣٥٩ هـ ومات في ليلة الأربعاء الثالث من ذي القعدة سنة ٤٣٩ هـ ودفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب الكناس.

أقول: أشناس^(١) بفتح الألف وسكون الشين المعجمة وفتح النون ثم الألف الساكنة وبعدها السين المهملة: اسم غلام لجعفر المتوكل.

١٤ - أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن داود الفخّام، المعروف بابن الفخّام السر من رأي - السامرائي -، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ.

١٥ - أبو الحسن حسنبش المقرئ، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ.

١٦ - أبو عبدالله الحسين بن إبراهيم القزويني، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ.

١٧ - أبو عبدالله الحسين بن إبراهيم بن علي القمّي، المعروف بابن الحنّاط.

١٨ - الحسين بن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ.

١٩ - أبو محمد عبد الحميد بن محمد المقرئ النيسابوري.

٢٠ - أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مهدي، المتوفى بعد سنة ٤١٠ هـ.

(١) قال صاحب «الرياض»: «المشهور أن أشناس بضم الهزة... لكن قد وجدت بخط بعض الأفاضل في الصحيفة المذكورة - الصحيفة السجادية التي يروها هذا الشيخ - لفظ أشناس مضبوطاً بفتح الهزة.

٢١ - أبوالحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ، المعروف بابن الحمامي المقرئ، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ، وهو غير ابن أشناس المعروف بابن الحمامي المار ذكره فلا تتوهم.

٢٢ - السيد المرتضى علم الهدى أبوالقاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام، المتوفى سنة ٤٣٦ هـ.

٢٣ - أبوالقاسم علي بن شبل بن أسد الوكيل، المتوفى بعد سنة ٤١٠ هـ.
٢٤ - القاضي أبوالقاسم علي التنوخي بن القاضي أبي علي المحسن ابن القاضي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم القحطاني، من تلامذته السيد المرتضى وأصحابه، وقد عدّه العلامة الحلّي في «الاجازة الكبيرة» من مشايخه من العامة أيضاً، لكن صاحب «الرياض» قال في ترجمته: الأكثر أنه من الامامية.

أقول: له ترجمة في «معجم الأدباء» أيضاً ج ١٤ ص ١١٠ - ١٢٤ أثبت نسبه فيها الى قضاة، وذكر أنه كان مقبول الشفاعة في شبابه وأن الخطيب البغدادي سمع منه أنه ولد سنة ٣٧٠ هـ، وقال: إنه توفي في ٤٤٧ هـ.

٢٥ - أبوالحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، المعروف بابن بشران المعدل، والمتوفى بعد سنة ٤١١ هـ.

٢٦ - محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ، المتوفى بعد سنة ٤١١ هـ.
٢٧ - أبو زكريا محمد بن سليمان الحراني (الحمداي خ ل) من أهل طوس والمظنون أنه من مشايخه قبل هجرته إلى العراق.

٢٨ - محمد بن سنان. عدّه العلامة الحلّي في «الاجازة الكبيرة» من مشايخه من العامة أيضاً.

٢٩ - أبو عبدالله محمد بن علي بن حموي البصري، المتوفى بعد سنة ٤١٣هـ.

٣٠ - محمد بن علي بن خشيش بن نصر بن جعفر بن إبراهيم التميمي، المتوفى بعد سنة ٤٠٨هـ.

٣١ - أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن مخلد، المتوفى بعد سنة ٤١٧هـ.

٣٢ - السيد أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار، المولود سنة ٣٢٢هـ، والمتوفى ٤١٤هـ.

هؤلاء هم الذين عرفناهم من مشايخ شيخ الطائفة الطوسي، وهم اثنان وثلاثون وذكرنا قبلهم خاصة مشايخه وهم خمسة فيكون المجموع سبعة وثلاثين، إلا أن شيخنا النوري لما أوردهم في «المستدرک» تمت عدتهم ثمانية وثلاثين، وذلك لما ذكرناه من تكريره اسم الحسن بن محمد بن إسماعيل بن الأشناس بعنوان الحسن بن إسماعيل، وقد نقلناهم عن شيخنا النوري بعد ترتيب أسمائهم على حروف الهجاء، وإضافة بعض الفوائد والزيادات التي توضح أحوالهم.

تلامذته:

سبق وأن ذكرنا فيما تقدّم من حديثنا عن شيخ الطائفة أنّ تلامذته من الخاصة بلغوا أكثر من ثلثمائة مجتهد ومن العامة ما لا يحصى كثرة، وقد صرح بذلك المجلسي في «البحار» والتستري في «المقابس» والخوانساري في «الروضات» والمدرّس في «الريحانة» وغيرهم في غيرها.

والأسف أن هذا العدد الكبير غير معروف لدى كافة الباحثين حتى بعد عصر الشيخ بقليل، فإنّ الشيخ منتجب الدين بن بابويه المتوفى بعد سنة

٥٨٥هـ على قرب عهده من الشيخ لم يستطع الوقوف على أسمائهم، فإنه لم يذكر منهم في كتابه «الفهرست» المطبوع في آخر «البحار» إلا ستة وعشرين عالماً، وزاد عليهم العلامة السيد مهدي بحر العلوم في «الفوائد الرجالية» أربعة فتمت عدتهم ثلاثين، وهؤلاء معروفون ذكرت أسماءهم في مقدمات كتب الشيخ المطبوعة في النجف الأشرف لكن شيخنا النوري لم يذكرهم.

ونظراً لما حدث في أسماء بعضهم من التصحيف، ولما وقفنا عليه من أسماء جماعة أخرى من تلاميذه الذين ذكرهم الحجة الشيخ أسدالله الدزفولي التستري في كتابه «المقابس» ولم يتعرض لذكرهم مترجموه المتأخرون، فإننا نسرد أسماء الجميع على ترتيب حروف الهجاء مقتصرين على ذكر الأوصاف التي وصفهم بها علماء الرجال والمفهرسون القدماء وإليك الأسماء:

- ١ - الشيخ الفقيه الثقة العدل آدم بن يونس بن أبي المهاجر النسيفي.
- ٢ - الشيخ الثقة المؤلف الجليل النبيل أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي النيسابوري.
- ٣ - الشيخ الثقة أبوطالب إسحاق بن محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
- ٤ - الشيخ الثقة أبو إبراهيم إسماعيل، شقيق إسحاق المذكور.
- ٥ - الشيخ الثقة أبو الخير بركة بن محمد بن بركة الأسدي.
- ٦ - الشيخ الثقة العين المصنف أبو الصلاح قتي بن نجم الدين الحلبي.
- ٧ - السيد المحدث الثقة أبو إبراهيم جعفر بن علي بن جعفر الحسيني.
- ٨ - الشيخ الامام المصنف شمس الاسلام الحسن بن الحسين بن

بابويه القمي، المعروف بحسكا.

٩ - الشيخ الفقيه الثقة أبو محمد الحسن بن عبدالعزيز بن الحسن الجبهاني (الجبهاني خ ل).

١٠ - الشيخ الجليل الثقة العين أبو علي الحسن بن شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي.

١١ - الشيخ الامام موفق الدين الفقيه الثقة الحسين بن الفتح الواعظ الجرجاني.

١٢ - الشيخ الامام الثقة الوجه الكبير محي الدين أبو عبدالله الحسين بن المظفر بن علي بن الحسين الحمداي، نزيل قزوين.

١٣ - السيد عماد الدين أبو الصمصام وأبو الوضاح ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني المروزي.

١٤ - السيد الفقيه أبو محمد زيد بن علي بن الحسين الحسيني (الحسيني).

١٥ - السيد العالم الفاضل زين بن الداعي الحسيني.

١٦ - الشيخ الفقيه المشهور سعد الدين بن البرّاج.

١٧ - الشيخ الفقيه الثقة أبو الحسن سليمان بن الحسن بن سلمان

الصهرشتي.

١٨ - الشيخ الفاضل المحدث شهر آشوب السروي المازندراني، جدّ

الشيخ محمد بن علي مؤلف «معالم العلماء» و«المناقب».

١٩ - الشيخ الفقيه الثقة صاعد بن ربيعة بن أبي غانم.

٢٠ - الشيخ عبد الجبار بن عبدالله بن علي المقرئ الرازي، المعروف

بالمفيد.

٢١ - الشيخ أبو عبدالله عبد الرحمن بن أحمد الحسيني الخزاعي

النيسابوري، المعروف بالمفيد أيضاً.

٢٢ - الشيخ الفقيه الثقة موفق الدين أبوالقاسم عبيدالله بن الحسن بن الحسين بن بابويه.

٢٣ - الشيخ الفقيه علي بن عبدالصمد التيمي السبزواري.

٢٤ - الأمير الفاضل الزاهد الورع الفقيه غازي بن أحمد بن أبي منصور الساماني.

٢٥ - الشيخ الفقيه الثقة الصالح كردي بن عكبر بن كردي الفارسي، نزيل حلب.

٢٦ - الشيخ الامام جمال الدين محمد بن أبي القاسم الطبري الآملي.

٢٧ - الشيخ الأمين الصالح الفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن شهریار الحازن الغروي.

٢٨ - الشيخ الشهير السعيد الفاضل السديد محمد بن الحسن بن علي الفتال، صاحب «روضة الواعظين».

٢٩ - الشيخ الفقيه الصالح أبوالصلت محمد بن عبدالقادر بن محمد.

٣٠ - الشيخ الثقة العالم المؤلف فقيه الأصحاب أبوالفتح محمد بن علي الكراچكي.

٣١ - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي.

٣٢ - الشيخ الفقيه الثقة أبو عبدالله محمد بن هبة الله الطرابلسي.

٣٣ - السيد صدر الأشراف المنتهي إليه منصب النقابة والرئاسة في عصره، السيد المرتضى أبو الحسن المطهر بن أبي القاسم علي بن أبي الفضل محمد الحسيني الديباجي.

٣٤ - السيد العالم الفقيه المنتهى بن أبي زيد بن كيايكي الحسيني الجرجاني.

٣٥ - العالم الفاضل الفقيه الوزير السعيد ذوالمعالي زين الكفاة أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي.

٣٦ - السيد الثقة الفقيه المحدث أبو إبراهيم ناصر بن الرضا بن محمد بن عبدالله العلوي الحسيني.

هؤلاء ستة وثلاثون عالماً من تلاميذ الشيخ الطوسي المعروفين، ولعلّ في كتابينا «إزاحة الحلك الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس» و«الثقات والعيون في سادس القرون» من ترجنا له ولم يأت اسمه هنا، غير أنّ ضيق الوقت وضعف الحال يمنعان من الرجوع إليه.

ولا يخفى إنّ فيما أضافه العلامتان السيد مهدي بحر العلوم والشيخ أسدالله الدزفولي ما يحتاج الى التأمل، ففي تلمذ الشيخ عبيدالله بن الحسن على الشيخ الطوسي تأمل، فإن ولده الشيخ منتجب الدين كان أولى بذكره مع تلامذة الشيخ في «الفهرست» مع أنه لم يذكره، وكذا الكراچكي المتوفى سنة ٤٤٩هـ، وكذا جمال الدين محمد الطبري إن كان المراد به عمادالدين محمد بن أبي القاسم علي الطبري الآملي فإنه من تلاميذ الشيخ أبي علي بن الشيخ الطوسي كما ذكره الشيخ منتجب الدين، وجلّ رواياته عن مشايخه بعد الخمسمائة، والله العالم.

وفاته وقبره:

لم يبرح شيخ الطائفة في النجف الأشرف مشغولاً بالتدريس والتأليف، والهداية والارشاد، وسائر وظائف الشرع الشريف وتكاليفه، مدة اثنتي عشرة سنة، حتى توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٦٠هـ عن خمس وسبعين سنة.

وتولى غسله ودفنه تلميذه الشيخ الحسن بن مهدي السليقي، والشيخ أبو

محمد الحسن بن عبدالواحد العين زربي، والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي، ودفن في داره بوصية منه.

وأرخ وفاته بعض المتأخرين بقوله مخاطباً مرقده الزاكي كما هو مسطور على جدار المسجد، وقد ذكره العلامة المرحوم الشيخ جعفر نقدي في كتابه «ضبط التاريخ بالأحرف» أيضاً ص ١٣:

يا مرقد الطوسي فيك قد انطوى محيي العلوم فكنت أطيّب مرقد
الى أن قال:

أودى بشهر محرم فأضافه حزناً بفاجع رزئه المتجدد
الى أن قال:

بك شيخ طائفة الدعاة الى الهدى ومجمع الأحكام بعد تبدد
الى أن قال:

وبكى له الشرع الشريف مؤرخاً (أبكى الهدى والدين فقد محمد)
وتحوّلت الدار بعده مسجداً في موضعه اليوم حسب وصيته أيضاً، وهو مزار يتبرك به الناس من العوام والخواص، ومن أشهر مساجد النجف، عقدت فيه -منذ تأسيسه حتى اليوم- عشرات حلقات التدريس من قبل كبار المجتهدين وأعظم المدرّسين.

فقد كان العلماء يستمدّون من بركات قبر الشيخ لكشف غوامض المسائل ومشكلات العلوم، ولذلك كان مدرّس العلماء ومعهد تخريج المجتهدين الى عصر شيخ الفقهاء الشيخ محمد حسن صاحب «الجواهر» الذي كان يدرّس فيه أيضاً، حتى بعد أن بنوا له مسجده الكبير المشهور باسمه، فقد كثّر إلحاحهم عليه وطلبهم منه الانتقال إليه لم يقبل ولم يرفع اليد عنه اعتزازاً بقدسية شيخ الطائفة وحباً للقرب منه، وهكذا الى أن توفي.

واستمرت العادة كذلك الى عصر شيخنا المحقق الأكبر الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب «الكفاية» فقد كان تدريسه فيه ليلاً الى أن توفي، وقد أحصيت عدة تلامذته في الأواخر بعض الليالي فتجاوزت الألف والمائتين. وكذلك شيخنا الحجة المجاهد شيخ الشريعة الاصفهاني، فقد كان يدرس فيه عصرأ الى أن توفي. وكما أن تلميذ شيخنا الخراساني الأرشد الحجة المعروف الشيخ ضياء الدين العراقي كان يدرس فيه صباحاً الى أن توفي.

وأقام فيه الجماعة جمع من أجلاء العلماء وأفاضل الفقهاء، منهم فقيه أهل البيت الشيخ محمد حسن صاحب «الجواهر» النجفي وغيره، وقد لاحظته منذ نصف قرن أو أكثر، فكان الذين يؤمنون الناس فيه من أهل الصلاح والتقى المعروفين، منهم الحجة الأخلاقي جمال السالكين الشيخ أغا رضا التبريزي، فقد كان يقيم فيه الجماعة ليلاً مع كثير من خواص أهل العلم والفضلاء، وكنا نحظى بذلك التوفيق الى أن هاجرنا الى سامراء، وكان آخرهم العلامة التقي السيد محمد الخلخالي، وبعد وفاته بقليل رغب إليّ ولده الفاضل الجليل السيد علي أن أؤم الناس هناك بعد أن كنت أقيم الجماعة في الرواق المطهر، فأجبت طلبه وكنت أصلي فيه الى هذه الأواخر.

وقد وفق لفرشه التاجر الوجيه ابن عمنا الحاج محمد المحسني نزير طهران فقدّم له خمس قطع من الفرش المتعارف في الصحن الشريف والمساجد الشريفة، وقد جعل ولايتها بيدنا مادمناً في قيد الحياة كما كتب ذلك عليها، وتبعه الوجيه الحاج محمد تقي القناد الطهراني من أرحامنا أيضاً بخمس قطع، وتبعهما جمع آخر من كرمانشاه حتى كمل فرش المسجد

بتوفيق الله، وكانت صلاتنا فيه وقت المغرب فقط، وأما صلاة الصبح فنقيمها في مسجد الهندي خوفاً من مضايقة الزوار، وفي الصيف الماضي تغلب علينا الضعف فانقطعنا عن الرواح لعدم تمكّنا من الصعود الى السطح فتبرع الوجيه الحاج ناجي كعويل بشراء عدّة مراوح سقفية لتلطيف الجو وعدم الاحتياج للصعود الى السطح، فعاودناه ثانياً، وكان عامراً بالمؤمنين والصلحاء من اهل العلم والمهن، حتى اتفقت حادثتنا في ليلة عاشوراء هذه السنة -١٣٧٦- وقد اثرت على العمود الفقري وبقينا على فراش المرض عدة شهور، ثم لما تحسّنت صحتنا لم تعدّ كما كانت عليه سابقاً كما هو مقتضى السنّ والمزاج، ولما رغب في صلاتنا بعض المؤمنين من خواصنا صرنا نقيمها في مسجد الطريحي لقربه من دارنا، ولم نزل هناك حتى يقضي الله بقضائه الذي لامرّد له، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وموقع مسجد الشيخ في محلة المشرق من الجهة الشمالية للصحن المرتضوي الشريف، وسَمّي باب الصحن المنتهي الى مرقدّه بـ«باب الطوسي».

وقد طرأت عليه بعد عمارته الأولى عمارتان حسبما نعلم.
(إحداهما) في حدود سنة ١١٩٨هـ، وذلك بترغيب من العلامة الحجة السيد مهدي بحر العلوم كما ذكره في «الفوائد الرجالية» فقد قال: وقد جدّد مسجده في حدود سنة ١١٩٨هـ فصار من أعظم المساجد في الغري، وكان ذلك بترغيبنا بعض الصلحاء من أهل السعادة.

وبنى لنفسه مقبرة في جواره دفن فيها مع أولاده وجملة من أحفاده.
(والثانية) في سنة ١٣٠٥هـ كما ذكره صديقنا العلامة السيد جعفر آل

بحر العلوم في كتابه «تحفة العالم» ج ١ ص ٢٠٤ وكانت بعناية العلامة السيد حسين آل بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ، كما قاله، فإنه لما رأى تضعيع أركانه وانها آلت الى الخراب رغب بعض أهل الخير في قلعه من أساسه، فجدد وهي العمارة الموجودة اليوم.

وفي سنة ١٣٦٩ هـ. هُدمت الحكومة ما يقرب من ربع مساحتها فاضافتها الى الشارع الذي فتحته بجانبه في نفس العام، وسُمّته بشارع الطوسي أيضاً، فصار للمسجد بابان، أحدهما - وهو الأكبر والأوجه - على الشارع الجديد العام من جهة الشرق، والثاني - وهو الباب الأول - من جهة الغرب على الطريق القديم مقابل المدرسة المهدية، وقد انخفضت ارض المسجد عن الشارع كثيراً، وتضععت عمارته، فنسأله تعالى أن يهدي بعض أهل السعادة والعاملين للآخرة لتعميره «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر».

أولاده وأحفاده:

خلف شيخ الطائفة ولده الشيخ أبا علي الحسن بن أبي جعفر محمد الطوسي رحمه الله عليه، وقد خلف أباه على العلم والعمل، وتقدم على العلماء في النجف، وكانت الرحلة إليه والمعول عليه في التدريس والفتا وإلقاء الحديث وغير ذلك. وكان من مشاهير رجال العلم، وكبار رواة الحديث وثقاتهم، تلمذ على والده حتى أجازته في سنة ٤٥٥ هـ أي قبل وفاته بخمس سنين.

ذكره الشيخ منتجب الدين بن بابويه في «الفهرست» المطبوع في آخر البحار ص ٤ بدأ به حرف الحاء فقال: الشيخ الجليل أبو علي الحسن بن

الشيخ الجليل الموفق أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، فقيه ثقة عين، قرأ على والده جميع تصانيفه، أخبرنا الوالد عنه.

وذكره ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» ج ٢ ص ٢٥٠ فقال: الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي أبو علي بن^(١) جعفر، سمع من والده، وأبي الطيب الطبري، والخلال، والتنوخي، ثم صار فقيه الشيعة وإمامهم بمشهد علي رضي الله عنه، وسمع منه أبو الفضل بن عطاء، وهبة الله السقطي ومحمد بن محمد النسفي، وهو في نفسه صدوق، مات في حدود الخمسمائة^(٢)، وكان متديناً كافاً عن السب.

وذكره الشيخ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي في «معالم العلماء» ص ٣٢ باختصار.

ولا يخفى أنَّ العلامة الميرزا محمد الاستربادي لم يتعرض لذكره في كتابيه «الرجال الكبير» و«الرجال الصغير»، وكذا الاستاذ الوحيد البهبهاني الذي استدرك على الاستربادي - في تعليقه على كتابه - مافاته، فإنه لم يذكره أيضاً. ولعلَّ ذلك لم يكن عن غفلة منها حيث إنَّ بناء المؤلفين في الرجال هو ذكر خصوص من ذكر في الأصول الأربعة الرجالية، ولما لم يكن الشيخ أبو علي مذكوراً في أي واحد منها لم يتعرضوا لذكره.

ومثلها أيضاً المولى محمد الأردبيلي صاحب «جامع الرواة» فإنه أضاف فهرس الشيخ منتجب الدين إلى الأصول الأربعة، فجمعها في كتابه، ومع ذلك فقد سقط من قلمه ذكر هذا الشيخ الجليل.

(١) الصحيح: أبي جعفر. كما مرَّ عليك في أكثر من موضع.

(٢) التأريخ خطأ كما سنبينه.

وذكره أيضاً المحدث العلامة الشيخ محمد الحرّ العاملي في «أمل الآمل» المطبوع بطهران سنة ١٣٠٧هـ في ص ٤٦٩ فقال: الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً جليلاً ثقةً، له كتب... إلخ.

وذكره العلامة البحاثه المولى عبدالله الأفندي في كتابه «رياض العلماء وحياض الفضلاء» المخطوط الموجود في مكتبتنا ص ٩٣ فوصفه بقوله: الفقيه المحدث الجليل العالم العامل النبيل مثل والده، ثم قال:

... كان شريكاً في الدرس مع الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن عبدالله بن علي الرازي، والشيخ أبي محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمي، والشيخ أبي عبدالله محمد بن هبة الله الوراق الطرابلسي، عند قراءة كتاب «التبيان» على والده الشيخ الطوسي كما رأيته في إجازة الشيخ الطوسي المذكور بخطه الشريف لهم على ظهر كتاب التبيان المذكور... الى أن قال:

وروي عن والده وطائفة من معاصريه رضي الله عنهم بل عن المفيد أيضاً. وقال في آخر الترجمة: أقول: وفي روايته عن الشيخ المفيد بلا واسطة محل تأمل، فلاحظ^(١).

(١) قال شيخنا النوري في «المستدرک» في التعليق على هذا التأمل ما لفظه: وهو في محله، فإن وفاة المفيد سنة ٤١٣هـ ولم أعر على تأريخ وفاة أبي علي إلا أنه يظهر من مواضع من «بشارة المصطفى» أنه كان حياً في سنة ٥١٥هـ فلوروى عنه لعده من المعتمدين الذين من رايهم - أي المترجمين - الإشارة إليه.

أقول: هذا هو القول الفصل، حيث يلزم من تصحيح روايته عن المفيد كونه يوم وفاة أستاذه ابن عشرين سنة على الأقل، وعليه فيكون عمره في تأريخ سنة ٥١٥هـ مائة واثنان وعشرون سنة، ولو كان كذلك لما فانت مترجيه الإشارة الى ذلك.

وذكره الشيخ أسد الله الدزفولي في «مقابس الأنوار» ص ١١ فقال:
 الشيخ المحدث الفقيه الفاضل الوجيه النبيه المعتمد المؤتمن مفيد الدين
 أبو علي الحسن قدس الله تربته وأعلى في الجنان رتبته... وكان من أعظم
 تلامذة والده، والديلمى، وغيرهما من المشايخ، وتلمذ عليه جماعة كثيرة من
 أعيان الأفاضل، وإليه ينتهي كثير من طرق الاجازات الى المؤلفات القديمة
 والروايات... إلخ.

وذكره شيخنا العلامة الميرزا حسين النوري في «مستدرک الوسائل»
 ج ٣ ص ٤٩٧ فقال: الفقيه الجليل الذي ينتهي أكثر إجازات الأصحاب
 إليه أبو علي الحسن ابن شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
 العالم الكامل المحدث النبيل... ويعتبر عنه تارةً بأبي علي أو أبي علي
 الطوسي، وأخرى بالمفيد أو المفيد الثاني... إلخ.

وله تراجم أخرى في كثير من الكتب المخطوطة والمطبوعة لاسبيل لنا الى
 استقصائها في هذه العجالة، وقد أجمع كافة المترجمين له على عظمته وعلو
 شأنه في العلم والعمل، وأنه أحد كبار فقهاء الشيعة، وأجلاء علماء
 الطائفة، وأفاضل حملة الحديث وأعلام الرواة وثقاتهم، ومنتهى الاجازات
 والمعنعنات. وقد بلغ من علو الشأن وسمو المكانة أن لقب بالمفيد الثاني،
 وقد ترجم له بهذا العنوان العلامة المرحوم الشيخ عباس القمي في كتابه
 «الكنى والألقاب» ج ٣ ص ١٦٥.

وقد تخرج عليه كثير من حملة العلم والحديث من الفريقين، وحاز
 المرجعية عند الطائفتين، لذلك كثرت الروايات عنه، وانتهت الطرق إليه،
 وقد ذكر مترجموه كثيراً من تلامذته، فقد ذكر الشيخ منتجب الدين بن
 بابويه في «الفهرست» أربعة عشر رجلاً كلاً في موضعه، ونحن نتبرك

بايراد ذكرهم وهم الأعلام:

- ١ - الشيخ الفقيه الثقة أردشير بن أبي الماجد بن أبي المفاخر الكاظمي.
- ٢ - الشيخ الفقيه الأديب إسماعيل بن محمود بن إسماعيل الحلبي.
- ٣ - الشيخ الفقيه الصالح بدر بن سيف بن بدر العربي، من مشايخ منتجب الدين.
- ٤ - الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بن طحال المقدادي.
- ٥ - الشيخ الامام الفقيه الصالح الثقة موفق الدين الحسين بن فتح الله الواعظ البكرآبادي الجرجاني.
- ٦ - الشيخ الفقيه الصالح جمال الدين الحسيني بن هبة الله بن رطبة السوراي.
- ٧ - الشيخ الفقيه الورع أبو سليمان داود بن محمد بن داود الحاسي.
- ٨ - السيد الفقيه الصالح أبو النجم الضياء بن إبراهيم بن الرضا العلوي الحسني الشجري.
- ٩ - السيد العالم الفقيه الثقة طاهر بن زيد بن أحمد.
- ١٠ - الشيخ المفيد الصالح الشاعر أبو سليمان ظفر بن الداعي بن ظفر الحمداني القزويني.
- ١١ - الشيخ الفقيه الحافظ الصالح الثقة أبو الحسن علي بن الحسن بن أحمد بن علي الحاسي.
- ١٢ - الشيخ الفقيه ركن الدين علي بن علي.
- ١٣ - السيد الفاضل المتبحر الشاعر لطف الله بن عطاء الله أحمد الحسني الشجري النيسابوري.

١٤ - الشيخ الفقيه الثقة الامام المؤلف المكثّر عماد الدين محمد بن أبي القاسم بن علي الطبري الآملي الكحي.

وهناك جماعة من تلاميذه أيضاً ذكر بعضهم بعض المترجمين له، ووقفنا على أسماء بعضهم في مختلف الروايات وسلاسل الحديث، وإليك أسماءهم مرتبة على حروف الهجاء وهم:

١٥ - أبو الفتح أحمد بن علي الرازي. قال صاحب «الرياض»: «وليعلم أنه ليس المراد بالشيخ أبي الفتح المذكور هو صاحب التفسير المشهور، وإن اتحد عصرهما، لأنّ اسم أبي الفتح هذا هو الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الخزازي الرازي فلاحظ، وحمله على أخيه ممكن لكن يبعده اتحاد كنيتهما.

١٦ - الشيخ العالم إلياس بن هشام الحائري.

١٧ - الشيخ بواب البصري.

١٨ - الشيخ الفاضل أبوطالب حمزة بن محمد بن أحمد بن شهریار الخازن.

١٩ - أبو الفضل الداعي بن علي الحسيني السروي.

٢٠ - عبد الجليل بن عيسى بن عبد الوهاب الرازي.

٢١ - الشيخ موفق الدين عبيد الله بن الحسن بن بابويه، والد الشيخ منتجب الدين.

٢٢ - علي بن شهر آشوب المازندراني السروي، والد صاحب «المناقب»

و«المعالم».

٢٣ - علي بن علي بن عبد الصمد.

٢٤ - أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، صاحب «مجمع البيان».

- ٢٥ - أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسيني الراوندي.
- ٢٦ - محمد بن الحسن الشوهاني.
- ٢٧ - أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي.
- ٢٨ - محمد بن علي بن عبد الصمد النيسابوري.
- ٢٩ - أبو علي محمد بن الفضل الطبرسي.
- ٣٠ - الشيخ محمد بن منصور الحلبي، الشهير بابن إدريس. قال في «الرياض»: على المشهور من أنّ ابن أدريس يروي عن أبي علي هذا تارةً بلا واسطة وتارةً مع الواسطة.
- ٣١ - مسعود بن علي الصواني، وفي «الرياض»: الصوابي وفي «المقابس»: السواني.
- وهناك ثلاثة من العامة رووا عنه كما ذكره العمقلائي في «لسان الميزان» وقد سبقت الإشارة إليه وهم:
- ٣٢ - أبو الفضل بن عطاف.
- ٣٣ - محمد بن محمد النسفي.
- ٣٤ - هبة الله السقطي.
- إلى غير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه والوقوف عند حدّه، ومع ذلك فلا نظنّ أنّ أحداً من مترجيه استوفى ما استوفيناه، ووقف على كلّ ما أحصيناه، والله الموفق.

آثاره:

ترك الشيخ أبو علي آثاراً قيّمة وأسفاراً مهمّة، عرفنا منها: (شرح النهاية) وهو شرح لكتاب والده النهاية في الفقه ذكره في ترجمته صاحب

«أمل الآمل»، واسمه «المرشد الى سبيل التبعّد» وذكره في ترجمته صاحب «معالم العلماء» أيضاً.

أقول: توهم الحجة الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق» عند ذكر الشيخ أبي علي في كتابه «لؤلؤة البحرين» ص ٢٤٥ حيث قال: وذكره ابن شهرآشوب وقال المرشد الى سبيل الله والمتعبد... إلخ. فكأنه ظنّ بأنّ ذلك وصف للشيخ أبي علي مع أنه اسم كتاب من كتبه.

وقد ذكر له معظم مترجميه «كتاب الأمالي» الذي ذكرناه في عداد مؤلفات والده، منهم العلامة المجلسي وصاحب «الرياض» وصاحب «أمل الآمل» وصاحب «الروضات» وصاحب «قصص العلماء» وصاحب «الكنى والألقاب» وصاحب «مستدرك الوسائل» وغيرهم.

وأصرّ شيخنا العلامة المجلسي على أنه من آثاره، فقد قال في الجزء الأول من «بحار الأنوار» بعد ذكر مآخذ الكتاب في الفصل الثاني الذي عقده لبيان الوثوق بالمصادر واختلافها، فقد قال: وأما وليه العلامة في زماننا أشهر من أماليه، وأكثر الناس يزعمون أنه أمالي الشيخ، وليس كذلك كما ظهر لي من القرائن الجليّة، ولكن أمالي ولده لا يقصر عن أماليه في الاعتبار والاشتهار، وإن كان أمالي الشيخ عندي أصحّ وأوثق... إلخ.

وقد ذكرنا هذا الأمالي في «الذريعة» ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١١ وص ٣١٣ و ١١٤ وأثبتنا كونه من تأليف شيخ الطائفة، وذكرنا الأسباب التي دعت الى هذه الشهرة الشائعة، فعلى طالب التفصيل والوقوف على الحقيقة مراجعة الكتاب المذكور، والتدقيق والتأمل فيما ذكرناه من الأدلة والوجوه.

أقول: وللشيخ أبي علي من المشايخ غير من مرّ ذكره في تراجمه المنقولة عن الكتب: أبوالحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الصقال كما في

«بشارة المصطفى لشيعته المرتضى» ص ١٦٧ ويروي عن أبي يعلى حمزة المعروف بسلاّر بن عبدالعزيز الديلمي - المتوفى ٤٤٨ هـ كما في «البغية» للسيوطي أو سنة ٤٦٣ كما في «نظام الأقوال» للساجي - كما في «أمل الآمل» في ترجمة سلاّر.

وفاته:

توفي الشيخ أبو علي بعد سنة ٥١٥ هـ فقد كان حياً في هذا التاريخ كما يظهر في مواضع من أسانيد «بشارة المصطفى» المذكور، والله العالم بما عاش بعد ذلك. ولانعرف موضع قبره لكننا لانشكّ في أنه في النجف الأشرف، ولعلّه قبر مع والده، فذكره في «لسان الميزان» ج ٢ ص ٢٥٠ من أنه توفي في حدود سنة ٥٠٠ هـ غير صحيح كما سبقت الإشارة إليه.

ومن آراء الشيخ أبي علي المشهورة القول بوجوب الاستعاذة في القراءة، قال صاحب «رياض العلماء» في ترجمته له ما لفظه: ثم اعلم أنّ الشيخ أبا علي هذا هو صاحب القول بوجوب الاستعاذة في قراءة الصلاة بل في مطلق القراءة نظراً الى ورود الأمر به، مع أنّ الاجماع وقع على أنّ الأمر فيها للاستحباب، حتى أنّ والده قدس سره أيضاً نقل في الخلاف الاجماع مناعلى الأمر فيها للندب قطعاً.

وخلف الشيخ أبو علي ولداً هو الشيخ أبو نصر محمد بن أبي علي الحسن بن أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي النجفي رحمه الله عليهم، وهو بقية رجال العلم في هذا البيت في النجف الاشرف، والغريب أنه لم يذكر في كتب أصحابنا الامامية، ولم يترجم له الرجالون وأهل السير والتأريخ والأخبار، حتى أنّ شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري على عظمته

وجلالة قدره وشهرته في التضلع والتتبع لم يعرف عنه شيئاً، فقد قال في «المستدرک» ج ٣ ص ٤٩٧: ولم نعر على حال الحسن وجده محمد أنها من أهل الدراية والرواية أولاً.

أقول: كان الشيخ أبو نصر محمد من أعظم العلماء، وأكابر الفقهاء، وأفاضل الحجج واثبات الرواة وثقاتهم، فقد قام مقام والده في النجف وانتقلت إليه الرئاسة والمرجعية، وتقاطر عليه طلاب العلم من شتى النواحي.

ترجم له ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ج ٤ ص ١٢٦ و ١٢٧ في حوادث سنة أربعين وخمسة فقال: وفيها أبو الحسن محمد بن الحسن أبي علي بن أبي جعفر الطوسي، شيخ الشيعة وعالمهم، وابن شيخهم وعالمهم، رحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب إلى العراق، وحملوا إليه، وكان ورعاً عالماً كثير الزهد، وأثنى عليه السمعاني. وقال العماد الطبري: لو جازت على غير الأنبياء صلاة صليت عليه.

أقول: توفي سنة ٥٤٠ هـ كما ذكره في «الشذرات» وخلف ولداً واحداً سمّاه باسم جده الحسن، وهو من جارية كانت له اسمها رياض النوبية أدركها السيد علي ابن غرام (عزام خ ل) الحسيني المولود سنة ٥٥٧ هـ والمتوفى سنة ٦٧٠ أو ٦٧١ كما حكاه السيد غياث الدين عبد الكريم بن طاووس ونقله عنه وعن خطه في كتابه «فرحة الغري» ص ٥٨ طبعة إيران سنة ١٣١١ هـ.

وخلف شيخ الطائفة أعلى الله درجاته غير ولده الشيخ أبي علي على ما ذكره المتقدمون ابنتين كانتا من حملة العلم وربات الاجازة، ومن أهل الدراية والرواية، قال في «رياض العلماء: كانتا عالمتين فاضلتين، إحداها

أم ابن إدريس العلامة الشهير صاحب «السرائر» الحلّي كما ذكر في ترجمته، وأمها بنت المسعود بن ورام.

وقال صاحب «اللؤلؤة» ص ٢١٢ في ترجمة السيد رضي الدين أبي القاسم علي والسيد جمال الدين أبي الفضائل أحمد ابني السيد سعيد الدين أبي ابراهيم موسى بن جعفر آل طاووس مالفظة: وهما أخوان من أم وأب وأمهما - علي ما ذكره بعض علمائنا - بنت الشيخ مسعود ورام بن أبي الفراس بن فراس بن حمدان، وأم أمهما بنت الشيخ، وأجاز لها ولأختها أم الشيخ محمد بن إدريس جميع مصنفاته ومصنفات الأصحاب.

ونقل ذلك عنه في «الروضات» ص ٣٩٢ من الطبعة الأولى وزاد عليه مالفظة: ووقع النص على جدّيتها له أيضاً من جهة الأم في مواقع كثيرة من مصنفات نفسه فليلاحظ.

وقال العلامة البحّارة الشيخ علي آل كاشف الغطاء في «الحصون المنيع» في طبقات الشيعة المخطوط ج ١ ص ٣٢٨ مالفظة: بنتا الشيخ الطوسي كانتا عالمتين فاضلتين، وكانت إحداهما أم ابن إدريس، وأما أختها فهي التي أجازها بعض العلماء، ولعلّ المجيز أخوها الشيخ أبو علي أو والدها.

إلى غير هؤلاء ممن ذكر هذا المعنى من المتّقمين وهم كثيرون، وجاء بعدهم المتأخرون فأخذوها عنهم إرسال المسلّمات ومروا بها كراماً.

أقول: هذه النسبة غير صحيحة فليس الشيخ الطوسي الجدّ الأمّي بغير واسطة لابن طاووس، ولا لابن إدريس، فقد صرح السيد رضي الدين علي بن طاووس في كثير من تصانيفه ومنها «الاقبال» في دعاء أول يوم من شهر رمضان في ص ٣٣٤ من طبعة تبريز بأن الشيخ الطوسي جدّ والده

-السيد الشريف أبي إبراهيم موسى بن جعفر- من قبل أمه، والشيخ أبا علي خاله كذلك، لكن ليس مراده الجد والخال أيضاً بلا واسطة بأن تكون والدة أبيه الشريف موسى ابنة الشيخ الطوسي كما استظهره شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري في «مستدرك الوسائل» ج ٣ ص ٤٧١، لأن السيد ابن طاووس ولد في سنة ٥٨٩ هـ وكان والده حياً الى أن بلغ السيد العمر حداً كان قابلاً فيه لقراءة كتاب «المقنعة» للشيخ المفيد و«الأمالي» للشيخ الطوسي وغير ذلك من الكتب عليه كما صرح به في تصانيفه، فتكون حياة والده تقريباً الى حدود سنة ٦١٠ هـ.

وأما ولادته فلم تعلم تحقيقاً لكن الظاهر أنه لم يكن من المعمرين المناهزين للثمانين أو التسعين وإلا لكان قابلاً للذكر، وكان يصرح به ولده ولو بالمناسبة في موضع من تصانيفه الكثيرة، ولو فرض بلوغه الثمانين لكانت ولادته في حدود سنة ٥٣٠ هـ وكانت وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠ هـ فلو فرضت له بنت صغيرة في التاريخ لم تكن تلد بعد الخمسين من عمرها.

ولهذا فلا تكون بنت الشيخ أم السيد موسى لبعد ذلك ولا متناعه عادة وإن كان ممكناً عقلاً بأن كانت البنت آخر ولد الشيخ وكان السيد موسى آخر ما ولدت البنت وقد عمر نيفاً ومائة سنة، لكن ذلك ليس على مجاري العادة، فلعل بنت الشيخ كانت والدة أم السيد موسى وكان الشيخ جد أم السيد موسى، ويصح أن يطلق الجد والخال على جد الأم وخالها، ولو كانت والدة أم السيد موسى بنت ابن الشيخ وهو الشيخ أبو علي فيكون هو جد أمه لخاله كما صرح به السيد ابن طاووس نفسه، هذا مانعته في الموضوع، والظاهر أنه حقيقة المطلب.

وكذا الحال في الشيخ المحقق محمد بن إدريس الحلّي الذي قيل: إنّ أمّه بنت الشيخ. لأن ابن إدريس ولد في سنة ٥٤٣ هـ فكيف تكون أمّه بنت الشيخ، ولو فرضنا إمكان ما مرّ من المحالات والمستبعدات من أنها آخر ماولد للشيخ، وأنه آخر ماولد لها فما نصنع لقول عدّة من القدماء أنّ الشيخ أجاز ابنتيه، وهو قول ثابت لا يمكن إنكاره أو تضعيفه.

ثم إنّ هناك خلطاً آخرأ وهو التعبير عن الشيخ ورّام بالمسعود الورّام أو مسعود ابن ورّام، حيث إنّ المسعود الورّام، وابن ورّام غير الشيخ ورّام الزاهد صاحب «تنبيه الخاطر» كما نبّه عليه شيخنا النوري.

ومن طرائف هذا الباب ما نقله صاحب «الرياض» عن رسالة فارسية لبعض الفضلاء كما عبّر عنه من أن ابن عيسى الرماني المفسّر سبط شيخ الطائفة الطوسي، وأنه قرأ على خاله الشيخ أبي علي، وأن له آثاراً منها «كشف الغمة» في فضائل الأئمة عليهم السلام وهو غير «كشف الغمة» للأربلي وله غيره، وأنه كان ذا اطلاع تامّ على كلمات جدّه الشيخ الطوسي، الى غير ذلك.

أقول: الرماني هو الامام العالم الشيعي الكبير المفسّر النحوي والفقهي المتكلّم أبوالحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله السّرّ من رأيي البغدادي الواسطي المعروف بابن الرماني أو بأبي الحسن الوراق، والملقب بالاخشيدي صاحب التفسير الكبير الذي ذكرناه في «الذريعة» ج ٤ ص ٢٧٥.

وقد لقّب بالاخشيدي لتلمذه على ابن اخشيد، وبالرماني نسبة الى قصر الرمان بواسط، وقد ترجم له ابن النديم في «الفهرست» ص ٩٤ و ٩٥، والحموي في «معجم الأدباء» ج ١٤ ص ٧٣-٧٨، وذكره في «معجم

البلدان» ج ١٤ ص ٢٨٣، وترجمه الخطيب في «تأريخ بغداد» ج ١٢ ص ١٦ و١٧، والعسقلاني في «لسان الميزان» ج ٤ ص ٢٤٨، وذكرناه في كتابنا «نوابغ الرواة في رابعة المئات» ص ١٤٣، وذكره القمّي في «الكنى والألقاب» ج ٢ ص ٢٥١، الى غير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه في هذه العجالة. وقد صرح الجميع بأنه ولد في سنة ٢٩٦هـ وتوفي سنة ٣٨٤هـ.

وعليه فوفاته قبل ولادة الشيخ الطوسي بسنة واحدة، فكيف يكون سبطاً للشيخ؟ والأظرف أنّ الشيخ نفسه قد استحسّن تفسير الرماني هذا فقال في مقدّمة كتابه «النبیان» هذا الملفّه: وأصلح من سلك في ذلك مسلكاً جيلاً مقتصداً محمد بن بحر أبو مسلم الاصفهاني وعلي بن عيسى الرماني، فإنّ كتابيهما أصلح ما صنف في هذا المعنى... إلخ.

والخلاصة أنه حصل لنا القطع بأن للشيخ ابنتين عالمتين فاضلتين من أهل الرواية والدراية لكن ما هو اسمهما، ومن تزوج بهما، ومتى توفيا فهذا أمر لم نوفق لمعرفة حتى الآن ورغم مرور هذه الازمان.

كما حصل لنا اليقين بأنّ صهر الشيخ الطوسي على إحدى بناته هو الشيخ السعيد أبو عبدالله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن لمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان فقيهاً صالحاً، وهو الذي يروي عنه «الصحيفة السجادية» السيد بهاء الشرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد العلوي الحسيني في ربيع الأول سنة ٥١٦هـ كما وقع في أول الصحيفة، وهو من تلاميذ شيخ الطائفة الذين عاشوا الى هذا التاريخ، وهو يروي عن أبي منصور العكبري المعدل الذي يروي عن أبي الفضل الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧هـ، وترجم له الشيخ منتجب الدين في «الفهرست» فقال: فقيه صالح. كما نقله عنه الشيخ الحرّ أيضاً في «أمل الآمل».

وذكره أيضاً السيد ابن طاووس في «مهج الدعوات» فقال: ... وحدث الشيخ السعيد الأمين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن بالمشهد المقدس الغروي في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

ويروي عنه عماد الدين الطبري في «بشارة المصطفى» وهو يروي عن الشيخ الطوسي، والشريف زيد بن ناصر العلوي، والشريف محمد بن علي بن عبد الرحمن صاحب «التعازي»، وأبو يعلى حمزة بن محمد الدهان، وجعفر بن محمد الدرويستي، ومحمد بن أحمد بن علان المعدل، وغيرهم، كما ذكره في «رياض العلماء».

وقد رزق الشيخ أبو عبد الله محمد من زوجته كريمة شيخ الطائفة ولده الشيخ أبا طالب حمزة، وكان فقيهاً صالحاً أيضاً يروي عن خاله الشيخ أبي علي بن الشيخ الطوسي، وحدث عنه ابن أخيه الشيخ الموفق أبو عبد الله أحمد بن شهریار بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام في رجب سنة ٥٥٤هـ كما في الباب الثامن والثلاثين والمائة من كتاب «اليقين» لابن طاووس، ويروي عن الشيخ الموفق هذا الشيخ حسن بن علي الدرري الذي هو أستاذ المحقق الحلّي، والسيد علي بن طاووس كما في إجازة العلامة الحلّي لبني زهرة الحلبي.

ترجم لحمزة صاحب «الرياض» ص ١٩٦ وصرّح بأنه سبط شيخ الطائفة وأنه يروي عن خاله أبي علي، وترجم له في «أمل الآمل» في القسم الثاني ولم يذكر جدّه الأخير، ولحمزة ولد عالم هو الشيخ علي كتب بخطه في الحلة «اختيار الرجال» تأليف جدّه شيخ الطائفة في سنة ٥٦٢هـ، وهي نسخة نفيسة جيدة كما أشرنا إليها في «الذريعة» ج ١ ص ٣٦٦، وكتب

الشهيد الأول نسخته عن خطه، وكتب الشيخ نجيب الدين علي بن محمد تلميذ صاحب «المعالم» نسخته عن خط الشهيد رأيت نسخة نجيب الدين في مكتبة العلامة السيد حسن الصدر في الكاظمية.

والذي يستفاد من بعض الامارات ويغلب على الظن أن أول من لقب بالخازن هو الجلد الأعلى لهؤلاء أعني شهر يار القمي الذي يوصف بالخازن غالباً، وجرت الخازنية في عقبه الى بطون، وهو قمي الأصل معروف بالديانة والتقوى، وله ولدان أحدهما أبو نصر أحمد المذكور، والثاني الحسن بن شهر يار والد جعفر الذي ذكره العسقلاني في «لسان الميزان» ج ١ ص ٣٠٥ ناقلاً لترجمته عن «تأريخ الري» لابن بابويه - ويعني به كتاب «الفهرست» للشيخ منتجب الدين - وكان شهر يار جد هذه الأسرة معاصراً للسلطان عضد الدولة الديلمي الذي عمّر المشهدين الشريفين الغري والحائر في سنة ٣٦٩هـ كما صرح به جمع من المؤرخين.

فقد روى ابن طاووس في «فرحة الغري» ص ٥٨ من الطبعة الأولى عن يحيى بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه وجد بخط الشيخ أبي عبدالله محمد بن السري المعروف بابن البرسي رحمه الله المجاور بمشهد الغري سلام الله على صاحبه، على ظهر كتاب بخطه قال: كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الأولى في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وورد مشهد الحائر لمولانا الحسين صلوات الله عليه لوضع بقين من جمادى فزاره صلوات الله عليه وتصدق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهماً، وكان عددهم ألفين ومائتي اسم، ووهب

العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم، وفرق على أهل المشهدين من الدقيق والتمر مائة ألف رطل، ومن الثياب خمس مائة قطعة، وأعطى الناظر عليهم ألف درهم.

وخرج وتوجه إلى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرخ ودخلها، وتوجه إلى المشهد الغروي يوم الاثنين ثاني يوم وروده، وزار الحرم الشريف، وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم أحد وعشرين درهماً وكان عدد العلويين ألف وسبعمائة اسماً، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة ألف درهم، وعلى المترددين خمسمائة ألف درهم، وعلى الناحية ألف درهم، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم، وعلى المرتبين من الخازن والنواب على يدي أبي الحسن العلوي وأبي القاسم بن أبي عابد وأبي بكر بن سيار رحمه الله خمسمائة درهم، وصلى الله على محمد النبي وآله الطاهرين.

وتجد ذكر ذلك أيضاً في «الكامل» لابن الأثير ج ٨ ص ٣٣٤ وقد كانت هذه الزيارة بعد سنة التعمير المذكورة، فقد قال ابن عنبه في «عمدة الطالب» ص ٤٤ من طبعة لكن هو مالفظة: ... إلى أن كان زمن عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي فعمّره عمارة عظيمة، وأخرج على ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافاً... إلخ.

أفترى أن مثل هذا السلطان العظيم والسياسي المحنك والداهية الدهماء والمفكر الكبير يوقف الأملاك الكثيرة، ويحبس المنافع الواسعة، ويصرف في سبيل التعمير والتشييد المبالغ الطائلة، ويعين للفقهاء والعلماء الرواتب، ويطلق الصلات للمحتاجين من مجاوري هذا المشهد.

كل ذلك بدون تعيين متول أو وكيل أو خازن أو خادم للمشهد يقوم بلوازمه؟ كلا لا شك أن ذلك كله قد كان بإشراف رجل مسؤول عن كل

شيء، والغالب على الظن أنه شهريار القمي جد هذه الأسرة الجليلة العريقة في العلم والتقى وخدمة المشهد وخزانتة، ويؤكد لنا ذلك تشرف عضد الدولة للزيارة بعد عامين من تشييد المرقد وبناء القبة، وكان ذلك من دون شك لمشاهدة ماقام به من الأعمال، وهل هو على وفق رغبته وكما ينبغي أم لا؟ هذا مانذهب إليه، والله العالم.

لقد طال بنا الكلام عن خلف الشيخ الطوسي، وبعدها عما كتنا بصده، فلا يخفى أن عقب شيخ الطائفة لم ينقرض بل تحوّل بعضهم عن النجف الى اصفهان، وبقي محافظاً على نسبه ومكانته العلمية.

فمن أحفاده المولى المفسر المحدث الشيخ محمد رضا بن عبدالحسين بن محمد زمان النصيري الطوسي ساكن اصفهان صاحب التفسير الكبير المسمّى بـ «تفسير الأئمة لهداية الأمة» و«كشف الآيات» الذي فرغ منه في سنة ١٠٦٧هـ، فإنّ هذا الشيخ ينقل في أثناء تفسيره عن شيخ الطائفة بعض الأحاديث بما لفظه: «قال جدنا الأجد العالم المتعلّم بعلوم الصادقين الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي». والظاهر أنه جدّه من طرف الأب وإلا لقيده بالأُمّي كما أنه يقيّد انتسابه لابن طاووس وابن إدريس بطرف الأم.

وأما نسبة هذا الشيخ الى النصير فلم يظهر لنا وجهها لأنّ المعروفين بنصير الدين في علمائنا كثيرون، منهم: (١) الخواجة نصير الطوسي. (٢) نصير الدين أبوطالب عبدالله بن حمزة بن الحسن الطوسي الشارحي المعروف بنصير الدين الطوسي والمذكور في «الفهرست» للشيخ منتجب الدين. (٣) الشيخ نصير الدين علي بن حمزة بن الحسن المذكور في «أمل الآمل». (٤) الشيخ نصير الدين علي بن محمد بن علي الكاشاني الحلّي من

المائة الثامنة. (٥) الشيخ نصير الدين بن محمد الطبري المدفون بسبزوار من المائة التاسعة، الى غيرهم مما لا يخطر بالنا.

وهذا التفسير كبير يقال إنه في ثلاثين مجلداً رأيت مجلدين منها. أحدهما المجلد الأول وهو كبير ضخيم وعلى ظهره تملك ابن مؤلفه كتب: أنه ملكه بالارث. لكن لم يذكر تأريخه، وتوقيعه: عبدالله بن محمدرضا النصيري الطوسي. وقد ملك هذا المجلد السيد شبر بن محمد بن ثنوان الحويزي النجفي في سنة ١١٦٠-١١٨٢ هـ كما يظهر من بعض خطوطه عليه في التأريخين، وانتقل بعد ذلك الى العلامة الشيخ أسدالله الذرفولي الكاظمي صاحب «المقابس» فوقفه وكتب صورة الوقف بخطه، وقد رأيت في مكتبة المرحوم الشيخ محمد أمين آل الشيخ أسدالله المذكور.

وثاني المجلدين اللذين رأيتهما -وهو ضخيم كبير أيضاً- رأيت في النجف في مكتبة المرحوم الشيخ محمدجواد آل محي الدين ولاعلم لي ببقية مجلداته، غير أن صديقنا الجليل الحجة المرحوم الشيخ أبوالمجد أغا رضا الاصفهاني صاحب «نقد فلسفة داروين» قد كتب لنا من أنه: كان خمسة عشر مجلداً من هذا الكتاب في المكتبة القزوينية باصفهان، وقد أخذ إقبال الدولة ثلاث مجلدات منها أيام حكومته باصفهان ولم يردها، والبقية موجودة فيها، انتهى. وقد ذكرنا هذا التفسير مفصلاً في «الذريعة» ج ٤ ص ٢٣٦-٢٣٨.

ولصاحب هذا التفسير أخ جليل هو المولى محمدتقي بن عبدالحسين النصيري الطوسي الاصفهاني مؤلف «المقال في مكارم الخصال» فرغ من بعض مجلداته في اصفهان يوم الأحد ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٠٨٠ هـ، ووالدهما المولى عبدالحسين بن محمد زمان النصيري الطوسي، كان من العلماء أيضاً كما يظهر من خطه بتملك «نهج الحق» في الكلام للعلامة

الحلبي على نسخة كتبها محمد كاظم بن شكر الله الدزماي في سنة ١٠٢٥هـ،
وتوقيعه: عبدالحسين بن محمد زمان النصيري الطوسي.

ومن رجال هذا البيت المصنفين الشيخ المولى حسن بن محمد صالح
النصيري الطوسي مؤلف «هداية المسترشدين» في الاستخارات في سنة
١١٣٢هـ. ومنهم المولى محمد إبراهيم بن زين العابدين النصيري الطوسي
الذي كان حياً سنة ١٠٩٧هـ وفيها استكتب لنفسه «تلخيص الشافي». ومنهم
ولده المولى محمد بن إبراهيم بن زين العابدين النصيري الطوسي
الموجود بعض تملكاته.

وبالجملة: كل واحد من هؤلاء وصف نفسه بالنصيري الطوسي فقط
من دون تعرض لوصف السيادة حسينية أو حسنية أو غيرها، أو أي لقب
آخر، ومن ذلك كله يظهر جلياً كون هذا المؤلف المفسر غير الأمير الكبير
السيد محمدرضا الحسيني منشي الممالك الساكن باصفهان في زمن تأليف
الشيخ الحر كما ترجمه كذلك في «أمل الآمل» وذكر له كتاب «كشف
الآيات» و«التفسير الكبير» العربي والفارسي في أكثر من ثلاثين مجلداً،
فلوجه لما كتبه السيد شبر الحويزي بخطه على ظهر المجلد الأول من هذا
التفسير في سنة ١١٦٠هـ من استظهاره أن المؤلف له هو المترجم له في
«الأمل» مع أن هذا المؤلف صرح في أول المجلد الأول منه بأنه يروي جميع
تلك الأخبار التي أوردها في تفسيره عن شيخه السيد السند... إلى قوله بعد
الاطراء: الأمير شرف الدين علي بن حجة الله الحسيني الشواستاني النجفي،
الذي كان حياً إلى سنة ١٠٦٣هـ وكان من مشايخ العلامة المولى محمد تقي
المجلسي المتوفى سنة ١٠٧٠هـ قبل تأليف «الأمل» بسنين، فالمؤلف معاصر
له، ولعله أيضاً لم يبق إلى زمن تأليف «الأمل» وهو سنة ١٠٩٧هـ والحال

أن منشئ الممالك كان حياً سنة تأليفه وكان ساكناً باصفهان. وظهر مما ذكرناه أيضاً تقدّم هذا المفسّر على السيد الأمير محمدرضا بن محمد مؤمن المدرّس الامامي الخاتون آبادي مؤلف «جَنّات الخلود» باسم الشاه سلطان حسين الصفوي في سنة ١١٢٧هـ وإن كان له تفسير أيضاً. هذا كلّ ما نعرفه عن أحفاد شيخ الطائفة، والأسف أنّ سلسلة نسبهم إليه لم تكن محفوظة، ولعلّ في مؤلّفاتهم ومكتباتهم في اصفهان ما يتضمّن ذلك، والله العالم.

ومن المستغرب ما ذكره بعض المعاصرين من أنّ للشيخ الطوسي أخاً اسمه حمزة، وقد نقل ذلك عن «تكملة أمل الآمل» للحجة السيد حسن الصدر رحمه الله وقال: إنه تأسف على حاله لكونه من المنسين الذين لا ذكر لهم في الأصول الرجالية، وذكر أنه وقف عليه في إجازة ابن نما واستظهر منها أن له روايات ومصتقات.

أقول: إنّ إجازة الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي لم تصل إلينا صورتها التامة. وإنما وصلتنا منها بعض النبذ، فقد ذكر الشيخ حسن صاحب «المعالم» في إجازته الكبيرة المطبوعة في آخر «البحار» ص ١٠٠ أنه كان يحتفظ بثلاث إجازات بخط الشيخ الشهيد محمد بن مكّي قدس سرّه، وهذه الإجازات كتبها أصحابها للشيخ كمال الدين حماد الواسطي، وهي:

- (١) إجازة السيد غياث الدين بن طاووس الحلّي.
 - (٢) إجازة نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي.
 - (٣) إجازة نجم الدين جعفر الحلّي الشهير بابن نما.
- ثمّ إنّه ذكر: أنه ينقل المهمّ من مطالب الإجازات في إجازته المذكورة،

وليس فيما نقله من فوائد إجازة ابن نما ذكر ولا أثر لحمزة أخ الشيخ الطوسي كما قيل.

والمظنون أنَّ الأمر اشتبه على الناقل، فظنَّ أنَّ الشيخ الجليل الشهير بابن حمزة الطوسي المشهدي صاحب «الوسيلة الى نيل الفضيلة» - الشهير بأبي جعفر الثاني أو أبي جعفر المتأخر - فظنَّ أنَّ جدَّه حمزة كان أخاً للشيخ الطوسي، ولم يكن كذلك، إذ لو كان لصرح به الشيخ منتجب الدين في ترجمته له حيث ذكره هكذا: الامام عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي... إلخ، ولم يشر الى شيء من ذلك على خلاف عادته فيمن يعرف له قرابة من المترجمين.

ولا يخفى خطأ ذلك من ناحية ثانية، فسيرة شيخ الطائفة معروفة لدى المؤرخين والباحثين منذ يوم خروجه من طوس حتى يوم وفاته في النجف، ولم يغمض من ذلك شيء أبداً، ولم نعرف طوال هذا العمر أخاً للشيخ الطوسي ولم نسمع باسمه، وليت شعري أهاجر هذا الأخ مع أخيه الشيخ من طوس؟ أم لحقه بعد ذلك الى بغداد؟ وهل كان أكبر من أخيه أو أصغر؟ أو غير ذلك مما لا وجه لاحتمال صحته بكل وجه، ومع ذلك فالعالم هو الله.

تنبيهات

١ - قال العلامة الحلي في «الخلاصة» عند ذكر شيخ الطائفة مالفظة: وكان يقول أولاً بالوعيد ثم رجع. وقال ذلك غيره من المترجمين للشيخ الطوسي رحمة الله عليه.

أقول: القول بالوعيد هو اختيار عدم جواز عفو الله عن الكبائر عقلاً من غير توبة كما عليه جماعة الوعيدية كأبي القاسم البلخي وغيره، وهو مخالف لإجماع الامامية فقد اتفقوا على القول بدخول المؤمن الصالح الى الجنة وخلوده فيها، وأما الذي خلط العمل الصالح بغيره فقد أجمع الامامية على أنه لا يجب تعذيبه بل قد يعفو الله عنه أو يشفع النبي فيه لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وقد يعاقبه الله لكن عقاباً غير دائم لأنه يستحق الثواب.

قال الشيخ الصدوق في كتابه «الاعتقادات» ما لفظه: «أن اعتقادنا في الوعد والوعيد أن من واعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه، ومن واعده على عمل عقاباً فهو بالخيار إن عذبه فبعده وإن عفا عنه فبفضله، وما ربك بظلام للعبيد. وقال الله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» والله أعلم.

وروى الكليني في «الكافي» عن الامام محمد الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى «عسى الله أن يتوب عليهم» أنه عليه السلام قال: أولئك قوم مؤمنون يحدثون في إيمانهم من الذنوب التي يعيها المؤمنون ويكرهونها.

وفي (تفسير العياشي) عن الباقر عليه السلام أيضاً قال: «عسى» من الله واجب وإنما نزلت في شيعتنا المذنبين. ونقله عنها أيضاً الصافي في تفسيره ص ١٩٨ من طبعة طهران سنة ١٣١١ هـ.

الى غير ذلك مما ورد في هذا الباب في الكتاب والستة. أفترى أن شيخ الطائفة مع عظيم مكانته في العلوم الاسلامية يغفل عن هذا أو يضرب به عرض الجدار ويقول بالوعيد أولاً ثم يرجع، حاشا وكلاً وإنما نسب ذلك إليه أعداؤه وأدخله في ترجمته أبناء العامة الذين ذهب معظمهم الى تلك

الأقوال والآراء، ولم يكن للشيخ في ذلك رأي ولا قول. ويدلّ على عدم صحة ذلك قول السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» في ترجمته للشيخ كما سيأتي أنه شافعي، فهل يحتمل ذلك في حقّ هذا الحبر الكبير الذي هو إمام الفرق الاثني عشرية بعد أئمتهم المعصومين عليهم السلام؟ وهذه كتبه الجليلة الدالة على بلوغه أقصى درجات الاجتهاد، ومن هذا يظهر لنا أنّ العلامة الحلبي نقل ذلك فيه عن مثل هذا المؤلف.

٢ - الإجماع في نظر شيخ الطائفة ليس على المعنى الحقيقي المصطلح عند المتأخرين عنه، بل الغالب أنه يتمسك بالإجماع في قبال آراء العامة للرّد عليهم بما هو حجة عندهم حتى في الأصول، مثل مسألة الإمامة والخلافة، ولذا تراه قدس الله نفسه يستدلّ بالإجماع في جملة من الفروع ثم يفتي هو في كتابه الآخر بما يخالف ذلك الإجماع.

وقد أحصى الشيخ السعيد زين الدين الشهيد تلك الاجماعات في رسالة مستقلة طبعت في آخر «الألفية» للشهيد الأول في سنة ١٣٠٨ هـ، وقد ذكر في أولها: أنّ شيخ الطائفة ادعى الإجماع في جملة من المسائل مع أنه بعينه خالف حكم ما ادعى الإجماع فيه، أفردناه للتنبيه على أن لا يعتبر الفقيه بدعوى الإجماع... إلخ. بدأ في بيان تلك المسائل بكتاب النكاح ثم الطلاق الى آخر كتاب الديات، ومن هذا يظهر أنه لم يظفر بمخالفته للاجماعات في كتب العبادات.

٣ - إنّ لشيخ الطائفة فتاوى نادرة لم يرتضها المتأخرون عنه لقوة أدلّة خلافتها:

(منها) مسألة ما لا يدركه الطرف من الدم. فقد قال: بأنه غير منجس.

وقال الشيخ صاحب «الجواهر» فيه: الأحوط بل الأقوى تنجيسه وفقاً للمشهور بين الأصحاب، ولم يحك عدم التنجيس إلا عن الشيخ في «الاستبصار» و«المبسوط» -إلى قوله-: ويظهر من صاحب «الذخيرة» موافقته ولا ريب خطأ... إلخ.

(ومنها) مسألة تصوير ذوات الأرواح وصنع المجسمات، فإنه وإن لم ينقل عنه القول بالجواز في كتبه الفقهية لكنه صرح به في «تفسير التبيان» ولعله عدل بعد ذلك عنه كما يأتي النقل عن كتابه «النهاية»، قال في «التبيان» الطبعة الأولى ج ١ ص ٨٥ س ١٢ في تفسير قوله تعالى «اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون» ما لفظه: أي اتخذتموه إلهاً لأنّ بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس بمحظور وإنما هو مكروه، وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لعن المصوّرين معناه من شبه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنه صورة، فلذلك قدر الحذف في الآية كأنه قال اتخذتموه إلهاً، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامري: هذا إلهكم... إلخ.

ثم إنّ أمين الاسلام الطبرسي صاحب «مجمع البيان» الذي حذا فيه حذو شيخ الطائفة في «التبيان» كما أسلفناه أورد كلام شيخ الطائفة في تفسير هذه الآية بعينه من دون نظر فيه أو تأمل، ولكن المتأخرين عن هذين الامامين لم يرتضوا ذلك وإنما أفتوا بحرمة التصوير ولا سيما تصوير ذوات الأرواح، وتشددوا في خصوص المجسمات.

قال الشيخ الكبير أستاذ كافة المتأخرين العلامة الشيخ المرتضى الأنصاري في «المكاسب المحرمة» ص ٢٠٣ من طبعة طهران ما لفظه: المسألة الرابعة، تصوير صور ذوات الأرواح حرام اذا كانت الصورة مجسمة

بلاخلاف فتوى ونصاً، وكذا عدم التجسيم وفقاً لظاهر «النهاية» وصریح «السرائر»... إلخ.

ومن هذا القول احتملنا عدول الشيخ عن رأيه السابق في تفسيره، وأما الشيخ الطبرسي فلم يصلنا كتابه في الفقه حتى نعرف فتواه بالجواز جزماً^(١).

٤ - حكي عن صاحب «الرياض» أن المؤرخ المسعودي صاحب «مروج الذهب» جدّ الشيخ الطوسي من طرف أمّه، وهذا مستبعد أيضاً، وعلى فرض وجود علاقة فليست بهذا القرب، يعني ليس جدّه بلاواسطة، فلعلّ أمّه من بناته، فقد طاف المسعودي فارس وكرمان سنة ٣٠٩ هـ فلعلّه تزوج في إيران وأعقب بها، أما وفاته فهي بمصر عام ٣٤٦ هـ ولزيادة الاطلاع على أحواله راجع «فوات الوفيات» لابن شاكرج ٢ ص ٥٧ طبع عام ١٢٨٣ هـ و«الفهرست» لابن النديم ص ٢١٩ طبع مصر و«تأريخ آداب اللغة العربية» لجرّجي زيدان ج ٢ ص ٣١٣، وغير ذلك.

مصادر ترجمته:

لقد بلغ شيخ الطائفة رحمة الله عليه في عالم الشهرة درجة قصوى، ومكانة لم يحظ بها إلاّ آحاد من العظماء والمؤسسين، ولذا فلايكاد يخلو من ذكره كتاب في الرجال أو مشيخة في الحديث أو إجازة في الرواية أو سلسلة من السلاسل المنتهية الى أهل بيت العصمة عليهم السلام، ولذلك فإنّ

(١) كتب لنا قبل مدة الدكتور بشر فارس عضوالمجمع العلمي اللغوي في القاهرة يسألنا عن رأي علماء الشيعة في تصوير ذوات الأرواح فلم نزد على ما ذكرناه.

مصادر ترجمته في غاية الكثرة، وليس بإمكاننا استقصاءها بأجمعها في هذه العجالة، وإنما نذكر من ذلك ما هو في متناول يدنا حال كتابة هذه الترجمة، وإننا لنعتقد بأنّ هناك أضعافه وأنّ ما لا يخطر ببالنا ولا يحضرنا أكثر وأكثر، لكن لا يسقط الميسور بالمعسور، وما لا يدرك كلّ لا يترك كله، وإليك الموجود:

١ - إتيان المقال في أحوال الرجال: للشيخ محمد طه نجف، ص ١٢١، طبع النجف سنة ١٣٤٠هـ.

٢ - إجازة الشيخ عبد الله السماهيجي: من مخطوطات مكتبتنا، الورقة ٢٠. وهي بخطنا في كتابنا الكبير «إجازات الرواية والورثة في القرون الأخيرة الثلاثة». وعن هذه الإجازة نقل صاحب «اللؤلؤة» معبراً عنها بإجازة بعض مشايخنا المعاصرين.

٣ - إزاحة الحلل الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس: للعبد الفاني أغا بزرك الطهراني غفر الله له ولوالديه، مخطوط ص ٧٢ وهو الجزء العاشر من موسوعتنا الثانية «طبقات أعلام الشيعة»، وهو الذي استلنا منه هذه الترجمة وزدنا عليها جملة من الفوائد.

٤ - الأعلام: لخير الدين الزركلي: ج ٣ ص ٤٨٤، طبع مصر سنة ١٣٤٧هـ، وقد سها فيه بقوله: وتوفي بالكوفة. وبقوله: المبسوط في الفقه ٨١ جزء. ولعل مراده ما يحويه من الكتب الفقهية، ومع ذلك فلا يصحّ إذ هي نحو سبعين كتاباً.

٥ - أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين ج ١ ص ١٢١ و ٢٨٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ وغيرها، طبع دمشق سنة ١٣٥٣هـ.

٦ - بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للشيخ محمد باقر

المجلسي، ذكر فيه شيخ الطائفة في مواضع عديدة، ولا سيما في مجلد الإجازات الذي هو آخر أجزائه.

٧ - البداية والنهاية: لابن كثير، ج ١٢ ص ٩٧، طبع مصر سنة ١٣٥١هـ.

٨ - تأريخ آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان ج ٣ ص ١٠٢، طبع مصر سنة ١٩١١م. وقد سها بقوله: المتوفى سنة ٤٥٩هـ.

٩ - تأريخ مصر: لبعض الأشعرية، ينقل عنه صاحب «الروضات» في ترجمته للشيخ.

١٠ - تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: للسيد حسن الصدر، ص ٣١٣ و٣٣٩، طبع بغداد سنة ١٣٧٠هـ.

١١ - تحفة الأحباب في نوادر آثار الأصحاب: للشيخ عباس القمي، ص ٣٢٣ - ٣٢٥، طبع طهران سنة ١٣٦٩هـ.

١٢ - تحية الزائر وبلغه المجاور: للشيخ الميرزا حسين النوري، ص ٧٨، طبع طهران سنة ١٣٢٧هـ.

١٣ - تلخيص الأقوال في تحقيق أحوال الرجال: للسيد الميرزا محمد بن علي الحسيني الاستربادي، مؤلف ثلاثة كتب في الرجال (١) الكبير، (٢) الوسيط وهو هذا. (٣) الصغير. وهذا الكتاب من مخطوطات مكتبتنا، والترجمة في الورقة ١٤١هـ.

١٤ - تنقيح المقال في علم الرجال^(١): للشيخ عبدالله المامقاني، ج ٣

(١) ذكره الاستاذ المبحثة يوسف أسعد داغر في مآخذ كتابه «مصادر الدراسة الأدبية» ج ١ ص ١٢ وسماه «منتهى المقال». وخص رأي مؤلفه بأن الثقات ممن ذكره (١٣٢٨) والحسان ←

ص ١٠٤، طبع النجف سنة ١٣٥٢ هـ.

١٥ - توضيح المقال في علم الرجال: للمولى علي الكني، ص ٦٢، طبع طهران سنة ١٣٠٢ هـ.

١٦ - جامع الرواة: للمولى محمد بن علي الأردبيلي، ج ٢ ص ٩٥، طبع طهران سنة ١٣٧٤ هـ.

١٧ - الخلاصة المنظومة: للشيخ عبدالرحيم الاصفهاني، ص ٨٤، طبع طهران سنة ١٣٤٣ هـ.

١٨ - خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: للعلامة الحلّي، ج ١ ص ٧٢، طبع طهران سنة ١٣١٠ هـ.

١٩ - الذريعة الى تصانيف الشيعة: للفاني أغا بزرك الطهراني عفا الله عنه، (ج ١) ص ٧٣ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و (ج ٢) ص ١٤ - ١٦ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٣٠٩ - ٣١١ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٤٨٦ و (ج ٣) ص ٣٢٨ - ٣٣١ و (ج ٤) ص ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٤٢٣ و ٤٣٣ و ٥٠٤ - ٥٠٧ و (ج ٥) ص ١٤٥ و (ج ٥) ص ١٤٥ و (ج ٧) ص ٢٣٦ و (ج ١٠) ص ١٢٠، طبع النجف وطهران.

٢٠ - راهنماي دانشمندان: للسيد علي أكبر البرقي، ج ٢ ص ١١٨ - ١٢٠، طبع طهران بدون تأريخ لكن الجزء الأول طبع سنة ١٣٦٨ هـ.

٢١ - الرجال: لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي ص ٢٨٧ و ٢٨٨، طبع بمبي سنة ١٣١٧ هـ، وهو معاصر للشيخ وأول من ترجم له بعد ترجمته لنفسه في كتابه «الفهرست».

(١٤٤٥) والموثقون (٦٤١) والباقي أي ١٣٢٦٨ ما بين ضعيف ومجهول ومهمّل.

أقول: راجع مذكرناه في «الذريعة» ج ٤ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ لتعرف رأي الشيخ المامقاني ومراده بالمجهول.

٢٢ - الرجال: لابن داود، من مخطوطات مكتبتنا، تأريخ كتابته سنة ٩٩٢، ص ٥١.

٢٣ - الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الامامية: للمير السيد محمد باقر الداماد، ص ٨٨، طبع طهران سنة ١٣١١ هـ.

٢٤ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: للسيد محمد باقر الخوانساري، ص ٥٨٠ - ٥٩١، طبع طهران سنة ١٣٠٦ هـ.

٢٥ - الروضة البهية في الطرق الشيعية: للسيد شفيع الجابلاقي، ص ١٨٢ - ١٩٠، طبع طهران سنة ١٢٨٠ هـ.

٢٦ - ربحانة الأدب في المشهورين بالكنية واللقب؛ للشيخ الميرزا محمد علي المدرس التبريزي، ج ٢ ص ٣٩٩ - ٤٠١، طبع طهران سنة ١٣٦٧ هـ.

٢٧ - رياض العلماء وحياض الفضلاء: للمولى عبدالله الأفندي، من مخطوطات مكتبتنا، ولكن ليس في نسختنا شيء من حرف الميم.

٢٨ - سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار: للشيخ عباس القمي، ج ٢ ص ٩٧، طبع النجف سنة ١٣٥٥ هـ.

٢٩ - سماء المقال في تحقيق علم الرجال: للشيخ الميرزا أبي الهدى الكلbasي، ج ١ ص ٣٢ - ٥٥، طبع قم سنة ١٣٧٢ هـ.

٣٠ - سير العلم في النجف: للسيد محمد حسن آل الطالقاني، مخطوط، عقد فيه فصلاً لترجمة شيخ الطائفة وولده الشيخ أبي علي الحسن وحفيده الشيخ أبي نصر محمد بن الحسن بن محمد، واستقصى تلامذتهم وبعض أحوالهم، ص ١ - ١٤.

٣١ - شعب المقال في أحوال الرجال: للميرزا أبي القاسم التراقي، ص ٩٤، طبع يزد سنة ١٣٦٧ هـ.

٣٢ - الشيعة وفنون الاسلام: للسيد حسن الصدر، ص ٣٣ و٥٧، طبع صيدا سنة ١٣٣١هـ.

٣٣ - طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، ج ٣ ص ٥١، طبع المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٤هـ، وقد اشتبه هناك فسمى شيخ الطائفة الى مذهب الشافعي، وتبعه كذلك في «كشف الظنون» ج ١ ص ٣١١، وهذه كتبه الاستدلالية وآراؤه المستنبطة تدلّ على أنه من أكبر مجتهدي المسلمين فكيف يظنّ أنه مقلّد.

٣٤ - عنوان الشرف في وشيء النجف: للشيخ محمد السماوي، ص ٨٨، طبع النجف سنة ١٣٦٠هـ، وفيه تأريخ لوفاة الشيخ فاتنا ذكره في محله ونذكره هنا. وفيه فائدة وهي أنّ قبر ولده الشيخ أبي علي معه كما احتملناه، قال:

كشيخنا الطوسي من أصااتا نعيّه أرخه حي ماتا
مرقده بداره مع نجله وداره معروفة كفضله

٣٥ - عيون الرجال: للسيد حسن الصدر، ص ٧٤، طبع لکنهو سنة ١٣٣١هـ.

٣٦ - الفوائد الرجالية: للسيد مهدي بحر العلوم، مخطوط في مكتبة حسينية التستيرية في النجف ومكتبة السيد جعفر آل بحر العلوم وغيرها. ولا تختصر صفحة الترجمة.

٣٧ - الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذاهب الجعفرية: للشيخ عباس القمي، ج ٢ ص ٤٧٠ - ٤٧٣، طبع طهران سنة ١٣٦٧هـ.

٣٨ - الفهرست: لشيخ الطائفة نفسه، ترجم لنفسه في حرف الميم ص ١٥٩ - ١٦١، طبع النجف سنة ١٣٥٦هـ.

٣٩ - فهرست كتابخانه آستان قدس رضوي: في مواضع كثيرة عند ذكر أكثر تصانيفه منها. ج ٤ ص ١٩ و ٥٥ و ٢٥٣ ولولا ضعف الحال لاستقصيناها، طبع خراسان سنة ١٣٦٩هـ.

٤٠ - فهرست كتابخانه عالي مدرسة سپهسالار: لابن يوسف الشيرازي، ص ٦٦-٦٨، طبع طهران سنة ١٣٦٥هـ.

٤١ - فهرست كتابخانه مجلس: لابن يوسف الشيرازي أيضاً، ج ٣ ص ٦٩، طبع طهران سنة ١٣٠٨هـ.

٤٢ - فهرست كتابخانه اهدائي آقاي سيد محمد مشكاة. لنجلنا الأكبر الميرزا علي نقي المنزوي، ج ١ ص ٢٠١-٢٠٤ وج ٢ ص ٦٣٧-٦٤٠، طبع طهران سنة ١٣٧١هـ.

٤٣ - قصص العلماء: للميرزا محمد التنكابني، ص ٣١٢، طبع طهران سنة ١٣٠٤هـ.

٤٤ - الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ج ١٠ ص ٢٤، طبع مصر سنة ١٣٠١هـ.

٤٥ - كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار: للسيد اعجاز حسين الكنتوري، طبع بكلكتة سنة ١٣٢٠هـ، وقد ذكر فيه مؤلفات شيخ الطائفة كلاً في محله، ولا تحضرنا النسخة لتعيين الصفحات.

٤٦ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لكاتب چلبی، ج ١ ص ٣١١ و ٣١٢، طبع اسلامبول سنة ١٣١٠هـ، وقد خلط في حديثه بين الشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي كما أشرنا إليه في ص ق من هذه المقدمة.

٤٧ - الكنى والألقاب: للشيخ عباس القمي، ج ٢ ص ٣٥٧، طبع صيدا سنة ١٣٥٨هـ.

٤٨ - لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، ج ٥ ص ١٣٥، طبع
حيدرآباد الدكن سنة ١٣٣١هـ.

٤٩ - لؤلؤة البحرين في الاجازة لقرقي العين: للشيخ يوسف الدرازي
البحراني، ص ٢٤٥-٢٥٢، طبع بمبي بدون تاريخ.

٥٠ - مجالس المؤمنين: للقاضي الشهيد نورالله المرعشي، ص ٢٠٠ و ٢٠١
طبع تبريز.

٥١ - مجمع الرجال: للمولى عناية الله القهپاي، مخطوط، الورقة ٢٣٠
نسخة الأصل بخط المؤلف سنة ١٠١٦هـ. في مكتبتنا.

٥٢ - مختلف الرجال: للسيد حسن الصدر، مخطوط في مكتبته في
الكاظمية، ترجم للشيخ الطوسي في التنبيه العاشر من المقدمة.

٥٣ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: للشيخ الميرزا حسين
النوري، ج ٣ ص ٥٠٥-٥٠٩، طبع طهران سنة ١٣٢١هـ.

٥٤ - المستطرفات في الألقاب والكنى والنسب: للسيد حسين
البروجردي، ص ٢٠٤ و ٢١٠، طبع طهران سنة ١٣١٣هـ.

٥٥ - المشيخة أو الاسناد المصفي الي آل بيت المصطفى، تأليف الفاني
أغا بزرك الطهراني، ص ٧١-٧٣، طبع النجف سنة ١٣٥٦هـ.

٥٦ - مصادر الدراسة الأدبية: ليوسف أسعد داغر، ج ١ ص ١٢ طبع
صيدا سنة ١٩٥٠م.

٥٧ - مصفى المقال في مصنفي علم الرجال: للفاني أغا بزرك الطهراني
غفر له ولأبويه، مخطوط، الورقة ٦٥ب.

٥٨ - معالم العلماء: لابن شهر آشوب ص ١٠٢ و ١٠٣، طبع طهران سنة
١٣٥٣هـ.

٥٩ - معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ليوسف اليان سركيس، عمود ١٢٤٨، طبع مصر سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

٦٠ - مقابس الأنوار ونفائس الأسرار في أحكام النبي المختار وآله الأطهار: للشيخ أسد الله الذفولي، ص ٤-٦، طبع طهران سنة ١٣٢٢هـ.

٦١ - مقدّمة الاستبصار: بقلم الشيخ محمد علي الأوردبادي، طبع النجف سنة ١٣٧٥هـ.

٦٢ - مقدّمة البيان: بقلم بعض الفضلاء، طبع سنة ١٣٦٠هـ.

٦٣ - مقدّمة الخلاف: بقلم السيد أغا حسين البروجردی، والشيخ ریحان الله النخعي الكلپایگانی، والشيخ عبدالحسين الفقيهي، والشيخ مهدي التبريزي، طبع طهران سنة ١٣٧٠هـ.

٦٤ - مقدّمة الفهرست: بقلم السيد محمد صادق آل بحر العلوم، طبع النجف سنة ١٣٥٦هـ.

٦٥ - مقدّمة ترجمة النهاية: بقلم السيد محمد باقر السبزواري، طبع طهران سنة ١٣٧٣هـ.

ذكرنا في «الذريعة» ج ٤ ص ١٤٣ و ١٤٤: إننا وقفنا على ترجمة فارسية للنهاية في مكتبة السيد نصر الله الأخوي، وقلنا: إنها نسخة عتيقة لبعض الأصحاب المقارئين لعصر الشيخ، وأشرنا الى ذلك أيضاً في ص ٣٥ من هذه المقدّمة عند ذكر النهاية، وقد طبعت هذه الترجمة منذ ثلاث سنوات، وأهدت إلينا جامعة طهران نسخة منها لكن غفلنا عن ذكرها في محلّها، وقد نشرت عن غير نسخة التقوي بل عن نسخة مكتبة الحاج حسين ملك التجار، وقدّم لها في ترجمة حياة الشيخ مقدّمة ضافية.

٦٦ - المنتظم في تأريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي، ج ٨ ص ١٧٣

- و١٧٩٠، طبع حيدرآباد ١٣٥٧هـ.
- ٦٧ - منتهى المقال في أحوال الرجال: للشيخ أبي علي الحائري، ص ٢٧٠، طبع طهران سنة ١٣٠٢هـ.
- ٦٨ - منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال: للسيد الميرزا محمد الاسترآبادي، ص ٢٩٢ و ٢٩٣، طبع طهران سنة ١٣٠٤هـ.
- ٦٩ - موجز المقال في مقاصد علم الدراية والرجال: للشيخ عبد الرحيم الاصفهاني حفيد صاحب «الفصول» ص ٢ طبع طهران سنة ١٣٤٣هـ.
- ٧٠ - نخبة المقال في علم الرجال: للسيد حسين البروجردي، ص ٨٨، طبع طهران سنة ١٣١٣هـ.
- ٧١ - نقد الرجال: للسيد مصطفى التفرشي، لا تحضرنا نسخته لنعين الصفحة منه، وقد طبع في طهران عام ١٣١٨هـ.
- ٧٢ - نقض الفضائح: للشيخ عبد الجليل القزويني الرازي، ص ١٨٠، طبع طهران سنة ١٣٧١هـ.
- ٧٣ - نهاية الدراية: للسيد حسن الصدر، ص ٢٣٨ - ٢٤٩، طبع لکنهو سنة ١٣٢٣هـ.
- ٧٤ - هدية الأحاب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب: ص ١٦٨، طبع النجف ١٣٤٩هـ.
- ٧٥ - الوجيزة: للشيخ محمد باقر المجلسي صاحب «البحار»، ص ١٦٣، طبع طهران سنة ١٣١٢هـ.
- ٧٦ - الوجيزة: للشيخ بهاء الدين محمد العاملي، ص ١٨٤، طبع طهران سنة ١٣١١هـ.
- ٧٧ - وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: للشيخ محمد الحرّ

العالمي، ج ٣.

٧٨ - وصول الأخبار الى أصول الأخبار: للشيخ حسين العالمي والد الشيخ البهائي ص ٧١ طبع طهران سنة ١٣٠٦ هـ.

هذا ما أمكننا القيام به خدمة لشيخ الطائفة أجزل الله أجره، وكان ذلك من أحلى أمانينا وأعذبها، حيث كنا نفكر في ذلك منذ زمن بعيد، فقد كنا عقدنا النية على إصدار كتابين ندرس في الأول حياة كل من المحمدين الثلاثة المتقدمة: (١) محمد بن يعقوب الكليني صاحب «الكافي». (٢) الشيخ الصدوق محمد بن علي القمي صاحب «من لا يحضره الفقيه». (٣) شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمهم الله. وفي الثاني المحمدين الثلاثة المتأخرين: (١) محمد بن مرتضى الشهر بالفيز صاحب «الوافي». (٢) محمد بن الحسن الحرّ العاملي صاحب «الوسائل». (٣) محمد باقر بن محمد تقي المجلسي صاحب «البحار»^(٥) أداءً لحقهم واعترافاً بفضلهم، غير أنّ تراكم الأشغال وكثرة العوارض حالاً بيننا وبين هذه الأمنية...

وكتبه بأنامله المرتعشة في داره في النجف الأشرف ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رجب سنة ست وسبعين^{١٢٦٣} وثلاثمائة وألف.

الفاني

أغا بزرگ الطهراني

عفا الله عنه

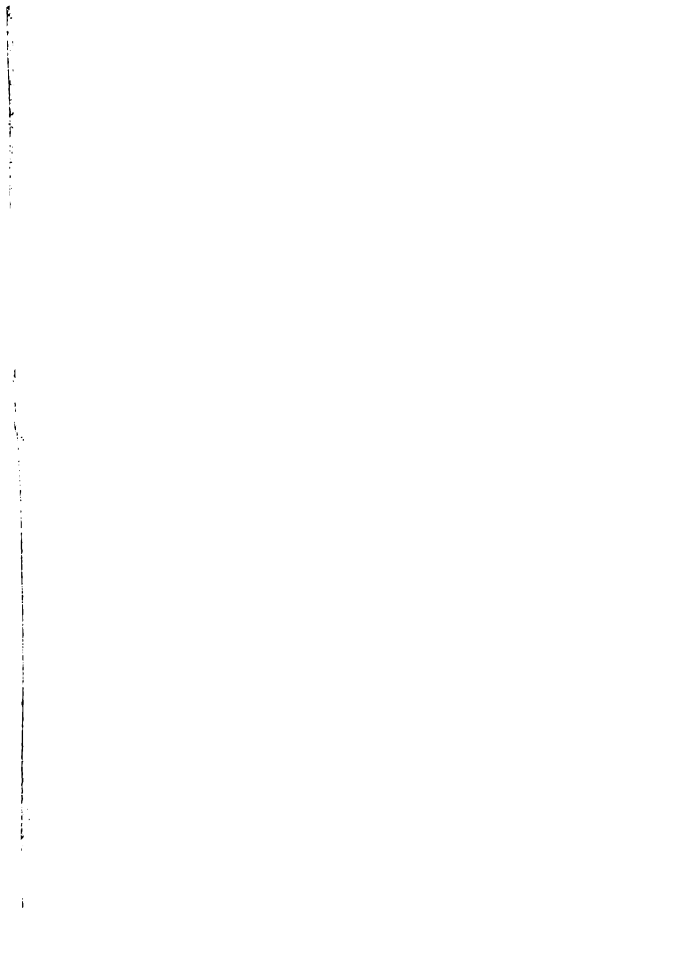
(٥) هؤلاء الستة من أقطاب هذه الطائفة وعمدها وأركانها وحفظة آئارها ومآثرها، وهم على الشيعة الامامية فضل لا ينكر ومطة عظيمة، وعلى كتبهم حتى يوم الناس هذا مدار العمل، وتسمى مؤلفات المتقدمين بالكتب الأربعة، ومؤلفات المتأخرين بالجوامع المتأخرة.

عرض موجز لتأريخ التفسير عند الشيعة

بقلم:

العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحاني

يتناول بيان تعريف القرآن بنفسه، وموقف النبي وأهل بيته الطاهرين، في مجال تفسيره، وما قام به أعلام الشيعة طيلة أربعة عشر قرناً، منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا اليوم من خدمات كبرى في شتى أصعدة التفسير، تدويناً وتطويراً، وذكر أساء مشاهيرهم، ونقد الاتهامات الموجهة إلى تفاسير العترة وشيعتهم نقداً موضوعياً هادئاً.



الشيعية والتفسير

تدويناً وتطويراً

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ التعرّف على عظمة القرآن الكريم وقيّمته المثلى، لا يتوقّف على الرجوع إلى كاتب شرقيّ وناطق غربيّ... إلى هذا العالم أو ذاك الباحث، لغرض جمع الشواهد على عظّمته، وسموّ منزلته، وإن كانت هذه الشواهد من مختلف الطبقات لها مكانتها الخاصّة. ومن حسن الحظّ أنّ هناك كمّيّة هائلة من الدلائل على علوّ شأنه، وسموّ مقامه، في اللفظ والمعنى، وفي الشكل والمحتوى، يعرفها كلّ من وقف على الدراسات القرآنيّة التي قام بها الباحثون، من شرقيّهم وغربيّهم، منذ نزول القرآن إلى عصرنا هذا.

غير أن هناك طريقاً متقناً للاطلاع على شأن القرآن الكريم، وعلوّ مقاصده، وهو الرجوع إلى نفس ذلك الكتاب العزيز، واستنطاقه في هذا المجال، والجنوؤ أمامه واستفساره، وما ذاك إلّا لأنّ الكلّ معترفون بأنّه لا يبالغ في إخباره وتقويمه، وأنّ كلّ شيء منه، حتى كلمه وحروفه جاءت في الآيات وفق حسابات دقيقة، بلا إفراط ولا تفريط. وعلى هذا الأساس نرجع إلى الذكر الحكيم، ونسأله عن أهدافه وأبعاده، وموقفه من الإنسان في الهداية والضلالة، والسعادة والشقاء، والسلم والحرب، إلى غير ذلك من

الأبعاد الكثيرة التي يجدها الباحث المتعمق في ذلك الكتاب. ولكن هذه الدراسة ليست دراسة مختصرة، بل يمكن أن تقع موضوعاً لبحث خاص للدارسين له، حسب التفسير الموضوعي.

وبما أن الهدف ليس هو التوسع في ذلك، فلنقتصر على نصوص الآيات المليئة بالنكات:

١ - القرآن نور وضياء للقلوب والعقول. قال سبحانه: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ»^(١).

٢ - القرآن كتاب هداية للمتقين وذوي القلوب المستعدة. قال سبحانه: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»^(٢).

٣ - القرآن كتاب نفيس مشحون بالمثل والقيم. قال سبحانه: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»^(٣).

٤ - القرآن كتاب الظفر والانتصار بعيد عن وصمة الهزيمة والخذلان. قال سبحانه: «إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ»^(٤).

٥ - القرآن زاخر بالحكمة والموعظة والبرهنة. قال سبحانه: «يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ»^(٥).

٦ - القرآن فيه من العظمة والجلالة والمقدرة لونزل على الجبل لتصدع أمامه. قال سبحانه: «لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»^(٦).

(٢) البقرة: ٢.

(١) المائدة: ١٥.

(٤) فصلت: ٤١.

(٣) الواقعة: ٧٨.

(٦) الحشر: ٢١.

(٥) يس: ١ - ٢.

٧ - القرآن يهدي إلى الطريق المستقيم، الذي ليس فيه عوج، ولا أمت. قال سبحانه: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»^(١).

٨ - القرآن سليم من التناقض، والاختلاف في التعبير والمضمون. قال سبحانه: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(٢).

٩ - القرآن كتاب يدور مع الحق حيث دار، والحق يدور معه. قال سبحانه: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ»^(٣).

١٠ - القرآن كتاب مبارك، حافل بالمعارف والمواعظ التي توقظ العقول، وتذكر القلوب. قال سبحانه: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ»^(٤).

١١ - القرآن كتاب أنزله سبحانه على رسوله، ليبلغه إلى الناس حتى يقوموا بالقسط. قال سبحانه: «وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»^(٥).

١٢ - إن القرآن يتضمن أمثالا بديعة، تهدف إلى معان سامية في سبيل إيجاد نهضة فكرية بين البشر. قال سبحانه: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ»^(٦).

١٣ - القرآن كتاب التزكية للأرواح، والتصفية للقلوب. قال سبحانه: «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^(٧).

(٢) النساء: ٨٢.

(٤) ص: ٢٩.

(٦) الكهف: ٥٤.

(١) الاسراء: ٩.

(٣) البقرة: ١٧٦.

(٥) الحديد: ٢٥.

(٧) الجمعة: ٢.

١٤ - القرآن جاء بأحسن الحديث وأتقنه، بحيث تتقبله النفوس بسرعة، وتعيه العقول بدون عناء. قال سبحانه: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً...»^(١).

١٥ - القرآن يتلو علينا أحسن القصص وأجملها، مما فيه العبر الغالية. قال سبحانه: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...»^(٢).

١٦ - القرآن يبين كلَّ دقيق وجليل، مما له صلة بسعادة الانسان وشقائه. قال سبحانه: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ...»^(٣).

١٧ - القرآن أفضل فرقان لتمييز الحق من الباطل، وخير محك لمعرفة السراب عن الماء. قال سبحانه: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»^(٤).

١٨ - القرآن خير دليل على صدق النبي في نبوته ورسالته، لفصاحة ألفاظه، وجمال عباراته، وبلاغة معانيه وسموها، وروعة نظمه وتأليفه، وبداعة أسلوبه. قال سبحانه: «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ»^(٥).

١٩ - القرآن ذكر وتذكير لما يعرفه الإنسان بفطرته السليمة. قال سبحانه: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ»^(٦).

٢٠ - وفي الختام نقول: إنّ القرآن كتاب يربو عن الريب واعتراء الشك. قال سبحانه: «تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٧).

(٢) يوسف: ٣.

(١) الزمر: ٢٣.

(٤) الفرقان: ١.

(٣) النحل: ٧٩.

(٦) القمر: ٣٢.

(٥) العنكبوت: ٥١.

(٧) السجدة: ٢.

لقد أنزل الله سبحانه القرآن الكريم على قلب سيّد المرسلين، ليكون للعالمين نذيراً، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبيل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ويكون مهيمناً لما بين يدي النبي من الكتاب. قال سبحانه: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ بِالْحَقِّ مَصْدَقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ»^(١)، وقاضياً بين بني إسرائيل فيما يختلفون. قال سبحانه: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَتْلُو عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»^(٢).

ولأجل تلك المكانة العليا التي حظي بها، صار الحجة القوّة للنبي الأكرم في عصره وحياته، والمعجزة الخالدة بعد حياته، على مرّ العصور والاحقاب. وما ذلك إلّا لأنّ الدين الخالد، والرسالة الأبديّة يحتاج في قضاء العقل إلى حجة قويّة، ومعجزة خالدة، تشقّ الطريق، وتبهر المسير «حتّى لا يكون للّباس على الله حُجّة»، بل يكون لله الحجة البالغة... نزل القرآن الكريم نجوماً منذ بعثة النبي إلى أخريات أيّامه في بضع وعشرين سنة، ففرع الآذان حتى وصل إلى الجنان، وملك مجامع قلوب الناس، وسيطر على أحاسيسهم ومشاعرهم، فدخل الناس في طاعة القرآن زرافاتٍ ووحداً، فأقام النبي الأكرم صرح الحقّ على أنقاض الباطل، بفضل الكتاب الكريم وحجته الخالدة.

هذه لمحة خاطفة عن مكانة القرآن، وتأثيره في النفوس، أخذناها من الكتاب العزيز نفسه، ولانطيل الكلام فيه. كيف وقد أفاض المحققون الكلام في رسائلهم وكتبهم فيه؟! وإنّا الهدف في المقام الإيعاز إلى مقام به

المسلمون من أروع الخدمات في سبيل كتابهم، على وجه لا تجد له مثيلاً لدى أصحاب الشرائع والديانات، حتى صارت تلك الخدمات حافزاً لتأسيس علوم خاصة لفهم كتاب الله سبحانه، فدوّنوا علم النحو والصرف، وعلوم البلاغة والفصاحة، والقراءة والتجويد، وقسماً من التاريخ والمغازي والفقه، لفهم القرآن العزيز. وفي ظلّ تلك العلوم بقي القرآن مفهوماً للأجيال، وصارت اللغة العربية لغة خالدة على جبين الدهر. ولقد شارك المسلمون عامة لتسهيل فهم القرآن في تأليف كتب ورسائل خاصة، في مجالات مختلفة، اختفلت بذكرها المعاجم والفهارس، منذ رحلة النبي الأكرم إلى يومنا. فلا تجد ظرفاً من الظروف إلا فيه اهتمام كبير بفهم القرآن، وتفسير مفاهيمه السامية بصور مختلفة، كل ذلك بإخلاص ونية طاهرة، من غير فرق بين السنة والشيعة. فخدم القرآن ومفسروه - شكر الله مساعيهم - أذوا وظائفهم الكبرى في سبيل رسالتهم الإسلامية، ولن تجد أمة خدمت كتابها الديني مثل الأمة الإسلامية طوال قرون، فقد خدموه بشئ. ألوان الخدمة، بحيث يعسر إحصاؤها وحصرها. ولوقنا بجمع ما ألف حول القرآن في القرون الغابرة، لجاء مكتبة ضخمة، تأتي فهارسها في أجزاء كثيرة.

كما إنك لا تجد كتاباً سماوياً، أوجد رجة وتحولاً في الحياة البشرية مثلما أوجده القرآن الكريم في حياة الأمم. فهو كون الأمة الإسلامية وأرسل كيائها، وأعطى لها دستوراً كاملاً في مجال الحياة العامة. وهذا من خصائص الأمة الإسلامية في القرآن الكريم.

إنّ كتاب «التبيان» - الذي يزقه الطبع الى القراء - ثمرة يانعة من ثمار مدرسة الشيعة في مجال التفسير، وهو تأليف شيخ الطائفة وأستاذ الشيعة في

القرن الخامس (٣٨٥ - ٤٦٠) هو أحد تلك الخدمات الجليلة النفيسة في هذا المجال.

وقد قدم شيخ الباحثين المحقق آغا بزرك الطهراني (قدس سرّه) على هذا التفسير بمقدمة نفيسة، استعرض فيها حياة الشيخ العلمية، وخدماته الجليلة، وما قاساه على يد السلطة في تلك الظروف العصيبة. ولما عازمت «مؤسسة النشر الإسلامي» على إعادة طبعه طبعة محققة جديدة، طلبت منّي أن أردف تلك المقدمة ببحث موجز حول جهود الشيعة في مجال التفسير، منذ عصر الرسالة إلى عصرنا هذا، على وجه الإيجاز والاختصار، مقتصرأً في كل قرن على ذكر لفيف من أعلام التفسير، وما ذلك إلاّ لأنّ التوسّع في ذلك المجال يوجبنا إلى تأليف كتاب مستقلّ خارج عن نطاق التقديم. ولعلّ الله سبحانه يقيّض بعض الباحثين من أصحابنا لتأليف معجم خاصّ في ذلك الموضوع، إنّه على ذلك قدير.

فها نحن نأتي بأسماء أعلام التفسير - بعد الرسول والأئمة المعصومين - من الشيعة، أفاض الله على الجميع شآبيب الرحمة والرضوان. ولكنّ ذلك بعد تبين موقف الرسول الأعظم وأئمة أهل البيت من الكتاب العزيز.

الرسول الأكرم هو المفسر الأوّل:

إنّ مهمّة الرسول لم تكن منحصرة في تلاوة القرآن الكريم، وإقرائه للناس، بل كان عليه وراء ذلك، تبين معالمه، وتوضيح مقاصده. يقول سبحانه: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^(١).

نرى أنه سبحانه يقول «لِتُبَيِّنَ» مكان لتقرأ فمهمة الرسول الخطيرة هي توضيح مفاهيم الذكر الحكيم، وسر أغواره. ولجل ذلك كان الرسول يفسر الآيات واحدة بعد أخرى أو مجموعة بعد مجموعة.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنها كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة^(١).

فاذا كان الرسول مأموراً من جانبه سبحانه ببيان القرآن وتفسيره، فأين هذه الأحاديث التي صدع بها الرسول ووعاها السلف الصالح؟.

نرى أن جميع ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التفاسير المصرح برفعها إليه - غير ماورد من أسباب النزول - لا يتجاوز المائتين وعشرين حديثاً تقريباً. وقد أتعب جلال الدين السيوطي نفسه، فجمعها من مطاوي الكتب في آخر كتابه الأتقان، فرتبها على ترتيب السور من الفاتحة إلى سورة الناس^(٢). ومن المعلوم أن هذا المقدار لا يفي بتفسير القرآن الكريم، ولا يمكن لنا القول بأنه صلى الله عليه وآله وسلم تقاس عن مهمته، أو أنه لم يكن مأموراً بأزيد من ذلك.

نعم؛ قام الرسول بمهمته الكبيرة مع ماله من الواجبات الوافرة تجاه رسالته، ووعتها أذن واعية، وبلغها إلى المستحفظين من أمة الرسول

(١) الاتقان (جلال الدين السيوطي): ج ٤ ص ١٧٥ - ١٧٦ ط مصر.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٠

صلى الله عليه وآله وسلم، غير أن أهل السنة - إذ لم يهتموا بالأخذ والنقل من تلكم الآذان الواعية - قصرت أيديهم عن أحاديث الرسول الأعظم في مجال التفسير. فلو أنهم رجعوا إلى باب علم النبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته المطهرين من الرجس بنصّ الذكر الحكيم^(١) لوقفوا على كمية هائلة من أحاديث الرسول حول القرآن وتفسيره عن طرقهم، منتهية إلى صاحب الرسالة، وإنّ هذا والله لخسارة كبيرة، وحرمان أصاب أهل السنة والجماعة، حيث أخذوا الحديث من نظراء كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وتميم الداري، وأمثالهم ومُسلمة أهل الكتاب، أو أخذوا من أناس كانوا يأخذون قصص الأنبياء، وبدء الخليقة من أهل الكتاب^(٢)، ولم يدقوا باب أهل بيته حتى يسألوهم عما ورثوه عن رسول الله، وقد قال سبحانه: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...»^{(٣)(٤)}.

ولأجل ذلك قامت الشيعة بتدوين آثار الرسول عن طريق أهل بيته، فألفوا في هذا المضمار كتباً جليلة، تفسر القرآن الكريم بالأثر المروي عنه وعن أهل بيته، كما ستوافيك أسماؤها وأسماء مصنفها، عند البحث عن مفسري الشيعة في القرون الأولى. ولنذكر نماذج مما أثر عن النبي الأكرم في مجال التفسير تيمناً وتبركاً.

١ - لما نزل قوله سبحانه: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) المقدمة (ابن خلدون): ص ٤٣٩، ولاحظ «بحوث في الملل والنحل: ج ١ ص ٧٦-١٠٨».

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) فلازم على الباحث أن يبحث عن المصطفين من عباده سبحانه الذين أورثهم فهم الكتاب حقه.

الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدَ مِنَ الْفَجْرِ»^(١). قال عدي بن حاتم: إني وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود، فكنت أنظر فيهما، فلا يتبين لي. فضحك رسول الله حتى رؤيت نواجزه ثم قال: «ذلك بياض النهار، وسواد الليل»^(٢).

٢ - روى علي عليه السلام في تفسير قوله سبحانه: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»^(٣). قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ماجزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إِلَّا الْجَنَّةَ»^(٤)، فالإيمان بتوحيد ذاته وصفاته وأفعاله عمل العبد، قدّمه إلى بارئهِ، فيجزيه بالجنة. وفي الوقت نفسه كلاهما من جانبه سبحانه، فهو الذي يوفق عبده للإيمان.

٣ - ولَمَّا نَزَلَ قَوْلُ سُبْحَانَهُ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»^(٥). فقال أصحابه: وآئنا لم نظلم أنفسه؟ ففسّر النبي الظلم بالشرك، لقوله سبحانه: «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»^(٦) وهذا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن. كيف والله سبحانه يصفه بأنه تبيان لكل شيء، ويقول: «نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»^(٧) فهل يمكن أن يكون تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه؟

* * *

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٨١ ط صيدا.

(٤) تفسير البرهان: ج ٤ ص ٢٧٢.

(١) البقرة: ١٨٧.

(٣) الرحمن: ٦٠.

(٥) الأنعام: ٨٢.

(٦) الا تقان (جلال الدين السيوطي): ج ٤ ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٧) النحل: ٨٩.

الوصي هو المفسر الثاني:

من سبر كتب التفسير والحديث يجد أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو المفسر الأكبر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعنه أخذ كثير من الصحابة. قال السيوطي: أما الخلفاء فأكثر ما روي عنه منهم علي بن أبي طالب عليه السلام، والرواية من الثلاثة نزرة جداً، فأما علي عليه السلام فروي عنه الكثير. وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل قال شهدت علياً يخطب، فيقول: «فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسألوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليّ نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود، قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عياش، عن نصير بن سليمان الأحمسي، عن أبيه، عن علي، قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت؟ وأين أنزلت؟ أن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤلاً^(١).

يقول الذهبي في مكانة «علي» في التفسير: جمع علي رضي الله عنه إلى مهارته في القضاء والفتوى، علمه بكتاب الله وفهمه لأسراره، وخفي معانيه، فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل، ومعرفة التأويل. فقد روي عن ابن عباس أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب

(١) الاتقان (جلال الدين السيوطي): ج ٤ ص ٢٠٤ ط مصر.

عليه السلام^(١)

عشرة لا تقال:

إنَّ الدكتور محمد حسين الذهبي جعل علي بن أبي طالب - بحسب كثرة من روى عنه - في الدرجة الثالثة، وجعل عبدالله بن عباس في الدرجة الأولى، ثم ابن مسعود في الدرجة الثانية^(٢). والرجل بخس حقَّ عليَّ بخساً بيتناً، فلو سلَّمنا أنَّ ماروي عن ابن عباس أكثر مما روي عن أمير المؤمنين، فهل يمكن لنا أن ننكر اعتراف جبر الأمة بأنه تخرَّج على يد علي بن أبي طالب وأنَّ ما أخذ من تفسير القرآن فإنَّما أخذه عن علي بن أبي طالب؟! كيف لا، وقد لازم علياً قرابة ثلاثين سنة كما هو واضح لمن درس حياته؟! قال ابن أبي الحديد: ومن العلم علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرَّع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأنَّ أكثره عنه وعن عبدالله بن عباس. وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنَّه تلميذه وخريجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط^(٣).

ومن أراد أن يقف على نموذج من علم الامام بالتفسير وأقسامه المختلفة، فعليه الرجوع إلى الخطبة المروية عنه حول القرآن وأقسام تفسيره، وقد رواها القمي في أول كتابه، وأدرجه البحراني في تفسيره، عند البحث عن

(١) التفسير والمفسرون (للذهبي): ج ١ ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شرح النهج (لابن أبي الحديد): ج ١ ص ١٩.

وقتادة الدوسي.

ولكنه تنكّب عن مهيع الطريق، فلم يعد الحسن والحسين ممن روي عنهما التفسير من الصحابة، كما لم يعد الامام زين العابدين، ومحمداً الباقر وجعفر الصادق في التابعين الذين روي عنهم التفسير. وهب أنه لم يستقص رواة التفسير من الصحابة حتّى يكون له عذر في ترك ذكر الامامين الهمامين السبطين الشريفين، ولكنّه لماذا لم يذكر أئمة المسلمين وسادة العارفين والصادقين عليهم السلام الذين روي عنهم العلوم في مجالات شتى، وفي التفسير خاصّة، حتّى نقل الناس عن أحدهم، وهو الامام جعفر الصادق عليه السلام من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان.

هذا هو الرازيّ يقول في تفسيره سورة الكوثر: «ثمّ انظر كم كان فيهم (أولاد الرسول) من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق، والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم»^(١).

هذا هو الحسن البصريّ الذي أثنى عليه الذهبيّ ثناءً جزيلاً يكتب إلى السبط الأكبر - الذي أهمل ذكره - قائلاً: «فإنكم معشر بني هاشم، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، والأعلام النيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون»^(٢).

اوليس عدم الاشارة بذكره وذكر أخيه بخساً لحقهم؟ وإن كانت الأئمة الطاهرون الذين أسميناهم، والذين من بعدهم أعرف من أن يُعرفوا،

(١) مفاتيح الغيب (الرازي): ج ٨ ص ٤٩٨، الطبعة المصرية في ثمانية أجزاء.

(٢) تحف العقول (الحرّاني): ص ١٦٦، طبع بيروت.

وهم رواد العلم وقادته، إليهم تنسب كل فضيلة غالية، سواء أتى على ذكرهم الذهبي أم لم يأت.

من تلقى منهم تلقى كهلاً أوفئى علم الهدى، بحر الندى المورودا ولأجل ذلك نذكر في مقدم المقال أثمة الشيعة، وهم أثمة المسلمين جميعاً، وننقل عن كل واحد نزراً يسيراً في مجال التفسير، ومن أراد الاستيعاب في المقام، فعليه الرجوع إلى كتب التفسير بالأثر، ليجد فيها بُغيته كما يقف بالرجوع إليها على مدى تقصير القوم - الذهبي وأساتذته - في غابر القرون^(١) عن الرجوع إليهم، والاشادة بذكرهم والاستضاءة بأنوارهم. على أننا نختار من المأثورات الكثيرة عنهم في مجال التفسير ما يدور على أحد المحاور الثلاثة: إما أن يكون تفسيراً للآية بأختها، أو تفسيراً لغويّاً وبيانيّاً، أو استدلالاً بالآية على مبدأ اعتقاديّ، وإن كانت ألوان التفسير في رواياتهم متشعبة، وذافنون عديدة.

نماذج مما روي عن أمير المؤمنين في مجال التفسير:

كان عليه السلام يستخرج محاسن المعاني عن الآيات مما يهر العيون ويحير العقول قال صلوات الله عليه بعد رحلة الرسول:

١ - «كان في الأرض أمانان من عذاب الله، فقد رفع أحدهما فدونكم الآخر، فتمسكوا به أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله، وأما الأمان الباقي فهو الاستغفار. قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا

(١) كالحافظ شمس الدين الداودي في طبقات المفسرين، وعادل نوهرض في معجم المفسرين، وأخيراً الذهبي في التفسير والمفسرين.

كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»^(١).

٢ - ومن محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط قضاؤه في أقل الحمل، وفهمه من كتاب الله سبحانه مايلي:

«أخرج الحفاظ أبو حاتم والبيهقي عن الدثلي: أَنَّ عمر بن الخطاب رفعت إليه امرأة ولدت لستة فهمَ برجمها. فبلغ ذلك علياً، فقال: «ليس عليها رجم» فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه، فسأله، فقال: قال الله تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» وقال: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» فستة أشهر حمله، وفصاله في حولين، وذلك ثلاثون شهراً فخلّى عنه، فقال عمر: اللَّهُمَّ لَا تَبْقِي لِمَعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ»^(٢).

٣ - سأل يهودي علياً عليه السلام عن مدة لبث أصحاب الكهف، فقال: «وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثُمِائَةِ سَنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا». فقال اليهودي: إِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِنَا: ثَلَاثُمِائَةٍ، فقال عليه السلام: «ذَاكَ بِسَنَى الشَّمْسِ، وَهَذَا بِسَنَى الْقَمَرِ». وبذلك بَيَّنَّ الامام وجه عدول الآية عن التعبير الرائج في أمثال المقام إلى ماورد فيها، فَإِنَّ التعبير الرائج فيها هو فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين، ولكنّه عبّر عنه بقوله: «... وَأَزْدَادُوا تِسْعًا»، وما هذا إِلَّا للإشارة إلى أَنَّ التعبيرين كليهما صحيحان، واحد منها بالسنوات الشمسية، والآخر بالقمرية.

وكم لعلّي من هذه المواقف في استخراج حكم الوقائع من كتاب الله وسنة نبيّه، وكم له من حلّ للمعضلات من الأمور عن طريق تفسير

(١) نهج البلاغة (الرضي): قسم الحكم، الحكمة رقم ٨٨.

(٢) السنن الكبرى (البيهقي): ج ٧ ص ٤٤٢، ولاحظ تفسير الرازي: ج ٧ ص ٤ الطبعة المصرية القديمة.

الكتاب، وبما أنها مبسوثة في الكتب، مشهورة بين المحدثين والمفسرين اكتفينا بهذه النماذج.

* * *

الحسن بن علي والتفسير:

الحسن بن علي هو السبط الأكبر، وريحانة رسول الله، ووارث علم أبيه، وحامل راية الامامة بعده، بتنصيب من الرسول والوالد، وقد أثر عنه في مجال التفسير ما تعلو عليه القوة والجدارة، رغم مامنية به آثاره من إغراض وإنكار. وإليك نماذج من آرائه في القرآن وتفسيره:

«إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجلّ جلال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإنّ التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»^(١).

«ما بقي من الدنيا بقية غير هذا القرآن، فاتخذوه إماماً يدلّكم على هُداكم، وإنّ أحقّ الناس من عمل به، وإن لم يحفظه، وأبعدهم من لم يعمل به، وإن كان يقرأه»^(٢).

«إنّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائداً وسائقاً، يقود قوماً إلى الجنة، أحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، ويسوق قوماً إلى النار، ضيّعوا حدوده وأحكامه، واستحلّوا محارمه»^(٣).

«من قال في القرآن برأيه، فاصاب، فقد أخطأ»^(٤).

(١) كشف الغمة (الاربلّي): ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) إرشاد القلوب (الدليمي): ص ٨١. (٣) و(٤) نفس المصدر.

وإليك نماذج مما روي عنه في مجال التفسير:

١ - سئل عليه السلام عن معنى الشاهد والمشهود، في قوله سبحانه: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»^(١). فقال: أمّا الشاهد فحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا...»^(٢). وقال تعالى: «وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ»^(٣)^(٤). وهذا كما ترى تفسير للقرآن بالقرآن وكم له نظائر في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٢ - وسئل عن تفسير قوله تعالى: «...آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» قال: هي العلم والعبادة في الدنيا، والجنة في الآخرة»^(٥) فقد نبّه الامام في كلامه هذا إلى ما يغفل عنه أكثر العامة، إذ آية حسنة أعلى من العلم والمعرفة، وعبادته سبحانه في الدنيا؟ وثمرة المعرفة هي الطاعة والعبادة.

٣ - كان الحسن بن عليّ إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ، وَحُبُّ الْجَمَالِ» فأَتَجَمَّلُ لِرَبِّي، وقرأ: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ»^(٦). فالصلاة وفود العبد إلى الله سبحانه، فيليق بالوافد أن يحضر بأجمل الحالات، وأحسن الأوضاع، لأنّ الموفود إليه مالك الملك والملكوت.

* * *

(٢) الأحزاب: ٤٥.

(١) البروج: ٣.

(٤) بحار الأنوار (المجلسي): ج ١ ص ١٣.

(٣) هود: ١٠٣.

(٥) الاثنا عشرية (الحسيني): ص ٥٣.

(٦) تفسير الصافي (الفيض الكاشاني): ج ٢ ص ١٨٩ ط بيروت.

الامام السبط الشهيد والتفسير:

الامام السبط الشهيد ربحانة رسول الله، وسبطه الأصغر، وهو من أهل بيت النبوة بنص من النبي الأكرم، وقد استشهد عام ٦١ في أرض الطف بيد الجور والعُدوان. وقد عاصر الامام خلافة معاوية عشر سنين، وكانت سياسة ذلك الداهية هي سياسة القمع والارهاب فلم ينتشر من الامام إلا بعض خطبه ورسائله، وكلماته الحكيمة. ومع ذلك في هذا النزر اليسير الذي أفلت من يد الأيام، الحجة البالغة والبرهان اللائح على أنه وارث علم النبي وعلم أبيه، كيف وهو من الثقلين اللذين أمر النبي بالتمسك بهما؟ وإليك نماذج مما أثر عنه في مجال التفسير:

١ - كتب أهل البصرة إليه يسألونه عن «الصمد» فكتب إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد؛ فلاتخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله سبحانه قد فسر الصمد، فقال: «الله أحد، الله الصمد» ثم فسره فقال: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». لم يلد: لم يخرج منه شيء كثيف كالولد، وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البدوات كالسننة، والنوم، والخطرة، والهَم، والحزن، والهجرة، والضحك، والبكاء، والخوف، والرجاء، والرغبة، والسأمة، والجوع، والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف... بل هو الله الصمد الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء. مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق

للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال»^(١).

٢ - سأله رجل عن معنى قوله سبحانه: «يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ»^(٢) فقال عليه السلام: «إمام دعا إلى الله فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى الضلالة فأجابوه إليها. هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار. وهو قول الله عز وجل: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»^(٣).

٣ - سأله نصر بن مالك، وقال: يا أبا عبد الله حدثني عن قول الله عز وجل: «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ»^(٤) فقال عليه السلام: «نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. فنحن وإيتاهم الخصمان يوم القيامة»^(٥) والأمام فسر الآية بالتنبيه على المصداق الواضح. وعلى هذا جروا في تفسيرهم للآيات القرآنية، فهم يفسرونها بمصاديق واضحة، وجزئيات خاصة، ولا يريدون انحصار مفهومها فيه.

٤ - سئل عن معنى قول الله: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^(٦)، فقال عليه السلام: «أمر النبي أن يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه»^(٧) وقد لفت الامام في هذا التفسير نظر السائل إلى أظهر مصاديق النعمة وأكملها، بما ربما يغفل عنه الإنسان، ويتصور أن النعم التي يجب التحدث بها هي

(١) التوحيد (الصدوق): ص ٥٦. (٢) الاسراء: ٧١.

(٣) الشورى: ٧. (٤) و ٦) بلاغة الحسين (مصطفى الموسوي الخائري): ص ٨٧.

(٥) الحج: ١٩. (٦) الضحى: ١١٩.

(٨) الصافي (الفيض الكاشاني): ج ٣ ص ٣٦٨. ونور الثقلين (عبد علي): ج ٣ ص ٤٧٦ نقلًا عن الحاصل.

النعم الدنيوية، مع أنها ضئيلة في مقابل النعم الأخروية، فقد قلنا: إن هذا النمط من التفسير في كلامهم كثير، وهذا التفسير هو ما يسميه العلامة الطباطبائي بالجري والتطبيق. ولا يراد انحصار الآية في المصداق الخاص، وربما يتصور الجاهل بأن هذا النوع من التفسير تفسير بالرأي أو تفسير بالباطن، غافلاً عن أنه تفسير بالمصداق والتطبيق، لأن إعطاء الضابطة بالمثال أوقع في النفوس، وأقرب إلى ترسيخها فيها، خصوصاً إذا كان المصداق مما يغفل عنه المخاطب.

وهذه نماذج ماروي عن الامام السبط الشهيد، حسين الالباء والعظمة أبي الشهداء، سلام الله عليه سلاماً لانهاية له.

زين العابدين والتفسير:

الامام زين العابدين، إمام العارفين، وقائد الزاهدين، وسيد الساجدين، رابع أئمة العصمة والطهارة، ولد بالمدينة المنورة سنة ست وثلاثين من الهجرة يوم فتح البصرة، ونزول النصر على أبي الأئمة، وتوفي فيها سنة تسع وخمسين مسموماً، ودفن بالبقيع، وعاش مع جده علي أربع سنين، ومع عمه الحسن عشر سنين، ومع أبيه كذلك، إلى أن استلم الوصاية والولاية من أبيه.

ومن آثاره الباقية أدعيته المعروفة بالصحيفة السجادية، وقد بلغت في جزالة اللفظ، وبلاغة التعبير، وجودة السبك، ورقة المعاني، ولطافة المفاهيم مبلغاً، لا يدرك شأوه. كما روي عنه عليه السلام أحاديث وافرة في مجال التفسير، ونأتي بنماذج قليلة منها ليكون مثلاً لما لم نقله عنه:

١ - كان التقشف سائداً على زهاد عصره، فيتخلون أن الزهد في ترك

ملاذ الحياة وملابسها، ولبس الثوب الخشن، وأكل الطعام الجشب، مع أن ما ذكر من مظاهر الزهد لامن مقوماته وحقيقة الزهد يرجع إلى أن لا يملكه الإنسان شيء، فجاء رجل، فسأله عن الزهد، فقال: إِنَّ الزهد كله في آية من كتاب الله: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»^(١)^(٢).

فكان يشتري كساء الخرب خمسين ديناراً، ويقول: «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ»^(٣).

وعلى هذا مشى الأئمة فكان الحسن السبط - كما عرفت - إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فقتل الحسين وعليه جبّة خزّ، وكان للامام الصادق عليه السلام جبّة خزّ وطيلسان خزّ، فإذا سئل عن لبسه قرأ. قوله سبحانه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ»^(٤).

فالجاهل ينظر إلى الصور والظواهر، ويغترّبها، ويتخيّل أن كلّ متقشّف خشن الثوب والطعام زاهد، وإنّ ملأ قلبه حبّ الدنيا والرئاسة. والمؤمن ينظر إلى النيّات والبواطن، فمن كان قلبه فارغاً عن كلّ شيء إلّا حبه سبحانه، فهو زاهد بتمام معنى الكلمة، ولكن من علّق قلبه بثوب خلق، وعصّى بالية، فهو راغب غير زاهد.

٢ - سئل علي بن الحسين عن قوله سبحانه: «وَرَبَّلِ الْقُرْآنَ تَرْيِلاً»

(١) الحديد: ٢٣. (٢) مجمع البيان (الطبرسي): ج ٥ ص ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٤١٣، ورواه الآلوسيّ في روح المعاني: ج ٨ ص ١١١.

(٤) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٤١٢.

فقال: «معناه بيّنه تبياناً، ولا تنشره نثر البقل، ولا تهذه هذ الشعر»^(١)، فقفوا عند عجائبه، لتحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة»^(٢).

٣- قال سعيد بن جبیر: سألت علي بن الحسين عليه السلام عن قول الله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»: قال: هي قربابتنا أهل البيت^(٣). إِنَّ الآيات القرآنية تشهد على أَنَّ شعار الأنبياء في طريق دعوتهم كان دائماً هورفض الأجر، وعدم طلبه من الأمة، وكلهم يهتفون بهذا «إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٤).

وعند ذلك كيف يصح للنبي أن يبذل هذا الشعار، ويجعل مودة أقربائه أجراً على رسالته؟! والجواب عن هذا السؤال واضح. فإنَّ المراد هي الأجور الدنيوية التي كان بإمكان البشر تقديمها إلى الرسل. وأمّا مودة أهل بيتهم ولولائهم فليس أجراً دنيوياً، بل الاتصال بهم من خلال هذه المودة ذريعة لتكامل الأمة في المراحل الفكرية والعملية، فعندئذ تنتفع بها الأمة الاسلامية قبل أن تنتفع بها العترة، وفي هذه الصورة لا تكون المودة في القرى أجراً، وإن أُخرجت في الآية بصورة الأجر. ومن المعلوم أَنَّ الأمة الاسلامية إنما تنتفع ببعض اقرباء النبي لا كلهم، وهم أهل بيته الذين طهرهم الله عن الرجس.

٤- روى ابن كثير في تفسيره ذكر ماجرى بين الامام والرجل الشامي، يوم جيء به أسيراً إلى الشام، وقال له عن جهل بالامام: الحمد

(١) الهذ: القطع بسرعة.

(٢) النوادر (الراوندي): ص ٣٠ طبع مع غيبة الشيخ المفيد.

(٣) الجصاص: أحكام القرآن (الخصاص): ج ٣ ص ٤٧٥.

(٤) الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

لله الذي قتلكم، فقرأ علي بن الحسين عليه آيات من القرآن ومنها هذه الآية، وقال: «نحن قرابته»^(١).

الامام محمد الباقر(ع) والتفسير:

الامام محمد الباقر عليه السلام من أعلام أئمة أهل البيت، وأفذاذ العترة الطاهرة، قام بالأمامة والقيادة الروحية بعد أبيه زين العابدين، ولد عام (٥٧) ولبي دعوة ربه عام (١١٤)، وقد وقف حياته كلها لنشر العلم والحديث بين الناس، ولم يعرف التاريخ له مثيلاً إلا ولده البار جعفر الصادق، وقد غذى رجال الفكر، ورؤاد العلم بعلمه، وأرسى مدرسة كبيرة علمية، زخرت بكبار الفقهاء والمحدثين والمفسرين، يقف عليها من درس رجال الحديث في الشيعة، كما صرف قسماً كبيراً من عمره في تفسير القرآن، وقد تخرج عليه لفيف من المفسرين.

فهذا أبو الجارود زياد بن المنذر فسر القرآن من أوله إلى آخره. يقول النجاشي: له كتاب تفسير القرآن، رواه عن أبي جعفر عليه السلام^(٢).

وقال ابن النديم في الفهرست، عند عرضه للكتب المؤلفة في تفسير القرآن: «كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين رواه عنه أبو الجارود، زياد بن المنذر»^(٣) قد روي قسم منه في تفسير علي بن إبراهيم القمي،

(١) التفسير لابن كثير: ج ٤ ص ١١٢.

(٢) رجال النجاشي: ج ١ ص ٣٨٨ برقم ٤٤٦.

(٣) الفهرست (ابن النديم): ص ٥٦.

ومسنوافيك أسماء لفيف من تلامذته، وخرّيجي مدرسته، ممن آلفوا في مجال التفسير كتاباً، فانتظر.

نماذج من تفسير الإمام الباقر(ع):

١ - سئل الإمام عن معنى قوله سبحانه: «وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى»^(١)، وما هو المراد من غضب الله؟ فأجاب الإمام: «طرده وعقابه»^(٢)، وبذلك أعرب الإمام عن أنّ الصفات الخبرية، كالغضب والرضا، واليد والعين، وغير ذلك إنّما يجري على الله سبحانه، مجردة عن لوازم المادّة والجسمانيّات، فلانماصّ من تفسيره بمظاهر الغضب، وهو الطرد والعقاب.

٢ - سأل بريد العجليّ الإمام الباقر عليه السلام عن الملك العظيم في قوله تعالى: «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً»^(٣) فقال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، فهو الملك العظيم^(٤) فقد نوّه الإمام بتفسيره هذا أنّ الملك العظيم في لسان الشرع ليس هو السلطة الجبّارة التي تتركب رقاب الناس، من دون أن تكون لها أية مشروعية، وإنّما الملك العظيم من استند في سلطته إلى الله - سبحانه - تكون طاعته طاعته، وعصيانه عصيانه.

٣ - روى جابر الجعفي أنّه سأل الإمام عليه السلام عن قوله سبحانه:

(١) طه: ٨٢.

(٢) الفصول المهمة (ابن الصبّاغ المالكي): ص ٢٢٧. (٣) النساء: ٥٤.

(٤) الكافي (الكليني): ج ١٠ ص ٢٦٠.

«لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي»^(١). فقال الامام: «ما يقول فقهاء العراق في هذه الآية؟» قال جابر: رأى يعقوب عاصاً على إيهامه، فقال عليه السلام: حدثني أبي عن جدي علي بن أبي طالب عليه السلام: أَنَّ البرهان الذي رآه أنها حين همت به وهم بها، فقامت إلى صنم، فسترته بثوب ابيض خشية أن يراها، أو استحياءً منه. فقال لها يوسف: تستحين من صنم لا ينفع ولا يضر ولا يبصر؟ أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت؟ ثم قال: والله لا تنالين مني أبداً! فهو البرهان^(٢).

٤ - جلس قتادة المفسر المعروف بين يدي الامام الباقر عليه السلام وقال له: لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منها ما اضطرب قدامك. قال له أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ويحك أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي «بُيُوتِ أَذِنَ اللهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة»^(٣)، فأنت ثم ونحن اولئك»، فقال له قتادة: صدقت. والله - جعلني الله فداك - ماهي بيوت حجارة ولا طين^(٤).

٥ - روى جابر بن يزيد الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام أنه سئل عن قوله سبحانه: «وَلَا ضِلَّيْلُهُمْ وَلَا مَنِيْلُهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَسْبِكُنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ»^(٥)، فقال: «المقصود دين الله»^(٦) إن تفسير

(١) يوسف: ٢٤.

(٢) البداية والنهاية (ابن كثير): ج ٩ ص ٣١٠. (٣) النور: ٣٦ - ٣٧.

(٤) الكافي (الكليني): ج ٦ ص ٢٥٦. (٥) النساء: ١١٩.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٦.

«خلق الله» بـ «دين الله» ليس بأمر غريب، كيف لا؟ وقد أسمى سبحانه دين الله فطرة الله، وقال: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^(١).

٦ - إنَّ مذهب الامام في صلاة المسافر هو لزوم التقصير، لا التخيير بينه وبين الاتمام، كما عليه أئمة المذاهب الأخرى. فسأله بطلان من تلامذته زرارة ومحمد بن مسلم عن معنى قوله سبحانه: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ»^(٢)، وقالوا: كيف صار التقصير في السفر واجباً والله سبحانه يقول: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ. ولم يقل: افعلوا؟ فالامام فسر الآية بأختها، فقال: أوليس قال الله: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»^(٣) ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض، وأن الله عز وجل ذكره في كتابه، وصنعه نبيه، وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي، وذكره الله تعالى في كتابه^(٤).

٧ - اختلفت كلمة الفقهاء في وجوب استيعاب الرأس عند المسح أو كفاية البعض، فقد سأل زرارة الامام الباقر عليه السلام عن ذلك، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت، وقلت، إنَّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك فقال: يا زرارة قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونزل به الكتاب من الله عز وجل، لأنَّ الله عز وجل قال: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» فعرفنا أنَّ الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم

(١) الروم: ٣٠.

(٢) النساء: ١٠١.

(٣) البقرة: ١٥٨.

(٤) البرهان (البحراني): ج ١ ص ٤١٠.

قال: «وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنه ينبغي لهما، أَنْ يُغْسَلَا إِلَى الْمَرَافِقِ، ثُمَّ فَصَلَ بَيْنَ الْكَلَامِ فَقَالَ: «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ» فعرفنا حين قال: «(برؤوسكم)» أَنَّ الْمَسْحَ بَعْضُ الرَّأْسِ لِمَكَانِ الْبَاءِ، ثُمَّ وَصَلَ الرَّجْلَيْنِ بِالرَّأْسِ كَمَا وَصَلَ الْيَدَيْنِ بِالْوَجْهِ، فَقَالَ: «وَارْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» فعرفنا حين وصلهما بالرأس أَنَّ الْمَسْحَ عَلَى بَعْضِهِمَا، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ فَضَيَعُوهُ...^(١).

الامام جعفر الصادق (ع) والتفسير:

الامام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام من أبرز أئمة المسلمين، ولد في حجر الرسالة، ونشأ في بيت النبوة، وترعرع في ربوع الوحي، وتربى بين جدّه زين العابدين، وأبيه الامام الباقر عليه السلام ولد عام (٨٣)، واستشهد في خلافة المنصور عام (١٤٨). نشأ في عصر تنازعت فيه الأهواء، واضطربت فيه الأفكار، وتلاطمت أمواج الظلم والأرهاب. فبينما كان القوم يتنازعون في الرئاسة، والتستّم على عرش الخلافة، واشتعلت نيران الحرب بين الأمويين والعباسيين، اغتنم عليه السلام الفرصة وأعطى للأمة دروساً خالدة، وغدّى تلاميذه بروح العلم والتفكير، وغرس في قلوبهم بذور المعارف الالهية، وشحذ أذهانهم، وأرهف طباعهم، فتخرج من مدرسته أعلام يستضاء بأنوارهم.

وقد نقل المؤرخون أنه «نقل الناس عن الصادق عليه السلام من العلوم

(١) وسائل الشيعة (الحر العاملي): ج ١ الباب ٢٣ من أبواب الوضوء الحديث ١ ص ٢٩٠ - ٢٩١.

ماسارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم العلماء مانقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار، ولا نقلوا عنهم مثلما نقلوا عن أبي عبد الله، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل»^(١) وهم بين فقيه بارع، يفقي الناس في مسجد المدينة، كأبان بن تغلب^(٢)، ومفسر متضلع، ومحدث واع، إلى غير ذلك، حفظ التاريخ والرجال أسماءهم وللإمام خطوات واسعة في التفسير، وآثار خالدة جمعها بعده تلامذته، وسنشير إليها عند البحث عن مفسري الشيعة في القرون الإسلامية. وإليك نزرأ يسيراً من تفسيره، حتى يكون كنموذج من الينبوع المتفجر، وغير علمه الصافي:

١ - لقد كانت الزنادقة في عصر الصادق عليه السلام بصدد التشكيك في العقائد، وبذر الشبه في الأوساط. ومما كان تلوكه أشداقهم هو ما سأل به ابن أبي العوجاء، هشام بن الحكم فقال له: فأخبرني عن قول الله عز وجل: «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ تَفْعَلُوا فَوَاحِدَةً»^(٣). أليس هذا فرض؟ قال هشام: بلى. وقال: فأخبرني عن قوله عز وجل: «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُطَلَّاتِ»^(٤)، فقال ابن أبي العوجاء أي حكيم

(١) الأرشاد (المفيد): ص ٢٨٩ طبع إيران.

(٢) لاحظ الفهرست لابن النديم: ص ٣٢٢ ط مصر مطبعة الاستقامة. رجال النجاشي: ج ١ ص ٧٣ برقم ٦ ط بيروت وكل مانقله فهو من هذه الطبعة.

(٤) النساء: ١٢٩.

(٣) النساء: ٣.

يتكلم بهذا؟

فرحل هشام إلى المدينة، وقصد دارالامام الصادق عليه السلام، فقال: يا هشام في غير وقت حج ولا عمرة؟ قال: نعم - جعلت فداك - لأمر أهمني. إن ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة، لم يكن عندي فيها شيء قال: وما هي؟ قال: فأخبره بالقصة، فقال الامام: «فأما الآية الأولى فهي في النفقة. وأما الآية الثانية فإنما عنت المودة، فإنه لا يقدر واحد أن يعدل بين امرأتين في المودة». فقدم هشام بالجواب وأخبره. قال ابن أبي العوجاء: والله ما هذا من عندك. وفي حديث آخر قال: هذا حملته من الحجاز^(١).

٢ - إن قوله سبحانه: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى»^(٢) مما اضطرب فيه كلمات المفسرين في تبينها، وذهب كل إلى مذهب ورأي. ولكن الامام الصادق عليه السلام فسرّها بوجه واضح ينطبق على ظاهر الآية، فعندما سأل عبدالله بن سنان عن قول الله عز وجل: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»^(٣) ماتلك الفطرة؟ قال: «هي الاسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» وفيه المؤمن والكافر». وقد فسر الامام آية الذرّبيّة الفطرة، وبين أنه لم يكن هناك أي كلام عن الاستشهاد والشهادة اللفظيين.

وجاء في رواية أخرى رواها أبو بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»^(٤).

(١) تفسير البرهان (البحراني): ج ١ ص ٤٢٠. (٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) الروم: ٣٠. (٤) تفسير البرهان (البحراني): ص ٤٧.

وبذلك أعرب الامام عن مفاد الآية، وبَيَّن أنَّ الآيتين تهدفان إلى معنى واحد، وهو أنَّ كل إنسان في بدء تكوّنه وظهوره، ينطوي فطرياً تكوينياً على السرّ الالهي أعني التوحيد، منذ أن كان موجوداً ذرياً صغيراً في رحم أمّه، وكأنَّ أول خلية إنسانية تستقرّ في رحم الأم تنطوي على هذه الودعة الالهية، وهي الشعور الطبيعيّ بالله، والانجذاب إليه، وكأنَّ جينات الخلية لدى كل إنسان تحمل بين جوانحها هذه الخاصية الروحية، وأنَّ هذه الخاصية تنمو وتتكامل مع تكامل الخلية ونموها.

وهذا البيان أغنى الامام الأمة عن كثير من الوجوه المذكورة في الآية التي لا تنطبق على ظاهرها، وأوضح أنَّ المفاد هو كون الانسان مفطوراً على التوحيد.

٣- كانت المرجئة من أخطر الطوائف الاسلامية على شباب المسلمين، حيث ذهبوا إلى أنَّ الايمان قول بلا عمل، ونية بلا فصل، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وبذلك أعطوا للعصاة الضوء الأخضر حتى يقترفوا المعاصي الكبيرة، والآثام الموبقة، من دون أن يكون لذاك تأثير على إيمانهم. وقد حذّر الامام في خطبه وكلمه الشيعة من هذه الطائفة، وقال: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة».

وعند ما سأل أبو عمرو الزبيريّ الامام الصادق عن الايمان قائلاً: هل هو عمل أو قول بلا عمل؟ يجيب الامام قائلاً: «الايمان عمل كله، والقول بعد ذلك العمل». ثمَّ عندما يسأله هل الايمان يتم وينقص ويزيد؟ يقول الامام: «نعم». فقال السائل: فما الدليل على أنه يزيد؟ فقال: «قول الله عز وجل: «وَإِذَا مَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ»^(١) وقال سبحانه: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى»^(٢)، فلو كان الايمان واحداً، لازيادة فيه ولانقصان، لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر»^(٣).

٤- روى مسعدة بن صدقة، قال: قيل لأبي عبد الله: إن الناس يروون أن علياً قال على منبر الكوفة: أيها الناس؛ إنكم ستدعون إلى سبّي، ثم تدعون إلى البراءة مني، فلا تبرؤوا مني، فقال الامام الصادق: ما أكثر ما يكذب الناس على عليّ، ثم قال: إنما قال: إنكم ستدعون إلى سبّي، فسبوني ثم تدعون إلى البراءة مني، وإني لعلّ دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل: ولا تبرؤوا مني فقال له السائل: أرايت إن اختار القتل دون البراءة؟ قال: والله ما ذلك عليه، وما له إلا ماضى - عمار بن ياسر، حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان، فأنزل الله عز وجل: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»، فقال له النبيّ عندها: يا عمار إن عادوا فعد، فقد أنزل الله عز وجل عذرَكَ «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» وأمرَكَ أن تعود إن عادوا»^(٤).

تري إنّ الامام يرجع الحديث إلى الآية، ويقضي بها في حقه، وأنه كيف لا يجوز البراءة مع أنّ عماراً، حسب الرواية، وظهور الآية، تبرأ من النبيّ، ولم يكن عليه شيء قال سبحانه: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ

(١) التوبة: ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) الكهف: ١٣.

(٣) تفسير البرهان (البحراني): ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٥، وقد اخذنا موضع الحاجة من الحديث.

(٤) تفسير البرهان (البحراني): ج ٢ ص ٣٨٥.

بِالْإِيمَانِ»، وأئمة الشيعة - مع شدة تركيزهم على هذا الموقف، من إرجاع الأحاديث المشكوكة إلى القرآن، فما خالف منها القرآن، يضرب عرض الجدار - قاموا بتطبيق هذا المبدأ عملياً في غير واحد من الأحاديث التي لا يسهل المقام ذكرها.

٥ - وقد ورد «الفقراء» و«المساكين» في آية الصدقات، وجعلا من الأصناف الثمانية الذين تقسم الزكاة بينهم. وأما الفرق بين الصنفين، فقد كثرت البحث فيها بين الفقهاء تبعاً للمفسرين، ولكن الإمام الصادق عليه السلام يفسر الفقراء في ضوء ما يمليه الذكر الحكيم، ويقول في تفسير قوله سبحانه: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^(١).

«أخرج الله من الصدقات جميع الناس، إلا هذه الثمانية الاصناف الذين سماهم، والفقراء هم الذين لا يسألون الناس، وعليهم مؤونات من عيالهم والدليل على أنهم لا يسألون قول الله: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِّنَ التَّقْوَىٰ تَعْرِفُهُمْ بِسِمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْخَافاً...»^(٢)، والمساكين هم أهل الزمانة من العميان والمرجان والمجذومين، وجميع أصناف الزمنى من الرجال والنساء والصبيان...»^(٣).

والإمام - كما ترى - يفسر الآية بالآية، والقرآن بالقرآن وكم له من نظير

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) البقرة: ٢٧٣.

(٣) تفسير البرهان (البحراني): ج ٢ ص ١٣٤ الحديث ٤.

في أحاديثهم عليهم السلام؟ وهذا من أحسن الطرق، وأتقنها للتفسير، ولو قام باحث بجمع ما أثر عنهم في ذاك المجال لجاء بكتاب.

٦ - قال الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه، إلا الذكر فليس له منتهى إليه. فرض الله عز وجل الفرائض، فمن أذاهن فهو حدهن، وشهر رمضان، فمن صامه فهو حدّه، والحج فمن حج فهو حدّه، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرص منه بالقليل، ولم يجعل له حداً ينتهي إليه. قال الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»^(١). لم يجعل له حداً ينتهي إليه^(٢).

والروايات الماثورة عن الامام الصادق عليه السلام في مجال التفسير كثيرة، لا يحيط بها إلا من صرف شطراً كبيراً من عمره في علم المأثور عنهم. ثم إنّ هناك جماعة من غير الشيعة رموا الروايات المروية عن الباقر والصادق عليهم السلام في مجال التفسير بالطائفية، وأنها تخرج الكتاب العزيز عن كونه كتاباً عالمياً، إلى كتاب طائفي، لايهمه إلا أهل البيت، وفي مقدمتهم الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، وسيوافيك الجواب عن هذا الاعتراض، وسنثبت هناك أنّ هؤلاء الناقدين لم يفرقوا بين «التفسير» و«التطبيق» وبين «التنزيل» و«التأويل»، وأنّ لأئمة أهل البيت عليهم السلام مواقف متغايرين في تبين الذكر الحكيم. وسيوافيك توضيحه في خاتمة الفصل، فانتظر.



(١) الأحزاب: ٤١.

(٢) بن جمة الحويزي: نور النقلين ج ٤ ص ٢٨٥ الحديث ١٤٧.

الامام موسى الكاظم عليه السلام والتفسير:

إنَّ الامام الكاظم عليه السلام هو الامام السابع عند الشيعة، وقد قام بأمر الامامة بإيصاء من أبيه الامام جعفر الصادق عليه السلام وقد روى عنه لفيف من محدثي الأمة وعلمائها، وروى الشيعة عنه أحاديث كثيرة في المعارف العامة، والتفسير والفقه والأخلاق، وقام الباحث عزيز الله العطاردي بجمع ما أثر عنه في كتاب مستقل أسماه مسند الامام الكاظم، وقد طبع ونشر في ثلاثة أجزاء، وخصَّ باباً مفرداً في التفسير، ذاكرأ فيه كلَّ ما روي عنه في هذا الصعيد على ترتيب السور، ونقتطف منه - مع الاشارة إلى مصادره - قليلاً من كثير ليكون نماذج من تفسيره.

١ - روي سليمان الفراء عنه عليه السلام في تفسير قوله - تعالى -: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ». قال: الصبر: الصوم إذا نزلت بالرجل الشدة أو النازلة فليصم. قال الله - تعالى -: «اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»^(١). الصبر: الصوم^(٢). وهذا تفسير للآية ببعض المصاديق الحقيّة، وكم له من نظير في تفسير أئمة أهل البيت.

٢ - روي محمد بن الفضل عنه عليه السلام في تفسير قوله - سبحانه -: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ»^(٣). قال: من اجتنب ما وعد الله عليه النار، إذا كان مؤمناً كفر الله عنه سيئاته^(٤).

٣ - روي عمر بن ابراهيم أخو العباسي قال: سألت الامام الكاظم

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦١.

(١) البقرة: ٤٥.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٨.

(٣) النساء: ٣١.

عليه السلام عن قول الله - عز وجل -: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ»^(١). فقال: «تجدد لهم النعم مع تجديد المعاصي»^(٢) فما أخصر كلامه وأبلغ معناه! في تبين معنى الاستدراج.

٤ - روى أحمد بن عمير عن أبي الحسن الامام الكاظم عليه السلام قال: سئل عن قول الله - عز وجل -: «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»^(٣). قال: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تَعْرُضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كُلِّ صَبَاحٍ أَبْرَارَهَا، وَفَجَّارَهَا فَاحْذَرُوا^(٤)، وعلى ذلك فالمراد من «المؤمنون» طبقة خاصة منهم، ولا يعم كل من يطلق عليه المؤمن، كما ورد في تفسير الشهداء في رواية الامام الصادق عليه السلام^(٥).

هذه نماذج من تفسير الامام، فمن أراد التوسع فليرجع الى مسند الامام الكاظم عليه السلام.

الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام والتفسير:

الامام الرضا، عالم الأئمة وامامها، ولد عام (١٤٨)، وقبض في صفر سنة (٢٠٣)، وقد انتشر عنه العلم مالم ينتشر من غيره من الأئمة سوى الصادقين عليها السلام، وقد اتاحت له الفرصة، ولم تعارضه السلطة، فناظر

(١) الاعراف: ١٨٢-١٨٣.

(٢) مسند الامام الكاظم (الطاطري): ج ٢ ص ٢٤، نقلا عن اصل علي بن اسباط المخطوط.

(٣) التوبة: ١٠٥. (٤) بصائر الدرجات (الصفار): ص ٢٠٤.

(٥) لاحظ نور الثقلين: ج ١ ص ١١٣ في تفسير قوله سبحانه: «وكذلك جعلناكم أئمة وسطاً»

أحبار اليهود، وبطارقة النصارى، والمجسمة، والمشبّهة من أصحاب الحديث، فظهر برهانه، وعلا شأنه. يقول كمال الدين بن طلحة في حقه: فما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، وظهر برهانه... فهما عدّ من مزاياه كان عليه السلام أعظم منه، ومهما فصل من مناقبه كان أعلى رتبة منه^(١).

كان عليه السلام يعيش في عصر تفتّحت فيه العقول، وانتشرت بذور الشك والضلال بين المسلمين عن طريق احتكاك الثقافتين الإسلامية والأجنبية، وانتشار تراجم الكتب اليونانية والهندية والفارسية، وكان جبلاً صامداً في وجه الآراء الساقطة المضادة للكتاب والسنة، وسياфик بعضها: ١ - روى صفوان بن يحيى قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله - عز وجل - لا إبراهيم: «أَوَلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي»^(٢)، أكان في قلبه شك؟ قال: لا، كان على يقين، ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه^(٣).

٢ - روى ابن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن قول الله: «إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ»^(٤). قال: اللذان منكم مسلمان، واللذان من غيركم من أهل الكتاب، فإن لم تجدوا من أهل الكتاب فن المجوس، لأنّ رسول الله، قال: «ستوا بهم ستة أهل الكتاب، وذلك إذا مات الرجل المسلم بأرض غربة فطلب رجلين مسلمين يشهدهما على وصيته، فلم يجد مسلمين

(١) مطالب السؤل (كمال الدين بن طلحة): ص ٨٥.

(٢) البقرة: ٢٦٠. (٣) المحاسن (البرقي): ص ٢٤٧.

(٤) المائدة: ١٠٦.

يشهدهما فرجلين من أهل الكتاب مرضيتين عند أصحابها^(١).
قد شاع الجبر والقدر في عصر الإمام الرضا عليه السلام، فمن قائل بالجبر السالب للاختيار الجاعل الانسان مكتوف الأيدي أمام الحوادث والنوازل، ومن قائل بالتفويض يصور الانسان خالقاً ثانياً لأعماله، غير أن «شبهة الجبر» كانت أرسخ في النفوس من «شبهة التفويض»، فهلمّ معي نرى كيف يفسر الآيات التي جعلت ذريعة الى الجبر عند الحشوية.

٣ - روى ابراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: «وَتَرْكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ»^(٢) فقال: إن الله - تعالى وتبارك - لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال، منعهم المعاونة واللفظ وخلي بينهم وبين اختيارهم. قال وسألته عن قول الله - عز وجل -: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً»^(٣)، قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم، كما قال - عز وجل -: «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٤)^(٥). ترى أنّه عليه السلام يفسر الآية بالآية ويجتث شبهة الجبر ببيان أنّ الطبع على القلوب كان عقوبة من الله في حقهم لجرائم اقترفوها، ولم يكن الطبع ابتداءً بلامبرر، إذ كيف يطلب منهم الايمان ثم يطبع على قلوبهم ابتداء، أو ليس يصف نفسه بقوله: «وَمَا رَبُّكَ

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٤٩ بتلخيص.

(٢) البقرة: ١٧.

(٣) البقرة: ٧.

(٤) النساء: ١٥٥.

(٥) عيون اخبار الرضا (الصدوق): ج ١ ص ٤٢٤.

بِظِلَامٍ لِلْعَبِيدِ»^(١)^(٢).

٤ - روى أبو ذكوان، قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: كتبنا في مجلس الرضا عليه السلام فتذاكروا الكبائر وقول المعتزلة فيها: إنها لا تغفر (إذا مات صاحبها بلا توبة)، فقال الرضا عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام: قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله - عز وجل -: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ»^(٣)^(٤). وجه الاستدلال أنه قوله: «عَلَى ظُلْمِهِمْ» حال من قوله: «لِلنَّاسِ»، ومعنى الآية: أن غفران الله شامل لهم في حال كونهم ظالمين، والآية نظير قول القائل: «أود فلاناً على غدره وأصله على هجره»، فمن مات بلا توبة عن كبيرة فلا يحل لنا الحكم بأنه لا يغفر، لأن رحمة الله تشمل الناس في حال كونهم تائبين أو ظالمين. نعم ليس للمقترف الاعتماد على هذه الآية، لأنه وعدٌ مجمل كالشفاعة.

٥ - وروى الحسين بن بشار، قال: سألت علي بن موسى الرضا عليه السلام أيعلم الله الشيء الذي لا يكون أن لو كان كيف كان؟ قال: «إن الله هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، وقال لأهل النار: «وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ»^(٥).

وقال للملائكة لما قالت: «آتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا»، قال: «إني أعلم ما لا تعلمون»^(٦) فلم يزل الله - عز وجل - علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها»^(٧).

(٢) لاحظ ذيل الحديث.

(١) فضلت: ٤٦.

(٣) الرعد: ٦.

(٤) التوحيد (الصدوق): ص ٤٠٦، ولاحظ مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٧٨. (٥) الأنعام: ٢٨.

(٦) البقرة: ٣٠. (٧) عيون اخبار الرضا (الصدوق): ج ١ ص ١١٨.

٦ - روى الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام قلت له: أخبرنا عن قول الله: «والسماوات ذَاتُ الْحُبُكِ»، قال: هي محبوكة إلى الارض، مشبكة بين أصابعه، فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الارض والله يقول: «رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا؟» فقال: سبحان الله أليس يقول: «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا؟» قلت: بلى، قال: فثم عمدة، لكن لا ترونها^(١).

والامام يصرح في كلامه هذا بوجود عمدة في السماء غير مرئية، ولعله يريد قانون الجاذبية العامة التي كشف عنها العلم، والتفسير موكول إلى محله.

٧ - قد شاع في عصر الامام الاعتقاد بالرؤية التي دخلت في أوساط المسلمين من طريق الأخبار والرهبان، واغتربها أكثر المحدثين البسطاء، وربما كانوا يستدلون عليها بما ورد في معراج النبي، وأنه وصل في معراجه إلى مكان لم يبق بينه وبين ربه سوى قاب قوسين أو أدنى، قائلًا: بأن المراد من قوله: «ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى» أي دنا من الله ومقامه الكائن فيه، ولكن الرضا عليه السلام يواجه هذه الفكرة بالنقد الحاسم، والرد العنيف، وإليك القصة: دخل أبو قرة المحدث على أبي الحسن الرضا فقال: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية؟! فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والانس، «لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ» و«لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ثم أليس محمد؟ قال: بلى. قال: - كيف - يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: «لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ» و«لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»

ثم يقول: انا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟! أما تستحيون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر. قال أبو قرة: فإنه يقول: «ولقد رآه نزلة أخرى» فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأي حيث قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى» يقول: ما كذب فؤاده ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، فأيات الله غير الله، وقد قال: «ولا يُحيطُونَ به علماً»، فاذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة، فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الابصار، وليس كمثله شيء^(١).

الامام محمد الجواد عليه السلام والتفسير:

الامام أبو جعفر محمد الجواد من أئمة أهل البيت، وهو تاسع الأئمة عند الشيعة، ولد عام (١٩٥)^(٢) ورث الشرف من آبائه وأجداده، واستسقت عروقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته ثدي الرسالة، وتهذلت أغصانه ثمر الامامة. قام بأمر الولاية، بعد شهادة والده الرضا عليه السلام عام (٢٠٣)، واستشهد هو مثل الوالد ببغداد عام (٢٢٠) أدرك خلافة المأمون، ووائل خلافة المعتصم. روى عنه لفيف من المحدثين والفقهاء، يربو عددهم على (١٢١)^(٣)، وروى عنه في مجال الفقه، والدعاء، والتفسير

(١) تفسير البرهان (البحراني): ج ٤ ص ٢٤٨.

(٢) تاريخ بغداد (الخطيب): ج ٣ ص ٥٥، وابن خلكان في وفيات الاعيان: ج ٣ ص ٣١٥.

(٣) مسند الامام محمد الجواد (المطارد)، وقد خصص باباً للرواة عن الامام عليه السلام.

روايات وافرة نذكر نماذج مما روي عنه في مجال التفسير.

١- روي العياشي، قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم، وهو يروي تلك القصة:

إِنَّ سَارِقاً أَقْرَعَ عَلَى نَفْسِهِ بِالسَّرْقَةِ، وَسَأَلَ الْخَلِيفَةَ تَطْهِيرَهُ بِاقَامَةِ الْحَذِّ عَلَيْهِ، فَسَأَلَ الْفَقْهَاءَ عَنْ مَوْضِعِ الْقَطْعِ، فَمَنْ قَائِلٌ: يَجِبُ قِطْعَةُ مِنَ الْكُرْسُوعِ، لِأَنَّ الْيَدَ هِيَ الْأَصَابِعُ وَالْكَفَّ إِلَى الْكُرْسُوعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ»^(١) إِلَى آخِرِ يَقُولُ: يَجِبُ الْقَطْعُ مِنَ الْمَرْفِقِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: «وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»^(٢) فَدَلَّ عَلَى أَنَّ حَذَّ الْيَدِ هُوَ الْمَرْفِقُ، وَلَمَّا رَأَى الْمُعْتَصِمُ اخْتِلَافَهُمْ، تَنَفَّتْ إِلَى «مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ» فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا يَا أَبَا جَعْفَرٍ؟ فَقَالَ: قَدْ تَكَلَّمْتُ الْقَوْمَ فِيهِ. قَالَ: دَعْنِي مِمَّا تَكَلَّمُوا بِهِ. أَيُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ؟ قَالَ: أَغْفِي عَنْ هَذَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَمَّا أَخْبَرْتُ بِمَا عِنْدَكَ فِيهِ. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا أَقْسَمْتُ عَلَيَّ بِاللَّهِ فَإِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُمْ أَخْطَأُوا فِيهِ السَّتَةَ، فَإِنَّ الْقَطْعَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَفْصَلِ أَصُولِ الْأَصَابِعِ، فَيُتْرَكُ الْكَفُّ. قَالَ: وَمَا الْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: السُّجُودُ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءَ: الْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرَّكْبَتَيْنِ، وَالرَّجْلَيْنِ، فَإِذَا قُطِعَتْ يَدُهُ مِنَ الْكُرْسُوعِ أَوْ الْمَرْفِقِ، لَمْ يَبْقَ لَهُ يَدٌ يَسْجُدُ عَلَيْهِ، وَقَالَ تَعَالَى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» يَعْنِي بِهِ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ السَّبْعَةَ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»^(٣)، وَمَا كَانَ لِلَّهِ لَمْ يَقْطَعْ. فَأَعْجَبَ الْمُعْتَصِمُ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ مِنْ مَفْصَلِ الْأَصَابِعِ دُونَ الْكَفِّ، قَالَ

(١) و(٢) المائدة: ٦.

(٣) الجن: ١٨.

ابن أبي داود: قامت قيامتي وتمتيت آتي لم أك حياً^(١).

وقد نقل ما ذكره الامام، عن سعيد بن جبير، والفراء، والزجاج، وأن المراد من المساجد الأعضاء السبعة التي يسجد عليها في الصلاة، وعلى هذا فالمراد أن مواقع السجود من الانسان لله، اختصاصاً تشريعياً، والمراد من الدعاء السجدة لكونها أظهر مصاديق العبادة، أو المراد الصلاة بما أنها تتضمن السجود لله^(٢).

وروى حماد بن عيسى، عن الامام الصادق عليه السلام في حديث: وسجد الامام على ثمانية أعظم: الكفين، والركبتين، وابهامي الرجلين، والجهة والأنف، وقال سبعة منها فرض يسجد عليها، وهي التي ذكرها الله في كتابه فقال: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»، وهي الجهة، والكفان، والركبتان، والابهامان، ووضع الأنف على الأرض سنة^(٣).

٢ - كتب يحيى بن أكرم المروزي إليه يسأله عن مسائل، وقال: أخبرني عن قول الله: «وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا» أسجد يعقوب وولده ليوسف؟ قال: فسألت أخي عن ذلك، فقال: أما سجود يعقوب وولده ليوسف فشكراً لله، لاجتماع شملهم. ألا ترى أنه يقول في شكر ذلك الوقت: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»^(٤).

٣ - سأل عبد العظيم بن عبد الله الحسني محمد بن علي الرضا عليه السلام

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٢) الميزان (الطباطباتي): ج ٢٠ ص ١٢٥.

(٣) تفسير البرهان (البحراني): ج ٤ ص ٣٩٤.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٩٧.

عن قول الله عزوجل: «أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ»^(١)، فقال: يقول الله -عزوجل-: بعداً لك من خير الدنيا بعداً، وبعداً لك من خير الآخرة^(٢).

لاريب أنه كلمة تهديد كررت لتأكيد التهديد، وقد جاء قبل الآية قوله: «فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى»^(٣).

فاللائق بهذا الانسان الذي لم يصدق ولم يصل، ولكن كذب وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتمطى متبختراً مختالاً، هو البعد عن غفران الله -سبحانه- ورحمته، وخيره في الدنيا والآخرة، ونظير الآية قوله -سبحانه-: «رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ»^(٤) أي هذه الحالة أولى لكم لتذوقوا وبال أمركم في الدنيا والآخرة، وفي مورد الآية المعنى الابتدائي، هو أن هذه الحالة أولى له، لأنه لا يستحق إلا إتياءها ليدوق وبال أمره وليبتعد من خير الدنيا والآخرة، ففسر الآية بما هو المقصود من كون هذه الحالة أولى له.

٤ - روى علي بن أسباط، قال: قلت لأبي جعفر محمد الجواد: ياسيدي إن الناس ينكرون عليك حادثة سنك (ونيلك مقام الامامة والقيادة الروحية)، قال: وما ينكرون من ذلك . فوالله لقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن

(١) القيامة: ٣٤ - ٣٥.

(٢) عيون اخبار الرضا (الصدوق): ج ٢ ص ٥٤.

(٣) القيامة: ٣١ - ٣٣.

(٤) محمد: ٢٠.

اتَّبَعْنِي...»^(١)، وما أتبعه غير علي، وكان ابن تسع سنين وأنا ابن تسع سنين.

والآية مكية تنطبق على ما يذكره الامام حيث إنَّ الأوَّل من آمن بمحمد من الرجال هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذه نماذج ممَّا روي عن الامام التاسع محمد الجواد عليه السلام في مجال التفسير، ومن أراد التوسُّع فليرجع إلى مسنده وسائر الكتب الحديثية التي تضمَّنت أخباره عليه السلام.

الامام علي الهادي عليه السلام والتفسير:

الامام علي الهادي، الامام العاشر، والنور الزاهر، ولد عام (٢١٢) وتوفي بسامراء سنة (٢٥٤) وهو من بيت الرسالة، والامامة، ومقر الوصاية، والخلافة، وثمرة من شجرة الرسالة، قام بأمر الامامة بعد والده الامام الجواد، وكان في سني امامته، بقية ملك المعتصم ثم الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز، وله مع هؤلاء قضايا ليس المقام يسع ذكر البعض، وقد روت الشيعة عنه أحاديث في مجال الفقه والتفسير، وإليك نماذج ممَّا روي عنه في الأخير:

١ - قُدِّمَ الى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم فقال يحيى بن أكرم: الايمان يحوماقبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكل إلى الامام الهادي يسأله، فلما قرأ الكتاب، كتب، يضرب حتى يموت، فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه

يسأله عن العلة، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَّهْ وَكَفَرْنَا بِمَا كَتَبَهُ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ»^(١)، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات^(٢).

إنَّ الامام الهادي ببيته هذا شقّ طريقاً خاصاً لاستنباط الاحكام من الذكر الحكيم، طريقاً لم يكن يحلم به فقهاء عصره، وكانوا يزعمون أنَّ مصادر الأحكام الشرعيّة هي الآيات الواضحة في مجال الفقه التي لا تتجاوز ثلثمائة آية، وبذلك أبان للقرآن وجهاً خاصاً لادلالة لا يتلف الىه إلّا من نزل القرآن في بيته، وليس هذا الحديث غريباً في مورده، بل له نظائر في كلمات الامام وغيره من آبائه وأبنائه عليهم السلام.

٢ - لما سمّ المتوكل نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدّق بمال كثير، أو بدراهم كثيرة، فلما عوفي اختلف الفقهاء في مفهوم «المال الكثير»، فلم يجد المتوكل عندهم فرجاً، فبعث إلى الامام علي الهادي فسأله، قال: يتصدّق بثلاثة وثمانين ديناراً، فقال المتوكل، من أين لك هذا؟ فقال: من قوله تعالى: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...»^(٣)، والمواطن الكثيرة: هي هذه الجملة، وذلك لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غزا سبعاً وعشرين غزاة، وبعث خمساً وخمسين سرية، وآخر غزواته يوم حنين، وعجب المتوكل والفقهاء من هذا الجواب^(٤)، وقد ورد عن طريق آخر أنّه قال:

(١) غافر: ٨٤-٨٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ابن شهر آشوب): ج ٤ ص ٤٠٥. (٣) التوبة: ٢٥.

(٤) تذكرة الخواص (سبط ابن الجوزي): ص ٢٠٢.

بثمانين مكان «ثلاثة وثمانين»، وذلك لأن عدد المواطنين التي نصر الله المسلمين فيها إلى يوم نزول هذه الآية كان أقل من ثلاثة وثمانين^(١).

٣- إنَّ للامام الهادي عليه السلام رسالة في الردَّ على الجبر والتفويض، واثبات المنزلة بين المنزلتين، فقد استعان في إبطال المذهبين الذين كان يدين بهما أهل الحديث، والمعتزلة بكثير من الآيات على شكل بديع، ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من إحاطته بالآيات ونضدها بشكل يوصل الجميع إلى الغاية المطلوبة، نقبس منها مايلي:

فأمَّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ، فهو قول من زعم أنَّ الله -جلَّ وعزَّ- أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول، فقد ظلم الله في حكمه وكذبه ورد عليه قوله: «...ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»^(٢)، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(٣).

فن دان بالجبر، أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أجبره العقوبة، ومن زعم أنَّ الله أجبر العباد، فقد أوجب على قياس قوله: إنَّ الله يدفع عنهم العقوبة (أي لازم القول بالجبر أنَّ الله لا يعذب العصاة، لأنَّه دفعهم إلى المعاصي)، ومن زعم أنَّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده، حيث يقول: «بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب (ابن شهر آشوب): ج ٤ ص ٤٠٢.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) يونس: ٤٤.

(٤) البقرة: ٨١.

وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا»^(١) وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضْجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا»^(٢)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الفن مِمَّنْ كَذَبَ وَعِيدَ اللَّهِ وَيَلْزِمُهُ فِي تَكْذِيبِهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، الْكَفَرُ، وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ [فِي حَقِّهِ]: «أَفْتَوْنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»^(٣).

بل نقول إِنَّ اللَّهَ -عَزَّوَجَلَّ- يجازي العباد على أفعالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها، فأمرهم ونهاهم بذلك ونطق كتابه: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٤). وقال -جلَّ ذكره-: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عْمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»^(٥)، وقال: «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ»^(٦)، فهذه آيات محكمات تنفي الجبر، ومثلها في القرآن كثير. ثم شرع في إبطال التفويض وإبان خطأ من دان به وتقلده.

ولنقتصر على هذا المقدار، وفيه كفاية، وما جاء في هذه الرواية من التفسير نط بديع، وهو مانسَمِيهِ الْيَوْمَ بالتفسير الموضوعي، وقد أتى الإمام عليه السلام في رسالته بأكثر الآيات التي رُبَّمَا تقع ذريعة للمجبِّرة

(٢) النساء: ٥٦.

(١) النساء: ١٠.

(٤) الانعام: ١٦٠.

(٣) البقرة: ٨٥.

(٦) غافر: ١٧.

(٥) آل عمران: ٣٠.

والمفوضة، وإبان تفسيرهما بارجاع التشابهات الى المحكمات، كما أثبت أن الحقيقة هو المنزلة بين الجبر والتفويض، فمن أراد التوسع فليرجع إلى نفس الرسالة التي نقلها الحسن بن شعبة الحراني في كتابه^(١).

الامام العسكري عليه السلام والتفسير:

أبو محمد الحسن بن علي أحد أئمة أهل البيت، والامام الحادي عشر عند الشيعة الملقب بالعسكري، ولد عام (٢٣٢)^(٢). وقال الخطيب في تاريخه وابن الجوزي في كتابه: ولد أبو محمد في المدينة سنة (٢٣١)^(٣)، وأشخص بشخص والده الى العراق سنة (٢٣٦) وله من العمر أربع سنين وعدة شهور، وقام بأمر الامامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصال الفضل، وبرزتقدمه على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال العقل والعلم والزهد والشجاعة. روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدثين ما يربو على (١٥٠) شخصاً، وقد أدرج أسماءهم في مسند الامام العسكري وتوفي عام (٢٦٠)، ودفن في داره التي دفن فيها أبوه بسامراء، وللامام روايات تلقاها الرواة في مجال العقائد والفقه والتفسير، نذكر نزراً يسيراً لتعلم مكانته في التفسير:

١ - لقد شغلت الحروف المقطعة بال المفسرين فضربوا يمناً ويساراً، وقد أنهى الرازي أقوالهم فيها في أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولاً،

(١) تحف العقول (ابن شعبة): ص ٣٣٨ - ٣٥٢.

(٢) الكافي (الكليني): ج ١ ص ٥٠٣.

(٣) تاريخ بغداد (الخطيب): ج ٧ ص ٣٦٦ وابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ٣٦٢.

ولكن الامام عليه السلام يعالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للذنب، فقال: كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحرمين تقولهُ.

فقال الله: «الم، ذلِكَ الْكِتَابُ». [فقل:] يا محمد، هذا الكتاب الذي نزلناه عليك هو الحروف المقطعة التي منها «الف»، «لام»، «ميم»، وهو بلغتكم وحروف هجائكم فاتوا بمثله ان كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهادتكم، ثم بين أنه لا يقدرُون عليه بقوله: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»^(١)^(٢). وقد روى هذا المعنى عن أبيه الامام الهادي عليه السلام^(٣).

٢ - كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك في طريق المسلمين فيقولون: إنكم تقولون في صلواتكم: «اهدنا الصراط المستقيم»، أولستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو أنكم متكبرون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسر الامام الآية قاطعاً لشغبهم فقال: «ادم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيّا منا حتى نطيعك كذلك في مستقبل اعمالنا».

ثم فسّر الصراط بقوله: الصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. أمّا الأول: فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. وأمّا الطريق الآخر: فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير

(١) الاسراء: ٨٨.

(٢) معاني الاخبار (الصدوق): ص ٢٤، وللحديث ذيل فمن اراد فليرجع الى الكتاب.

(٣) الكافي (الكليني): ج ١ كتاب العقل والجهل الحديث ٢٠ ص ٢٤ - ٢٥.

النار سوى الجنة^(١).

وقد استفحل أمر الغلاة في عصر الامام العسكري، ونسبوا إلى الأئمة الهداة أموراً هم عنها براء، ولأجل ذلك يركز الامام على أنَّ الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنّب عن الغلو والتقصير.

٣ - ربّما يغترّ الغافل بظاهر قوله - سبحانه -: «صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...» ويتصوّر أنّ المراد من النعمة هو المال والاولاد وصحة البدن، وان كان كلّ هذا نعمة من الله، ولكنّ المراد من الآية بقرينة قوله: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» هو نعمة التوفيق والهداية.

ولأجل ذلك نرى أنّ الامام يفسر الانعام بقوله: «قولوا: إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله - عز وجل -: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»، ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن، وان كان كلّ هذا نعمة من الله ظاهرة^(٢).

٤ - لقد تنفشت فكرة عدم علمه - سبحانه - بالأشياء قبل أن يخلق استلهاماً من بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان، فسأله محمد بن صالح عن قول الله: «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(٣) فقال: هل يحوّل ما كان، وهل يثبت إلّا ما لم يكن؟ فقلت

(١) معاني الاخبار (الصدوق): ص ٣٣.

(٢) معاني الاخبار (الصدوق): ص ٣٦.

(٣) الرعد: ٣٩.

في نفسي: هذا خلاف مايقوله هشام الفوطي. أنه لايعلم الشيء حتى يكون، فنظر إليّ شزراً، وقال: «تعالى الله الجبار العالم بالشيء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والرب إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه^(١)».

حصيلة البحث:

هؤلاء هم أئمة الشيعة وقادتهم، بل أئمة المسلمين جميعاً، وكيف لا يكونون كذلك، وقد ترك رسول الله بعد رحلته الثقلين وحث الأئمة على التمسك بهما، وقال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ماأن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا^(٢).

ولكن المؤسف أن أهل السنة والجماعة لم يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على أقوال أهل البيت، وهم قراء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنما استعانوا في تفسيره بأناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (ت ١٠٤) وعكرمة البربري (ت ١٠٤) وطاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤) ومحمد بن كعب القرظي (ت ١١٨)، الى غير ذلك من أناس لا يبلغون في الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم....

وقد بلغت احاطة أئمة أهل البيت بالكتاب العزيز إلى حدّ يقول الامام

(١) اثبات الوصية (المسعودي): ص ٢٤١.

(٢) رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والمسانيد وهو من الأحاديث المتواترة، (لاحظ نشرة دارالتقريب بين المذاهب الاسلامية. حول هذا الحديث، ترى اسنادها موصولة الى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم).

الباقر عليه السلام: إِنَّ الله - تبارك وتعالى - لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه^(١). ويقول الامام الصادق عليه السلام: مامن أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله - عز وجل - ولكن لا تبلغه عقول الرجال^(٢).

أسنادهم موصولة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

إِنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يروون في مجال الفقه والتفسير والاخلاق والدعاء، إلا ما وصل إليهم عن النبي الأكرم عن طريق آبائهم وأجدادهم، وليس مروياتهم آراءهم الشخصية التي تنبع من عقليتهم، فن قال بذلك وتصورهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين ممن يعتمدون على آرائهم الشخصية، وهو في قياسه خاطئ فهم منذ نعومة أظفارهم إلى أن لبوا دعوة ربهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء، ولا تعلموا شيئاً من غير آبائهم، فما يذكرونه علوم ورثوه من رسول الله وراثه غيبية لا يعلم كنهه إلا الله - سبحانه - والراسخون في العلم.

وهذا جابر الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: إذا حدثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدثني أبي عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عن الله - تبارك وتعالى - فكلّ

(١) الكافي (الكليني): ج ١ ص ٤٨ من كتاب فضل الأئمة.

(٢) المصدر نفسه.

ما أحدثك بهذا الاسناد، ثم قال: لحديث واحد تأخذه من صادق عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها^(١).

وروى حفص بن البختري. قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام أسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك، فقال: ماسمعتني فاروه عن أبي، وما سمعته مني فاروه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

فائمة المسلمين على حد قول القائل:

ووال أناسا نقلهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري ولقد عاتب الامام الباقر عليه السلام سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانا يتعاطيان الحديث من الناس، ولا يهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: شرقا وغربا، فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت.

تلك - والله - خسارة فادحة، حيث إن جماعة من المحدثين والفقهاء والمفسرين دقوا كل باب ولم يدقوا باب أهل البيت إلا شيئاً لا يذكر ففسروا كتاب الله بآرائهم وأفتوا في المسائل الشرعية بالمقاييس الظنية التي ليس عليها مسحة من الحق، ولا لمسة من الصدق حتى حشوا تفاسيرهم بأسرائيليات ومسيحيات بثها مسلمة أهل الكتاب ككعب الأبحار ووهب بن منبه وتميم الداري وأضرابهم بين المسلمين، وأخذها عنهم المحدثون والرواة والمفسرون في القرون الأولى، زاعمين أنها علوم ناجعة وقضايا

(١) وسائل الشريعة (الحر العاملي): ج ١٨ كتاب الثامن من أبواب صفات القاضي الحديث ٦٧.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٨٦.

صادقة، فيها شفاء العليل، ورواء الغليل والحال أنك إذ فتشت التفسير المؤلفة في القرون الغابرة لاتجد تفسيراً علمياً أو روائياً من أهل السنة إلا وهو طافح بآرائهم الشخصية وأقوالهم التي لا قيمة لها في سوق العلم، وقد استفحل أمر هؤلاء الرواة حتى اغترّبهم بعض المفسرين من الشيعة، فذكروا جملة من الاسرائيليات في ثنايا تفاسيرهم، وما ذلك إلا لأن تلك الأفكار كانت رائجة إلى حدّ كان يعدّ الجهل بها، وعدم نقلها قصوراً في التفسير وقلة اطلاع فيه، ولأجل ذلك لم يجد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي بداً من نقل آراء هؤلاء في تفسيره «التبيان»، وتبعه أمين الاسلام في تفسير «مجمع البيان»، ولكن لم يكن ذكرهم لآراء هؤلاء لأجل الاعتماد عليهم والركون اليهم، وإنما الجأهم إليه الضرورة الزمنية والسياسة العلمية السائدة على الأوساط آنذاك .



إذا وقفت على أئمة التفسير وأساتذته، فهلمّ معي ندرس حياة شيعتهم ممّن خدموا القرآن في عصرهم، وبعدهم وهم الذين تربّوا في حجوّهم، وارتووا من نير علمهم الصافي، وتمسّكوا بأهداب معارفهم، وقد خدموا القرآن بمختلف أشكال الخدمة، نشير إليها على وجه الاجمال، ونحيل التفصيل إلى آونة أخرى.

١ - الشيعة وتفسير غريب القرآن:

ارتحل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فعكف المسلمون على دراسة القرآن، ولكن أول ما فوجئوا به كان هو قصور باع لفيف منهم عن معرفة بعض الفاظ القرآن، فما هذا إلا لأنّ في القرآن ما قد ورد بغير لغة أهل

الحجاز. إنّ القرآن وإن نزل بِلغة أهل الحجاز بشكل عام، لكن ربّما وردت فيه الفاظ ذائعة بين القبائل الأخرى، وقد عقد السيوطي باباً فيما ورد في القرآن بغير لغة أهل الحجاز^(١)، وأظنّ أنّه قد أفرط في هذا الباب، ولكنّه لا يمكن إنكار هذا الأصل في القرآن الكريم من أساسه، وممّا يشهد بذلك (مفاجأة المسلمين بغريب القرآن) ما رواه القرطبي في تفسيره فقال: عن عمر أنّه قال على المنبر: ماتقولون في قوله - تعالى -: «وَيَاخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ»^(٢) فسكتوا، فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا. التَخَوُّف: التَنَقُّص، قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم. قال: شاعرنا - زهير - أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقّص السير سنامها بعد تمكيه واكتنازه:

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكاً قَرْداً كَمَا تَخَوُّفُ عُودِ التَّبْعَةِ السَّفَنِ^(٣)
فقال عمر: أيّها الناس عليكم بديوانكم لا يضلّ، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.

روى أبو الصلت الثقفى أنّ عمر بن الخطاب: قرأ قول الله: «وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً»^(٤) بنصب الراء وقرأها بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخفض الراء، فقال: ايتوني رجلاً من كنانة، أو اجعلوا راعياً وليكن مدبجياً، فقال له عمر:

(١) الاتقان (السيوطي): ج ٢ ص ٦٩ - ١٠٤. (٢) النحل: ٤٧.

(٣) التفسير (للقرطبي): ج ١٠ ص ١١٠، تَمَكَّ السنام: طال وارْتَفَعَ، القرد: المتراكم بعض لحمه فوق بعض، التبعة: شجرة من أشجار الجبال، يتخذ منها القسي، السفن: القشر.

(٤) الانعام: ١٢٥.

يافتى! ما الحرجة؟ فقال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير^(١).

روى عبدالله بن عمر قال: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية: «ما جعل عليكم في الدين من حرج»، ثم قال: ادعوا لي رجلاً من بني مدلج، قال عمر: ما الحرج فيكم؟ قال: الضيق^(٢).

وكم لهذه القصص من نظائر في التاريخ، وهذا هو نافع بن الأزرق^(٣)، لما رأى عبدالله بن عباس جالساً بفناء الكعبة، وقد اكتنفه الناس ويسألونه عن تفسير القرآن، فقال لنجدة بن عويمر^(٤) الحروري: قم بنا الى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ففسرها لنا وتأيتنا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله - تعالى - أنزل القرآن عربي مبین، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكم، فقال نافع: أخبرني عن قول الله - تعالى -: «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ، عِزِّينَ»^(٥) قال: العضون: الحلق الرقاق، فقال: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. اما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عضيئاً
ثم سألاه عن أشياء كثيرة عن لغات القرآن الغريبة ففسرها مستشهداً

(١) الدر المنثور (السيوطي): ج ٣ ص ٤٥.

(٢) كنز العمال (المتقي الهندي): ج ١ ص ٢٥٧.

(٣) و(٤) الرجلان من رؤوس الخوارج، توفي نافع عام (٦٥) وتوفي نجدة عام (٦٩).

(٥) المعارج: ٣٧.

بالشعر الجاهلي، ربّما تبلغ الأسئلة والأجوبة إلى مأتين، ولو صحت تلك الرواية لدلت قبل كل شيء على نبوغ ابن عباس في الأدب العربي، وإلمامه بشعر العرب الجاهلي حيث استشهد على كل لغة فسرها بشعر منهم، وقد جاءت الأسئلة والأجوبة في الاتقان^(١).

وهذه الأحاديث والأخبار تعرب عن أنّ الخطوة الأولى لتفسير القرآن الكريم كانت تفسير غريبه وتبيين ألفاظه التي ربّما تشكل على البعض، ولعلّ ذلك كان الحافز القوي للفيف من جهابذة الأمة، حيث استثمروا تلك الخطوة وبلغوا الغاية فيه من غير فرق بين السّنة والشيعة، ونحن نذكر في هذا المجال ما ألفته علماء الشيعة وادباؤهم بعد ابن عباس، ونكتفي من الكثير بمشاهيرهم الذين كان لهم دوي في الأوساط اللغوية والأدبية، ونترك من لم يكن له ذلك الشأن، فليكن ذلك عذراً لمن يقف على مؤلفات لهم في غريب القرآن، ولم نذكرها في تلك القائمة.

١ - غريب القرآن، لأبان بن تغلب بن رباح البكري (ت ١٤١) من أصحاب علي بن الحسين والباقر والصادق، وكانت له منزلة عنده، وقد نصبه أبو جعفر الباقر للافتاء، وقال: اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فأنّي أحب أن يرى في شيعتي مثلك، وقال أبو عبدالله عليه السلام لما أناه نعيه: «والله أوجع قلبي موت أبان». وقال النجاشي: عظيم المنزلة في أصحابنا، وكان قارئاً من وجوه القراء فقيهاً لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم، وكان أبان - رحمه الله - مقدّماً في كلّ فن من العلم، في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو. وله كتب منها تفسير غريب القرآن

وكتاب الفضائل، ولأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء. مات أبان في حياة الامام الصادق سنة (١٤١)^(١).

٢ - غريب القرآن، لمحمد بن السائب الكلبي (١٤٦م) وهو من أصحاب الامام الصادق عليه السلام ووالد هشام بن محمد بن السائب الكلبي العالم المشهور والنسابة المعروف^(٢).

٣ - غريب القرآن، لأبي روق^(٣) عطية بن الحارث الهمداني الكوفي التابعي. قال ابن عقدة: كان ممن يقول بولاية أهل البيت عليهم السلام^(٤).

٤ - غريب القرآن، لعبد الرحمن بن محمد الازدي الكوفي، جمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب الكلبي، وأبي روق بن عطية بن الحرث، فجعله كتاباً واحداً فبين ما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه، فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً، وتارة يجيء مشتركاً^(٥).

ويظهر من سند الشيخ الطوسي إليه في الفهرس أنه ممن صحب أبان

(١) رجال النجاشي: ج ١ ص ٧٣ برقم ٦، بغية الوعاة (السيوطي): ص ٧٦، تهذيب التهذيب (ابن حجر): ج ١ ص ٩٣، الطبقات الكبرى (ابن سعد): ج ٦ ص ٣٦، ميزان الاعتدال (الذهبي): ج ١ ص ٥ وغيرهم من اصحاب المعاجم.

(٢) رجال النجاشي: ج ١ ص ٧٨، برقم ٦، تنقيح المقال (المامقاني): ج ٣ ص ١١٩.

(٣) كذا في رجال النجاشي، وفي فهرس الشيخ «أبي روق»، والصحيح هو الأول ذكره ابن النديم أيضاً: ص ٥٧.

(٤) رجال النجاشي: ج ١ ص ٧٨ برقم ٦، الطبقات الكبرى (ابن سعد): ج ٦ ص ٣٦٨، خلاصة

الاقوال (العلامة الحلي): ص ١٣١، معجم الادباء (الياقوت): ج ١ ص ١٠٧ برقم ٢.

(٥) الفهرست (الطوسي) ص ٦٤١ برقم ٦١، رجال النجاشي: ج ١ ص ٧٨ برقم ٦ وفي الثاني

«الحارث» مكان «الحرث» كما عرفت الاختلاف في «روق» و«ورق».

بن تغلب، وينقل عنه ابن عقدة المتوفى عام (٣٣٣) بواسطة حفيده (أبو أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأزدي)، فالرجل من علماء القرن الثاني.

٥ - غريب القرآن، للشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد الطبري الآملي الوزير الشيعي المتوفى عام (٣١٣)^(١).

٦ - غريب القرآن، للشيخ أبي الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي النحوي المعاصر لابن النديم الذي ألف فهرسه عام (٣٧٧). قال النجاشي: «كان شيخنا بالجزيرة، وفاضل أهل زمانه واديهم، له كتب كثيرة منها كتاب «الأنوار والثمار». قال لي سلامة بن ذكاء: إن هذا الكتاب ألفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ما قيل في الأنوار والثمار من الشعر». ثم عدّ كتبه، ومنها كتاب غريب القرآن إلى أن قال: قال سلامة: «وكتاب مختصر الطبري، حيث حذف الأسانيد والتكرار، وزاد عليه من سنة ثلاث وثلاثمائة إلى وقته فجاء نحو ثلاثة آلاف ورقة، وتتم كتاب «الموصل» لأبي زكريا زيد بن محمد، وكان فيه إلى سنة (٣٢١)، فعمل فيه من أول سنة (٣٢٢) إلى وقته، وذكر النجاشي فهرس كتبه، منها غريب القرآن^(٢).

٧ - غريب القرآن، للشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى عام (١٠٨٥)، وقد طبع في النجف الأشرف في جزء واحد عام (١٣٧٢)، وأسماء المؤلف بـ «نزهة الخاطر وسرور الناظر وتحفة الحاضر».

(١) الفهرست (لابن النديم): ص ٥٨.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٩٣ برقم ٦٨٧، وترجمة الياقوت في معجم الادباء: ج ١٤ ص ٢٤٠.

٨ - مجمع البحرين ومطلع النيرين، وهو في غريب القرآن و الحديث ولقتها للشيخ الطريحي أيضاً، وهو كتاب كبير معجم للغاتها، طبع في ستة أجزاء.

٩ - البيان في شرح غريب القرآن، للشيخ قاسم بن حسن آل محي الدين طبع بالنجف عام (١٣٧٤)، باشراف وتصحيح مرتضى الحكمي.

١٠ - غريب القرآن، للسيد محمد مهدي بن السيد الحسن الموسوي الخراساني يقع في جزءين^(١).

هذه عشرة كاملة نكتفي بها، وهناك كتب ألفت في توضيح مفردات القرآن بغير اللغة العربية، فمن أراد فليرجع الى الفهارس.

فاذا كانت هذه الكتب تهدف إلى تفسير غريب القرآن وتبيين مفرداته، فهناك كتب تهدف إلى تفسير غريب جملة التي جاءت في القرآن بصورة المجاز أو الكناية أو الاستعارة على الفرق الواضح بينها، وإليك بعض ما ألّف في ذلك المجال:

١ - مجاز القرآن، لشيخ النحاة الفراء يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي الكوفي الذي توفي في طريق مكة عام (٢٠٧)^(٢).

٢ - المجاز من القرآن، لمحمد بن جعفر أبو الفتح الهمداني، المعروف بـ «المراغي» يقول النجاشي: كان وجيهاً في النحو واللغة ببغداد حسن الحفظ، صحيح الرواية فيما نعلمه، ثم ذكر كتبه وقال: كتاب ذكر المجاز من القرآن^(٣).

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة (أغا بزرك): ج ١٦ ص ٥٠ برقم ٣٠٨.

(٢) الذريعة الى تصانيف الشيعة (أغا بزرك): ج ١٧ ص ٣٥١ برقم ١٥٦٧.

(٣) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٣١٩ برقم ١٠٥٤.

٣ - مجازات القرآن، للشريف الرضي وهو أحسن ما ألّف في هذا المجال، وأسماء «تلخيص البيان في مجازات القرآن»، وقد طبع مرّات أحسنها مقام بطبعه مؤتمر الذكرى الالفية للسيد الشريف الرضي عام (١٤٠٦)، وهو من أنفس الكتب.

هؤلاء مشاهير المؤلفين في غريب القرآن ولغته ومجازاته، وهناك عدّة أخرى جالوا في هذا الميدان، لكن لأعلى وجه الاستقلال، بل أدرجوه في التفسير. فهذا هو الشيخ الطوسي يبيّن مفردات القرآن واشتقاقاتها بوجه دقيق في تبيانه، كما أن أمين الاسلام الطبرسي قام بهذه المهمة في تفسيره «مجمع البيان»، ولو قام الباحث باستخراج مذكره هذان العلمان في مجال مفردات الكتاب العزيز لجاء كتاباً حافلاً.

وفي الختام ننبه على نكتة، وهو أنّ التفسير اللغوي للقرآن صار أمراً رائجاً في عصرنا هذا واشتهر باسم التفسير البياني، ومن المصّرّين على هذا النمط من التفسير أمين الخولي المصري، والكاتبة المصرية عائشة بنت الشاطي، وقد انتشرت منها في ذلك المجال كتب، وقاما بتفسير القرآن بالرجوع الى نفس القرآن الكريم، والتفتيش عن موارد استعمالها في جميع الآيات، وهذا النمط من التفسير يعالج جانباً واحداً من مهمة التفسير، وهناك جوانب أخرى لا يستغني الباحث عنها إلّا بالتمسك بصحيح الأثر وغيره.

٢ - الشيعة والتفسير الموضوعي باقسامه:

إنّ نزول القرآن نجومياً، وتوزع الآيات الراجعة إلى أكثر الموضوعات في سور القرآن يقتضي نمطاً آخر من التفسير غير تفسير القرآن سورة فسورة وآية

فآية، وهذا النمط عبارة عن تفسيره حسب الموضوع بجمع آيات كل موضوع في محل واحد وتفسير مجموعتها مرة واحدة، مثلاً المفسر الذي يحاول التعمق في الحديث عن السماء والأرض، أو عن المعاد، أو قصص الأنبياء، أو في أفعال الانسان من جهة الجبر والاختيار، لابد أن يتبع هذا النمط الذي ذكرناه ليتمكن من جمع أطراف الموضوع جمعاً كاملاً وشاملاً.

إن من جملة الأسباب التي دعت إلى ظهور عقائد مختلفة بين المسلمين، وتشبث صاحب كل مذهب بآيات القرآن، هو أنهم اهتموا بقسم خاص من آيات الموضوع دون الأخذ بكل ما يرجع إليه، ولو أنهم اهتموا في كل مسألة من المسائل الاعتقادية بمجموع الآيات لدرؤوا عن أنفسهم الوقوع في المهاوي السحيقة.

ومن باب المثال نذكر أصحاب عقيدة الجبر في أفعال الانسان، أو مذهب التفويض فيها، فانهم ابتلوا بما ذكرناه، وخطبوا خطبة عشواء في فهم المقاصد الالهية وتفسيرها. إن الرجوع إلى الفهارس ومعاجم الكتب خصوصاً فيما ألف في أحوال رجال كانوا يعيشون في القرون الأولى الاسلامية إلى رابعة القرون وخامستها يكشف عن أن هناك لفيماً من علماء الشيعة وفطاحلهم اهتموا بهذا النمط من التفسير في إطار خاص، فترى أنهم ألفوا كتباً تفسيرية في خصوص موضوعات محدودة، فجمعوا آياتها في رسائلهم وكتبهم وأذوا حق الكلام في الموضوع الذي لا يمكن في النمط الآخر من التفسير، ونذكر في المقام بعض ما ألف في ذلك المجال:

أ. المحكم والمتشابه:

إن القرآن الكريم يصنف الآيات القرآنية ويقسمها إلى محكم ومتشابه،

فالمحكم هو أم الكتاب، والمتشابه ما يجب أن يرجع إليها في تبين مفهومه، فكأنَّ المحكم أصل، والمتشابه فرع، ويجب أن نستعين في فهم المتشابه بالأُم، قال سبحانه: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ»^(١).

ثمَّ إنه وقع الاختلاف في تفسير المتشابه إلى أقوال كثيرة ذكرها الفخر الرازي في تفسيره، وأنهاها إلى قرابة عشرين قولاً لا يسع المقام ذكرها ونقدها، وأناها الغرض هو الإشارة إلى مقام به الشيعة الإمامة طوال القرون من تأليف رسائل خاصة في ذلك الموضوع، والبحث عن الآيات المتشابهة إلى جانب الآيات المحكمة، ونذكر في هذه القائمة مشاهير المؤلفين ونترك الباقي لأصحاب المعاجم.

١ - متشابه القرآن، لإمام القراء أحد البدور السبعة، أبي عمارة، حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق، والمتوفى أيام المنصور، عام (١٥٨)، ذكره ابن النديم^(٢).

٢ - محكم القرآن ومتشابهه، لسعد بن عبدالله ابن أبي خلف الأشعري القمي. قال النجاشي: شيخ هذه الطائفة وفقهها وجهها، إلى أن قال: ولقي مولانا أبا محمد عليه السلام له كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، والظاهر أنَّ كتابه في فصلين أحدهما: الناسخ والمنسوخ، والثاني: في المحكم والمتشابه، أو هما رسالتان جمعهما في جزء واحد، توفي سعد عام (٣٠١)^(٣).

(١) الفهرس (ابن النديم): ص ٦١.

(٢) رجال النجاشي: ج ١ ص ٤٠١ برقم ٤٦٥.

(٣) رجال النجاشي: ج ١ ص ١٧٩ برقم ١٤٦.

٣ - متشابه القرآن، تأليف أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي. قال النجاشي: شيخنا المتكلم المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، ثم عدّ كتبه الكثيرة وقال: «... متشابه القرآن، وله مجالس مع الشيخ أبي القاسم البلخي المعتزلي المتوفي (٣١٩)»^(١).

٤ - متشابه القرآن، للشيخ أبي عبدالله محمد بن هارون، استاذ الشيخ محمد بن المشهدي، صاحب «المزار»، المتوفي عام (٥٣٠)^(٢).

٥ - متشابه القرآن ومختلفه، تأليف الشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، المولود عام (٤٨٨)، والمتوفي عام (٥٨٨)، وهو كتاب نفيس ينبئ عن طول باعه، وسيافيك الكلام فيه في قائمة اعلام التفسير في القرن السادس.

٦ - متشابه القرآن، لصدر المتألهين المولى محمد بن ابراهيم الشيرازي، المولود عام (٩٧٩)، والمتوفي عام (١٠٥٠)^(٣).

٧ - متشابهات القرآن ومحكماته، تأليف العلامة محمد هادي معرفة، وهو يشكّل جزءاً خاصاً من موسوعته: «التمهيد في علوم القرآن»، وقد درس الآيات المتشابهة حسب ترتيب السور، وهو كتاب ممتع.

٨ - أضواء على متشابهات القرآن، تأليف الشيخ خليل ياسين المعاصر طبع في بيروت في جزعين عام (١٣٨٨).

ونكتفي بما ذكر، وقد قام المعاصرون بتأليف رسائل مستقلة حول

(١) رجال النجاشي: ج ١ ص ١٧٩ برقم ١٤٢.

(٢) أمل الامل (الحزب العالمي): ج ٢ ص ٣١١ برقم ٩٤٧، يعرفه بقوله: فاضل جليل، صالح فقيه، كتب: منها مختصر التبيان في تفسير القرآن، وكتاب متشابه القرآن...

(٣) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ١٩ ص ٦٩ برقم ٣٢٨.

متشابهات القرآن، وفيما ذكرنا غنى وكفاية.

ب - الناسخ والمنسوخ:

إنَّ البحث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم من الموضوعات التي لفتت نظر الباحثين والمحقِّقين، وقد أُلِّف في ذلك الموضوع كتب ورسائل، وقد قام أبو بكر النخاس بجمع الآيات التي ادعى نسخها في كتاب أسماء الناسخ والمنسوخ فبلغت (١٣٨) آية.

إنَّ النسخ في الاصطلاح عبارة عن رفع «أمر ثابت» في الشريعة المقدسة بارتفاع أمدّه وزمانه، والمعروف بين الالهيّين، جواز النسخ أي رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع والانشاء، وخالف في ذلك اليهود، فادّعوا استحالة النسخ، واستندوا في ذلك إلى شبه واهية^(١).

والمقصود في المقام هونسخ الأحكام الواردة في القرآن الكريم، لامطلق نسخ الأحكام وإن لم يرد في القرآن الكريم، فإنَّ القسم الثاني ممّا لا كلام فيه، فقد صرّح القرآن الكريم بنسخ لزوم التوجّه إلى القبلّة الأولى في الصلاة، والكلام في أن يكون شيء من أحكام القرآن منسوخاً بالقرآن أو بالسنة القطعية أو بالاجماع، وقد قسّموا النسخ إلى ثلاثة أقسام:

- ١ - نسخ التلاوة والحكم.
 - ٢ - نسخ التلاوة دون الحكم.
 - ٣ - نسخ الحكم دون التلاوة.
- والأوّل: بيّن الفساد لايقول به إلّا القائل بالتحريف في الكتاب

(١) قوانين الأصول (القمي): ج ٢ المقصد الخامس في النسخ ص ٩٢.

العزیز، والمسلمون برآء منه إلا الحشوية من العامة وبعض الاخباريين من الخاصة.

ومثل للثاني: بآية الرجم، وأنه كان في القرآن الكريم ثم نسخ، والقول به أيضاً يلزم القول بالتحريف المصون عنه كتاب الله العزيز.

والقسم الثالث: هو المشهور بين العلماء والمفسرين، فأنكر جماعة وجوده، وخالفهم بعض آخر بعد الاتفاق على الامكان، والعدد الذي ذكره النحاس افراط، كما أنَّ نفيه من رأس تفريط، والتحقيق موكول إلى محله، وها نحن نذكر في هذا المقام الرسائل المؤلفة في هذا الموضوع من غير فرق بين أن يكون المؤلف مثبتاً، أو نافياً وإليك البيان:

١ - الناسخ والمنسوخ، لعبدالله بن عبدالرحمن الأصم المسمعي، المنسوب إلى طائفة من العرب باسم المسامعة ذكره النجاشي، وقال: وله كتاب الناسخ والمنسوخ^(١)، يروي عنه محمد بن عيسى بن عبيد المتوفى عام (٢٦٢)، ويروي هو عن مسمع بن كردين، وهو من أصحاب الامام الصادق عليه السلام.

٢ - الناسخ والمنسوخ، تأليف حسن بن واقد الذي هو أخو عبدالله بن واقد المعداد من أصحاب الامام الصادق عليه السلام^(٢).

٣ - الناسخ والمنسوخ، لدارم بن قبيصة التميمي الدارمي السائح، وهو ممن روى عن الامام الرضا عليه السلام وله كتاب آخر باسم الوجوه

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ١٥ برقم ٥٦٤، الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ٢٤ ص ١٢ برقم ٥٩.

(٢) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٧، الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ٢٤ ص ١١ برقم ٥٢ ونقله عن النجاشي أيضاً ولم نخجده، وله تفسير أيضاً سيوافيك في محله.

والنظائر^(١).

٤ - الناسخ والمنسوخ، تأليف حسن بن علي بن فضال الكوفي، من أصحاب الامام الرضا عليه السلام^(٢) المتوفى عام (٢٢٤).

٥ - الناسخ والمنسوخ، لأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري. قال النجاشي: شيخ القميين ووجههم وفقههم غير مدافع، وكان أيضاً الرئيس الذي يلقي السلطان، ولقي الرضا عليه السلام وله كتب، ولقي أبا جعفر الثاني وأبا الحسن العسكري، له كتاب الناسخ والمنسوخ^(٣) توفي بعد سنة (٢٧٤)، أو (٢٨٠).

٦ - الناسخ والمنسوخ، لسعد بن عبدالله أبي خلف الأشعري القمي، شيخ هذه الطائفة وفقهها ووجهها، ولقي مولانا أبا محمد العسكري، ثم ذكر كتبه، منها ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، توفي عام (٢٩٩) أو (٣٠١)^(٤).

٧ - الناسخ والمنسوخ، لشيخ القميين علي بن ابراهيم بن هاشم الذي كان حياً عام (٣٠٧)، وقد أكثر الكليني النقل عنه^(٥).

٨ - الناسخ والمنسوخ، لعبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري، شيخ البصرة واخبارها، وكان عيسى الجلودي من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ذكره النجاشي وذكر له كتباً كثيرة، منها

(١) رجال النجاشي: ج ١ ص ٣٧٢ برقم ٤٢٧.

(٢) رجال النجاشي: ج ١ ص ١٢٧ برقم ٧١.

(٣) رجال النجاشي: ج ١ ص ٢٦ برقم ١٩٦.

(٤) رجال النجاشي: ج ١ ص ٤٠١ برقم ٤٦٥.

(٥) رجال النجاشي: ج ١ ص ٨٦ برقم ٦٧٨.

كتاب الناسخ والمنسوخ، كما ذكر له كتاب التفسير وسيجي، في محله، وهو من شيوخ محمد بن جعفر بن قولويه، مؤلف كامل الزيارات المتوفى عام (٣٦٧)^(١).

٩ - الناسخ والمنسوخ، لمحمد بن العباس المعروف بابن الحجام يروي عنه التلعكبري سماعاً عنه سنة (٣٢٨)^(٢).

١٠ - الناسخ والمنسوخ، للشيخ الصدوق، المتوفى عام (٣٨١)، والنسخة موجودة بالنجف الأشرف مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء^(٣)، واحتمل شيخنا المجيز الطهراني أن تكون النسخة للناسخ والمنسوخ تأليف الشيخ عبدالرحمن بن محمد العتائقي الحلي، كما سيجيء.

١١ - الناسخ والمنسوخ من القرآن العظيم، لقطب الدين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي المتوفى عام (٥٧٣) توجد منه نسخة في طهران، وهو مؤلف الخرائج والجرائع المعروف^(٤).

١٢ - الناسخ والمنسوخ، لعبدالرحمن بن محمد العتائقي الحلي، المتوفى عام (٧٦٠)، والنسخة موجودة في النجف^(٥).

١٣ - الناسخ والمنسوخ، لجمال الدين أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٥٤ برقم ٦٣٨، الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرگ): ج ٢٤ ص ١١ برقم ٥٦.

(٢) الفهرست (الطوسي): ص ١٧٧ برقم ٦٥٢.

(٣) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٣١١ برقم ١٠٥٠، الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرگ): ج ٢٤ ص ١١ برقم ٥٥.

(٤) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرگ): ج ٢٤ ص ١١ برقم ٥٧.

(٥) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرگ): ج ٢٤ ص ١٤ برقم ٦٩.

بن الحسن بن المتوج البحراني من أجلاء تلاميذ فخر المحققين المتوفى عام (٧٧١)، والمعاصر للشهيد الأول، المتوفى عام (٧٨٦)، وقد بسط في الكتاب القول في بيان الآيات الناسخة والمنسوخة، قال سليمان الماحوزي: «وقد قرأته على بعض مشايخي في حادثة سني، سنة (١٠٩١)» والنسخة موجودة في النجف الأشرف^(١).

١٤ - الناسخ والمنسوخ، لعلي بن شهاب الدين الحسيني العلوي الهمداني، المتوفى عام (٧٨٦)، ومنه نسخة في مكتبة المرعشي بقم^(٢).

١٥ - الناسخ والمنسوخ، من الآيات القرآنية، لفخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن المتوج البحراني، شيخ ابن فهد الحلبي، المتوفى عام (٨٤١)، وتلميذ فخر المحققين، المتوفى عام (٧٧١) وهو غير جمال الدين أحمد بن عبد الله الذي مضى برقم ١٣^(٣).

١٦ - الناسخ والمنسوخ، لشهاب الدين أحمد بن فهد الاحسائي مؤلف خلاصة التنقيح (ت ٨٠٦) شرحه عبد الجليل الحسيني القاري، شارح الجزرية في التجويد سنة (٩٧٢)، وقد شرح هذا الكتاب سنة (٩٧٦)، وطبع في طهران عام (١٣٨٤)^(٤).

١٧ - الناسخ والمنسوخ، للشيخ محمد مهدي بن جعفر الكاشاني الموسوي، ألفه عام (١٢٥٠)، وهو حفيد الوحيد البهبهاني^(٥).

(١) المصدر نفسه: ج ٢٤ ص ٩ برقم ٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢٤ ص ١٢ برقم ٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ج ٢٤ ص ١٣ برقم ٦٨.

(٤) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرگ): ج ٢٤ ص ١٠ برقم ٤٩.

(٥) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرگ): ج ٢٤ ص ١٣ برقم ٦٥.

١٨ - الناسخ والمنسوخ، للشيخ محمد شريف الموسوي الاصفهاني المجاز من الفاضل الايرواني، المتوفى عام (١٢٠٦)، والشيخ زين العابدين المازندراني الحائري، طبع مع رسالته «نسيم السحر» في سنة (١٣٢٣) (١).

هؤلاء مشاهير المؤلفين في الناسخ والمنسوخ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى المعاجم والفهارس، غير أن هنا لفيفاً من اعلام الطائفة درس مسألة الناسخ والمنسوخ في الذكر الحكيم دراسة معمقة في ثنايا تفسيرهم أو مقدماته، وأخص بالذكر ما دبتجته يراعة المرجع الاسلامي الكبير السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي - دام ظله -، فقد طرح القسم الثالث من الناسخ والمنسوخ في كتابه «البيان في تفسير القرآن»، واقتصر في البحث على (٣٦) آية، وخرج بأنّها غير منسوخة (٢).

والجدير بالذكر أنّه لم يبحث عن آية العدة أعني قوله - سبحانه -: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ أَخْرَاجٍ» (٣)، فإن هذه الآية ناظرة إلى الحول المعروف في الجاهلية الذي كان عدة للنساء فيها، وقد أقر القرآن هذا الحكم مؤقتاً ونسخ حكماً بقوله - سبحانه -: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» (٤)، فقد تضافرت النصوص على ذلك من أئمة أهل البيت (٥).

(١) المصدر نفسه: ج ٢٤ ص ١١ برقم ٥٤.

(٢) البيان (آية الله الخوئي): ص ٢٧٧، ٣٨١. (٣) البقرة: ٢٤٠.

(٤) البقرة: ٢٣٤.

(٥) وسائل الشيعة (الحر العاملي): ج ١٥ ص ٤٥١، الباب ٣٠ من أبواب العدد.

ج - آيات الأحكام:

الآيات التي تقع ذريعة لاستنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بعمل المكلف في حياته الفردية والاجتماعية هي الآيات المعروفة بآيات الأحكام، وهي على المشهور ثلاثمائة آية تقريباً، وهناك أناس يستنبطون من كثير من الآيات القرآنية أحكاماً عملية، ولا تعدّ من آيات الأحكام وقد تعرّفت على بعضها في الأحاديث المروية عن الامام الجواد والامام الهادي عليهما السلام.

وقد أفرد لها لفيف من علماء الشيعة بالتأليف والتفسير بين رسائل صغيرة إلى كتب حافلة بالتحقيق، وربما حازوا قصب السبق في هذا المضمار كما سيتضح، وإليك أسماء مشاهيرهم في هذا الفصل مقتصرين عليهم:

١ - آيات الأحكام، لأبي نصر محمد بن السائب بن بشر الكلبي من أصحاب أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق عليهما السلام المتوفى عام (١٤٦)، وهو والد هشام الكلبي النسابة الشهير، وصاحب التفسير الكبير الذي هو أبسط التفاسير كما أذعن به السيوطي في الاتقان.

قال ابن النديم في الفهرس عند ذكره للكتب المؤلفة في أحكام القرآن مالفظه:

«كتاب أحكام القرآن للكلبي رواه عن ابن عباس، وهو أول من صتّف في هذا الفن لالامام الشافعي محمد بن ادريس المتوفى سنة (٢٤٠) كما زعم السيوطي، وكيف لا يكون كذلك وقد توفى الكلبي قبل ولادة

الشافعي بتسع سنين^(١).

٢ - آيات الأحكام، الموسوم بمنهاج الهداية، للشيخ جمال الدين أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن الحسن بن المتوج البحراني، تلميذ فخر المحققين^(٢).

٣ - آيات الأحكام، الموسوم بالنهاية في تفسير خمسمائة آية للشيخ فخرالدين أحمد بن عبدالله بن سعيد بن المتوج البحراني، وهذا المؤلف، والمؤلف المتقدم من أسرة واحدة، وكلاهما من تلامذة فخر المحققين^(٣).

٤ - آيات الأحكام، للشيخ ناصر بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبدالله بن المتوج البحراني، والده الشيخ أحمد من تلامذة فخر المحققين ابن العلامة الحلبي المتوفى عام (٧٧١)، حكى شيخنا المجيز في «الذريعة» عن أستاذه المجيز السيد حسن الصدر أنه رآه في مكتبات النجف^(٤).

٥ - آيات الأحكام، للشيخ أبي عبدالله المقداد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الأسدي الحلبي، المتوفى عام (٨٢٦)، وقد طبع باسم «كنز العرفان في فقه القرآن»، وهو من أنفس الكتب في موضوعه، وقد ترجم الى الفارسيّة والاردية حسب ما حكاها السيّد شهاب الدين المرعشي - قدس سره - في تقديمه على مسالك الأفهام.

٦ - آيات الأحكام، الموسوم بمعارج السؤل ومدارج المأمول، لكمال الدين حسن بن شمس الدين محمد الاسترآبادي النجفي، ألفه سنة

(١) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٧، وتأسيس الشيعة لفنون الاسلام ص ٣٢١، لاحظ الذريعة

الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ١ ص ٤٠ برقم ١٩٢.

(٢) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ١ ص ٤٢ برقم ٢١١.

(٣) و(٤) المصدر السابق: برقم ٢١٣ و ٢٢٠.

(٨٩١) (١).

٧ - آيات الأحكام، للمولى شرف الدين علي بن محمد الشيفنكي المتوفى عام (٩٠٧) حكاه شيخنا المجيز عن رياض العلماء، وحكاه هو عن تاريخ حسن بيك روملو^(٢).

٨ - آيات الأحكام، للمحقق أحمد بن محمد الاردبيلي ثم النجفي، المتوفى عام (٩٩٣)، وطبع باسم «زبدة البيان في براهين أحكام القرآن» مرتين، مرة بطهران عام (١٣٠٥)، وأخرى في سنة (١٣٨٦)، محققة منقحة.

٩ - آيات الأحكام، للعلامة الأمير أبو الفتح بن الأمير مخدوم بن الأمير شمس الدين محمد الحسيني ألفه للسلطان محمد قطب شاه سنة (١٠٢١)، وطبع في تبريز.

١٠ - آيات الأحكام، للسيد ميرزا محمد الحسيني الاسترآبادي، صاحب الكتب الرجالية الشهيرة: «الكبير» و«الوسيط» و«الصغير»، وقد توفي عام (١٠٢٦)، ومنه نسخة في مكتبة المرعشي^(٣).

١١ - آيات الأحكام، للشيخ أبي عبدالله محمد بن الجواد شمس الدين الكاظمي، والمشتهر بالفاضل الجواد من تلاميذ شيخنا البهائي الذي توفي عام (١٠٣٠)، وقد شرح كتاب أستاذه في الحساب، أعني خلاصة الحساب، وطبع الشرح بطهران عام (١٢٧٣ هـ)، وقد طبعت آيات الأحكام باسم «مسالك الأفهام الى آيات الأحكام» في جزعين كبيرين

(١) المصدر السابق: برقم ٢١٧.

(٢) مقدمة مسالك الأفهام (آية الله المرعشي): ص ١٠.

(٣) الذريعة: ج ١ ص ٤٣، ومقدمة مسالك الأفهام ص ١١.

وعنيت بنشره المكتبة المرتضوية نشرة محققة.

١٢ - آيات الأحكام، للشيخ أحمد بن اسماعيل بن العلامة الشيخ عبد النبي الجزائري النجفي المتوفى سنة (١١٥٠) طبع باسم «قلائد الدرر»، وقد طبع مرتين، مرة في طهران وأخرى بالنجف الأشرف عام (١٣٨٦)، شكر الله مساعي الجميع.

هذه اثنا عشر تأليفاً حول آيات الأحكام اكتفينا بها، ومن أراد التوسع والوقوف على ما ألفه أصحابنا حول آيات الأحكام من رسائل وكتب وموسوعات، فعليه الرجوع إلى معاجم الكتب^(١). وهذه الكمّية الهائلة تعرب عن عناية الشيعة بفهم القرآن الكريم، وتبويب مفاهيمه.

د - منازل من القرآن في حق النبي والآل:

لم ينحصر هذا النمط من التفسير (أي التفسير الموضوعي) فيما سبق من الموضوعات (المحكم والمتشابه، الناسخ والمنسوخ، وآيات الأحكام)، بل توجّهت همم الأصحاب وعنايتهم إلى تأليف رسائل وكتب في موضوعات قرآنية، نظير منازل من الآيات في حق أهل البيت، وإليك نزرأ سيراً ممّا ألف في هذا المجال من الأقدمين، وأمّا المتأخرين فهو على عاتق المعاجم القرآنية.

إنّ أهل البيت عليهم السلام ممّن خصّهم الله - سبحانه - بالذكر في غير

(١) لاحظ: الذريعة: ج ١ ص ٤٠ - ٤٤ وج ٤ ص ٢٣٤ - ٣٥١، وتقديم آية الله المرعشي لكتاب مسالك الأنفهام.

واحد من الآيات، فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(١)، وقال - سبحانه -: «قُلْ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(٢)، وقال - سبحانه -: «وَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا»^(٣)... إلى غير ذلك من الآيات، فلا عتب على المفسر الواعي أن يخص أهل البيت بالتفسير الموضوعي ويفرد آياتها بالتأليف، وكيف لا يكون كذلك وقد روى عكرمة عن ابن عباس، وقال: ما نزل من القرآن «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعلي رأسها وأميرها، وقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر علياً إلا بخير^(٤).

وروى سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي^(٥).

وقال ابن عباس: نزلت في علي أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه^(٦).

ولأجل هذا وذاك قام لفيف من المفسرين والمحدثين من العامة والخاصة بتأليف رسائل مفردة في هذا المجال، وفي الحقيقة كلها تفاسير موضوعية نذكر منها مايلي:

١ - ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، تأليف هارون بن عمر عبدالعزیز بن محمد أبو موسى المجاشعي، صحب الامام الرضا عليه السلام وله هذا

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) الاسراء: ٢٦.

(٤) مسند (أحمد بن حنبل): ج ١ ص ١٩٠، تاريخ الخلفاء (السيوطي): ص ١٧١.

(٥) الصواعق المحرقة (ابن حجر): الباب التاسع الفصل الثالث ص ٧٦.

(٦) تاريخ الخلفاء (السيوطي): ص ١٧٢.

الكتاب^(١).

٢ - منازل من القرآن في علي عليه السلام، تأليف عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري من أصحاب الامام الجواد عليه السلام فله تأليف كثيرة ذكرها النجاشي، وله كتاب التفسير كما سيوافيك في قائمة التفاسير الروائية^(٢).

٣ - ذكر منازل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام، تأليف أحمد بن الحسن الاسفرائيني، المفسر الضرير، قال النجاشي: له كتاب المصايح في ذكر منازل من القرآن في حق أهل البيت عليهم السلام، وهو كتاب حسن كثير الفوائد، سمعت أبا العباس أحمد بن علي بن نوح يمدحه ويصفه.

٤ - منازل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، تأليف ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي، أصله كوفي، وسعد بن مسعود أخو أبي عبيد بن مسعود عم المختار، وانتقل إلى إصفهان وأقام بها، وقد وفد إليه أحمد بن خالد المتوفى عام (٢٧٤) وسأله الانتقال إلى قم فأبى، وله كتب ممتعة في التاريخ والسيرة، وهو مؤلف «الغارات» المعروفة^(٣).

٥ - كتاب منازل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام، تأليف محمد بن العباس بن علي بن مروان الماهيار المعروف بابن الحجام. قال النجاشي: ثقة ثقة، من أصحابنا عين، سديد، كثير الحديث، له كتاب منازل من

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٤٠٦ برقم ١١٨٣.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٥٤ برقم ٦٣٧.

(٣) رجال النجاشي: ج ١ ص ٩٠ برقم ١٨، الفهرس (الطوسي): ص ٢٧ - ٢٩ برقم ٧.

القرآن في أهل البيت، وقال جماعة من أصحابنا: إنه كتاب لم يصنف في معناه مثله، قيل: إنه ألف ورقة، وذكره الشيخ في رجاله في باب من لم يرو عنهم عليهم السلام برقم (٧١)، وقال: سمع منه التلعكبري سنة (٣٢٨)، وله منه اجازة، وذكره في الفهرس برقم ٦٥٢^(١).

٦ - كتاب منازل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، تأليف محمد بن أحمد بن عبدالله بن اسماعيل الكاتب، أبوبكر يعرف بابن أبي الثلج، وأبو الثلج هو عبدالله بن اسماعيل. ثقة، عين، كثير الحديث، وذكر النجاشي فهرس كتبه، ومنها تأريخ الأئمة عليهم السلام، وقد طبع أخيراً، وذكره الخطيب في تاريخه^(٢) وذكره الشيخ في رجاله في باب من لم يرو عنهم برقم (٦٤)، وقال: سمع منه التلعكبري سنة (٣٢٢)، وما بعدها الى سنة (٣٢٥)، وفيها مات، وله منه اجازة^(٣).

٧ - منازل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام، تأليف الحسين بن الحكم الجبري الكوفي، وطبع عام (١٣٧٥)، وقدم لها: العلامة السيد أحمد الحسيني استقصى فيها ما ألف من التفاسير في أهل البيت من القدماء فبلغ (٤٤) كتاباً^(٤) حياه الله وبياه.

هذه نماذج مما ألف حول أهل البيت من الكتب والرسائل بشكل التفسير الموضوعي تقتصر على ذلك، وان التوسع يخرجنا عما هو الهدف، وهو الاشارة بذكر المفسرين من الشيعة في المجالات المختلفة، ومن سبر

(١) تاريخ الخطيب: ج ١ برقم ٢٤٩.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٩٤ برقم ١٠٣١، ولاحظ الرجال والفهرس للشيخ الطوسي.

(٣) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٩٩ برقم ١٠٣٨، وقد عرفت سائر المصادر في المتن.

(٤) لاحظ المقدمة للمصتح: ص ١٢-١٧.

المعاجم، وكتب التراجم وقف على أن موضوع مناقب أهل البيت وفضائلهم كتاباً وسنة كان موضع اهتمام العلماء منذ الصدر الأول وفي القرون التالية الى القرن الحاضر.

ولو جمعت تلك الكتب المطبوعة والمخطوطة الموجودة منها، لشكلت مكتبة كبرى، والجدير بالذكر أن أحد المحققين قام مشكوراً بفهرسة كبيرة في خصوص مناقب آل البيت، وأسماء بـ «أهل البيت في المكتبة العربية»، ولو ضمّ إليها ما ألّف بسائر اللغات لضاق النطاق على المحصي والمؤلف.

* * *

هـ- التأليف حول أمثال القرآن وأقسامه وقصصه:

قد ورد في القرآن الكريم قرابة ستين مثلاً، والمثل بطبعه يقرب البعيد، ويصّب المعقول في قالب المحسوس، وقد أفرد غير واحد من علماء الشيعة أمثال القرآن بالبحث والتأليف. هذا ابن النديم يعرف أبا علي بن أحمد بن الجنيد (ت ٣٨١) بأنه قريب العهد، من أكابر الشيعة، ثم يذكر كتبه ويقول في موضع آخر منه عند تسمية الكتب المؤلفة في معان شتى من القرآن مالفظه: «وكتاب الأمثال لابن الجنيد»^(١).

فلو قام ابن الجنيد وهو من قدماء علمائنا بهذا المجهود، فقد قام الشيخ أحمد بن عبد الله التبريزي النجفي المتوفى عام (١٣٢٧) بجمع الأمثال القرآنية وتفسيرها وما يتعلق بها وأسماء «روضة الأمثال» وطبع عام

(١٣٢٥)^(١)، وقد تظافر التأليف حول أمثال القرآن في العصر الحاضر من أكابر الشيعة باللغتين العربية والفارسية، وطبع الأكثر باسم أمثال القرآن^(٢).

قد ورد في القرآن الكريم قرابة أربعين قسمًا حلف فيه - سبحانه - بالشمس والقمر والليل والنهار إلى غير ذلك من عظام الموجودات، المليئة بالأسرار، وما هذا إلا ليتدبر الإنسان فيها ويقف على ما فيها من العجائب والغرائب، حتى أنه - سبحانه - حلف في سورة الشمس أحد عشر مرة بأشياء كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والنفس، ثم رتب عليها جواباً، وقال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْهَا»، وقد بحث المفسرون عن هذه الأقسام وتركوا البحث عن أمرهم، وهو ما هو الصلة بين المقسم به وجوابه، حتى أن ابن القيم (ت ٧٥١) أفرد كتاباً في أقسام القرآن، طبع باسم أقسام القرآن، ولكنه بحث عن المقسم به في جميع الآيات، وأهل البحث عن الصلة بينه وبين جوابه في شتى الآيات. نعم قام أخيراً ولدنا الفاضل الروحاني الشهيد^(٣) أبو القاسم الرزاق بتأليف كتاب حول أقسام القرآن، وسد هذا الفراغ الموجود في التفاسير، وقد أغرق نزاعاً في التحقيق، وطبع حديثاً.

إن قصص القرآن من المواضيع الهامة التي تحتاج إلى دراسات فنية، وفيها من العبر ما لا يحصى، وقد أفرد غير واحد من أصحابنا قصص القرآن

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ١١ ص ٢٨ برقم ١٧٥٠.

(٢) كأمثال القرآن للدكتور اسماعيل، ط طهران / ١٣٦٨ هـ ش، وأمثال القرآن لعلي اصغر حكمت الشيرازي.

(٣) استشهد - قدس سره - في الحرب المفروضة على إيران الإسلامية في حادث اسقاط طائرة على يد العدوان البعدي العفلي قرب مطار الأهواز ومعه لفييف من العلماء والمسؤولين الكبار.

قديماً وحديثاً^(١) بالتأليف، أخيرهم ما ألفه الدكتور محمود البستاني، فبحث عن القصص القرآنية حسب تسلسلها في السور الكريمة، وطبع عام (١٤٠٨).

و- معارف القرآن واحتجاجاته:

معارف القرآن تشكّل قسماً هاماً من مفاهيمه، خصوصاً فيما يرجع إلى المبدأ والمعاد، وقد ورد أكثر ما يرجع إلى المعارف الغيبية في السور المكية حيث كان النبي يمارس الاحتجاج على المشركين، كما ورد فيما يرجع إلى الكتب والشرائع السماوية وديانات اليهود والنصارى في السور الطوال حيث نزلت أوائل الهجرة.

فقد أفرد غير واحد من أصحابنا كتباً ورسائل حول معارف القرآن أخيرها - لا آخرها - معارف القرآن للشيخ محمد تقي المصباح، طرح فيه الآيات المتعلقة بمعرفة العالم والملائكة والجن والشيطان، نقله إلى العربية عبد المنعم الخاقاني، وطبع في بيروت.

كما أنّ الحوار والاحتجاج في القرآن له أساليبه ومعطياته، فقد قام بالاحتجاج على الملحدين والمشركين وعلى أهل الكتاب، فقد أفرد غير واحد من أصحابنا بالتأليف أخيرها - لا آخرها - الحوار في القرآن للسيد محمد حسين فضل الله العاملي، طبع في بيروت.

ز- أسباب النزول:

إنّ التعرّف على أسباب النزول يسلّط الضوء على مفاد الآية ومفهومها

(١) لاحظ الذريعة إلى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ١٧ ص ١٠٢ و ١٠٧.

وهو غير خفي على من له إلمام بالتفاسير، فقد قام غير واحد من أصحابنا بالتأليف حوله، نذكر نموذجين:

١ - أسباب النزول، للشيخ قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، المتوفى عام (٥٧٣)، وهو من مصادر بحار الأنوار^(١).

٢ - الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول، للشيخ رشيد الدين محمد بن علي شهر آشوب السروي المتوفى عام (٥٨٨)^(٢).

هذه نماذج من التفسير الموضوعي أتيانها إيقافاً للقارئ على جهود علماء الشيعة في العصور السابقة والعصر الحاضر، وقد تركنا كثيراً من الموضوعات القرآنية التي افرد بالتأليف كالأخلاق والسياسة والمسائل العائلية وغير ذلك من الموضوعات الهامة التي تداولتها أقلام المحققين في العصر الحاضر بالبحث والتحقيق، ومن راجع المكتبات العربية، أو استعرض فهارس مكتبات العالم يقف على مجموعة كبيرة من الكتب تبحث عن موضوعات قرآنية حسب التفسير الموضوعي، وبما أن الهدف هنا الإيجاز تركنا التفصيل في ذلك.

التفسير الموضوعي في العصر الحاضر:

ولقد استقطب «التفسير الموضوعي» للقرآن الكريم في العصر الحاضر قسماً كبيراً من اهتمام العلماء نظراً لأهمية هذا النهج من التفسير ومساعدته على درك المفاهيم القرآنية، والمعارف الإلهية الدقيقة العميقة، فإن القرآن كما أسلفنا ذكر هذه المعارف بصورة متفرقة تبعاً للمناسبات، ولو جمعت

هذه المعارف في محل، ثم درس المفهوم القرآني المعين في ضوء كل ما يرتبط به من آيات، لأمكن الحصول على فكرة متكاملة وصورة شاملة لذلك المفهوم.

ولهذا اندفع العلماء المهتمون بالثقافة القرآنية في عصرنا هذا إلى خوض هذا الميدان الشريف الهام بمختلف الصور، وأتت بنتائج طيبة، وأثمرت جهودهم ثماراً يانعة، ومن وقف على الدراسات القرآنية في جامعة «قم» يرى أن لهذا القسم من الدراسات قسطاً كبيراً.

وقد أثمرنا هذا المنهج منذ عام (١٣٨٩) هـ وكانت حصيلة هذه السنوات سبعة أجزاء من التفسير الموضوعي تحت عنوان «مفاهيم القرآن»، تناولت بالترتيب قضايا التوحيد والشرك، والحكومة الإسلامية، والاسماء والصفات، والنبوة العامة والخاصة، وما يرتبط بالسيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم.

ولقد لقيت هذه الدراسات اقبالاً واسعاً مما يكشف عن أهمية هذا المنهج من التفسير.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة المجلسي هو أول من فتح هذا الباب بمصراعيه في جمع موضوعات القرآن والبحث عنها بحثاً قرآنياً. فإن ما وصل إلينا من القدماء هو تخصيص موضوع خاص بالتفسير، وأما غواص بحار درر الأحاديث الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى عام (١١١١)، أتبع هذا المنهج في جميع أبواب كتابه وموسوعته النادرة، فجمع الآيات المربوطة بكل موضوع في أول الأبواب وفسرها تفسيراً سريعاً، وهذه الخطوة وإن كانت قصيرة لكنها جلية في عالم التفسير، وقد قام بذلك مع عدم المعاجم القرآنية الرائجة في هذه الاعصار.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ جهاز الكمبيوتر الذي ثبتت له قدرة كبرى في عملية فرز المعلومات وتجميعها وتحضيرها وبالتالي تقديم تسهيلات هامة في مجال التحقيق العلمي في شتى حقول المعرفة... لو أنَّ هذا الجهاز الفعّال استخدم في مجال التفسير الموضوعي لحصل الباحث على نتائج باهرة. وكلّ أملنا أن تهتم الشخصيات والمؤسسات المهتمة بالمسائل القرآنية بهذا الاقتراح، أو توليه المزيد من العناية به لنستطيع مواكبة العصر الحديث في تقدّمه الصاعد وتلبية حاجاته الماسة الملحة.

* * *

الشعبة والتفسير الترتيبي:

قد تعرّقت على منهج التفسير الموضوعي فهلّم معي ندرس المنهج الراجح بين المفسرين وهو المنهج الترتيبي، وأظنّ أن القارئ في غنى عن تعريفه لشيوعه. وقد قام المسلمون بهذا النمط من التفسير على اختلاف مشاربهم في تفسير القرآن الكريم، وقام فضلاء الشيعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة المعصومين بهذا النمط من التفسير، وقد أخذوا علوم القرآن وتبين مفاهيمها عن أئمتهم، فأول من دَوّن أقواله في التفسير منهم هو عبدالله بن العباس المتوفى سنة (٦٨)، وأول من كتب تفسيراً تلميذه سعيد بن الجبير عام (٩٥)^(١)، واستمرّ الأمر إلى عصرنا هذا، بل لم يكتف كثير منهم بتأليف تفسير واحد حتى ضمّ إليه آخر، بل كثير منهم عزّزها بثالث ورابع، وقد استخرج أسماء هؤلاء المعزّزين شيخ الباحثين «آغا بزرك

الطهراني» في معجمه^(١).

والغالب على التفاسير المدونة في القرون الأولى هو تفسير القرآن بالأثر، ومن نماذجه تفسير «فرات بن ابراهيم الكوفي» الراوي عن جعفر بن محمد بن مالك البزاز الفزاري الكوفي المتوفى حوالي (٣٠٠)، والمعلم لأبي غالب الزراري المولود (٢٨٥)، وتفسير «علي بن ابراهيم القمي»، الذي كان حياً عام (٣٠٧)، و«تفسير العياشي»، محمد بن مسعود أستاذ الشيخ الكليني المتوفى عام (٣٢٩)، إلى غير ذلك من التفاسير المؤلفة في العصور الأولى، فإن الجلّ لولا الكلّ تفاسير روائية، وكأنهم كانوا يجتنبون عن تفسير القرآن تفسيراً فكرياً تحليلياً علمياً تحرراً من وصمة التفسير بالرأي، وقد كان هذا النقط سائداً إلى أواخر القرن الرابع بين الشيعة، حتى أحس العلماء بالحاجة الشديدة إلى التفسير العلمي والتحليلي، منضماً إلى ماروي عن النبي والأئمة عليهم السلام وأول^(٢) من فتح هذا الباب الشريف الرضي (ت ٤٠٦)، فألف كتاب «حقائق التأويل» في عشرين جزءاً، ثم أخوه الشريف المرتضى (ت ٤٣٦) في أماليه المسمّى بـ«الغرر والدرر»، ثم تلميذه الأكبر الشيخ الطوسي مؤلف «التبيان» (ت ٤٦٠) إلى أن صار هذا المنهج هو المنهج المتبع الشائع في جميع الأعصار إلى عصرنا هذا، وقلّت العناية بالمنهج الروائي المحض إلّا في بعض الأعصار القرنين (الحادي عشر والثاني عشر)، كما سيوافيك تفصيله، وبذلك حصل التطور الواضح في تفسير القرآن الكريم، ولعلّ العناية بالأثر وصيانة تلك الكنوز عن الاندثار

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) نذكر ذلك على وجه التقريب، لأنّه لم يصل إلينا من تقدّم عليه، تفسير عليه ذلك الطابع.

حملت المفسرين في تلك الأعصار على تفسير القرآن بنمط واحد ولون فارد، وهو التفسير بالأثر من غير فرق بين السنة والشيعه حتى أن أبا جعفر الطبري المتوفى (٣١٠)، وضع تفسيره على ذلك المنهج، وقلما يتفق أن يستكشف أسرار الآيات ويبسط الكلام فيها.

غير أن احتكاك الثقافات والضرورات الاجتماعية فرضت على المفسرين المنهج العلمي من التفسير حتى يكون ملتباً لحاجاتهم، فإن القرآن بحر لا ينزف. فأدخلوا في التفسير قراءة القرآن، وإعرابه، وغوامضه، ومشكلاته، ومعانيه، وجهاته، ونزوله، وأخباره، وقصصه، وآثاره، وحدوده، وأحكامه، وحلاله وحرامه، والكلام على مطاعن المبطلين، والاستدلال على ما يتفرد به المفسر في المذهب الفقهي أو الاعتقادي، وقد آلف في أواسط القرن الرابع علي بن عيسى الرماني تفسيره المعروف، وهو بمنهجه العلمي تفوق على التفاسير المتقدمة عليه.

وها نحن نذكر أسماء أعلام المفسرين بالأثر المروي عن النبي والآل، ثم نتبعهم بسرد أسماء مشاهير المفسرين بالتفسير العلمي، فالمنهج الأول يمتد إلى نهاية القرن الرابع، كما أن المنهج الثاني يستدئ بطلوع القرن الخامس حسبا وصل إلينا من كتبهم، وبما أن أكثر ما آلف في العصور الأولى غير واصله إلينا، لا يمكن لأحد القضاء البات في الموضوع، وأن جميع ما في تلك القرون تفاسير روائية، وإنما نعتمد في ذلك على الحدس وما ذكره الشيخ في أول البيان، والله العالم.

مشاهير المفسرين بالرواية والأثر

من الشيعة

إذا كان التفسير البياني أو اللغوي أمراً رائجاً بعد رحلة النبي الأكرم، كان التفسير بالرواية والأثر أيضاً رائجاً، ولا يمكن لنا أن نقضي قضاءً باتاً بتقدّم إحدى المرحلتين على الأخرى، وليس من البعيد أن يكون كلا النمطين رائجين في عصر واحد، وقد تعرّفت على مشاهير مفسري الشيعة بالتفسير البياني فحان وقت ذكر مشاهير مفسريهم بالحديث والأثر سواء أكان مروياً من النبي الأكرم، أو من أئمة أهل البيت، وقد عرفت أن أسانيدهم في الرواية تنتهي إلى الرسول الأعظم، ونحن نقصر في القائمة التالية بالمشاهير دون كلّ من ألف تفسيراً حديثياً، وإلا فيحوجنا الاستقصاء إلى تأليف مفرد، كما نذكر من روي منه التفسير بالأثر، سواء أكان له تأليف أولاً، وسيوافيك أن عصر التدوين متأخر عن عصر بزوغ التفسير، وتداوله بين الصحابة والتابعين، وإليك أسماء الشخصيات اللامعة في أربعة قرون خدموا القرآن عن طريق الأثر عن النبي والآل:

أعلام التفسير في القرن الأول:

١ - عبد الله بن عباس: هو ترجمان القرآن، ابن عمّ النبي الأكرم، ولد

بثلاث سنين قبل الهجرة، وتوفي بالطائف سنة (٦٨)، ذكره ابن النديم في تسمية الكتب المصنفة في التفسير بعد ما ذكر كتاب التفسير للإمام الباقر عليه السلام وقال: كتاب ابن عباس، رواه مجاهد وهو أبو الحجاج المقرئ، المفسر المكي مجاهد بن جبر، المتوفى عام (١٠٢)، ورواه عن مجاهد حميد بن قيس الذي توفي في زمن السفاح...»، وسيوافيك أنَّ عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفى عام (٣٣٢) يروي تفسيراً عن ابن عباس^(١)، وقد طبع تفسير موسوم بتنوير المقباس من تفسير عبدالله بن عباس في أربعة أجزاء، وطبع في بولاق مصر عام (١٢٩٠)، وأما من هو المؤلف لهذا التفسير فقد نسبته الحافظ شمس الدين السخاوي في الضوء اللامع الى محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، صاحب القاموس المتوفى عام (٨١٨)، والكلام في هذا الكتاب ذو شجون، والتحقيق موكول إلى محله، وعلى أي تقدير فالرجل في الرعيّل الأول من المفسرين بين الصحابة والتابعين، وقد عرفت مأخذ تفسيره فلانعيد ولم يثبت له كتاب.

٢ - ابن جبير: هو سعيد بن جبير الشهيد عام (٩٥) بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي، ذكره ابن النديم في الفهرس، وقد استشهد الرجل لولائه وتشيعه، وقصته معروفة^(٢).

(١) الفهرس (محمد بن اسحاق النديم) ص ٥٦، رجال النجاشي: ج ٢ ص ٥٦، قال في فهرس كتبه: الكتب المتعلقة بعبدالله بن العباس - رضي الله عنه -: مسنده - رضي -، كتاب التنزيل عنه، كتاب التفسير عنه، كتاب تفسيره عن أصحابه، كتاب القراءات عنه، كتاب الناسخ والنسخ عنه، الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ برقم ١١٨٥.

(٢) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٧. وسعيد بن جبير أول مؤلف من الشيعة في التفسير، كما سيوافيك، وعلى فرض ثبوت تأليف لابن عباس يكون هو المؤلف الأول، وقد أثبت ابن النديم لها كتاباً.

٣ - عطية العوفي: هو المعروف بالجلدي، وهو غير عطية العوفي المعروف بالبكالي، فان الثاني من أصحاب أمير المؤمنين، والأول من أصحاب الامام الباقر الذي توفي سنة (١١٤)، وقد أخذ عنه أبان بن تغلب، وخالد بن طهمان وزباد بن المنذر، كما ذكره النجاشي في تراجم هؤلاء، وقد جاءت ترجمته في كتب رجال العامة كتهذيب الكمال و خلاصة التهذيب^(١).

* * *

اعلام التفسير في القرن الثاني:

٤ - السدي: أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمان القرشي التابعي الكوفي المعروف بالسدي الكبير، نسبة إلى سدة مسجد الكوفة، المتوفى سنة (١٢٧)، من أصحاب علي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام. قال السيوطي في الاتقان: إنّ تفسير اسماعيل السدي من أمثل التفاسير، ونرى المرويات عنه في كتب التفسير كثيراً^(٢).

٥ - جابر بن يزيد الجعفي: قال النجاشي: «عربي قديم، ثمّ سرد نسبه وقال: لقي أبا جعفر وأبا عبدالله، مات سنة (١٢٨)، له كتب منها التفسير. عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الامام الباقر^(٣).

٦ - زيد بن أسلم العدوي: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الامام السجّاد والامام الصادق عليها السلام^(٤) وذكر ابن النديم له كتاب التفسير،

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٨٢ برقم ١٢٩٣.

(٢) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٧، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٧٦ برقم ١٢٧٥.

(٣) رجال النجاشي: ج ١ ص ٣١٣ برقم ٣٣٠، رجال الطوسي: ص ١١١ برقم ٦.

(٤) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٧، رجال الطوسي: ص ٩٠ و ١٩٧، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤

وقال: كتاب التفسير عن زيد بن أسلم وهو بخط السكري، وهو أبو سعيد الحسن بن حسين بن عبدالله السكري، النحوي، اللغوي، المتوفى عام (٢٧٥).

٧ - أبان بن تغلب: وهو أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري، المتوفى عام (١٤١)، قال ابن النديم: كتاب التفسير لابن تغلب، ثم ذكر في صفحة (٣٢٢) ما لفظه: كتاب معاني القرآن، لطيف وكتاب القراءات، والظاهر أن المراد من معاني القرآن هو تفسير غريبه، وقد مرّ ذكره^(١).

٨ - محمد بن السائب الكلبي: هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، المتوفى عام (١٤٦)، من أصحاب الامامين الباقر والصادق، وهو والد أبي المنذر هشام الكلبي النسابة، المتوفى (٢٠٦)، ترجمه ابن النديم وذكر تفسيره، وقال: وهو تفسير كبير، وقد عدّه الشيخ من أصحاب الامام الصادق عليه السلام^(٢).

٩ - أبو حمزة الثمالي: هو ثابت ابن أبي صفية. قال النجاشي: كوفي ثقة، وكان آل المهلب يدعون ولاءه، وليس من قبيلتهم، لأنهم من العتيك (والعتيك: بطن من الأزد) لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبدالله وأبا الحسن (الكاظم)، وروى عنهم وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمدتهم في الرواية والحديث، وروى عن أبي عبدالله أنه قال: أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه، ومات سنة (١٥٠)، وذكره ابن النديم في

ص ٢٧٥ برقم ١٢٧٣.

(١) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٠ وص ٣٢٢.

(٢) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٧، رجال الطوسي: ص ٢٨٩ برقم ١٤٤.

فهرسه، والحلي في كشف الظنون، ويروي عن هذا التفسير، الشعبي (ت ٤٢٧) في الكشف والبيان، كما يروي عن هذا التفسير ابن شهر آشوب في كتابه «الأسباب والنزول»، و«المناقب»، وقال ابن حجر في التقریب (١١٦/١): رافضي مات في خلافة أبي جعفر المنصور^(١).

١٠ - أبو الجارود: زياد بن المنذر، المعروف بأبي الجارود الهمداني. عرفه النجاشي بقوله: كوفي من أصحاب أبي جعفر، وروى عن أبي عبدالله، له كتاب تفسير القرآن، رواه عن أبي جعفر، ومات في حياة الامام الصادق عليه السلام، وذكره الشيخ في أصحاب الامام الباقر، وأقرأ ترجمته في تقريب التهذيب، وتهذيب التهذيب^(٢).

١١ - حسن بن واقد: هو أخو عبدالعزیز، عبدالله بن واقد الذي هو من أصحاب الامام الصادق، وذكر ابن النديم في فهرسه كتاب التفسير له كما ذكر له الناسخ والمسنوخ^(٣).

١٢ - أبو جنادة السلولي: هو الحصين بن المخارق بن عبدالرحمن السلولي، بن ورقاء بن حبشي بن جنادة ويعده جده الحبشي من الصحابة، وقد عده الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق والكاظم، وذكر له التفسير. قال النجاشي: الحبشي (جده) صاحب النبي، روى عنه ثلاثة أحاديث،

(١) الفهرس (ابن النديم): ص ٥٧، رجال النجاشي: ج ١ ص ٢٨٩ برقم ٢٩٤ الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٥٢ برقم ١٢٠٥.

(٢) رجال النجاشي: ج ١ ص ٣٨٧ برقم ٤٤٦، رجال الطوسي: ص ١٢٢ برقم ٤ وتعليقه للعلامة السيد صادق بحر العلوم.

(٣) للفهرس (ابن النديم): ص ٥٧، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٧١ برقم ١٢٦٠.

أحدها: «عليّ منّي وأنا منه»، ثم قال: له كتاب التفسير والقراءات^(١).
 ١٣ - وهيب بن حفص: هو المعروف بأبي علي الحريري مولى بني أسد،
 روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن (الكاظم)، وكان ثقة وصنف كتباً منها:
 كتاب تفسير القرآن وكتاب في الشرائع^(٢).

١٤ - علي بن أبي حمزة البطائني: عرقه النجاشي بقوله: كوفي روى عن
 أبي الحسن موسى (الكاظم)، وروى عن أبي عبدالله، وصنف كتباً منها
 كتاب جامع في أبواب الفقه، وكتاب التفسير وأكثره مروى عن أبي بصير،
 وذكره الشيخ في أصحاب الصادق^(٣).



اعلام التفسير في القرن الثالث:

١٥ - الامام الحافظ الكبير عبد الرزاق بن همام اليماني، المولود سنة
 (١٢٦)، والمتوفى عام (٢١١)، ترجمة الذهبي في تذكرة الحفاظ وعده الشيخ
 في عداد أصحاب الامام الصادق عليه السلام، وذكر النجاشي اسمه في
 ترجمة أبي علي محمد بن همام بن سهيل الاسكافي البغدادي، وتوجد نسخة من
 تفسيره في بعض مكتبات مصر، سنة كتابته (٧٢٤)، وقد أكثر فيه الرواية
 عن أبي عروة: معمر بن راشد الصنعاني البصري من أصحاب الامام
 الصادق^(٤).

(١) رجال الطوسي: ص ١٧٨ برقم ٢٢٢، رجال النجاشي: ج ١ ص ٣٤٢ برقم ٣٧٤.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٣٩٣ برقم ١١٦٠.

(٣) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٦٩ برقم ٦٥٤، رجال الطوسي: ص ٢٤٢ برقم ٣١٢.

(٤) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٩٥ برقم ١٠٣٣، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٣٥٠ برقم ١٢٠٠.

١٦ - ابن محبوب: هو الحسن بن محبوب المولود عام (١٥٠)، والمتوفى عام (٢٢٤)، قال الشيخ: كوفي ثقة، روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عن ستين رجلاً من أصحاب أبي عبدالله، وكان جليل القدر ويعد من الأركان الأربعة في عصره، ثم عدّ كتبه، وقال: وزاد ابن النديم كتاب التفسير^(١).

١٧ - ابن فضال الكبير: وهو أبو محمد الحسن بن علي الفضال الكوفي، المتوفى عام (٢٢٤)، ذكر تفسيره ابن النديم، وله أيضاً «الشواهد من كتاب الله»، وذكر النجاشي له خصوص الناسخ والمنسوخ، وقال الشيخ: روى عن الرضا عليه السلام، وكان خصيصاً به، وكان جليل القدر عظيم المنزلة زاهداً ورعا ثقة في الحديث وفي رواياته، ثم ذكر كتبه، وقال: وزاد ابن النديم كتاب التفسير^(٢).

١٨ - الحسن بن سعيد الاهوازي: قال النجاشي: شارك أخاه الحسين في الكتب الثلاثين المصنفة. خاله جعفر بن يحيى بن سعد الأحول من رجال أبي جعفر الثاني (الجواد)، وكُتِبَ ابني سعيد كتب حسنة معول عليها وهي ثلاثون كتاباً، ومنها: كتاب تفسير القرآن. وقد ذكرهما الشيخ من أصحاب الرضا عليه السلام وتوفي الامام الرضا عليه السلام عام (٢٠٣)^(٣).

(١) الفهرس (الطوسي): ص ٧١ برقم ١٦٢، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٤٨ برقم ١١٩٣. لاحظ فهرس (ابن النديم): ص ٣٠٩ والعجب أنّ النجاشي لم يعقد لابن محبوب ترجمة مستقلة مع أنّه من أصحاب الاجماع.

(٢) رجال النجاشي: ج ١ ص ١٢٧ برقم ٧١، الفهرس (الطوسي): ص ٧٣ برقم ١٦٤، الفهرس (ابن النديم): ص ٢٢٦.

(٣) رجال النجاشي: ج ١ ص ١٧١ برقم ١٣٥، رجال الطوسي: ص ٣٩٥.

١٩ - محمد بن خالد بن عبد الرحمن الكوفي البرقي: قال النجاشي: وكان أديباً حسن المعرفة بالآخبار وعلوم العرب، له كتب منها: كتاب التفسير، وعده الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد، كما عده أيضاً في موضع آخر من أصحاب الرضا^(١).

٢٠ - عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي: من أصحاب الإمام الجواد، وذكر النجاشي له كتباً كثيرة، وقال: كتاب التفسير عن علي، ثم قال: وكتاب تفسيره عن الصحابة، وهو من المكثرين في التفسير، وقد مر أن له كتب التفسير عن ابن عباس وغيره، وقد ذكر له ما يقرب من مأتي كتاب، وقال الشيخ: «عبد العزيز الجلودي من أهل البصرة إمامي المذهب له كتب في السير والآخبار...»، وقد ذكر المعلق على فهرس الشيخ أنه توفي سنة (٢٣٢) (٢).

٢١ - محمد بن عباس بن عيسى: قال النجاشي: كان يسكن بني غاضرة، روى عن أبيه والحسن بن علي بن أبي حمزة وعبد الله بن جبلة، له كتب منها: كتاب التفسير^(٣).

٢٢ - علي بن الحسن بن فضال: قال النجاشي: «كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث المسموع قوله فيه، سمع منه شيء كثير، ولم يعثر له على زلة فيه ولا ما يشينه، وقلّ ما روى عن ضعيف، وصنف كتباً كثيرة منها: كتاب التفسير، ومنها: كتاب التنزيل من

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٠٠، برقم ٨٩٩، رجال الطوسي: ص ٤٠٤ و ٣٨٦.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٥٤ برقم ٦٣٨ الفهرس (الطوسي): ص ١٤٥، الفهرس (ابن

النديم): ج ٤ ص ١٧٢.

(٣) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٣٢ برقم ٩١٧.

القرآن والتحريف»، ولعلّ المراد أسباب النزول الصحيحة والمحرّفة. عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الهادي والعسكري، توفي أبوه سنة (٢٢٤). وقال الشيخ: ثقة كوفي كثير العلم، واسع الرواية والأخبار، جيد التصانيف، وعدّه كتبه ومنها: كتاب التفسير^(١).

٢٣ - أحمد بن محمد بن خالد البرقي: مؤلف كتاب المحاسن، وهو مشتمل على عدّة كتب منها: كتاب التفسير والتأويل، وله كتاب فضل القرآن أيضاً، توفي عام (٢٧٤)، وذكره الشيخ في أصحاب الجواد والهادي من رجاله^(٢).



اعلام التفسير في القرن الرابع:

٢٤ - فرات بن ابراهيم الكوفي:، وقد أكثر فيه الرواية عن الحسن بن سعيد الكوفي الأهوازي الذي أدرك الامام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام، كما أكثر فيه من الرواية عن جعفر بن مالك البزاز الكوفي، المتوفى حدود (٣٠٠)، كما أكثر من الرواية عن عبيد بن كثير العامري الكوفي، المتوفى سنة (٢٩٤)، فالمؤلف من أعيان الامامية، في أوائل القرن الرابع، ويروي عنه والد الشيخ الصدوق علي بن الحسين بن بابويه المتوفى سنة (٣٢٩). طبع مرتين، المرّة الثانية طبعة محقّقة^(٣).

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٨٢ برقم: ٦٧٤. الفهرس (الطوسي): ص ١١٨ برقم ٣٩٣، والرجال:

ص ٤١٩ و ٤٣٣.

(٢) رجال النجاشي: ج ١ ص ٢٠٤ برقم ١٨٠، رجال الطوسي: ص ٣٩٨ برقم ٨، وص ٤١٠ برقم ١٦.

(٣) الدريعة (آغا بزرگ): ج ٤ ص ٢٩٨ برقم ١٣٠٩.

٢٥ - محمد بن أوزمة: أبو جعفر القمي، ترجمة النجاشي في رجاله، وذكره الشيخ في باب من لم يرو عن الأئمة، وذكر النجاشي له كتب كثيرة منها: كتاب تفسير القرآن^(١).

٢٦ - علي بن ابراهيم بن هاشم الكوفي القمي: استاذ الكليني، وكان في عصر أبي محمد العسكري وبقي حياً إلى سنة (٣٠٧)، وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا، عن حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا علي بن ابراهيم بن هاشم سنة (٣٠٧)، وطبع تفسيره مرات، ولنا بحث ضاف حول تفسيره. قال النجاشي: ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر وصنف كتباً، وله كتاب التفسير^(٢).

٢٧ - ابن بابويه: ابوالحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفى سنة تناثر النجوم (٣٢٩)، قال النجاشي: له كتب منها: كتاب التفسير، ثم رواه عنه بواسطة أبي الحسن العباس بن عمر بن العباس وقال المجيز: أخذت اجازة علي بن الحسين بن بابويه لما قدم بغداد سنة (٣٢٨) بجميع كتبه.

وقال الشيخ في الفهرست: كان فقيهاً جليلاً ثقة، وله كتب كثيرة، ثم عدّ كتبه، منها: كتاب التفسير، وذكره في الرجال في باب من لم يرو عن الأئمة، وقال: روى عنه التلعكبري، قال: سمعت منه في السنة التي تهافتت فيه الكواكب، دخل بغداد فيها وذكر أن له منه اجازة بجميع مروياته، وذكره ابن النديم في الفهرس وهو مؤلف أحد الكتب الأربعة

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢١١ برقم ٨٩٢، رجال الطوسي: ص ٥٠٢ برقم ١١٢.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٨٦ برقم ٦٧٨، وكليات في علم الرجال، للمؤلف، ص ٣١١.

الفقهية المطبوعة^(١).

٢٨ - العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود السمرقندي، المؤلف لما يزيد على مائتي كتاب في عدة فنون، الحديث، الرجال، التفسير، النجوم، وهو في طبقة الكليني، ومن مشايخ الكشي، قال النجاشي: ثقة عين من عيون هذه الطائفة، وسمع من شيوخ الكوفيين والبغداديين والقميين. أنفق تركة أبيه على العلم والحديث، وكانت ثلاثمائة ألف دينار، وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو معلق مملوءة من الناس، وقال الشيخ: جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايات، مطلع عليها. له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف، ذكر فهرس كتبه أبو اسحاق النديم، منها: كتاب التفسير، وقد طبع جزءان من هذا التفسير ينتهي إلى سورة الكهف، وقد جنى الناسخ على الكتاب وأسقط أسانيد الحديث^(٢).

النعماني: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني الراوي عن ثقة الاسلام الكليني، المتوفى سنة (٣٢٩). قال الشيخ الحر العاملي: رأيت قطعة من تفسيره^(٣)، ولعل مارآه هو رسالة المحكم والمتشابه المطبوع باسم السيد المرتضى، وقد أدرجها القمي في أول تفسيره، والسيد هاشم البحراني في تفسير البرهان، ولأجل أنه لم يتحقق لنا أن له تفسيراً وراء هذا لم نذكر له رقماً خاصاً.

٢٩ - ابن الوليد: محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال النجاشي:

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٩ برقم ٦٨١، الفهرس (الطوسي): ص ١١٩ برقم ٣٩٤، الرجال له أيضاً: ص ٤٨٢ برقم ٣٤، الفهرس (ابن النديم): ص ٢٩١.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٤٧ برقم ٩٤٥، الفهرس (الطوسي): ص ١٦٣.

(٣) الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٣١٨ برقم ١٣٤٢.

شيخ القميين وفقههم ومتقدمهم وجههم ثقة أي مسكون إليه، له كتب منها: كتاب تفسير القرآن، وقال الشيخ: جليل القدر عارف بالرجال موثق به، له كتب منها: كتاب الجامع وكتاب التفسير، وقال ابن النديم مثله^(١).

٣٠ - محمد بن أحمد بن إبراهيم الصابوني: مؤلف تفسير «معاني القرآن» من قدماء أصحابنا، وأعلام فقهاءنا ممن أدرك الغيتين: الصغرى والكبرى. ذكر النجاشي فهرس كتبه وعدّه منها: التفسير، كما عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الامام الهادي، وهو استاذ جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى عام (٣٦٩)^(٢).

٣١ - أبو منصور الصرام: عرّفه الشيخ في فهرسه، وقال: وكان رئيساً مقدّماً، وله كتب كثيرة، منها: كتاب في الأصول سمّاه بيان الدين، وقال: له كتاب تفسير القرآن كبير حسن، ورايت ابنه أبا القاسم، وكان فقيهاً وسبطه أبا الحسن، وكان من أهل العلم^(٣).

٣٢ - الصدوق: محمد بن علي بن بابويه، نزّل الري، قال النجاشي: شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة (٣٥٥)، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، ثم ذكر فهرس كتبه الكثيرة منها: كتاب مختصر تفسير القرآن، وقال الشيخ: جليل القدر، يكتنى أبا جعفر كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال، ناقدّاً للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو ثلاثمائة مصنف، وفهرس كتبه

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٣٠١ برقم ١٠٤٣، الفهرس (ابن النديم): ص ٣٢٧.

(٢) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٨٢ برقم ١٠٢٣، تنقيح المقال (المماقاني): ج ٣ ص ٦٥ برقم

١٠٢٩١.

(٣) تنقيح المقال (المماقاني): ج ٣ ص ٣٦ (فصل الكنى).

معروف^(١)، وقد توفي عام (٣٨١).

هؤلاء اثنان وثلاثون شخصاً، وكل واحد منهم كوكب في سماء التفسير والحديث، وقد حافظوا بكتبهم على حديث رسول الله وأهل بيته المطهرين، ضربوا آباط الابل لتحصيل الحديث، وهاجروا من بلد إلى بلد وتشهد بذلك تراجهم، ولو أردنا أن نستقصي أسماء من كتب تفسيراً للقرآن من الشيعة في هذه القرون الأربعة لضاق بنا المجال وتجاوز الرقم المائة ومن أراد التوسع فعليه الرجوع إلى المعاجم.

وأنت ترى أن النمط السائد على كتب هؤلاء، هو التفسير بالأثر والرواية، ولكن الذين جاؤوا من بعدهم أحسوا أن هناك نمطاً آخر من التفسير أكمل من النمط السابق، وهو تفسير القرآن تفسيراً علمياً جامعاً، والبحث عما يتعلق بلفظ القرآن ومعناه، فأدخلوا فيها علم القراءات، وإقامة الحجج عليها، وأسباب النزول، والمغازي، والقصص، والحكايات، والأبحاث الكلامية التي يستدل عليها المفسر بالقرآن الكريم، واليك أسماء من أتى بعدهم وهم بين مقتفين لأثر السابقين، ومبدعين نمطاً جديداً باسم التفسير العلمي.



اعلام التفسير في القرن الخامس:

لقد حل القرن الخامس، في حين استفحل أمر الفرق الإسلامية، وتشتت المذاهب الكلامية فيما يرجع إلى المبدأ والمعاد خصوصاً في أسمائه

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٢٢١ برقم ١٠٥٠ الفهرس (الطوسي): ص ١٨٤ برقم ٧٠٩.

وصفاته، وهم:

بين مشبهه لله - سبحانه - بمخلوقه «يثبت له يداً ورجلاً ووجهاً وحركَةً» وانتقالاً كالإنسان، ويكفر من ينكر ذلك، ويباهي بعقيدته، ويرفع عقيرته: باتنا نثبت لله - سبحانه - ما أثبتته لنفسه في الكتاب والسنة، وكأنهم لم يسمعوا قوله - سبحانه -: «ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» أو قوله - عزّ من قائل -: «ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ».

وبين معطل في فهم الأسماء والصفات فيفوض معانيها إلى الله - سبحانه -، ويرتدع عن تفسيرها على ضوء الكتاب والسنة والعقل، وكأنّ القرآن لم ينزل إلّا للقراءة والكتابة، لاللفهم والدراية، وكأنّ الوحي لم ينقر أسماعهم «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها».

وبين مؤول للآيات حسب عقيدته وفكرته يُخضعون كلام الله لآرائهم، وكأنّ النبي الأكرم لم يحذّرهم عن تفسير القرآن بالرأي ولم يقل: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

ففي هذه الظروف القاسية قام علماء الشيعة بتفسير القرآن تفسيراً علمياً غير مائلين لا إلى اليمين ولا إلى الشمال، غير عاصدين لهذه الفرق، مقتفين أثر الكتاب العزيز، مستلهمين من أثر الرسول، ومتدبرين في الآيات، فألقوا في هذا المجال موسوعات تفسيرية لم تزل تشع منذ تكونها إلى يومنا هذا، وإليك أسماءهم:

٣٣ - أبو الحسن الشريف الرضي: نقيب العلوتين، محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالسيد الرضي، ولد عام (٣٥٩) وتوفي عام (٤٠٦)، وهو صاحب الأثر الخالد: نهج البلاغة، الذي قام فيه بجمع خطب الامام ورسائله وكلمه من هنا وهناك، وله «حقائق التأويل في متشابه التنزيل»

وهو تفسيره الكبير التي يعبر عنه تارة «بمقائق التأويل»، وأخرى بالكتاب الكبير في متشابه القرآن، وعبر عنه النجاشي بمقائق التنزيل، وصاحب عمدة الطالب بكتاب المتشابه في القرآن. ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء، وقال: يتعذر وجود مثله، وقال النسابة العمري في المجدي: شأهدت له جزءاً مجلداً من تفسير منسوب إليه في القرآن، مليح حسن، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر، وقال ابن خلكان: «يتعذر وجود مثله، دلّ على توسّعه في علم النحو، واللغة، وصنّف كتاباً في مجازات القرآن فجاء نادراً في بابه»، وقد طبع منه الجزء الخامس، أوّله تفسير قوله: «هو الذي أنزل الكتاب منه آيات مُحْكَمَات لهنّ أُمّ الكتاب...»، ونقل الخطيب في تاريخ بغداد عن شيخه أحمد بن محمد (ت ٤٤٥هـ) أنّ الرضي صنّف حول معاني القرآن ما يتعذر وجود مثله، فيذكر الآيات المشكلة أو المتشابهة، فيزيل إشكالاتها وغموضها، وكتابها هذا غير مجازات القرآن المنتشرة^(١).

٣٤ - محمد بن النعمان المقيّد، ولد عام (٣٣٦)، يقول النجاشي: شيخنا وأستاذنا - رضي الله عنه -. فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم. يقول الشيخ الطوسي - تلميذه الآخر -: «يكنّى أبا عبدالله المعروف بابن المعلم، من جملة متكلمي الامامية انتهت إليه رئاسة الامامية في وقته، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً مقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، توفي لليلتين خلتا من

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٣٢٦، الذريعة (آغا بزرگ): ج ٧ ص ٣٢ برقم ٢٦٠، وفيات الأعيان (ابن خلكان) تحقيق الدكتور احسان عباس: ج ٤ ص ٤١٦، الغدير (الأميني): ج ٤

شهر رمضان، سنة (٤١٣)، وكان يوم وفاته يوماً عظيماً لم ير أعظم منه، من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف والموافق»، وقال ابن كثير: «توفي في سنة (٤١٣)، عالم الشيعة، وامام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة المعروف بالمفيد، وبابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كل عقيدة بالجلالة والعظمة في الدولة البهية البوذية، وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وكان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربّما نحيفاً أسمر، عاش (٧٦ سنة)، وله أكثر من مائتي مصنف، وكان يوم وفاته مشهوداً وشيعه ثمانون ألفاً من الرافضة والمعتزلة»، وقد سرد تلميذه النجاشي أسماء كتبه وفيها مايمس بالموضوع ١- «كلام في دلائل القرآن»، ٢- «البيان في تأليف القرآن». ٣- النصرة في فضل القرآن. ٤- الكلام في حدوث القرآن. ٥- البيان عن غلط قطرب في القرآن. ٦- «الرد على الجبائي في التفسير»، ولأجل هذه الكتب الكثيرة حول القرآن فهو من أكبر المهتمين بالقرآن، وكيف لا يكون ذلك وقد تربّى في مدرسته العلمان الكبيران المفسران: المرتضى والطوسي بل الشريف الرضي^(١).

٣٥ - السيد المرتضى علم الهدى، ابوالقاسم علي بن الحسين بن موسى، يصفه النجاشي بقوله: حاز من العلوم ما لم يحزه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، كان متكلماً شاعراً أديباً عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، وهو من الكثيرين في التأليف حول القرآن، أهمّها الدرر والغرر، المطبوع عدّة مرّات، ووصفه الشيخ في فهرسه بقوله: «المرتضى متوحد في

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ٣٢٧ رقم ١٠٦٨، الفهرس (الطوسي): برقم ٧١٠، البداية

علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه، والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر، واللغة، وغير ذلك، له من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير مشتمل على ذلك فهرسه المعروف» وقال في رجاله: «أنه أكثر أهل زمانه أدبا وفضلا، متكلم، فقيه، جامع العلوم كلها، مدّ الله في عمره»، إلى غير ذلك من كلمات الثناء من مشايخ العامة والخاصّة التي يضيق بنا المجال لنقل معشارها، وقد ترجمه كثير من أصحاب المعاجم. راجع لفهرسها كتاب الغدير. يقول الذهبي: «كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد» كتاب يشتمل على محاضرات أو أمالي أملاها الشريف المرتضى في ثمانين مجلساً، تشتمل على بحوث في التفسير والحديث، والأدب، وهو كتاب ممتع، يدل على فضل كثير، وتوسّع في الاطلاع على العلوم، وهو لا يحيط بتفسير القرآن كلّ، بل ببعض من آياته التي يدور أغلبها حول العقيدة.

إنّ من الجناية على العلم وأهله رمي السيد المرتضى بأنّه «يسعى في كتابه هذا للتوفيق بين آرائه الاعتزالية وآيات القرآن التي تتصادم معها». وهذا مايقوله الذهبي، وهو شنشنة أعرفها من كلّ من لم يفرق بين مبادئ التشيع والاعتزال، فزعم أن اشتراكهما في بعض المبادئ كامتناع رؤية الله - سبحانه -، وحرية الانسان في حياته، وسعادته وشقائه، بمعنى اتحادهما في جميع الأصول والمبادئ، ولم يقف على أنّ المعتزلة في بعض آرائهم وعقائدهم عيال على خطب الامام أمير المؤمنين وكلماته، هذا والكتاب قد طبع مرّات محقّقة^(١).

والنهاية (ابن كثير): ج ١٢ ص ١٥، ولاحظ: تأريخ بغداد: ج ٣ ص ٢٣١ برقم ١٢٩٩.

(١) رجال النجاشي: ج ٢ ص ١٠٢، برقم ٧٠٦، الفهرس (الطوسي): ص ٩٩ والعلامة الحلي في

٣٦ - محمد بن الحسن الطوسي، أبو جعفر جليل من أصحابنا، قال النجاشي: ثقة عين من تلامذة شيخنا أبي عبدالله، وقال العلامة في الخلاصة: شيخ الامامية ورئيس الطائفة جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقه والأصول، والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنتسب إليه، صنف في كل فنون الاسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل، وكان تلميذ الشيخ المفيد، ولد قدس الله روحه - في شهر رمضان سنة (٣٥٨)، وقدم العراق في شهور سنة (٤٠٨)، وتوفي - رضي الله عنه - ليلة الاثنين، الثاني والعشرين من المحرم سنة (٤٦٠) بالمشهد المقدس الغروي ودفن بداره.

وقد ترجمه أصحاب المعاجم من العامة والخاصة، وكفانا عن مؤونة البحث، ما ألفه حول حياته شيخ الباحثين شيخنا المجيز الطهراني الذي يطبع مع هذا الجزء من كتاب التبيان، وأما كتاب التبيان، فيكني فيه قول الطبرسي:

«إنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح عليه رواء الصدق، قد تضمن من المعاني، الأسرار البديعة، واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة. ولم يقنع بتدوينها دون تبينها، ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القدوة أستضيء بأنواره وأطى مواقع آثاره»^(١).

الخلاصة: ص ٤٦، التفسير والمفسرون (الذهبي): ص ٤٠٤، ولاحظ: رسالة الاسلام، العدد الثاني، من السنة الثانية عشرة، مقالة الشي محمد جواد مغنية، تحت عنوان: «الامامية بين الاشاعة والمعتلة» تجد فيها حق المقال.

(١) رجال النجاشي: ج ١ ص ٣٣٢ برقم ١٠٦٩، والعلامة الحلي في الخلاصة: ص ١٤٨،

وأما منهجه في التفسير فيظهر من قوله في مقدمته. يقول: «سمعت جماعة من أصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد، يجتمع على جميع فنون علم القرآن من القراءة... والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم، وذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في أصول الديانات وفروعها».

ثم إن كتاب التبيان تداولته العلماء، وأخذوا في تحقيقه، فمنهم من اختصره كابن ادريس الحلي المتوفى عام (٥٩٨)، وأبي عبدالله محمد بن هارون المتوفى عام (٥٩٧)، كما أرتخه الجزري في طبقات القراء، وسيوافيك أسماؤهما في القرن السادس فانتظر.

٣٧ - ابوسعيد، اسماعيل بن علي بن الحسين السمان، المعاصر للسيد المرتضى والشيخ الطوسي، حيث يروي عنه من يروي عنها كاسماعيل واسحاق ابني محمد بن الحسن بن الحسين بن علي بن موسى بن بابويه القمي، وذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسه، وقال ثقة وأيّ ثقة، حافظ. له «البستان في تفسير القرآن» في عشر مجلدات^(١).

اعلام التفسير في القرن السادس:

٣٨ - محمد بن علي الفثال. قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ محمد بن علي الفثال النيسابوري صاحب التفسير ثقة وأيّ ثقة. أخبرنا جماعة من

والطبرسي في مجمع البيان: ج ١ ص ١٠، وراجع في ترجمة لسان الميزان: ج ٥ ص ١٣٥ برقم

الثقات عنه بتفسيره . ويظهر منه أنه غير الفتال المعروف مؤلف روضة الواعظين، حيث عنوانه أيضاً وقال: ... الشيخ الشهيد محمد بن أحمد الفارسي مصنف «روضة الواعظين»^(١)، ولم يذكر له التفسير، واحتمل المصحح وحدتها وأشار في التعليقة أنه تقدم، ولكنه خلاف الظاهر، إذ لاوجه لعنوان شخص واحد مرتين.

٣٩ - محمد بن الحسن الفتال النيسابوري: له كتاب «التنوير في معاني التفسير»، «روضة الواعظين وبصيرة المتعظين»^(٢)، ويأتي هناك ما ذكرناه سابقاً من احتمال الوحدة، وأن هناك فتالاً واحداً باسم محمد بن الحسن علي بن أحمد، وقد أضافه ابن شهر آشوب إلى أبيه، وقال: محمد بن الحسن، وأضافه منتجب الدين إلى جده، وقال «محمد بن علي»، كما يحتمل تعددهما، وعلى كل حال فقد قتل شيخنا الفتال عبدالرزاق رئيس نيسابور ابن أخي الخواجة نظام الملك الطوسي^(٣).

٤٠ - فضل بن الحسن بن الفضل المعروف بالطبرسي والمقام يضيق عن نقل معشار ما ذكروا في حقّه، وهو من أكابر علماء الامامية في القرن السادس، وتفسيره هذا يقع في عشرة أجزاء طبع في إيران وبيروت ومصر، ولد عام (٤٧١)، وتوفي عام (٥٤٨)، وقد ترجمه أصحاب المعاجم بأبلغ الألفاظ، يقول الدكتور محمد موسى في مقالة حول مجمع البيان: - بعد نقل كلام الطبرسي في وصف كتابه - القارئ لهذا الكتاب، والباحث الذي يلجأ إليه فيما يعاني من تفسير كتاب الله العظيم ومعضلاته،

(١) الفهرس (منتجب الدين): ص ١٦٦ برقم ٣٩٥ وص ١٩١ برقم ٥١١.

(٢) معالم العلماء (ابن شهر آشوب): ص ١١٨ برقم ٧٦٩.

(٣) شهداء الفضيلة (عبدالحسين الاميني): ص ٣٨.

والمتتبع لتطوّر علم التفسير وما كتب فيه على مرّ القرون. كلّ من اولئك يتبيّن كيف وُفق المؤلف رضوان الله عليه للوفاء بكلّ مقال في المقدمة من علوم القرآن المتعدّدة، وإلى أيّ مدى عال مرموق بلغ من ذلك كلّه، وبأيّ اسلوب بليغ عالي المنزلة عالّج النواحي التي عالجها، وبأيّ أمانة وصدر رحب نقل مانقل من آراء مخالفيه في الرأي أو المذهب، على ندرة هذه الخطوة الأخيرة بين غير قليل من العلماء الذين يتصدون للتأليف في العلوم والفنون التي يكثر فيها الاختلاف، ويستدّ، كما ترى بوضوح في كثير من المؤلفات في علم الكلام، وعلم الفقه^(١).

يقول الطبرسي في مقدمة مجمع البيان: «ابتدأت بتأليف كتاب هو في حماية التلخيص والتهديب وحسن النظم والترتيب، يجمع أنواع هذا العلم وفنونه، ويحوي فصوصه وعيونه، من علم قراءاته واعرابه، ولغاته وغوامضه ومشكلاته، ومعانيه وجهاته، ونزوله وأخباره، وقصصه وآثاره، وحدوده واحكامه، وحلاله وحرامه، والكلام على مطاعن المبطلين، وذكر ما ينفرد به أصحابنا - رضي الله عنهم - من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار، فوق الإيجاز ودون الاكثار - إلى أن يقول: إنني قد جمعت في عربيته كلّ غرّة لاثحة، وفي اعرابه كلّ حجة واضحة، وفي معانيه كلّ قول متين، وفي مشكلاته كلّ برهان مبين، وهو بحمد الله للأديب عمدة، وللنحوي عذّة، وللمقرئ بصيرة، وللناسك ذخيرة، وللمتكلّم حجة،

(١) الدكتور محمد يوسف موسى الاستاذ بكلية أصول الدين في القاهرة مجلة رسالة الاسلام - العدد

وللمحدث حجة. وللفقيه دلالة، وللواعظ آلة...

والشيخ الذهبي مؤلف «التفسير والمفسرون» مع عناده ولجاجة لعلماء الشيعة لم يستطع أن ينكر مالطبرسي في كتابه «مجمع البيان» من مقدرة كبيرة في مجال التفسير. يقول: «والحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية، وآراء اعتزالية -، كتاب عظيم في بابه، يدل على تبخر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة، والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه في تناسق تام وترتيب جميل، وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها، فاذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد، واذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد، واذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، واذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء وجهر بمذهبه ونصره ان كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، واذا ربط بين الآيات آخي بين الجمل، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم، واذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الاشكال وأراح البال، وهو ينقل أقوال من تقدمه من المفسرين معزوة لأصحابها، ويرجح ويوجه ما يختار منها - الى أن قال -: والحق أن يقال: إنه ليس مغالياً في تشييعه ولا متطرفاً في عقيدته»^(١).

ثم إن الذهبي يقول:

«واذا كان لنا بعض المآخذ عليه، هو تشييعه لمذهبه وانتصاره له، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات...».

(١) التفسير والمفسرون (الذهبي): ج ٢ ص ١٠٤.

يلاحظ عليه أنه لو صحت تلك المأخذه فلا تختص بالطبرسي ومجمعه، بل يعم كل من ورد في مجال التفسير وكتب تفسيراً علمياً، فان كل مفسر يتشيع لمذهبه وينتصر له، فالحنابلة والسلفيون الذين يصرون على إمكان رؤية الله - سبحانه - يوم القيامة ويسعون لان يشبثوا له - سبحانه - أعضاء كأعضاء الانسان، متدربين بلفظ «بلا كيف»، ينتصرون لمذهبهم ويتشيعون له، ولكنهم في نظر الذهبي موضوعيون واقعيون! وأما من حاول تنزيه الله - سبحانه - عن الرؤية والأعضاء البشرية فهو عنده طائفي متعصب لمذهبه! ومما جعله الذهبي دليلاً لتعصبه، أنه يصّر على عدم رؤية الله - تبارك وتعالى -، ويستدل على مذهبه بما يدل عليه. ولو كان ذلك دليلاً على تعصبه لمذهبه، فليكن ذلك دليلاً على تعصب مفسري أهل السنة من أهل الحديث والأشاعرة كالرازي والآلوسي، حيث يصرون على إمكان رؤيته، ويستدلون بما ظاهره إمكان رؤيته. فلماذا، «باؤك» «تجر» و«بائي» لا تجر؟!.

ثم إن لشيخنا الطبرسي تفاسير أخرى منها «جوامع الجامع» الذي لخص فيه كتاب الكشف وضمن فيه نكات كتابه «مجمع البيان»، وهو تفسير بديع في باب، طبع عدة مرات.

إن الشيخ الطبرسي بعد أن ألف مجمع البيان، اطلع على الكشف، فاراد أن يجمع بين فوائد الكتابين على وجه الاختصار، فألف ذلك الكتاب المعروف بـ «جوامع الجامع»، وقد ذكروا في ترجمته تفسيراً آخر له باسم الوسيط في أربعة مجلدات، والظاهر أنه هو ذلك الكتاب، وله تفسير آخر باسم الوجيز، فكأنه ألف تفاسير بألوان ثلاثة على وجه التبسيط، ومجمع البيان، وعلى وجه اليجاز والاختصار، وهو «الوجيز»، وعلى نمط بين

التبسيط والايجاز وهو «جوامع الجامع»، وقد فرغ من الكتاب «مجمع البيان» عام (٥٣٦)، وفرغ من الجزء الأول من عشرة أجزاء عام (٥٣٠)، وكأنه استغرق تأليف مجمع البيان سبع سنوات، وقد قام بهذا الجهد البليغ، وقد ذرف على الستين.

٤١- ضياء الدين، أبو الرضا فضل الله بن علي الراوندي الحسيني، وهو مؤلف الكافي في التفسير، صرح به العلامة في اجازته لبني زهرة والمؤلف شيخ منتجب الدين الرازي، المتوفى سنة (٦٠٠)، وشيخ ابن شهر آشوب، المتوفى عام (٥٨٨)، وكان المؤلف حياً عام (٥٤٨). قال الرازي: «علامة زمانه، جمع مع علو النسب كمال الفضل والحسب، وكان استاذ ائمة عصره»، ثم ذكر تصانيفه، منها التفسير، قال: شاهده وقرأت بعضها عليه^(١).

٤٢- جمال الدين، أبو الفتوح الحسين بن علي الخزاعي، النيسابوري، الرازي، شيخ منتجب الدين، ابن شهر آشوب، وقد تعرفت على سنة وفاتها، والمدفون في جوار سيدنا عبد العظيم الحسيني، فله تفسيران أحدهما: عربي أشار إليه في مفتتح تفسيره الفارسي، والآخر: فارسي في عشرة اجزاء كبار، وهو المتداول الموسوم بروض الجنان، طبع مرتين مرة عام (١٣٢٣)، وثانياً عام (١٣٧٠) بتصحيح العارف الشيخ مهدي الاهي القمشي، في عشرة أجزاء، وقد طبعت ترجمة المؤلف في الطبعة الأولى بقلم الكاتب الأديب محمد القزويني، والتفسير مشحون بالأبحاث الأدبية، وما يرجع الى القراءة

(١) العلامة الحلي: الاجازة الكبيرة لبني زهرة، لاحظ البحار: ج ١٠٤ ص ١٣٥، ويروي عنه بواسطة أبيه عن السيد صفي الدين، عنه، فهرس منتجب الدين: ص ١٤٤.

وحجتها، وأسباب النزول، والاحتجاج على المذهب المختار، ولعل المؤلف توفي عام (٥٥٠)^(١)، وربما يقال: إن الرازي وضع تفسيره على منوال هذا التفسير^(٢)، والمؤلفان رازيان غير أن الفخر متأخر عنه زمناً بقليل.

٤٣- رشيد الدين، ابو علي محمد بن علي بن شهر آشوب السروي، المتوفى عام (٥٨٨) عن مائة سنة إلا أربعة أشهر، عثر عنه في كتابه «معالم العلماء» بـ «متشابه القرآن»، وهو كتاب نفيس منبئ عن طول بابه. يقول في مقدمة الكتاب سألتهم - وفقكم الله للخيرات - املأ كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات، وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات، ولعمري أن لهذا التحقيق بجرأ عميقاً فأسأل الله المعونة على اتمامه، وان يوفقني لا تمام ما شرعت فيه من كتاب أسباب نزول القرآن، فإن بانضمامهما يحصل جل علوم التفسير^(٣).

وقد طبع الكتاب في طهران (١٣٧٠)، وأما الكتاب الآخر الذي أشار إليه، فلم نقف على نسخته، وقد ترجم المؤلف لفيف من أعلام الطائفة وغيرهم من أهل السنة.

٤٤- قطب الدين، سعيد بن هبة الله بن حسن الراوندي، المتوفى سنة

(١) وقد أجاز لبعض تلامذته عام (٥٤٧)، لاحظ مقدمة المحدث الأرموي لجلاء الأذهان: ص (ل).

(٢) القائل هو الشيخ محمد علي السهري في كتابه «عدة الخلف في عدة السلف» يقول:
وترجمان الذكر ذوالاعزاز فخر المشككين شيخ القالة
آس الهدى أبوالفتوح الرازي قد سرق الحق له لغير حق
لأخذ من أفضاله أفضي له نعم ومن قبل له أخ سرق
(٣) مقدمة تأويل المتشابهات القرآن، ومعالم العلماء (ابن شهر آشوب): ص ١١٩ برقم ٧٩١.

(٥٧٣)، المدفون بقم، في صحن السيدة معصومة سلام الله عليها له «فقه القرآن في بيان آيات الاحكام»، وربما يسمّى بأُم القرآن، والكتاب مرتّب على ترتيب كتب الفقه، ابتداءً فيه بكتاب الطهارة، ثم الصلاة، وهكذا الى كتاب الديّات، فرغ عنه سنة (٥٦٣)، وله أسباب النزول، وهو من مصادر كتاب «بحار الأنوار»، صرّح به العلامة المجلسي وينقل عنه فيه^(١).

٤٥- أبو عبد الله محمد بن هارون، المعروف والده بالكال أو الكيال، ولد عام (٥١٥)، وتوفي عام (٥٩٧)، ترجمه الجزري المتوفى سنة (٨٣٣)، في طبقات القراء، وترجمه ابن العماد في شذرات الذهب، كما ترجمه الشيخ الحرّ العاملي أمل الآمل. ومن تصانيفه «مختصر التبيان في تفسير القرآن»، وكتاب «متشابه القرآن»^(٢).

٤٦- الشيخ أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن ادريس الحلبي: مؤلف السرائر في الفقه، الطائر الصييت، المتوفى عام (٥٩٨) له مختصر التبيان، طبع في جزئين، وقد فرغ منه عام (٥٨٢)، ونسخه متوفرة. عسى أن يبعث الله بعض ذوي الهمم العالية لنشره.

٤٧- برهان الدين محمد بن أبي الخير، علي بن أبي سليمان، ظفر الحمداني، مؤلف «مفتاح التفسير» و«دلائل القرآن»، ترجمه منتجب الدين في فهرسه، وقال: عالم مفسر، صالح واعظ، كما ترجم ولده محمد بن برهان الدين أيضاً، ولكن بقي ولده إلى المائة السابعة، فأنه كتب بخطه نسخة

(١) روضات الجنات (محمد باقر الخوانساري): ج ٤، ص ٦ بحار الأنوار (محمد باقر المجلسي): ج ١

(٢) شذرات الذهب (عماد الدين الحنبلي): ج ٤ ص ٣٣٣، أمل الآمل (الحرّ العاملي): ج ٢

فهرس الشيخ منتجب الدين في (٦١٣)، كما ذكره الشيخ الشهيد الأول في آخر نسخته التي استنسخها عن تلك النسخة^(١).

هذه عشرة كاملة عن أعيان القرن السادس اكتفينا بهم وطوينا الكلام عن غيرهم، وما هذا إلا لأن الغاية هي اراءة نماذج من مشاهير المفسرين من الشيعة في كل قرن.

أعلام التفسير في القرن السابع والثامن:

كانت نهاية القرن السادس ومجموع القرن السابع والثامن عصر البؤس والدمار وبالتالي شرّ القرون وأسوأها بالنسبة الى المسلمين، فقد حلت فيها بالمسلمين فجائع ونكبات لم يسجل التاريخ لواحد من الأمم مثلها، فبينما كانت الحروب الصليبية لا تزال طاحنة ومشتعلة في آواخر القرن السادس ينتصر فيها المسلمون على العدو الصليبي في فترة بعد فترة، إذ بدأت الحملات الأخرى من جانب الشرق على يد التتار والمغول، فكان مختم الحروب الصليبية مبدأ للحروب الوثنية على يدي عبدة الشمس والكواكب، وكان هذا يعكس اتفاق الصليب والصنم وبالتالي الصليبين والوثنيين على تدمير الحضارة الاسلامية.

وفي سنة (٦١٦) قصد چنگيزخان البلاد الاسلامية ودمرها هو وأولاده وأحفاده، عصرأ بعد عصر، وقد هجم هولاكوعلى مركز الخلافة العباسي، بغداد عام (٦٥٦)، ففتحوا البلد، وقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال

(١) الفهرس (الشيخ منتجب الدين): ص ١٦١، الذريعة (آغا بزرك): ج ٨ ص ٢٥٢ برقم ١٠٣٨

والنساء والصبيان والمشايخ والكحول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحوش وقنى الوسخ، فبلغ عدد القتلى في نفس بغداد فضلاً عن ضواحيها ٨٠٠/٠٠٠ قتيلًا.

وقد ارتكب مثل ذلك في خراسان والري وهمدان وبلد الجبل ثم آذربيجان إلى كثير من الأقطار والأصقاع، ولم يتوقف هجومهم على فتح بغداد حتى وصل جيش العدو الى عين جالوت وغزة في فلسطين، وكانت الامنية الكبرى للعدو هو الاستيلاء على الشامات ثم مصر، والزحف وان توقف بتدبير الملك الظاهر بيبرس، ولكن العدو بقي يهاجم الشام بين الحين والآخر، وهذا هو الياضي يقول في تاريخه في حوادث سنة (٧٠٢):

«طرق غازان بالشام ولكن انهزم عند سور دمشق وتفرقت جيوشه، ثم جهز غازان جيوشه فساروا إلى مرج دمشق وتأخر المسلمون وبات أهل دمشق في بكاء واستغاثة بالله وخطب شديد وقدم السلطان وانضمت إليه جيوشه»^(١).

وقد امتد الدمار الى آواخر القرن الثامن، وقد أدى ذلك إلى مجزة للمسلمين عامة والعلماء من بينهم خاصة، فأحرقت مكتباتهم، ودمرت آثارهم في ذينك القرنين، حيث ابتدأت الحروب التتيرية عام (٦٠٣)، وانتهت عام (٨٠٧) بموت تيمورلنك الذي تظاهر هو بالاسلام وبعض من قبله، ولكن لم تنزل القلوب مضطربة باستيلاء هؤلاء على المناطق الاسلامية.

وعلى ضوء هذا التحليل الاجمالي للوضع المأساوي في ذينك القرنين

(١) مرآة الجنان (الياضي): ج ٤ ص ٢٣٤-٢٣٥.

لا عجب من قلة العثور على أعلام التفسير فيها أو قلة العناية به جزاء القلاقل، حيث إنّ التأليف والتصنيف يتوقّف على توفر الأمن والهدوء، فلا عتب علينا إذا لم نقف إلّا على فئة قليلة من أعلام التفسير في هذين القرنين، ولعلّ الدائر أكثر من الباقي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لما استقرت السلطة التتريّة في المناطق المحتلّة وضربت بجرانها في البلاد الاسلاميّة أخذت تحرّك دفة العلم باتجاه العلوم الطبيعيّة والرياضيّة وأخيرا العقلية، فصار الغور في هذه الموضوعات، الشغل الشاغل لأكثر العلماء المتواجدين في المناطق الشرقية من العالم الاسلامي، ولأجل ذلك أنجبت المدارس العلمية في ذينك القرنين (السابع والثامن)، بل والقرن الذي يليها. مثات الكتب حول النجوم والفلكيات والرياضيات، وصارت المسائل الكلاميّة مدار التفكير، فن مختصرات إلى مطوّلات، ومن متون إلى شروح، نرى أعيانها في المكتبات والمتاحف أو نقرأ اسماءها في مختلف المعاجم، وصار ذلك هو السبب الثاني لقلّة التأليف حول التفسير الى أواخر القرن العاشر، ومع ذلك فنأتي باسماء أعلام التفسير في هذه القرون الثلاثة.

٨٤- رضي الدين علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي، المولود بالحلّة في (١٥) محرم من سنة (٥٨٩). أقام ببغداد زمن العباسيين خمسة عشر سنة، ثمّ رجع إلى الحلّة، ثمّ جاور النجف، ثمّ رجع إلى بغداد في أول عصر المغول، وتولّى النقابة من قبل نصيرالدين الطوسي عن هلاك ثلاث سنين وأحد عشر شهراً. قال ابن الفوطي في «الحوادث الجامعة» أنّه وليّ النقابة للطالبين بالعراق سنة (٦٦١) وتوفي سنة (٦٦٤).

له مشايخ وتلاميذ كثيرون، كما أنّ له تأليف قيّمة، ومنها «سعد

السعود في تاريخ القرآن»^(١).

٤٩- السيد جمال الدين، أحمد بن موسى بن طاووس الحلي.
من مشايخ العلامة الحلي وتقي الدين الحسن بن داود صاحب الرجال، له مؤلفات كثيرة، ذكره تلميذه ابن داود في رجاله، تبلغ إلى اثنين وثمانين مجلدًا، له خطوات مشكورة في تحقيق الرجال والدراية والتفسير، وله شواهد القرآن، توفي عام (٦٧٣)، بعد أخيه رضي الدين بتسع سنين^(٢).

٥٠- بهاء الدين يوسف بن أبي الحسن بن أبي القاسم الديلمي الجيلاني - المعاصر لمحمد بن صالح بن مرتضى التيهاني الذي توفي عام (٦٧٥)، له تفسير ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال البيني، المتوفى بصنعاء عام (١٠٩٢) في كتابه «مطلع البدور»، وحكاها شيخنا المحجز في الذريعة، وهو جد أبي الفضل الديلمي صاحب التفسير الذي هو من علماء القرن الثامن كما سيوافيك^(٣).

٥١- مؤلف نهج البيان عن كشف معاني القرآن، والمؤلف من اعيان القرن السابع، ألفه لخزانة المستنصر العباسي سنة (٦٤٠)، وذكر شيخنا المحجز مستهل الكتاب وهو الحمد لله ذي العزة والجلال والقدرة والحكمة...، ثم ذكر الصلوات على خاتم الأنبياء وعلى ابن عمه أمير المؤمنين ولديه السيدين الامامين الحسن والحسين، وينقل فيه عن الشيخ المفيد وعن

(١) الحوادث الجامعة (ابن الفوطي): ص ١٠٧، الانوار الساطعة (آغا بزرگ)، ص ١١٧.

(٢) الفهرس (الشيخ منتجب الدين): ص ١٦١، الذريعة (آغا بزرگ): ج ٨ ص ٢٥٢ برقم ١٠٣٨

وج ٢١ ص ٣٢٢ برقم ٥٢٨٧.

(٣) القاضي احمد البيني: مطلع البدور كما في الذريعة (آغا بزرگ): ج ٤ ص ٣٢٢.

«تبيان» الشيخ الطوسي، ويوجد نسخ منه في العراق^(١).

٥٢- عبد الرشيد بن الحسين بن محمد الاسترآبادي مؤلف تأويل الآيات، التي تتعلق بها أهل الضلال، ينقل عنه السيد رضي الدين علي بن طاووس، المتوفى سنة (٦٦٤)، في كتابه: «سعد السعد» في تفسير لفظ «يس» ولعل المؤلف من أعيان أوائل القرن السابع^(٢).

٥٣- عبد الرزاق بن أحمد الكاشي، العارف، الحكيم، المعاصر للعلامة الحلبي، له «السراج الوهاج في تفسير القرآن» و«تأويلات القرآن»، وقد سرد تأليفه شيخنا في طبقات أعلام الشيعة^(٣).

٥٤- العلامة الحلبي، جمال الدين حسن بن يوسف بن مطهر، المولود عام (٦٤٨)، والمتوفى عام (٧٢٦)، وهو آية من آيات الله الكبرى المشتهر بالعلامة على الإطلاق، وهو أظهر من أن يعرف وأشهر من أن يذكر، وله جهود كبرى وخطوات واضحة في العلوم الإسلامية، وله في مجال التفسير تأليفات ثلاثة:

١- السر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، كما ذكره في فهرس كتبه في كتابه «خلاصة الأقوال في علم الرجال».

٢- نهج الايمان في تفسير القرآن «لخص فيه الكشاف» و«التبيان» و«مجمع البيان».

٣- «تلخيص الكشاف» حكى شيخنا المجيز في الذريعة أنه رآه بعض

(١) الذريعة (آغا بزرگ): ج ٢٣ ص ٤١٤.

(٢) الذريعة (آغا بزرگ): ج ٤ ص ٣٠٣ برقم ١١٢٨.

(٣) الحقائق الراهنة في أعيان المائة الثامنة (آغا بزرگ): ص ١١٢، الذريعة (آغا بزرگ): ج ٣

المطلعين عند بعض علماء العامة ببغداد، ولكن يحتمل اتحاد الثالث مع الثاني^(١).

٥٥- قطب الدين، محمد بن محمد الرازي البوسهي، المتوفى سنة (٧٦٦)، تلميذ العلامة الحلبي، واستاذ الشهيد الأول، المتوفى عام (٧٨٦)، له تفسيران: ١- تحفة الأشراف، وهو تفسير كبير أبسط من تفسيره الآخر، يوجد مجلّدان منه في المكتبة الخديوية بمصر من أوله الى آخر سورة طه، وهو كالحاشية على الكشف ٢- بحر الأصداف، يوجد منه نسخة في العراق في مكتبة الجوادين بالكاظمية، فرغ منه المؤلف سنة (٧٣٣).

٥٦- ركن الدين حيدر بن علي بن حيدر الحسيني الآملي له المحيط الاعظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، فرغ من اتمامه سنة (٧٧٧)، وهي موجودة في الخزانة الغروية، وقد ذكر شيخنا المجيز الطهراني ثلاثة تفاسير أخرى له وهي: «التأويلات» و«جامع الأسرار» و«منتخب التأويل»^(٢).

٥٧- جمال الدين أحمد بن متوج البحراني، مؤلف «منهاج الهداية في تفسير آيات الأحكام الخمسمائة» يقول الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي في رسالته في أحوال علماء بحرين: إنّ الشيخ جمال الدين كان شيخ الامامية في وقته، وكان من أعظم تلاميذ فخر المحققين، المتوفى عام (٧٧١)، واتفق اجتماعه مع الشهيد الأول بمكة، فلما تناظر أغلب عليه الشهيد، وقد توفيّ الشهيد عام (٧٨٦)، فالرجل من أعيان القرن الثامن

(١) خلاصة الأقوال (العلامة الحلبي): ص ٤٦ ط النجف، الذريعة (آغا بزرك): ج ١٢ ص ١٧٠

برقم ١١٣٨ وج ٢٤ ص ٤١٢ برقم ٢١٧ وج ٤ ص ٤٢٥ برقم ١٨٧٣.

(٢) الذريعة (آغا بزرك): ج ٢٠ ص ١٦١ برقم ٢٣٩٦، الحقائق الراهنة له أيضاً: ص ٦٩.

وان أدرك قليلاً من أوائل القرن التاسع، وينقل عنه الفاضل المقداد، المتوفى عام (٨٢٨) في كنز العرفان، والنسخة موجودة في العراق، كما حكاها شيخنا المجيز في الذريعة^(١).

٥٨- الشيخ فخر الدين أحمد بن متوج، مؤلف «النهاية في تفسير الخمسمائة آية»، وهو أيضاً تلميذ فخر المحققين الذي توفي عام (٧٧١)، وشيخ أبي العباس أحمد بن فهد الحلبي، المتوفى عام (٨٤١)، وهو أيضاً من المكثرين له تفسيران: كبير مطول وصغير مختصر، وله أيضاً كتاب الناسخ والمنسوخ^(٢)، وهو أيضاً من أعيان القرن الثامن وان أدرك أوائل القرن التاسع، ولأجل ذلك ذكرناه في مشاهير المفسرين في القرن الثامن.

٥٩- أبو الفضل، نجل الفقيه العالم بهاء الدين يوسف بن أبي الحسن الديلمي الجيلاني الذي مرّ عند ذكر مشاهير المفسرين في القرن السابع، وقد ذكره القاضي أحمد بن صالح اليميني، المتوفى بصنعاء عام (١٠٩٢) في حرف الفاء من كتابه «مطلع البدور» بعنوان المشهورين بأبي الفضل من علماء العراق، وذكر من تصانيفه تفسير القرآن ودلائل التوحيد في الكلام، وذكر شيخنا المجيز أنّ تفسيره كبير في مجلدين ضخمين على كيفية خاصة، ثم ذكر كيفيته، ونسخته موجودة في النجف الأشرف، ويكثر النقل عن احتجاج الطبرسي وتفسير الشيخ الطبرسي والكشاف وغيرها^(٣).

(١) الذريعة (آغا بزرك): ج ٢٣ ص ١٠٨ برقم ٨٥٥٨ وج ٤ ص ٢٤٦ برقم ١١٩٢ ولاحظ:

طبقات اعلام الشيعة في المائة الثامنة (آغا بزرك)، ص ٨.

(٢) روضات الجنات (محمد باقر الخوانساري): ج ١ ص ٦٨، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٤٦

برقم ١١٩١ ولاحظ أيضاً: الضياء اللامع في القرن التاسع: ص ٥.

(٣) الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٥٦ برقم ١٢١٣.

٦٠- فضل الله بن عماد الدولة، أبي الخير، هو الوزير العالم، مربي العلماء رشيد الدين فضل الله الهمداني الشهيد في ربيع الأول عام (٧١٨). كان عالماً مهراً في العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات، تلمذ في العلوم على رضي الدين الطوسي مع زميله ابن الفوطي، ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية، وتعصب عليه كما هو ديدنه ضد الشيعة، وقال: إنه فسر القرآن على طريقة الفلاسفة، فنسب إلى الالحاد، ومن تأليفه مفتاح التفاسير، وقيل: إنه قرّظه مائة رجل من العلماء وله «جامع التواريخ» في ثلاثة أجزاء، ومن آثاره «الربع الرشيدي» بتبريز^(١).

٦١- كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن العتايقي الحلّي، صاحب التصانيف، الموجود بعضها بخطه في الخزانة الغروية منها «صفوة الصفوة»، الذي فرغ منه سنة (٧٨٧). له «الناسخ والمنسوخ» ونسخه متوفرة في النجف ويعتبر عن العلامة الحلّي في كتابه «الايضاح» بـ «شيخنا المصنّف»، فالرجل من أعيان آواخر القرن الثامن، بسط شيخنا المحيّر الكلام في ترجمته^(٢).

أعلام التفسير في القرن التاسع:

٦٢- أبو عبدالله مقداد بن جلال الدين عبدالله السيوري الحلّي، تلميذ الشهيد الأول وشارح الباب الحادي عشر، المتوفى عام (٨٢٦)، ربّبه على مقدمة وكتب بترتيب كتب الفقه، وخاتمة، وقد طبع عدة مرّات، منها

(١) الحقائق الراهنة في أعيان المائة الثامنة (آغا بزرك): ص ١٦٠.

(٢) الحقائق الراهنة في أعيان المائة الثامنة (آغا بزرك): ص ١٠٩-١١٢، والذريعة (آغا بزرك):

ماطبع مستقلاً سنة (١٣١٣)، وله تفسير «مغمضات القرآن»، وقد رآه شيخنا المحيى في كربلاء المقدسة^(١).

٦٣- طيفور بن سراج الدين جنيد، المفسر الجليل له تفسير القرآن بالحديث والرواية، حكى شيخنا المحيى أنه رأى تفسيره الكبير، وقد فرغ منه يوم الغدير سنة (٨٧٦)^(٢).

٦٤- كمال الدين الحسن بن محمد بن الحسن الاسترآبادي النجفي، شارح الفصول النصيرية، له آيات الأحكام المستخرج من كتاب عيون التفاسير الذي فرغ من مجلده الأول، سنة (٨٩١)، وأسماء «معارج السؤل ومدارج المأمول» في تفسير آيات الأحكام، واشتهر بكتاب اللباب وهو أبسط من كز العرفان للفاضل المقداد. يقول في أوله: إنه لما من الله عليه بتأليف عيون التفاسير، استخرج منه تفسير آيات الأحكام على نهج ما ألفه شيخه المقداد، فهو ذو تأليفين في التفسير أحدهما: يعم جميع القرآن، والآخر: يختص بآيات الأحكام، وهو من تلاميذ الفاضل المقداد، ومن الكتاب نسخة في المكتبة الرضوية وغيرهما^(٣).

* * *

أعلام التفسير في القرن العاشر:

٦٥- حسين بن علي الواعظ الكاشي مؤلف «جواهر التفسير لتحفة

(١) روضات الجنات (الحواسري): ج ٧ ص ١٧٠، ولاحظ: الذريعة (آغا بزرگ): ج ٤ ص ٣١٥.

(٢) الذريعة (آغا بزرگ): ج ٤ ص ٢٨٠ برقم ١٢٨٦.

(٣) الضياء اللامع (آغا بزرگ): ص ٤١.

الأمير» ألفه باسم الوزير الأمير نظام الدين علي شير، قدّم فيها أربعة أصول فيها اثنان وعشرون عنواناً من الفنون المتعلقة بتفسير القرآن وفضله وأنواعه، ثمّ شرع التفسير من سورة الفاتحة، وله تفسير آخر أسماه بـ«المواهب العلية»، وقد توفي عام (٩١٠)^(١).

٦٦- كمال الدين الحسين بن شرف الدين، عبدالحقّ الأردبيلي، المعروف بالالهي، توفي عام (٩٥٠)، وعبر في كشف الظنون عنه بتفسير الأردبيلي، وفي رياض العلماء أن هذا التفسير كبير لتنام القرآن الشريف، وهو في مجلدين^(٢).

٦٧- عبدعلي ابن نظام الدين محمد بن الحسين البيرجندي، المتوفى عام (٩٢٢)، له شرح تحرير المجسطي وجاء في خطبته: مسلماً على الأئمة المنتخبين المكرمين المتشرفين بتشريف «إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» و«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» له «شرح الدر النظيم في خواص القرآن العظيم» ألفه سنة (٩٠١)، وقد أتمّ بعض كتبه سنة (٩٣٢)^(٣).

٦٨- علم النجفي ابن سيف بن منصور الحلّي، صاحب كنز الفوائد المنتخب من كتاب «تأويل الآيات الباهرة» انتخبه منه سنة (٩٣٧) في المشهد الغروي^(٤).

٦٩- محمد خواجه كي، شيخ ابن أحمد الشيرازي، مؤلف شرح باب

(١) احياء الدائر (آغا بزرگ): ص ٦٩، الذريعة (آغا بزرگ): ج ٥ ص ٢٦٥ برقم ١٢٦٨.

(٢) كشف الظنون (الجلبي): مادة التفسير، رياض العلماء (الأفندي التبريزي): ج ٢ ص ٩٨،

الذريعة (آغا بزرگ): ج ٤ ص ٢٦١ برقم ١٢٢٢.

(٣) احياء الدائر (آغا بزرگ): ص ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٤٤.

حادي عشر، ألفه سنة (٩٥٢)، له مختصر مجمع البيان^(١).
 ٧٠- أبوالحسن، الحسين بن الحسن - يعرّفه عبدالله الأفندي بقوله:
 فاضل عالم متكلّم محدث مفسّر. كان من مشاهير الامامية، ومن مؤلفاته
 كتاب «جلاء الاذهان وجلاء الأحران في تفسير القرآن» وهو تفسير حسن
 كثير الفوائد^(٢).

أقول: قد طبع الكتاب في عشرة أجزاء بتصحيح وتعليق المحقق السيد
 جلال الدين الحسيني الارموي - قدس سرّه، والكتاب من حسنات الدهر،
 والمؤلف من علماء القرن العاشر، كما حقّقه المصحح في المقدمة، فمن أراد
 فليرجع اليه، وفيه فوائد أخرى لاغنى للباحث عنها.

٧١ - عبدالجليل القارئ، ابن أحمد الحسيني، له شرح القصيدة الجزرية
 في التجويد، سمّاه في آخره «الفوائد»، وفرغ منه أوائل رجب عام (٩٧٢)،
 وله شرح الناسخ والمنسوخ تأليف ابن المتوجّج البحراني^(٣).

٧٢ - المحقق الأردبيلي، أحمد بن محمد، المتوفى في صفر (٩٩٣)، استاذ
 الفقهاء والمجتهدين، صاحب التصانيف الكثيرة، مثل «مجمع الفائدة»
 وهي دورة فقهية تشتمل على جميع أبواب الفقه إلّا النكاح و«زبدة البيان
 في تفسير آيات أحكام القرآن» تفسير مشحون بالتحقيق^(٤).

٧٣- فتح الله بن شكر الله الكاشاني، المتوفى عام (٩٨٨) وقيل:
 (٩٩٧)، له «منهج الصادقين في تفسير القرآن المبين»، طبع مرّة في ثلاث

(١) المصدر نفسه: ص ٢١٧.

(٢) رياض العلماء (عبدالله الأفندي)، كما في الذريعة (آغا بزرك): ج ٥ ص ١٢٣ برقم ٥٠٢.

(٣) المصدر نفسه: ص ١١٨.

(٤) روضات الجنات (الخوانساري): ج ١ ص ٧٩، وغيره.

مجلدات كبار، وأخرى في عشرة أجزاء وله «خلاصة المنهج»، فرغ من بعض أجزائه أعني سورة الأنفال سنة (٩٨٤). وله شرح «نهج البلاغة» مطبوع.

٧٤- غياث الدين، المفسر الزواري، المعاصر للمحقق الكركي، استاذ أبي الحسن علي بن الحسن الزواري، المفسر المشهور وينسب إليه «تفسير الكازر» المعروف^(١).

٧٥- الأمير ابو الفتح بن الأمير مخدوم بن الأمير شمس الدين محمد بن الأمير السيد الشريف الحسيني الجرجاني، المتوفى سنة (٩٨٦)، مؤلف «تفسير شاهي» تفسير لآيات الأحكام، ألفه باسم ملك طهماسب الصفوي، توجد منه نسخة خطية في الخزانة الرضوية، وقد طبع أخيراً في عدة أجزاء في تبريز^(٢).

أعلام التفسير في القرن الحادي عشر:

إنّ السابر في التفاسير المؤلفة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر يرى -بوضوح- أنّه قد سادت على الأوساط الشيعية في هذه الظروف نزعتان مختلفتا المنحى ومتضادتتا المنهج لاتجد لهما مثيلاً في العصور السابقة، وهاتان النزعتان هما:

١ - النزعة العقلية البحتة التي تدفع المفسر إلى الاهتمام بالآيات الواردة في المبدأ والمعاد والأسماء والصفات وما يمت إليها بصلة، ويضرب

(١) احياء الدائر (آغا بزرك): ص ٤٣، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٣٠٩.

(٢) الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٧٧ برقم ١٢٧٨.

- في ظلّها- عمّا سواها صفحاً، ولا ينظر إليه إلّا نظرة خاطفة كأن القرآن كتاب عقلي فلسفي لا يهتم إلّا بالمسائل العقلية، ولا شأن له بمسائل المجتمع وما تدور عليه رحي الحياة.

٢- النزعة الاخبارية التي لا تهم إلّا بنقل الروايات وجمعها من مختلف الكتب من دون تحقيق في اسنادها ومتونها حتى آلف في هذه الظروف أكبر المجاميع الروائية حول التفسير التي لا يشذ منها من أحاديث التفسير إلّا النزر اليسير.

وقد كان لهاتين النزعتين تأثير خاص في تطوّر التفسير في تلك العصور، ولما قضى الاستاذ الأكبر المحقق البهبائي (ت ١٢٠٦) على النزعة الاخبارية التي تتسم بالقشرية والسطحية في أواخر القرن الثاني عشر ومستهل القرن الثالث عشر عززت العناية بالتفسير الروائي وتوفرت الدوافع نحو التفسير العلمي الذي يهتم بأكثر المسائل التي يتوقف عليها فهم الآيات، فراج منهج الشيخ الطوسي في تبيانه، والطبرسي في مجمعه، خصوصاً في أواخر القرن الثالث عشر ومستهل الرابع عشر.

نعم حدثت رجّة عنيفة في أواسط القرن الرابع عشر ودفعت الضغوطات الاجتماعية إلى تطوير المنهج التفسيري كما سيوافيك بيانه، وإليك اعلام التفسير في القرن الحادي عشر:

٧٦ - محمد بن علي بن ابراهيم الاسترآبادي، المجاور لبيت الله الحرام، والمتوفى فيه سنة (١٠٢٦)، صاحب الكتب الرجالية الثلاثة، له شرح آيات الأحكام^(١).

(١) الذريعة (آغا بزرك): ج ١ ص ٤٣ برقم ٢١٩.

٧٧ - بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي، الطائر الصيت (ت ١٠٣٠) له تفاسير ثلاثة: ١- العروة الوثقى طبع مع مشرق الشمسين في طهران (١٣٢١)، وقد صرح في أوائله بحاشيته على تفسير البيضاوي، فيظهر أنه كتبه بعده. ٢- عين الحياة، وهو تفسير مزجي نظير تفسير الصافي. ٣- ماقد عرفت من حاشيته على تفسير البيضاوي، وقد كثرت التحشية من أصحابنا على ذلك التفسير.

٧٨- الشيخ جواد بن سعد الله الكاظمي، تلميذ شيخنا البهائي له «مسالك الأفهام في آيات الأحكام»، طبع في جزعين، صنفه عام (١٠٤٣)، وللشيخ عبدالقاهر الحويزي المعاصر للشيخ المحدث الحر العاملي تعليقات على ذلك الكتاب.

٧٩- صدر المتأخرين محمد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠)، فله من التفاسير تفسير «الاستعاذة» والفاحة وسورة البقرة إلى قوله «كونوا قردة خاسئين»، ثم تفسير آية الكرسي، ثم آية النور، ثم سورة الم السجدة وياسين والواقعة والحديد والجمعة والطارق والأعلى والزلال، ثم آية «وترى الجبال تحسبها جامدة»، «ولهُ مفاتيح الغيب» وهو مقدمة لتفسيره، طبع من تفاسيره عدة أجزاء في قم المشرفة (١).

٨٠- محمد الرضا بن عبدالحسين النصيري الطوسي، مؤلف كشف الآيات الذي فرغ منه في (١٠٦٧)، وله تفسير كبير أسماه بـ «تفسير الأئمة لهداية الأئمة»، حكى شيخنا المجيز عن بعض المطلقين أنه في ثلاثين مجلداً، وقال: رأيت مجلدين منها الأول: مجلد كبير ضخيم بدأ فيه بمقدمات التفسير

فيما يقرب من عشرين فصلاً فيما يتعلق بالقرآن، ثم شرع في تفسير الفاتحة الخ، والمجلد الثاني: مجلد ضخمة كبير من أول سورة التوبة إلى آخر سورة هود. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الذريعة^(١).

٨١- الحكم العارف علي قلي، المولود عام (١٠٢٠)، المعاصر للفيض الكاشاني، له تفسير «خزائن جواهر القرآن»، ذكر في أوله أنه تضرع إلى الله في أن يوفقه لجمع جميع ما في القرآن من آيات التوحيد والايان والأحكام والقصص والمواعظ والحكم وخلق السماوات والأرض وأحوال الرجعة والبرزخ والحشر والنشر والجنة والنار وإيراد تفاسيرها المروية وتحقيق كلمات الروايات المفسرة جملة جملة، فوفقه الله وشرع في التأليف في رمضان (١٠٨٣)، توجد نسخة خط المؤلف في قم^(٢).

٨٢- عبد الوحيد بن نعمة الله الاسترآبادي، العارف المتكلم تلميذ شيخنا البهائي، له أسرار القرآن في تفسير كلام الله العزيز، ذكره صاحب الرياض مع سائر تصانيفه البالغة إلى ما يقرب من الستين^(٣).

٨٣- فخر الدين بن محمد الطريحي النجفي، المتوفى عام (١٠٨٥)، له «كشف غوامض القرآن»، وتقدم له غريب القرآن^(٤).

٨٤- تاج الدين الحسن بن محمد الاصفهاني، المتوفى سنة (١٠٨٥)،

(١) الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ١٣٤ برقم ١١٦٨.

(٢) الذريعة (آغا بزرك): ج ٧ ص ١٥٤ برقم ٧٣٢.

(٣) رياض العلماء (عبدالله الأفندي): ج ٣ ص ٢٨٤، الذريعة (آغا بزرك): ج ٢ ص ٥٤ برقم

٢١٥.

(٤) روضات الجنات (الخوئاساري): ج ٥ ص ٣٤٩، الذريعة (آغا بزرك): ج ١٢ ص ٥٠ برقم

٦٣٠.

والد الفاضل الهندي صاحب «كشف اللثام»، المتوفى سنة (١١٣٥)، له «البحر الموج» في تفسير القرآن، كثير الفوائد^(١).

٨٥- المحدث الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى، المتوفى (١٠٩١)، له تفاسير ثلاثة: الصافي، الأصفى، والمصفى، والثاني ملخص الأول والثالث ملخص الثاني، وقد طبع الأول والثاني ولكن الثالث بعد مخطوط.

٨٦- عبد علي الحويزي، استاد المحدث الجزائري، الذي توفي سنة (١١١٢)، فسر القرآن على هدى الروايات عن أئمة أهل البيت، وهو من المجامع الكبيرة للتفسير بالأثر، فرغ من الجزء الأول الذي ينتهي إلى آخر الأعراف في النجف سنة (١٠٦٥)، ومن الجزء الثاني في (١٠٦٦)، والثالث أيضاً في تلك السنة، ومن الرابع في (١٠٧٢)، وتوفي في حياة الشيخ الحرّ العاملي، كما يظهر من «أمل الآمل» للشيخ الحرّ العاملي، المؤلف سنة (١٠٩١)، وطبع الكتاب أخيراً في خمسة أجزاء ضخام. ونكتفي من أعلام التفسير في هذا القرن بهذه العشر الكاملة.

* * *

أعلام التفسير في القرن الثاني عشر:

٨٧- السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني، المتوفى سنة (١١٠٧) أو (١١٠٩)، مؤلف «البرهان في تفسير القرآن»، طبع عام (١٣٠٢) في جزءين كبيرين، وطبع أخيراً في أربعة أجزاء، جمع فيه شطراً وافرأ من الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت في تفسير الآيات القرآنية، وله

(١) الذريعة (آغا بزرك): ج ٣ ص ٤٩ برقم ١١٨، نقله عن الروضات ولم نجد ترجمة الوالد في محله.

تفسيران آخران تفسير الهادي، وتفسير نور الأنوار والهداية القرآنية، والكل على نمط واحد. قال صاحب الرياض: إِنَّ له مايساوي خمساً وسبعين مؤلفاً بين صغير وكبير ووسيط أكثرها في العلوم الدينية، ويقال له: «العلامة البحريني»^(١).

٨٨ - محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي المشهدي، صاحب «التحفة الحسينية في عمل السنة»، له «كنز الحقائق وبحر الدقائق» في تفسير القرآن، المتوفى عام (١١١٣)، وقد قرّظه جمال المحققين الخوانساري والعلامة المجلسي، واليك نص الأخير: «لله در المولى، الأولى، الفاضل، الكامل، المحقق، المدقق، البدل، التحرير، كشف دقائق المعاني بفكره الثاقب، ومخرج جواهر الحقائق برأيه الصائب»، وقد طبع الكتاب محققاً بتقديم زميلنا العلامة محمد هادي معرفة يقول - في تقديمه في حق الكتاب -: «إِنَّ تفسيره هذا مقتبس من تفسير البيضاوي والطبرسي والزنجشيري وحواشي العلامة البهائي، وقد جمع فيه من لباب البيان وعباب التعبير ماوجده في التأليف السابقة، وقد قامت بنشر خمسة أجزاء منه مؤسسة النشر الاسلامي شكر الله مساعيها الجميلة»^(٢).

٨٩ - السيد نعمة الله عبدالله التستري (الجزائري) (ت ١١١٢)، له «العقود والمرجان في تفسير القرآن» في ثلاث مجلدات. قال في رياض العلماء: إنه يبلغ سبعين ألف بيت، فرغ منه عام (١١٠٢)^(٣).

(١) رياض العلماء (عبدالله الأفندي): ج ٥ ص ٢٩٨، الذريعة (آغا بزرك): ج ٣ ص ٩٣ برقم ٢٩٤، وج ٢٥ ص ١١٨ برقم ١٩١.

(٢) لاحظ تفسير «كنز الدقائق» التقديم بقلم هادي معرفة ص ٦-١٦.

(٣) رياض العلماء (عبدالله الأفندي) ج ٥ ص ٢٥٣، الذريعة (آغا بزرك): ج ١٥ ص ٣٠٥ برقم ١٩٥١.

٩٠- محمد اسماعيل بن الأمير محمد باقر الاصفهاني، المولود (١٠٣١)، والمتوفى (١١١٦)، كان مدرّساً بالجامع العباسي باصفهان، له التفسير الكبير في أربعة عشر مجلداً ترجمه الجزري في «تذكرة القبور»^(١).

٩١- الشيخ علي بن حسين العاملي، له «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» وهو مختصر نافع كاف في معرفة ما يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الاعراب واختلاف القرآن، فرغ منه مؤلفه في (١١١٨)، وفي بعض النسخ فرغ منه سنة (١١٢٠) توجد نسخ منه في النجف الأشرف^(٢).

٩٢- أحمد بن الحسن بن علي الحر العاملي، أخو الشيخ الحر العاملي المعروف، ذكر تفسيره أخوه في كتابه «أمل الآمل»، وكان حياً إلى سنة (١١٢٠)^(٣).

٩٣- أبو الحسن بن شيخ محمد طاهر الفتوي النباقي العاملي الغروي، له كتاب «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار»، وقد طبع الجزء الأول منه وحده في إيران ونسخه متوفرة في العراق، وقد طبع الجزء الأول باسم «عبد اللطيف الكازروني» وهو من هفوات الناشر^(٤).

٩٤- بهاء الدين محمد بن تاج الدين الحسن بن محمد الاصفهاني، المولود (١٠٦٢)، والمتوفى بها (١١٣٥)، وصفه في الروضات بأنه كبير مبسوط^(٥).

(١) الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٦١ برقم ١٢٢٠.

(٢) الذريعة (آغا بزرك): ج ٢٥ ص ٤٤ برقم ٢٢٤.

(٣) أمل الآمل (الحر العاملي): ج ١ ص ٣١، الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٥٩ برقم ١٢١٨.

(٤) الذريعة (آغا بزرك): ج ٢٠ ص ٢٦٤ برقم ٢٨٩٣.

(٥) روضات الجنات (الحوانساري): ج ٦ ص ١١١.

٩٥ - عبدالله الأفندي بن عيسى التبريزي، ثمّ الاصفهاني، له «الأمان من النيران» في تفسير القرآن والمؤلف حجة التاريخ وبخانة عصره، له أثره الخالد «رياض العلماء» الذي بدأ بتأليفه سنة (١١٠٦)، وتوفي حدود (١١٣٠) ويصف السيد عبدالله التستري في إجازته الكبيرة هذا التفسير بقوله: مشتمل على أكثر الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن وآياته^(١).

٩٦ - محمد بن علي النجار التستري، المتوفى (١١٤٠)، له «التفسير الكبير» وهو من تلاميذ المحدث الجزائري ويسمى بـ «مجمع التفاسير»^(٢). تلك عشرة كاملة في هذا القرن نكتفي بها ونحيل تسجيل أسماء الباقيين إلى عهدة المعاجم.

أعلام التفسير في القرن الثالث عشر:

دخل القرن الثالث عشر وقد ارتج الغرب بنهضة علمية عظيمة بهرت العيون وأدهشت العقول واتسم بتسليط الضوء على عالم الطبيعة وطرح المسائل الحيوية في مجال العلوم الانسانية، ولكن -بالأسف- كان السبات والذهول عمّا يجري في ذلك الجانب من العالم سائداً على الشرق وعلمائه، ولأجل ذلك نرى أنّ ما ألف في هذا العصر من التفاسير كان استمراراً للخطوط السابقة، فالتفسير في هذا القرن إما تفسير بالأثر المحض، أو تفسير علمي مقتصر على موضوعات خاصة، مع أنّه كانوا أمام بحر موجّ بالحقائق

(١) الذريعة (آغا بزرك): ج ٢ ص ٣٤٣ برقم ١٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٤٩ برقم ١١٩٧.

العلمية، لا يدرك غوره ولا يمكن الوصول الى أعماقه ولا ينتهي مافيه من الأسرار والعجائب، وإليك أسماء أعلام التفسير في ذلك القرن على وجه الإيجاز.

٩٧- الشيخ عبد النبي الطسوجي، وطسوج من مضافات «خوي»، وهو تلميذ المقدس رفيع الدين الجيلاني المشهدي، المتوفى عام (١١٦٠)، واستاذ علامة عصره الشيخ حسن الزنوزي، له تفسير كبير وفيه نكات بديعة، أكثر النقل عنه الشيخ الزنوزي في موسوعته «رياض الجنة»، توفي عام (١٢٠٣)^(١).

٩٨- السيد عبدالله بن محمد رضا العلوي الحسيني الشهير بالشبر، المولود بالنجف سنة (١١٨٨)، والمتوفى عام (١٢٤٢)، كان فقيهاً محدثاً مفسراً، آية في الاخلاق عكف مدة حياته العلمية على التأليف والتصنيف، له «صفوة التفاسير» و«الجواهر الثمين في تفسير القرآن المبين» و«التفسير الوجيز»، وهذا الأخير هو المعروف الموجود في أيدي الناس، وقد طبع مراراً^(٢).

٩٩ - محمد جعفر الاسترآبادي، المعروف بـ «شريعتمدار»، المتوفى عام (١٢٦٣). حكى شيخنا المجيز أنه رأى بعض أجزائه وهو من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الأحزاب، وتاريخ كتابة النسخة (١٢٦١)، وله تفسير آخر على وجه الاختصار أسماه «مظاهر الأسرار»^(٣).

(١) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٢٨١ برقم ١٢٩٠.

(٢) روضات الجنات (الخوانساري): ج ٤ ص ٤٦١.

(٣) الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢٦٩ برقم ١٢٥٠.

١٠٠- السيد محمد تقي بن مير مؤمن القزويني، المتوفى عام (١٢٧٠)، له خلاصة التفاسير وهو موجود في مدينة قزوین عند احفاده^(١).

١٠١- السيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني، له «خلاصة التفاسير»، كما أنَّ له خلاصة الأخبار، وقد طبع الثاني، عام (١٢٧٥)^(٢).

١٠٢- الشيخ صالح بن محمد البرغاني القزويني، المتوفى بالحائر عام (١٢٧٥)، له تفاسير ثلاثة: الكبير وأسماء «بحر العرفان» في سبعة عشر مجلداً، و«الوسيط» في تسعة أجزاء و«الصغير» في مجلد واحد^(٣)، وقد طبع منه مجلد واحد في النجف الأشرف.

١٠٣- السيد حسين بن السيد رضا الحسيني البروجردي، صاحب «نخبة المقال» المشهور الذي شرحه المولى علي العللياري، توفي عام (١٢٧٦)، وله تفسير خرج منه مجلد كبير في مقدمات التفسير وتفسير سورة الفاتحة وقسم من سورة البقرة^(٤).

أعلام التفسير في القرن الرابع عشر:

حلَّ القرن الرابع عشر وقد خطى الغرب خطوات واسعة في الصناعة والتكنولوجيا والعلوم الانسانية وفي مجالات مختلفة تمت إلى الدين بصلة وأبدى فيه نظريات إلحادية، ورفع كثير من الغربيين عقيدتهم بنفي العوالم

(١) الذريعة (آغا بزرك): ج ٤ ص ٢١١، برقم ١٠٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٢٠ برقم ١٠٦٣ و ص ٢١٠ برقم ١٠٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ج ٤ برقم ١٢٨٢.

(٤) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٢٧٢ برقم ١٢٦٣.

الغيبية والانتصار لأصالة المأذة.

ولقد وصلت أمواج هذه الهزاهر إلى الشرق الذي استيقظ بعد سبات طويل، فواجه العلماء وفي مقدمتهم المفسرون آراء ونظريات في بدء الخليقة، وتكوّن العالم بما لا يوافق ظواهر القرآن فضلاً عن نصوصه، كما واجهوا أفكاراً جديدة ونظريات مادية بحثة في تحليل النبوة واتصال الانسان المثالي بعالم الغيب والوحي النازل عليه والشرعة المأمور بتبليغها.

إن وفود هذا النوع من التفكير المزيج بسوء الظن بالغيب والمعارف الالهية، بعث المفسرين الاسلاميين من سنيهم وشيعيهم إلى التطوير في المنهج التفسيري، وايداع مسائل جديدة في كتبهم باحثين عنها ومخضعين إياها للمشراط العلمي، وهم في ذلك بين مفراط ومفرط ومقتصد، فأفرط بعضه في تأويل الآيات حسب الأسس الطبيعية والنواميس الكونية المكتشفة، غافلاً عن أن هذه الآراء والمكتشفات فرضيات متزلزلة، سوف تبدّل إلى آراء غيرها، كما فرط بعضهم فتمسك بالأصول الموروثة عن الأغارقة حول السماء والعالم، وهناك طبقة وسطى مشوا بين الخططين، فلم يمنعهم التعبد بالقرآن عن التنسيق بين الوحي القرآني والنظريات القطعية الحديثة التي ثبتت بوضوح، وأيده الحس والتجربة.

لقد اثرت الحضارة الغربية على المناهج التفسيرية، فأدخلت في التفسير جملة من المسائل الفلسفية والطبيعية والاجتماعية والنفسية والمسائل العائلية إلى غير ذلك مما تقوم عليه الحياة في هذه الأعصار، فصار ذلك سبباً لبروز لون خاص من التفسير لم يكن معهوداً في القرون السابقة، كما أنّ ذلك صار سبباً لرجوع المسلمين إلى القرآن من جديد كيما يتخلصوا بفضلها من التيارات الالحادية، فألفت في ذلك القرن تفاسير لا يحيط بها الباحث

إلا بشد الرحال إلى البلاد وتسجيل أسمائها في رسالة مفردة، ولا يقاف القارئ على نزرير من الجهود العلمية التي نهض بها علماء الشيعة في هذا القرن، نأتي بأسماء أعلام التفسير فيه ونخص بالذكر المؤلفين باللغة العربية. وطبعت وانتشرت في البلاد، ونترك المخطوط والمؤلف بغير اللغة العربية لضيق المجال.

١٠٤- الشيخ محمد حسين بن الشيخ باقر البروجردي، له «اسرار التنزيل» اختاره من تفسيره الكبير، وتوفي في نيف ثلاثمائة بعد الألف.

١٠٥- العلامة السيد نورالدين العراقي، المتوفى عام (١٣٤١)، له «القرآن والعقل»، طبع في ثلاثة أجزاء، وهو تأليف منيف مبتكر في بابه.

١٠٦- العلامة المجاهد الكبير، الشيخ محمد جواد البلاغي، المتوفى عام (١٣٥٢)، وقد أفنى عمره في الذب عن المذهب، وكافح الآراء المادية، كما ناضل المسيحية بكتبه القيمة كـ «الرحلة المدرسية»، و«الهدى إلى دين المصطفى» وله «آلاء الرحمن في تفسير القرآن». خرج منه جزءان.

١٠٧- السيد علي بن الحسين الحائري (١٢٧٠-١٣٥٣) من تلاميذ المجدد الشيرازي، مؤلف «مقتنيات الدرر وملقطات الثمر»، طبع في اثني عشر مجلداً في سنة ١٣٧٧-١٣٨١هـ.

١٠٨- العلامة السيد محمد مولانا، المتوفى عام (١٣٦٣)، له «التفسير الوجيز» وهو على غرار تفسير الجلالين، طبع وانتشر في تبريز.

١٠٩- العلامة الحجة المفسر الكبير، السيد محمد حسين الطباطبائي، المتوفى عام (١٤٠٢) له «الميزان في تفسير القرآن» وهو في عشرين جزءاً،

يرى القارئ فيه تطويراً في التفسير وآفاقاً مفتوحة أمامه، وقد قرّظه مشايخ الأزهر وأعلام الأمة، طبع بعض التقاريط في أوائل الجزء الخامس من الميزان.

١١٠ - العلامة الحجة، الشيخ محمد جواد مغنية، المتوفى محرم (١٤٠٠)، ذلك الكاتب الكبير، في مجالات مختلفة، له «الكاشف في تفسير القرآن»، صدر في سبعة أجزاء وطبع في بيروت، وله تفسير آخر وجيز كتبه للشباب، وطبع في بيروت.

١١١ - المحقق الكبير السيد أبوالقاسم الخوئي النجفي، المرجع الأعلى للشيعة، له «البيان في تفسير القرآن» صدر منه جزء واحد.

١١٢ - العلامة الحجة الشيخ محمد باقر الناصري، أحد علماء العراق المجاهدين المناضلين للبدع والاضطهاد. له تلخيص مجمع البيان في جزئين طبعاً.

١١٣ - العلامة الحجة الشيخ حسن المصطفوي، أحد الباحثين المعاصرين، «التحقيق في كلمات القرآن» خرجت منه تسعة أجزاء، وهو كتاب لطيف يهتم تبين لغات القرآن على وجه بديع.

١١٤ - العلامة الحجة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، له التفسير الأمثل في عشرين جزءاً، طبع وانتشر في بيروت.

١١٥ - المحقق الشيخ محمد هادي معرفة، أحد المولعين بعلوم القرآن، له «التمهيد في علوم القرآن» صدرت منه أربعة أجزاء.

١١٦ - العلامة الحجة السيد عبد الأعلى النجفي، أحد المدرسين الكبار في حوزة النجف الأشرف، له «مواهب الرحمان في تفسير القرآن»، خرجت

منه عدة أجزاء.

١١٧- العلامة الحجة السيد محمد حسين فضل الله من أكابر علماء لبنان، له «من وحي القرآن» انتشرت منه عدة أجزاء.

١١٨- العلامة الحجة السيد محمد باقر الأبطحي، له «المدخل إلى التفسير الموضوعي»، وقد صدر منه ثلاثة أجزاء.

١١٩- العلامة المفضل الشيخ محمد السبزواري، له «الجديد في تفسير القرآن المجيد» في سبعة أجزاء. وهو تفسير، حديث في أسلوبه، جميل في عباراته.

١٢٠- كاتب هذه السطور جعفر السبحاني، له «مفاهيم القرآن»، خرجت منه خمسة أجزاء وهو تفسير موضوعي.

هؤلاء أعلام التفسير في أربعة عشر قرناً وهم مائة وعشرون، وقد اكتفينا بهم مع أن عدد أعلام التفسير فضلاً عن غيرهم يتجاوز عن ذلك، غير أن مجال «التصدير» لايسع أكثر من ذلك.

تأريخ التدوين والتطوير في التفسير:

إنّ هذا البحث الإضافي حول تاريخ تفسير القرآن عند الشيعة الإمامية، يوقفنا على تاريخ التدوين والتطوير في مجال التفسير لديهم، فإنّ الظاهر أنّ أول من ألف كتاباً تفسيرياً من الشيعة هو سعيد بن جبير ذلك التابعي الشيعي - المستشهد عام (٩٥) لتشيّعه وموالاته علماً، هذا ولو صحّ مانسب من الكتب إلى عبدالله بن عباس، المتوفى سنة (٦٩)، لكان هو متقدماً على ابن جبير وهو تلميذ الوصي أمير المؤمنين، ثمّ توالى بعدهما كتابة التفسير

حسب ما عرفت في قائمة القرون، ولانطيل الكلام في تاريخ التدوين.
وأما تطوير التفسير فقد عرفت أنّ التفسير الراجح بعد رحلة النبي الأكرم - كان - بعد تفسير «غريب القرآن»، هو التفسير بالأثر، فكانت هذه هي السّنة المتبعة لدى الشيعة إلى نهاية القرن الرابع، وأما حصل التطور في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، وأول تفسير ظهر إلى الأوساط العلمية بالطابع العلمي الجديد، هو تفسير الشريف الرضي قدس الله سره.

ثم استمر هذا النمط في الأوساط العلمية إلى أوائل القرن العاشر، وفيه راج التفسير بالأثر من جديد، فآلفت مجاميع كبار لتفسير القرآن بالأثر ولم نر لها مثيلاً في القرون الأولى، وقد دام ذلك النمط حتى غلب على النمط العلمي، وذلك عند تسرب الاتجاه الاخباري إلى الأوساط العلمية.

ولما حل القرن الرابع عشر، وقف غير واحد من المفكرين الاسلاميين وقادتهم على الوضع المؤسف المحقق بالمسلمين بسبب تأخرهم عن موكب الحضارة، ونشوب أظفار الاستعمار ببلاد المسلمين - وعند ذلك - شعروا بأنّ احياء المجد الدائر وتجديد الحضارة الاسلامية في جميع أبعادها رهن العودة إلى القرآن الكريم من جديد وتطبيقه على الحياة بدل العناية الزائدة بقراءات القرآن وحججها أو المناقشة في الاعراب ودلائله، فرجعوا إلى أحضان كتاب الله، ونظروا إليه بمنظار خاص فاكتشفوا - حقاً - آفاقاً جديدة، غفل عنها الأقدمون، آفاقاً ترتبط بالحياة عن قريب، وتعدّ أسساً لها، فعطفوا اهتمامهم على تلك المباحث والآفاق المكتشفة، وعكفوا على دراستها دراسة معمّقة، فازدهرت المدارس ومحافل العلماء بالابحاث القرآنية، وانتشرت تفاسير بنمط حديث لم يكن لها مثل في القرون السابقة، فعند

ذلك حصل تطوير جديد أعمق بكثير من التطوير العلمي الحاصل بيد أمثال الشريف الرضي وأخيه المرتضى، وفي الحقيقة هذا المنهج الموجود في عصرنا الحاضر تطوير حديث ومنهج متكامل يتفوق على المنهج العلمي، ولم يكن بدّ للمفكرين من ابداع هذا التطوير وذلك لوجهين:

الأول: أنّ الغزو الفكري الذي تعرّض له الاسلام والمسلمون بمختلف أشكاله من خلال تأسيس علوم إجتماعية ونفسية واقتصادية و...، وابداع نظريات حديثة حول النبوة والوحي وغير ذلك ألبأ المفكرين إلى دراسة هذه الآراء والبحث عنها بحثاً جذرياً حتى يصونوا بأبحاثهم القيمة، الاسلام والمسلمين عن تأثير هذه السموم التي بثّها ويثّها علماء الغرب في الشرق في صورة حقائق راهنة.

وقد نجح علماء التفسير في تحقيق أمنيّتهم هذا نجاحاً باهراً وأدخلوا في التفسير مسائل هامة ألهموا بها من خلال الآيات القرآنية، بيد أنّ بعضهم أفرط عند تطبيق الآيات الكونية على المكتشفات العصرية، وقد كان عليهم الأخذ بالحد الأوسط.

الثاني: أنّ طبيعة الذكر الحكيم تقتضي ذلك التطوير، بل ولن يقف الركب على هذا الحد وسيواجه المستقبل تطويراً ثالثاً، ورابعاً في تفسير الذكر الحكيم، كيف والنبى الأكرم يعرف معجزته الكبرى بقوله: «ظاهره أتيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم لاتخصى عجائبه ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة»^(١).

وهذا أمير المؤمنين يصف الذكر الحكيم بقوله: «أنزل عليه (النبى)

الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحها، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضووه، وفرقاناً لا يحمده برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه» - الى أن قال:- و«بحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون»^(١).

وهذا هو الامام الطاهر علي بن موسى الرضا عليها السلام، سأله سائل وقال: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: إن الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولناس دون ناس، وهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غرض إلى يوم القيامة^(٢).

التفاسير الشيعية في قفص الاتهام:

قد تعرفت على خدمة الشيعة للذكر الحكيم منذ رحلة صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، ولعلّ مامرّ عليك أقل من معشار ما حفظته يد التاريخ ومعاجم التفسير والرجال، فحقيق على كلّ من يحب الحق والحقيقة تقدير تلكم الثلة الجليلة من الأمة، ومن حسن الحظ أنه قام بذلك الواجب الضمائر الحرة من أهل العلم والفضل شكر الله مساعيمهم.

بيد أن بعض المتسرعين في القضاء أرادوا اتهام تفاسير الشيعة بأمر:

١ - تعصّبهم لاثبات معتقداتهم ومقالاتهم.

٢ - كون تفاسيرهم تفاسير طائفية.

٣ - قولهم بتحريف الذكر الحكيم.

(١) نهج البلاغة (الشيخ الشريف الرضي): الخطبة ١٩٨ ط (صحي صالح).

(٢) تفسير البرهان (البحراني): ج ١ ص ٢٦.

وإليك شرح تلك الاتهامات ونقدها.

أما الأول: فقد أشار إليه الدكتور الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون»، واستدل بمواضع من تفاسير الشيعة كمسألة الرؤية، والمسح على الرجلين، وحلّة المتعة إلى غير ذلك، حيث إنّ الشيخ الطبرسي يسعى في تلك الموارد لاثبات مذهب الشيعة.

يلاحظ عليه أنّه لو كان ذلك أمراً خطأ فهو شامل لحال جميع التفاسير من غير فرق بين السنة والشيعة، فإن الطبرسي ونظراءه لو أصرّوا على اثبات امتناع رؤية الله -تبارك وتعالى- عند الوصول إلى تفسير قوله -سبحانه-: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(١)، فالرازي وهو من أئمة الأشاعرة عندما وصل إلى تفسير قوله -سبحانه-: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرَ لِيكَ...»^(٢)، أخذ بتفسير الآية على مذاق الأشاعرة، فلما ذا كان سعي الطبرسي على اثبات معتقده خطأ، ولكن كان سعي الرازي على ما يرويه من اثبات الرؤية^(٣) أمراً صحيحاً؟! وليس الرازي بمنفرد في هذا العمل، بل التفاسير عامة مصبوغة بهذه الصبغة، فإن لكل مفسر آراء ومعتقدات يراها عقائد صحيحة، نزل بها الوحي أو دلّ عليه العقل، ففي كلّ موضع يهتم بدعم عقائده واستعراض الآيات الدالة عليه حسب معتقده، وليس ذلك أمراً خطأ إذا كان البحث موضوعياً هادئاً، وليس المترقب من كلّ مؤلف هادف إلّا ذلك، وإنما البغيض التعصّب

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٣) مفاتيح الغيب (الرازي): ج ٤ ص ٢٩٣ ط مصر في ثمانية أجزاء.

على الباطل مع العلم به.

يقول الاستاذ الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر في تقديمه لكتاب مجمع البيان:

فليس من الانصاف أن نكلف عالماً مؤلفاً بجائنة ذراكة، أن يقف من مذهبه وفكرته التي آمن بها موقف الفتور، كأنه لاتهمه ولا تسيطر على عقله وقلبه، وكل ما نطلبه ممن تجرد للبحث والتأليف، وعرض آراء المذاهب واصحاب الأفكار، أن يكون منصفاً، مهذب اللفظ، أميناً على التراث الإسلامي، حريصاً على أخوة الايمان والعلم، فإذا جادل في ظل تلك القاعدة المذهبية التي تمثل روح الاجتهاد المنصف البصير: «مذهبي صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيري خطأ يحتمل الصواب».

وهذا هو تفسير «المنار» الذي طبق العالم صيته وصوته يستعرض آيات الأحكام ويستدل بها على ما يوافق مذهبه، كما يستعرض آيات العقائد والمعارف فيستشهد بها على مختاره، ولو جمع ما أورده على الشيعة في مجال الأحكام والعقائد لجاء رسالة حتى أن سبب ذلك قيام عالم بارع من علماء الشيعة^(١) بنقد ما أورده على الشيعة في مناره، ونقده نقداً علمياً موضوعياً انتشر في حياة صاحب المنار، ولم يقدر السيد محمد رشيد رضا على الاجابة عنه ثانياً.

وأما الثاني: وهو اتهام تفاسير الشيعة بأنها تفاسير طائفية يحاولون تطبيق الآيات القرآنية على انتمهم وقادتهم خصوصاً الامام أمير المؤمنين عليه

(١) العلامة الحجة السيد محسن الأمين العاملي، المتوفى عام (١٣٧٣)، في كتابه «الحصون المنيعه» فيها أورده صاحب المنار على الشيعة.

السلام فنقول:

إنَّ اتهام تفاسير الشيعة بكونها تفاسير طائفية^(١) يعرب عن أنَّ القائل لم يفرق بين التفسير والتطبيق، فحمل الروايات الواردة في حق الامام أمير المؤمنين كلَّها على التفسير، ولم يقف على أنَّ الروايات الواردة في ذلك المجال على قسمين:

١ - ما يتضمَّن أسباب النزول ويبيِّن أنَّ الآية حسب النصوص الروائية نزلت في حق شخص خاص كما هو الحال في غير واحد من الآيات الواردة في حق الامام كـ «آية الاكمال»^(٢) و«آية التبليغ»^(٣) و«آية الولاية»^(٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي اعترف المحدثون والمفسِّرون بنزولها في حق الامام فنقل ما يدعم ذلك لا يكون دليلاً على الطائفية لو لم يكن دليلاً على البخوع بالحقيقة وخضوعاً أمام الحق.

٢ - ما يتضمَّن الجري والتطبيق لابعنى أنَّ الآية وردت في حق فرد خاص، بل الآية على معناها العام، ولكن الرواية تشير إلى مصداقها المثالي الذي هو أكمل المصاديق، وليس هذا بعيداً عن طبيعة القرآن، بل بما أنَّ القرآن كتاب الأجيال والقرون، يقتضي صحة ذلك الجري والتطبيق، فإنَّ القرآن كما عرَّقه الامام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام... حي لا يموت والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية اذا نزلت في الأقوام وماتوا؛ ماتت الآية ومات القرآن.. فالآية جارية في الباقيين كما جرت في

(١) الدكتور أحمد محمود صبحي: نظرية الامامة لدى الشيعة الامامية (الدكتور أحمد محمود صبحي): ص ٥٠٥.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) المائدة: ٥٥.

الماضين^(١).

ولأجل إيقاف القارئ على الفرق بين التفسير والتطبيق نأتي ببعض ماورد في كتب أهل السنة حول الامام أمير المؤمنين.

قال - سبحانه -: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^(٢).

قال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والدليعي وابن عساكر وابن النجار، قال: لما نزلت «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر وأوما بيده الى منكب علي - رضي الله عنه - فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

وقال: وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه - سمعت رسول الله يقول: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ» ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر علي ويقول: «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^(٣).

ولايشك أحد أن علياً من المصاديق الجليلة الكاملة لقوله: «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»، وليس مصداقاً منحصراً فيه، وكان تفسير النبي الآية بعلي من باب الجري والتطبيق، بإراءة فرد مثالي يفوق جميع الأفراد، فكلمها ورد في التفاسير الشيعية من هذا الباب أي الجري والتطبيق، حتى يقف المسلمون على أمثل المصاديق وأوسطها.

إنَّ النبي الأكرم هو الأسوة والقُدوة، فقد طبقت الآية الماضية على فرد

(١) مرآة الانوار (أبو الحسن الفتوي): ص ٢.

(٢) الدر المنثور (السيوطي): ج ٤ ص ٤٥، وقد أورد نصوصاً أخرى في ذلك المجال تركناها للاختصار.

(٣) نفس المصدر السابق.

مشالي تعليماً للأمة، وقد اقتدت به الأئمة في هذا المضمار، وإليك بعض الأمثلة، قال - سبحانه -: «الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»^(١). إن الآية الكرعة تندد بالدين ينقضون العهد ويقطعون الصلة ويفسدون في الأرض، ولا يشك دومسكة أن الآية تتضمن حكماً كلياً عاماً حياً إلى يوم القيامة، ولها عبر القرون آلاف المصاديق والجزئيات غير أن أئمة الشيعة يفسرون قوله: «ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل» بقطع الصلة الواجبة في حق علي وعترته الطاهرة، وليس ذلك تفسيراً بمعنى حصر الآية في هذا الفرد، بل تطبيقاً للآية على الحق المهضوم عبر الأجيال، وقد قال - سبحانه -: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(٢) و^(٣).

قال - سبحانه -: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...»^(٤)، فقد فسر بصراط الأنبياء كما فسرت بالامام أمير المؤمنين^(٥)، ولا شك أن كل ذلك تطبيق على المصداق الأجل، وعلى ضوء ذلك يقدر القارئ الكريم الملم بالتفاسير الشيعية، على تمييز التفسير عن الجري والتطبيق، وعند ذلك يقف على قيمة النسبة المذكورة.

وأما الثالث: فمن رجع الى كتب المحققين من الشيعة الذين يعبأ بقولهم ورأيهم، ويعتد كلامهم مثلاً لعقيدة الشيعة يقف على أن رمي الشيعة وتفاسيرها بالتحريف بهتان عظيم، وإن من نسب التحريف إلى الشيعة إنها

(١) البقرة: ٢٧.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) نور الثقلين (الحويزي): ج ١ ص ٣٨.

(٤) الحمد: ٧.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٧ الحديث ٨٦؛ تفسير البرهان (البحراني): ج ١ ص ١٨.

استند إلى وجود روايات في تفاسيرهم الروائية مشعرة بالتحريف أو دالة عليها، ولكن الرواية غير العقيدة، وليس نقل الرواية دليلاً على صحتها، ولو كان ذلك دليلاً على التحريف فهناك روايات دالة على التحريف مبثوثة في كتب التفسير والحديث والتاريخ والسنة ولكننا نحلّ المحققين منهم عن القول بذلك، فروايات التحريف تدين بها الحشوية من العامة وبعض الغلاة من الخاصة، والشيعية وأئمتهم وعلمائهم براء منهم ومن مقالتهم.

ولأجل إيقاف القارئ على صحة هذا المقال نأتي بأسماء مجموعة من محققي الشيعة عبر القرون صرحوا بصيانة القرآن الحكيم من التحريف:

١ - أبو جعفر محمد بن الحسين، المعروف بالصدوق (ت ٣٨١)، يقول: «اعتقادنا في القرآن أنه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله، وأنه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم علیم، وأنه القصص الحق، وأنه لحق فصل وما هو بالهزل، وإن الله - تبارك وتعالى - محدثه ومنزله وربّه وحافظه والمتكلم به»^(١).

٢ - السيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (م ٤٣٦) قال: إن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عذّة ختمات وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبثوث^(٢).

٣ - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة (م ٤٦٠) قال: وأما الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً،

(١) الاعتقادات (الصدوق): ص ٩٣.

(٢) مجمع البيان (الطبرسي): ج ١ ص ١٠ نقلاً عن جواب المسائل الطرابلسيات للسيد.

لأنَّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، وأمَّا النقصان فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنَا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الرواية. قيل: إنَّه رويت روايات كثيرة من جهة الشيعة وأهل السنة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع الى موضع؟ لكنَّ طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً والأوّل الاعراض عنها^(١).

٤ - أبو علي الطبرسي، صاحب تفسير «مجمع البيان» يقول: «الكلام في زيادة القرآن ونقصانه. أمَّا الزيادة فيه فجمع على بطلانها، وأمَّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أنَّ في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه»^(٢).

٥ - السيد علي بن طاووس الحلي (م ٦٦٤) قال: «إنَّ رأي الامامية هو عدم التحريف»^(٣).

٦ - الشيخ زين الدين العاملي النباطي البياضي (ت ٨٧٧) يقول: في تفسير قوله: «أَنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ» أيَّ إِنَّا لَحَافِظُونَ لَهُ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان^(٤).

٧ - القاضي السيد نور الله التستري صاحب كتاب «إحقاق الحق» (ت ١٠١٩) يقول: «مانسب إلى الشيعة الامامية من وقوع التغيير في القرآن ليس ممَّا يقول به جمهور الامامية إنَّها قال به شُرذمة قليلة منهم، لا اعتداد

(١) التبيان (الطوسي): ج ١ ص ٣.

(٢) مجمع البيان (الطبرسي): ج ١ ص ١٠.

(٣) سعد السمود (ابن طاووس): ص ١٤٤.

(٤) اظهار الحق (رحمة الله الهندي): ج ٢ ص ١٣٠.

هم فيما بينهم»^(١).

٨ - الشيخ البهائي نابغة عصره ونادرة دهره محمد بن حسين المشتهر بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣٠) قال: «الصحيح ان القرآن العظيم محفوظ من ذلك زيادة كان أو نقصاناً، وما اشتهرين العلماء من إسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام في بعض المواضع فهو غير معتبر عند العلماء والمتتبع للتاريخ والأخبار والآثار يعلم بأن القرآن ثابت بغاية التواتر وبنقل الآلاف من الصحابة، وإن القرآن الكريم كان مجموعاً في عهد الرسول»^(٢).

٩ - المحدث الأكبر الفيض الكاشاني صاحب كتاب الوافي الذي يعد من الجوامع الحديثية المؤخرة (ت ١٠٩١) قال: «وقال الله - تعالى -: «وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» وقال: «إننا نحضّر نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون» عندئذ كيف يتطرق إليه التحريف والتغيير... مع أنّ خبر التحريف مخالف لكتاب الله، مكذب له فيجب رده والحكم بفساده وتأويله»^(٣).

١٠ - الشيخ الحر العاملي (ت ١١٠٤) يقول في كتابه: «والمتتبع للتاريخ والاخبار والآثار يعلم يقيناً بأن القرآن ثابت بغاية التواتر وبنقل الآلاف من الصحابة، وإن القرآن كان مجموعاً مؤلفاً في عهد الرسول»^(٤).

هذه هي الشخصيات الكبيرة من الامامية الذين عرفت تنصيبهم على عدم طرؤ التحريف على الذكر الحكيم، وقد جئنا بأساء القائلين

(١) و(٢) آلاء الرحمان (البلاغى): ص ٢٥.

(٣) تفسير الصافي (الفيض الكاشاني): ج ١ ص ٥١.

(٤) راجع آلاء الرحمان (البلاغى): ج ١ ص ٢٥.

بعدم التحريف إلى نهاية القرن الحادي عشر، وأما الذين نصّوا على عدم التحريف في القرون الأخيرة فحدّث عنهم ولا حرج، كيف وقد آلفوا رسائل كبيرة وصغيرة حول الموضوع، ونحن نسأل الندوي بأي دليل يقول: بأنّ تنصيص الشخصيات الأربع الأولى على عدم التحريف من باب التقية^(١)، أهكذا أدب العلم وأدب الاسلام؟ أليس الله - تعالى - يقول: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا»^(٢)، والعجب أنّه يستشهد على هذا النظر بقول أعداء الشيعة ويترك قول علمائهم، وبما أنّ الكاتب يستند في بعض أبحاثه إلى كلمات قائد الثورة الاسلامية الامام الخميني - قدس سره - نأتي بنصّ كلامه في هذا الموضوع، وهذا ما جاء في محاضراته التي ألقيت قبل بضع وثلاثين سنة:

إنّ الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة، يعترف ببطلان تلك المزعمة «التحريف»، وأنّه لا ينبغي أن يركن إليها ذومسكة، وما وردت فيه من الأخبار، بين ضعيف لا يستدلّ به، إلى مجعول يلوح منه امارات الجعل، الى غريب يقضي منه العجب، الى صحيح يدلّ على أنّ مضمونة تأويل الكتاب وتفسيره، الى غير ذلك من الأقسام التي يحتاج بيان المراد منها الى تأليف كتاب حافل، ولولا خوف الخروج عن طور البحث لأرخينا عنان البيان الى تشريح تاريخ القرآن وما جرى عليه طيلة القرون، وأوضحنا لك أنّ الكتاب هو عين ما بين الدفتين، والاختلاف الموجود بين القراء ليس إلّا أمراً حديثاً لا ربط له بما نزل به

(١) الندوي: صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الاعظم، طبع لكهنو.

(٢) النساء: ٩٤.

الروح الأمين على قلب سيد المرسلين^(١).

الرسائل المفردة حول صيانة القرآن من التحريف:

إنّ علماء الشيعة الامامية لم يقتصروا على هذه الجمل القصيرة حول صيانة الذكر الحكيم من التحريف، بل ألفوا رسائل مفردة منذ أربعة قرون حولها:

١ - الشيخ الحر العاملي قد أفرد رسالة في هذا الموضوع أسماها تواتر القرآن^(٢).

٢ - الشيخ عبدالعالي الكركي، فقد ألف رسالة في نفي النقيصة عن القرآن، ذكرها العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي في آلاء الرحمن^(٣)، وقد جاء في الرسالة كلام الصدوق، ثم اعترض على نفسه بورود روايات تدلّ على التحريف فاجاب بأنّ الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة أو الاجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه، وجب طرحه.

٣ - المتتبع البارع الشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف «الذريعة الى تصانيف الشيعة»، فقد أفرد رسالة أسماها «النقد اللطيف في نفي التحريف».

٤ - العلامة الحجة الشيخ عبدالحسين الرشتي الحائري، فقد ألف رسالة حول الموضوع أسماها كشف الاشتباه.

(١) تهذيب الاصول (جعفر السبحاني): تقارير الامام الحميدي، ج ٢ ص ٩٦.

(٢) أمل الآمل (الحر العاملي): ج ١ ص ٣١.

(٣) آلاء الرحمن (البلاغي): ج ١ ص ٢٦.

٥ - خصّص العلامة المحقق السيد الطباطبائي في ميزانه بحثاً مبسوطاً بصيانة الذكر الحكيم عند تفسير قوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(١).

٦ - إنّ العلامة المحقق السيد الخوئي - دام ظلّه - قد أفرد بحثاً ضافياً حول صيانة الذكر الحكيم في كتابه البيان في تفسير القرآن، وقد أغرق نزاعاً في التحقيق فلم يبق في القوس منزعاً.

٧ - وقد قام العلامة الشيخ رسول جعفریان بتأليف رسالة نافعة حول الموضوع أسماها «الكذوبة تحريف القرآن» حياه الله وبياه.

٨ - زميلنا العلامة الحجة الشيخ محمد هادي معرفة، صدر منه كتاب باسم «التحقيق في نفي التحريف» وهو كتاب جليل.

٩ - السيد الجليل السيد علي الميلاني، قام بنشر كتاب أسماه بـ «صيانة القرآن من التحريف» حفظه الله.

وليست عقيدة الشيعة حول الذكر الحكيم أمراً خفياً على المحققين من السنة، فهذا علامة الهنود رحمة الله الهندي نقل عقيدة الشيعة في كتابه، وقال: «إنّ القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية محفوظ عن التغير والتبديل، ومن قال منهم: بوقوع النقصان فيه، فقوله مردود غير مقبول عندهم»^(٢).

وأخيراً نلفت نظر القارئ، إلى محقق عصرنا السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي، فقد قال في كتابه «أجوبة موسى جار الله»: «نسب إلى

(١) الميزان (الطباطبائي): ج ١٢ ص ١٠٦ - ١٣٧.

(٢) اظهار الحق (رحمة الله الهندي): ج ٢ ص ١٢٨.

الشيعة القول بتحريف القرآن باسقاط كلمات وآيات، ثم قال: نعوذ بالله من هذا القول ونبرأ إلى الله - تعالى - من هذا الجهل، وكل من نسب هذا الرأي إلينا جاهل بمذهبننا أو مفتر علينا، فإن القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته وسكناته تواتراً قطعياً عن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام، ولا يرتاب في ذلك الا معتوه»^(١).

ثم إن المتحاملين على الشيعة في مسألة تحريف القرآن يستندون إلى كتاب «فصل الخطاب» للمحدث النوري الذي جمع فيه المسانيد والمراسيل التي استدلت بها على النقيصة، ولكن غفل المتحامل عن الرسائل الكثيرة التي ألقت ردّاً عليه وكفى بذلك مذكروه العلامة البلاغي فقال: إن القسم الوافر من الروايات ترجع اسانيده إلى بضعة أنفار، وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم بأنه:

- ١ - إما ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفوّ الرواية.
- ٢ - وإما أنه مضطرب الحديث والمذهب يعرف حديثه وينكر، ويروي عن الضعفاء.
- ٣ - وإما بأنه كذاب متهم لأستحل أن أروي من تفسيره حديثاً واحداً، وأنه معروف بالوقف وأشد الناس عداوة للرضا عليه السلام.
- ٤ - وإما بأنه كان غالباً كذاباً.
- ٥ - وإما بأنه ضعيف لا يلتفت إليه، ولا يعول عليه ومن الكذابين.
- ٦ - وإما بأنه فاسد الرواية يرمى بالغلو، ومن الواضح أن أمثال هؤلاء

(١) اجوبة مسائل موسى جارا لله (عبدالحسين العاملي): ص ٣٤.

لا تجدى كثرتهم شيئاً، هذه حال المسانيد، وأما أكثر المراسيل فأخوذة من تلك المسانيد^(١).

هذا توصيف إجمالي لهذه الروايات التي يستند إليها أعداء الشيعة في هذه النسبة، ويكفي في ذلك أن ثلاثمائة حديث من هذه الأحاديث، يروها السياري، ويكفي في ضعفه قول الرجالي المحقق النجاشي في حقه: «أنه ضعيف الحديث فاسد المذهب، مجفؤ الرواية، كثير المراسيل، متهم بالغلو، كما أن كثيراً من هذه الروايات تنتهي إلى يونس بن ظبيان الذي وصفه النجاشي بقوله: «ضعيف جداً لا يلتفت إلى ما رواه، كل كتبه تخليط»، كما أن قسماً منه ينتهي إلى منخل بن جميل الكوفي، وقد نصّ النجاشي على كونه «ضعيفاً فاسد الرواية»^(٢).

الكافي كتاب حديث لا كتاب عقيدة:

ثم إن كل من يتهم الشيعة بالقول بالتحريف يستند إلى وجود روايات التحريف في الكافي، ولكنه غفل عن أن كتاب الكافي في نظر الإمامية ليس كالصحيح في نظر أهل السنة الذين يقولون: إن كل ما في البخاري صحيح، وإنما هو كتاب فيه الصحيح والضعيف والمرسل وما يوافق الكتاب وما يخالفه، فلا يمكن الاستدلال بوجود الرواية فيه على عقيدة الشيعة، وما يلهج به علماء الحديث في حق صحيح البخاري ومسنده الإمام أحمد ويقولون:

(١) آلاء الرحمن (البلاغية): ص ٢٦.

(٢) راجع في الوقوف على نصوص النجاشي حول هؤلاء الثلاثة، رجاله الرقم ١٩٢ - ١٢١٠ -

١١٢٧ من الطبعة الحديثة.

وما من صحيح كالبخاري جامعاً ولا مسند يلني كمسند أحمد
أقول: إنّ ما يلهجون به في حق كتبهم مخصوص بهم، فليس كلّ ما في
الجامع الحديثية عند الشيعة، صحاحاً يستدلّ بكلّ حديث ورد فيها في كلّ
موضوع ومورد، بل الاستدلال يتوقف على اجتماع شرائط الصحة التي
ذكرها علماء الدراية والحديث، ونحن والله نعاني من عدم اطلاع هؤلاء على
«أبجدية» عقائد الشيعة ومداركها ومصادرها.

التحريف في كتب أهل السنة:

نحن نجلّ علماء السنة ومحققهم عن نسبة التحريف إليهم، ولكن لو كان
وجود الرواية في كتب التفسير والحديث دليلاً على العقيدة؛ فقد رويت
أحاديث التحريف في كتبهم، أيضاً، ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من
هذه الروايات نشير إلى بعضها.

١ - أخرج أبو عبيد في الفضائل وابن مردويه وابن الانباري، عن عائشة
قالت: «كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبيّ صَلَّى الله عليه وآله
وسلم مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّا على ما هو
الآن»^(١).

٢ - عن عمر: «لولا أن يقول الناس: إنّ عمر زاد في كتاب الله
لكتبت آية الرجم بيدي»^(٢).

(١) الدر المنثور (السيوطي): ج ٥ ص ١٨٠؛ تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ١١٣.

(٢) صحيح البخاري: باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء، ج ٩ ص ٦٩ ط مصر

٣ - نقل عن ابن مسعود أنه حذف المعوذتين من المصحف، وقال: إنها ليستا من كتاب الله^(١).

وهناك روايات كثيرة مبثوثة في كتب التفسير والحديث والتاريخ تحكي عن طرؤ التحريف على الذكر الحكيم، ونحن نقصر على الأقل القليل منها، ومن أراد التفصيل فليرجع الى كتاب «أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة»^(٢).

ونحن نرى أنّ في الاصرار على نسبة التحريف إلى آية طائفة من الطوائف الاسلامية ضرراً واسعاً على الاسلام والمسلمين ولايستفيد منه إلا المستعمرون وأذنابهم.

وعلى الرغم من كثرة هذه الروايات نحن لانؤمن بصحتها كما لايؤمن علماء أهل السنة المحققون بها ولا تبني عقيدتهم عليها فهي بين ضعاف السند، أو ضعاف الدلالة وقبل كلّ شيء تخالف الذكر الحكيم واجماع الأمة.

«إلهنا وسيدنا ومولانا اغفر لنا ولأوليائنا ولعلمائنا وقادتنا وأظهر كلمة الحق واجعلها العليا وأدحض كلمة الباطل واجعلها السفلى، إنك على كلّ شيء قدير».

قم - مؤسسة الامام الصادق (ع)

جعفر السبحاني

١٥ شعبان المعظم ١٤١١

(١) الدر المنثور (السيوطي): ج ٦ ص ٤١٦.

(٢) انظر من ص ٢٧-٣٣.

منهجنا في تحقيق الكتاب

للفت نظر القراء الكرام ان النسخ الخطية لهذا الكتاب والتي حصلنا عليها من مظائنها في المكتبات الاسلامية جميعها ناقصة ولكن من ضم بعضها الى بعض حصل لنا مجموعة كاملة تقريباً لكل الكتاب، هذا. مضافاً الى أننا استفدنا كذلك من النسخ المطبوعة حديثاً في بعض الموارد التي يُتَوَقَّف فيها.

أما منهجنا في تحقيق هذا الكتاب فهو كمايلي:

إننا قمنا وفي المرحلة الأولى بمقابلة النسخة المطبوعة بتحقيق وتصحيح الشيخ أحمد قصير العاملي مع النسخ الخطية المتوفرة لدينا، وهي:

١- نسخة مصوّرة من أصلها المحفوظ في مكتبة مجلس الشورى الاسلامي تحت رقم ٥٢٠٥. تم استنساخها في سنة ١٠٥٥ هـ.

٢- نسخة مصوّرة من أصلها المحفوظ في مكتبة جامعة برينستون في ولاية نيوجرسي في أمريكا فرُغ من استنساخها في سنة ٥٦٧ هـ.

وصورتها محفوظة في مكتبة السيد المرعشي -قدس سره- تحت رقم ٣١.

٣- نسخة مصوّرة من أصلها المحفوظ في مكتبة اسطنبول في تركيا فرغ من استنساخها في سنة ٥٥١ هـ. وصورتها محفوظة في قسم النسخ المصوّرة في مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي -قدس سره- تحت رقم ٤١٧.

٤- نسخة مصوّرة من أصلها المحفوظ في مكتبة السيد المرعشي النجفي -قدس سره- تحت رقم ١٠٩٩.

وهي من النسخ الخطية القديمة كما يظهر لكن للأسف لم نعر على تاريخ كتابتها.

٥- نسخة مصوّرة من أصلها المحفوظ في مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي -قدس سره- تحت رقم ٣٦٦٦.

وهي أيضاً قديمة، ولكن يُشر الى تاريخ استنساخها.

٦- نسخة مصورة أخرى من أصلها المحفوظ في مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي - قدس سره - تحت رقم ٨٣.

وهي نسخة نفيسة جداً باعتبار أنها قوبلت على شيخ الطائفة نفسه، كما قال هو في أولها: قرأ عليّ الشيخ ابوالوفاء عبد الجبار بن عبد الله المقرئ الرازي - أدام الله عزه - هذا الجزء [الثالث] من أوله إلى آخره وسمع جميعه الشيخ ابو محمد الحسن ابن الحسين بن بابويه القميّ وولدي أبو علي الحسن بن محمد وكتب محمد بن الحسن ابن علي الطوسي في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وأربعمائة...

٧- نسخة مصورة أخرى من أصلها المحفوظ في مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي - قدس سره - تحت رقم ٣٦٧.

ولم يشر إلى تاريخ كتابتها.

٨- نسخة مصورة من أصلها المحفوظ في مكتبة الامام الرضا (عليه السلام) في مشهد المشرفة، تحت رقم ١٧٤.

فرغ من استنساخها في سنة ١٥٠٦ هـ.

٩- تمّ كذلك الاستفادة من النسخة المطبوعة بتحقيق الشيخ أحمد القصير العاملي وكذلك من تفسير ابن جرير الطبري، وتلخيص التبيان لابن ادريس الحلّي، ومجمع البيان للطبرسي وغيرها، في الموارد المشكوكة والعبارات الغامضة والمبهمة.

وقنا في المرحلة الثانية بتخريج مصادر الأقوال والأشعار والأحاديث، وترجمة حياة الأعلام المذكورين في المتن ترجمة مختصرة، وأشرنا في الأثناء إلى مصادر الترجمة. وأمّا في المرحلة الأخيرة وهي بعد طبعه بالحروف الكومبيوترية قمنا بتنظيم فهارس تفصيلية لمحتويات الكتاب مضافاً إلى فهرس المواضيع.

وأخيراً نتقدم بالشكر الجزيل للأخوة الأفاضل في لجنة التحقيق السيد علي الطباطبائي والشيخ كامل السنجري والسيد معين الحسيني والشيخ جاسم التميمي دامت توفيقاتهم.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

والشكر لا تكذب الا بالهداية فاكر ذكركم هذا الحمد شهاباً من الجواب عالمه نذكره ولعلنا نبين فيه
تعداد اخرى ما يقتضي ذكره ولولا اعتقاد المحدثين وتغير فهم لما احتجج الى الاجاب
بالشعر وغيره لشي من المستنبط في القرآن لان غاية ذلك ان يدعى عليه سب
شعر جاهلي او لفظ منقول عن بعض الاغراب او مثل ما يبرهن بعض الباطنية ولا يكون
مثله النبي صلى الله عليه وآله وحاشاه من ذلك اقل من مثله واحد من هؤلاء ولا
ينقص عن رتبة المصاحفة المحمدية ونهضهم بن كعب وغيرهم ومن تاريف الامور
ان الخالف اذا ورد عليه شعر من ذكرناه ومن هوود ونهم سكت نفسه والهمان
قلبه وهو لا رضى يقول محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ومما شك الناس في نبوته
فلا مريم في نسب وفصاحته فانه شاعر " ثم العاهه القصوى
في الفصاحة ويجمع اليهم في معرفة اللغة ولركان للشركوز من قريش وغيرهم
وحدوا واستغفوا عليه في الحسن والفاظ والمناقضة لتعلموا به وجعلوا حجة و
درصوا الى طغاة نوره وابطال امره واستغفوا بذلك عن تكلف ما يكلفون من
المشاق في هذا القدس والاموال ولو فعلوا ذلك لظهر واستهزوا ولكن حجة الجاهل
والاستغال لثقل العبادات والميل الى الفلح احسن ما هم واصبهم فلا مدفع احد من
وان سجدوا وبشروا عليه السلام انه اى هذا القرآن وحجته لنفسه وقراء على العرب
وقد علمنا انه ليس يادونا كما جاز في الفصاحة فكيف يجوز ان يحتج بشعر الشعراء
عليه ولا يجوز ان يحتج بقوله وهذا الاعتقاد عيش وعصية صرف وانما يحتج
علما المؤمنين بشعر الشعراء وكلام البلغاء اتساعا في العلم وقطعا الشعب وازا

بعض أهل بيتنا
بعض أهل بيتنا
بعض أهل بيتنا
بعض أهل بيتنا



بعض أهل بيتنا
بعض أهل بيتنا
بعض أهل بيتنا
بعض أهل بيتنا

مكتوبه به واسطه المشقه تقول است فلا والله بنفسه
 نقاسي المشقه في تناق لفيه ومنه الكايد لا تزداد بل قد
 والكيد للحيلة لا يعالج ما فيه المشقه وقوله لا تفرح معي على الله
 محو مسدود لوج اوله لكان ديانا في العبدية ومنهم بعضهم انه قد
 على حذف الفاسقه فلا الضرر والشدة
 فان كان لا رصيد حتى تزدى الى خطي لا اله الا الله
 وبهذا ضعف الالحاد لما هو كذا في الشرع والشرع

ورد الشرع وقوله لا اله الا الله بالعلم على طمعه عالم به من
 بهانه مقدر عليه لا زال المحط بالشيء الطيف به من
 رايه ذلك من صفات الاجسام لا يتوكل الله تعالى ومعناه ما
 له لكنه لا يهمل الانسان اصله مع نفع

لم الخواص في قوله في الخواص التي بمعنى قوله واذا
 غفور من اهلك سوى المؤمنين تقاعد للعال والله
 سمع عليهم وادوا الفراع ونجده في مسوده سبع
 رستم عسرا به كتب على من حمده من محمد التبر
 ستمار ابا كمال المشقه في العبدية او طالع ضيق في العبدية
 والجلد في العبدية والصلوة في السلم على سدا في العبدية
 واد الطامرين رحم الله من يري في العبدية العبدية

فلا يصح الاصل في العبدية
 لم يفسد واد الله للعبدية

والقواسم بغير حتى والبي الفاجرة لا بها مكيلة الفاحشه وعنه قوله وقرني
عليه لبيته الله اى طلب عليه الاستعلاء بالظلم وقوله وفاحش من
الله حكما نصب على التثنية اى فصلا بين الحق والباطل من غير محاباة ولا مفاودة
ثم انه لا يجوز الحكم ان يحارب في انفسهم فان عمل على ما يهواه بدلا مما وجبه العدل
وورثه حكم الحسن وحكمه ان يكون اولي منه وافضل منه وكذلك لو حكمه بواحد
هو انه كان من احوال الله اى احسن مما يوافق وقوله تقوم يوموتون معناه
تندقم يوم تقومون بالله وحكمه فاقيمتم التام مقام عند هذا قول اى على هذا
جاءوا اذا انقابت المعاني ولم يقع اللبس من جزوا الصفات فقول انصرفت
مقام بغيره في قوله في الجوز الرابع

قوله ما بها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
بعضهم اولياء بعض ومن شتوا لهم منهم فانه منهم ان الله
لا يتخذى القوم الظالمين

والجمله رسا العليم والاملاء على صدى كماله الطيب الطاهر والاملاء
حسنا الله ومع الوكيل

الاول اعطى الجواز في الامور
والثاني اعطى الجواز في الامور
والثالث اعطى الجواز في الامور
والرابع اعطى الجواز في الامور

والاول اعطى الجواز في الامور
والثاني اعطى الجواز في الامور
والثالث اعطى الجواز في الامور
والرابع اعطى الجواز في الامور

التَّبَيَّاتُ

في

تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف

شَيْخِ الطَّائِفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تقي

الحمد لله اعترافاً بتوحيده، واخلاصاً لربوبيته، وقراراً بجزيل نعمته، وإذعاناً لعظيم منته، وشكراً على جميع مواهبه، وكرم فواضله، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والظاهرين من عترته، والطيبين من أرومته، وسلم تسليمًا.

أما بعد، فإن الذي حلني على الشروع في عمل هذا الكتاب اني لم أجد أحداً من أصحابنا - قديماً وحديثاً - من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن، ويشتمل على فنون معانيه. وإنما سلك جماعة منهم في جميع مارواه ونقله وانتهى اليه في الكتب المروية في الحديث، ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك، وتفسير ما يحتاج اليه. فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه كالطبري وغيره - وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه، ومعاني ألفاظه. وسلك الباكون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا مالا معرفة لهم به فإن الزجاج والفراء ومن أشبههما من النحويين، أفرغوا وسعهم

فيما يتعلق بالاعراب والتصريف. ومفضل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللغة، واشتقاق الالفاظ. والمتكلمين - كأبي علي الجبائي وغيره - صرفوا همهم الى ما يتعلق بالمعاني الكلامية. ومنهم من أضاف الى ذلك الكلام في فنون علمه، فادخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه، واختلاف الفقهاء - كالبخعي وغيره - وأصلح من سلك في ذلك مسلماً جليلاً مقتصداً محمد بن بحر أبو مسلم الاصفهاني، وعلي بن عيسى الرماني، فإن كتابيهما أصلح ما صنف في هذا المعنى، غير أنها أطلاا الخطب فيه، وأوردا فيه كثيراً مما لا يحتاج.

وسمعت جماعة من أصحابنا قديماً وحديثاً، يرغبون في كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن، من القراءة، والمعاني والاعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدّين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبّهة والمجسّمة وغيرهم، وذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في أصول الديانات وفروعها.

وأنا ان شاء الله تعالى، أشرع في ذلك على وجه الإيجاز والاختصار لكل فن من فنونه، ولا أطيل فيمّله الناظر فيه، ولا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه وأقدم أمام ذلك، فصلاً يشتمل على ذكر رجل لا بدّ من معرفتها دون استيفائها، فإنّ لاستيفاء الكلام فيها مواضع هي أليق به. ومن الله استمدت المعونة، وأسأله الى طريق الرشاد، بمّته وقدرته ان شاء الله تعالى.

فصل

في ذكر جمل لابد من معرفتها قبل الشروع في تفسير القرآن. أعلم إن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل هو من أكبر المعجزات وأشهرها. غير أن الكلام في إعجازه، وجهة إعجازه، واختلاف الناس فيه، لا يليق بهذا الكتاب، لأنه يتعلق بالكلام في الأصول. وقد ذكره علماء أهل التوحيد، وأطنبوا فيه، واستوفوه غاية الاستيفاء. وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل^(١)، لا يليق بهذا الموضع، لأنّ استيفاءه يخرج به عن الغرض واختصاره لا يأتي على المطلوب، فالاحالة عليه أولى.

لا بد من
المعجزة

والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه، وفنون أغراضه. وأما الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها. والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى - رحمه الله -^{(٢)(٣)}،

(١) تمهيد الاصول في علم الكلام: ص ٣٣٤ ط جامعة طهران.

(٢) الذخيرة في علم الكلام: ص ٣٦٣ ط مؤسسة النشر الاسلامي.

(٣) المرتضى: هو سيد علماء الأمة، ابوالقاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام، المشهور بالسيد المرتضى، متوحد في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر واللغة وغير ذلك، وله تصانيف مشهورة منها الشافي في الإمامة، والذخيرة، وجل العلم والعمل وغير ذلك.

القاسم^(١)، وسالم بن عبدالله^(٢)، وغيرهم.

وروي عن عائشة أنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفسر القرآن إلا بعد أن يأتي به جبرائيل عليه السلام^(٣).

والذي نقول في ذلك: إنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد. وقد قال الله تعالى: «إنا جعلناه قرآناً عربياً»^(٤) وقال: «(بلسان عربي مبين)»^(٥) وقال: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»^(٦) وقال: «فيه تبيان كل شيء»^(٧) وقال: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»^(٨) فكيف يجوز أن يصفه بأنه عربي مبين، وأنه بلسان قومه، وأنه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء؟ وهل ذلك إلا وصف له باللفظ

(١) وهو محمد بن القاسم بن محمد بن بشارة أبو بكر بن الأنباري النحوي اللغوي العلامة، كان يحفظ فيما قبل ثلاث مائة ألف بيت شعر شاهد في القرآن، وكان زاهداً متواضعاً، وحدث أنه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير بأسانيدها، ولد سنة إحدى وسبعين، وتوفي ليلة النحر سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة.

(الوافي بالوفيات: ج ٤ ص ٣٤٤، طبقات الحفاظ: ص ٣٤٩)

(٢) وهو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عمر ويقال: أبو عبدالله المدني الفقيه، كان من الرواة، وقال مالك: لم يكن أحد في زمان سالم بن عبدالله أشبه من مضى من الصالحين في الزهد والفضل منه وكان من القراء.

(تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٤٣٦)

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٩ نقلاً بالمعنى.

(٤) الزخرف: ٣.

(٥) الشعراء: ١٩٥.

(٦) إبراهيم: ٤.

(٧) كذا في النسخة والصحيح كما في سورة النحل: ٨٩ «نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء...».

(٨) الانعام: ٣٨.

والمعنى الذي لا يفهم المراد به إلا بعد تفسيره وبيانه؟ وذلك منزله عنه القرآن.

وقد مدح الله أقواماً على استخراج معاني القرآن فقال: «لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ»^(١)، وقال في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن، ولم يتفكروا في معانيه: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إني نخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي)^(٣) فبين أن الكتاب حجة، كما أن العترة حجة. وكيف يكون حجة ما لا يفهم به شيء؟

وروي عنه عليه السلام أنه قال: (إذا جاءكم عني حديث، فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط)^(٤).

وروي مثل ذلك عن أئمتنا عليهم السلام^(٥).

وكيف يمكن العرض على كتاب الله، وهو لا يفهم به شيء؟ وكل ذلك يدل على أن ظاهر هذه الاخبار متروك.

والذي نقول به: إن معاني القرآن على أربعة أقسام:

أحدها - ما اختص الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، ولا تعاطي معرفته، وذلك مثل قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ»^(٦) ومثل قوله تعالى:

(١) النساء: ٨٣. (٢) محمد: ٢٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ٥٩، كز العمال: ج ١ ص ١٧٢ - ١٨٩ ح ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٩٨، وغيرها مع اختلاف في الألفاظ.

(٤) لم نثر على هذا الحديث بنصه وقريب منه في كز العمال: ج ١ ص ١٩٦ ح ٩٩٣.

(٥) أمّا حديث الثقلين فانظر عيون أخبار الرضا (ع): ج ٢ ص ٣٠، ٦٢، والارشاد للمفيد: ص ١٢٤ و

أما حديث العرض فقريب منه في الكافي: ج ١ ص ٦٩ ح ٦ - ٦. (٦) الأعراف: ١٨٧.

«ان الله عنده علم الساعة...»^(١) الى آخرها. فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ.

وثانيها - ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها، عرف معناها، مثل قوله تعالى: «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق»^(٢) ومثل قوله تعالى: «قل هو الله احد»^(٣) وغير ذلك.

وثالثها - ما هو بمجمل لا ينبىء ظاهره عن المراد به مفصلاً. مثل قوله تعالى: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»^(٤) ومثل قوله: «والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً»^(٥) وقوله: «وآتوا حقه يوم حصاده»^(٦) وقوله: «والذين في أموالهم حق معلوم»^(٧) وما اشبه ذلك. فإن تفصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها، وتفصيل مناسك الحج وشروطه، ومقادير النصاب في الزكاة لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووحى من جهة الله تعالى. فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه، يمكن أن تكون الأخبار متناولة له.

ورابعها - ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنها، ويمكن ان يكون كل واحد منها مراداً. فانه لا ينبغي أن يقدم احد به فيقول: ان مراد الله فيه بعض ما يحتمل، إلا بقول نبي أو إمام معصوم، بل ينبغي أن يقول: إن الظاهر يحتمل لأمر، وكل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل والله أعلم بما أراد.

(١) لقمان: ٣٤. (٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) التوحيد: ١. (٤) البقرة: ٤٣.

(٥) آل عمران: ٩٧. (٦) الأنعام: ١٤١.

(٧) المعارج: ٢٤.

ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين، أو مازاد عليها، ودلّ الدليل على انه لا يجوز ان يريد إلّا وجهاً واحداً، جاز ان يقال: إنه هو المراد. ومتى قسمنا هذه الاقسام، نكون قد قبلنا هذه الاخبار ولم نردّها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها، ولا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جلة.

ولا ينبغي لأحد ان ينظر في تفسير آية لا ينسبى ظاهرها عن المراد تفصيلاً، أو يقلد أحداً من المفسرين، إلّا ان يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتباعه لمكان الاجماع؛ لأنّ من المفسرين من حذت طرائقه، ومدحت مذهبها، كابن عباس^(١)، والحسن^(٢)، وقتادة^(٣)،

(١) ابن عباس: عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، امه لبانة بنت الحرث بن الحزن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال العلامة: كان عباً لملي عليه السلام وتلميذه، وحاله في الجلالة والاخلاص لأمر المؤمنين عليه السلام أشهر من ان يخفى. ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفقه والتأويل وكان حبر هذه الأمة وترجمان القرآن، وكان عمر يقربّه ويشاوره مع جملة من الصحابة، كف بصره في أواخر عمره وله كتاب في التفسير مطبوع، توفي في الطائف سنة ٦٨هـ.

(الكنى والالقباب: ج ١ ص ٣٤٦)

(٢) وهو الحسن بن أبي يسار البصري، مولى الأنصار، كان فصيحاً ورعاً زاهداً لا يسبق في وعظه وكان راوياً عن كثير من الصحابة والتابعين، وكان حافظاً وبارعاً في وعظه وغزير العلم بكتاب الله وستة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم. ولد لستين بقيتا من خلافة عمر، ونشأ بوادي القرى وتوفي سنة عشر ومائة من الهجرة وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

(تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٢٦٣ و ٢٧٠)

(٣) وهو قتادة بن دعامة بن وائل السدوسي البصري التابعي، ولد أعمى، سمع أنس بن مالك وغيره من التابعين، وروى عنه جماعة من التابعين واجمعوا على جلالة وتوثيقه وحفظه واتقانه

ومجاهد^(١) وغيرهم. ومنهم من ذمت مذاهبه، كأبي صالح^(٢)، والسدي^(٣) والكلبي^(٤) وغيرهم. هذا في الطبقة الاولى.

وأما المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهبه، وتأول على ما يوافق أصله، ولا يجوز لأحد أن يقلد أحدا منهم، بل ينبغي أن يرجع الى الأدلة الصحيحة: إما العقلية، أو الشرعية، من اجماع عليه، أو نقل متواتره، عمن يجب اتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصة اذا كان ممّا طريقه العلم. ومتى كان التأويل يحتاج الى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد

وفضله. توفي سنة سبع عشرة وقيل ثمان عشرة ومائة وهو ابن ست وخمسين، وقيل ابن خمس وخمسين.

(تهذيب الأسماء واللغات: ج ٢ ص ١٥٧ القسم الأول)

(١) وهو مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي الاسود مولى السائب بن أبي السائب الخزومي، أخذ وروى عن ابن عباس. قال ابن سعد في طبقاته: مجاهد ثقة فقيه عالم كثير الحديث. وقال أبو نعيم: مات مجاهد وهو ساجد سنة ثنتين ومائة.

(سير أعلام النبلاء: المجلد الرابع، ص ٤٤٩)

(٢) وهو ذكوان أبو صالح السمان مولى جويرية بنت الحارث الغطفاني، كان من الرواة ومن أصحاب أبي هريرة، وقد شهد الداريعي زمن عثمان وهو ثقة على ما قبل ومستقيم الحديث.

(الجرح والتعديل: ج ٣ ص ٤٥٠)

(٣) وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب السدي روى عن انس بن مالك وإبي صالح وراى ابن عمر، وروى عنه الثوري مات سنة ١٢٧هـ.

(معجم الأدباء: ج ٧ ص ١٣)

(٤) الكلبي: هو أبو المنذر هشام بن أبي النصر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النسابة الكوفي، كان من اعلم الناس بعلم الانساب وله كتاب الجمهرة في النسب، وكان من الحفاظ المشاهير وله تصانيف كثيرة وكان واسع الرواية والمأثور عنه كثير. توفي سنة أربع ومائتين وقيل ست والأول أصح.

(وفيات الأعيان: ج ٥ ص ١٣١)

إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم.

وأما طريقة الأحاد من الروايات الشاردة، والألفاظ النادرة: فإنه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً على كتاب الله وينبغي أن يتوقف فيه ويذكر ما يحتمله، ولا يقطع على المراد منه بعينه، فإنه متى قطع بالمراد كان مخطئاً، وإن أصاب الحق، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١) لأنه قال تخميناً وحسناً ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة، وذلك باطل بالاتفاق.

واعلموا إنَّ العرف من مذهب اصحابنا، والشائع من أخبارهم ورواياتهم^(٢)، أن القرآن نزل بحرف واحد، على نبي واحد، غير أنهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وأن الإنسان يخير بأي قراءة شاء قرأ، وكرهوا تجويد قراءة بعينها بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء، ولم يبلغوا بذلك حدَّ التحريم والخطر.

وروى المخالفون لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ)^(٣). وفي بعضها: (على سبعة أبواب)^(٤). وكثرت في ذلك رواياتهم، ولا معنى للتشغل بإيرادها. واختلفوا في تأويل الخبر:

فاختار قوم أن معناه على سبعة معان: أمر، ونهي، ووعد، ووعد،

(١) سنن أبي داود: ج ٣ ص ٣٢٠ ح ٣٦٥٢ وفيه: «(من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ)».

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٠ ح ١٣ قريب منه.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٤١.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٤٤٥ وفيه: «... من سبعة أبواب على سبعة أحرف».

وجدل، وقصص، وأمثال^(١)

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال^(٢).

وروى أبو قلامه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، وأمثال^(٣).

وقال آخرون: نزل القرآن على سبعة أحرف أي سبع لغات مختلفة، مما لا يغير حكماً في تحليل وتحريم، مثل: هلّم وتعال من لغات مختلفة؛ ومعانيها مؤتلفة، وكانوا يختارين في أول الاسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها، ثم اجمعوا على حذّها، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما اعرضوا عنه^(٤).

وقال آخرون: نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة، لأنّ القبائل بعضها افصح من بعض، وهو الذي اختاره الطبري^(٥).

وقال بعضهم: هي على سبعة أوجه من اللغات، متفرقة في القرآن، لأنّه لا يوجد حرف قرئ على سبعة أوجه^(٦).

وقال بعضهم^(٧): وجه الاختلاف في القراءات سبعة:

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک: ج ١ ص ٥٥٣ ط دارالمعرفة بيروت.

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٤ وفيه: أبي قلابه بدل قلامه، والظاهر أنه تصحيف.

(٤) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٩. (٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٥.

(٦) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ٢٦.

(٧) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ٢٨.

أولها - اختلاف إعراب الكلمة أو حركة بنائها فلا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، نحو قوله: «هؤلاء بناقي هن اطهر لكم»^(١) بالرفع والنصب، «وهل نجازي إلّا الكفور»^(٢). بالنصب والنون، «وهل يجازي إلّا الكفور» بالياء والرفع. و«بالخل»^(٣) و«البخل» و«البخل» برفع الباء ونصبها. و«ميسرة»^(٤) و«ميسرة» بنصب السين ورفعها.

والثاني - الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة مثل قوله: «ربنا باعد بين اسفارنا»^(٥) على الخبر، [و] «ربنا باعد» على الدعاء. و«اذ تلقونه بالسنتكم»^(٦) بالتشديد، و«تلقونه» بكسر اللام والتخفيف.

والوجه الثالث - الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: «كيف ننشزها»^(٧) بالزاء المعجمة وبالراء الغير معجمة. ^{ننشرها}

والرابع - الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله: «ان كانت إلّا صيحة واحدة»^(٨) وإلّا زقية. وكالصوف المنفوش و«كالهين المنفوش»^(٩).

والخامس - الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو: «وطلح منضود»^(١٠) وطلع.

(٢) سبأ: ١٧.

(١) هود: ٧٨.

(٤) البقرة: ٢٨٠.

(٣) النساء: ٣٧، الحديد: ٢٤.

(٦) التور: ١٥.

(٥) سبأ: ١٩.

(٨) يس: ٢٩ و ٥٣.

(٧) البقرة: ٢٥٩.

(١٠) الواقعة: ٢٩.

(٩) القارعة: ٥.

السادس - الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله: «وجاءت سكرة الموت بالحق»^(١) وجاءت سكرة الحق بالموت.

السابع - الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله: «وما عملت أيديهم» و«ما عملته»^(٢) باسقاط الهاء واثباتها. ونحو قوله: «فان الله هو الغني الحميد»^(٣) وإنَّ الله الغني الحميد. في سورة الحديد.

وهذا الخبر عندنا وإن كان خبراً واحداً لا يجب العمل به، فالوجه الأخير أصلح الوجوه على ما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه.

واما القول الأول فهو على ما تضمنته لأن تأويل القرآن لا يخرج عن أحد الأقسام السبعة: إما أمر، أو نهي، أو وعد، أو وعيد، أو خبر، أو قصص، أو مثل، وهو الذي ذكره اصحابنا في اقسام تفسير القرآن^(٤).

فاما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن^(٥). وقد رواه أيضاً اصحابنا عن الأئمة عليهم السلام^(٦) فانه يحتمل ذلك وجوهاً:

أحدها - ما روي في أخبارنا عن الصادقين عليهما السلام، - وحكي ذلك عن ابي عبيد - أن المراد بذلك القصص بإخبار هلاك الأولين وباطنها

(١) ق: ١٩.

(٢) يس: ٣٥.

(٣) الحديد: ٢٤.

(٤) راجع تفسير العياشي: في ما أنزل القرآن، ج ١ ص ٩.

(٥) حلية الأولياء: ج ١ ص ٦٥، كنز العمال: ج ١ ص ٥٥٠ ح ٢٤٦١.

(٦) بصائر الدرجات: ج ٤ باب ١٠ ص ٢٢٣ ح ٢ ورواه العياشي في تفسيره: ج ١ ص ١١ ح ٢.

عظة للآخرين^(١).

والثاني - ماحكي عن ابن مسعود انه قال: مامن آية إلا وقد عمل بها قومٌ ولها قوم يعملون بها^(٢).

والثالث - معناها أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها، ذكره الطبري^(٣) واختاره البلخي^(٤).

والرابع - ماقاله الحسن البصري: انك اذا فتشت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها^(٥).

وجميع اقسام القرآن لا يخلو من ستة: محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام.

فالمحكم: ما انبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم اليه، سواء كان اللفظ لغوياً او عرفياً، ولا يحتاج الى ضروب من التأويل، وذلك نحو قوله: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»^(٦) وقوله: «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله»^(٧) وقوله: «قل هو الله احد»^(٨) وقوله: «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءاً احد»^(٩) وقوله: «وما ربك بظلام للعبيد»^(١٠) وقوله: «ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون»^(١١) ونظائر ذلك.

والمتشابه: ما كان المراد به لا يعرف بظاهرة بل يحتاج الى دليل، وذلك

(١) نقله عن أبي عبيد السيوطي في الاتقان ج ٢ ص ١٨٤.

(٢) حكاه السيوطي في الاتقان ج ٢ ص ١٨٤، فيما أخرجه بن أبي حاتم.

(٣) تفسير الطبري ج ١ ص ٢٥. (٤) لا يوجد عندنا تفسيره.

(٥) ذكره السيوطي في الاتقان، ج ٢ ص ١٨٤. (٦) البقرة: ٢٨٦.

(٧) الانعام: ١٥١. (٨) التوحيد: ١. (٩) التوحيد: ٤٣.

(١٠) فصلت: ٤٦. (١١) الذاريات: ٥٦.

ما كان محتملاً لأُمور كثيرة أو أمرين، ولا يجوز ان يكون الجميع مراداً فإنه من باب التشابه. وإنما سمي متشابهاً لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد وذلك نحو قوله: «يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله»^(١) وقوله: «والسماوات مطويات بيمينه»^(٢) وقوله: «تجري باعيننا»^(٣) وقوله: «يضل من يشاء»^(٤) وقوله: «فأصمّهم وأعمى أبصارهم وطبع على قلوبهم»^(٥) ونظائر ذلك من الآي التي المراد منها غير ظاهرها.

فان قيل: هلاً كان القرآن كله محكماً يستغنى بظاهره عن تكلف ما يدل على المراد منه حتى دخل على كثير من المخالفين للحق شبهة فيه، وتمسكوا بظاهره على ما يعتقدونه من الباطل؟ أتقولون إن ذلك لم يكن مقدوراً له تعالى؟ فهذا هو القول بتعجيزه! أو تقولون هو مقدور له ولم يفعل ذلك فلم لم يفعله؟

قيل: الجواب على ذلك من وجهين:

أحدهما: أنّ خطاب الله تعالى - مع مافيه من الفوائد - المصلحة معتبرة في ألفاظه فلا يمتنع أن تكون المصلحة الدينية تعلقت بأن يستعمل الألفاظ المحتملة ويجعل الطريق الى معرفة المراد به ضرباً من الاستدلال، وهذه العلة أطال في موضع وأسهب، واختصر في آخر وأوجز واقتصر، وذكر قصة في موضع وأعادها في موضع آخر، واختلفت أيضاً مقادير الفصاحة فيه وفاضلت مواضع منه بعضه على بعض.

(٢) الزمر: ٦٧.

(٤) فاطر: ٨.

(١) الزمر: ٥٦.

(٣) القمر: ١٤.

(٥) عمت: ٢٣.

والجواب الثاني: ان الله تعالى انما خلق عباده تعريضاً لثوابه، وكلفهم لينالوا أعلى المراتب وأشرفها، ولو كان القرآن كله محكماً لا يحتمل التأويل ولا يمكن فيه الاختلاف، لسيطقت المحنة وبطل التفاضل وتساوت المنازل، ولم تبين منزلة العلماء من غيرهم. وأنزل الله القرآن بعضه متشابهاً ليعمل أهل العقل أفكارهم ويتوصلوا بتكلف المشاق والنظر والاستدلال الى فهم المراد فيستحقوا به عظيم المنزلة وعالي الرتبة.

فان قيل: كيف تقولون، ان القرآن فيه محكم ومتشابه، وقد وصفه الله تعالى بأنه أجمع محكم؟ ووصفه في مواضع أخر بأنه متشابه وذكر في موضع آخر ان بعضه محكم، وبعض متشابه - كما زعمتم - وذلك نحو قوله: «الر. كتاب احكمت آياته»^(١) وقال في موضع آخر: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً»^(٢) وقال في موضع آخر: «وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات»^(٣) وهل هذا إلا ظاهر التناقض؟

قلنا: لا تناقض في ذلك، لأن وصفه بأنه محكم كله، المراد به انه بحيث لا يتطرق عليه الفساد والتناقض والاختلاف والتباين والتعارض، بل لاشيء منه إلا وهو في غاية الاحكام إما بظاهره أو بدليله، على وجه لا مجال للطاعنين عليه.

ووصفه بأنه متشابه أنه يشبه بعضه بعضاً في باب الاحكام الذي أشرنا اليه، وأنه لا خلل فيه ولا تباين ولا تضاد ولا تناقض.

(٢) الزمر: ٢٣.

(١) هود: ١٠.

(٣) آل عمران: ٧.

ووصفه بأنّ بعضه محكم وبعضه متشابه، ماأشرنا اليه، من ان بعضه مايفهم المراد بظاهره فيسمى محكماً، ومنه مايشبه المراد منه بغيره وان كان على المراد والحقّ منه دليل، فلا تناقض في ذلك بحال.

واما الناسخ: فهو كل دليل شرعي يدلّ على زوال مثل الحكم الثابت بالنصّ الأول في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنصّ الأول مع تراخيه عنه.

اعتبرنا دليل الشرع، لأنّ دليل العقل اذا دلّ على زوال مثل الحكم الثابت بالنصّ الأول لايسمى نسخاً. ألا ترى أن المكلف بالعبادات، اذا عجز أو زال عقله، زالت عنه العبادة بحكم العقل، ولايسمى ذلك الدليل ناسخاً. واعتبرنا زوال مثل الحكم، ولم نعتبر الحكم نفسه لأنّه لايجوز أن ينسخ نفس ماأمر به، لأن ذلك يؤدي الى البداء.

وانما اعتبرنا أن يكون الحكم ثابتاً بنصّ شرعي، لأنّ ماثبت بالعقل اذا أزاله الشرع لايسمى بأنه نسخ حكم العقل. ألا ترى أن الصلاة والطواف لولا الشرع لكان قبيحاً فعلة في العقل، واذا أورد الشرع بهما لايقال نسخ حكم العقل.

واعتبرنا مع تراخيه عنه، لأنّ مايقترن به لايسمى نسخاً وربما يكون تخصيصاً إن كان اللفظ عاماً، أو مقيداً إن كان اللفظ خاصاً. ألا ترى أنه لو قال: اقتلوا المشركين إلا اليهود لم يكن قوله إلا اليهود نسخاً لقوله اقتلوا المشركين. وكذا لو قال: فسيحوا في الارض أربعة اشهر فقيده هذه الغاية لايقال لما بعدها نسخ. وكذا لما قال في آية الزنا «فاجلدوا كلّ واحد منها مائة جلدة»^(١) لايقال لما زاد عليه منسوخ لأنّه مقيد في اللفظ.

والنسخ يصح دخوله في الأمر والنهي بلا خلاف. والخبر ان تناول ما يصح تغييره عن صفة جاز دخول النسخ فيه لآته في معنى الأمر. ألا ترى أن قوله: «ولله على الناس حج البيت»^(١) خبر، وقوله: «والمطلقات يتربصن بأنفسهن»^(٢) أيضاً خبر، وكذلك قوله: «ومن دخله كان آمناً»^(٣) خبر، ومع ذلك يصح دخول النسخ فيه.

فاما ما لا يصح تغييره عن صفة فلا يصح دخول النسخ فيه، نحو الاخبار عن صفات الله تعالى، وصفات الاجناس لما [لم] يصح عليه التغيير، لم يصح فيه النسخ، حيث أن العبارة بالإخبار عنه بأنه قادرٌ عالمٌ سميعٌ بصير، لا يصح النسخ فيه، لآته يمتنع دخول النسخ في الأخبار ان كان الخبر لا يصح تغييره في نفسه.

ولا يخلو النسخ في القرآن من أقسام ثلاثة:

أحدها: نسخ حكمه دون لفظه، كآية العدة^(٤) في المتوفى عنها زوجها المتضمنة للسنة، فإن الحكم منسوخ والتلاوة باقية، وكآية النجوى^(٥) وآية وجوب ثبات الواحد للعشرة^(٦)، فإن الحكم مرتفع، والتلاوة باقية.

وهذا يبطل قول من منع جواز النسخ في القرآن لأنّ الموجود بخلافه. والثاني: ما نسخ لفظه دون حكمه، كآية الرجم فإن وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه، والآية التي كانت متضمنة له منسوخة بلا خلاف وهي قوله: «والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة، فانهما قضيا الشهوة

(٢) البقرة: ٢٢٨.

(٤) البقرة: ٢٤٠.

(٦) الأنفال: ٦٥.

(١) آل عمران: ٩٧.

(٣) آل عمران: ٩٧.

(٥) المجادلة: ١٢.

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم»^(١).

الثالث: مانسخ لفظه وحكمه، وذلك نحو ما رواه المخالفون عن عائشة: أنه كان فيما أنزل الله ان عشر رضعات تحرم من، ونسخ ذلك بخمس عشرة^(٢). فنسخت التلاوة والحكم.

وأما الكلام في شرائط النسخ، فما يصح منها وما لا يصح. وما يصح أن ينسخ به القرآن، وما لا يصح أن ينسخ به. وقد ذكرناه في كتاب العدة^(٣) في أصول الفقه، ولا يليق ذلك بهذا المكان.

١ وحكى البلخي في كتاب التفسير فقال: قال قوم - ليسوا ممن يعتبرون ولكنهم من الأمة على حال - إن الأئمة المنصوص عليهم بزعمهم مفوض اليهم نسخ القرآن وتديبره، وتجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله: إن النسخ قد يجوز على وجه البداء وهو أن يأمر الله عز وجل عندهم بالشيء ولا يبدو له. ثم يبدو له فيغيره، ولا يريد في وقت أمره به أن يغيره هو وببدله وينسخه، لأنه عندهم لا يعلم الشيء حتى يكون؛ إلا ما يقدره فيعلمه علم تقدير، وتعجرفوا فزعموا ان ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة^(٤).

٢ وأظن انه عني بهذا أصحابنا الامامية، لأنه ليس في الأمة من يقول بالنص على الأئمة عليهم السلام سواهم. فان كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل وكذب عليهم، لأنهم لا يجيزون النسخ على أحد من الأئمة عليهم السلام ولا احد منهم يقول بحدوث العلم. وانما يحكى عن بعض من تقدم

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٨٣، المحلى: ج ١١ ص ٢٣٥.

(٢) الموطأ: ج ٢ ص ٦٠٨، سنن الترمذي: ج ٣ ص ٤٥٦ ح ١١٥٠.

(٣) عدة الأصول: ج ٢ ص ٢٥ - ٥١ ط النجف الاشرف.

(٤) لا يوجد لدينا كتابه.

من شيوخ المعتزلة - كالنظام^(١) والجاحظ^(٢) وغيرهما - وذلك باطل. وكذلك لا يقولون: ان المتأخر ينسخ المتقدم إلا بالشرط الذي يقوله جميع من أجاز النسخ، وهو ان يكون بينهما تضاد وتناف لا يمكن الجمع بينهما، واما على خلاف ذلك فلا يقوله محصل منهم.

والوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يبعث الى القبائل المستفرقة بالسور المختلفة فلولم تكن الأنبياء والقصص مكررة، لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم، وقصة نوح الى قوم آخرين، فاراد الله يلفظه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، ويشبها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام.

وتكرار الكلام من جنس واحد، وبعضه يجري على بعض، كتكراره في قل يا ايها الكافرون، وسورة المرسلات، والرحمن، فالوجه فيه: ان القرآن نزل بلسان القوم، ومذهبهم في التكرار - ارادة للتوكيد وزيادة في الإفهام - معروف كما إنَّ من مذهبهم الإيجاز والاختصار إرادةً للتخفيف. وذلك أن

(١) النظام: ابراهيم بن سيار، وكان صاحب المعرفة بالكلام وأحد رؤساء المعتزلة، معاصر لماورون الرشيد.

(٢) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٢٥٣

(٢) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنا في الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور، له تصانيف كثيرة في الفنون وله مقالة في اصول الدين، واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وهو تلميذ أبي إسحاق المعروف بالنظام التكلّم المشهور وله كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، وكان مُشَوِّه الخلق وسمي بالجاحظ لجحوظ عينيه وكانت وفاته في شهر محرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على تسعين سنة.

(وفيات الأعيان: ج ٣ ص ١٤٠)

افتنان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه من شيء الى شيء، أحسن من اقتصاره من المقام على فنٍ واحد. وقد يقول القائل: والله لأفعله ثم والله لأفعله، اذا أراد التوكيد كما يقول: أفعله بحذف اللام اذا أراد الإيجاز. قال الله تعالى: «كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون»^(١) وقال: «فإن مع العسر يسراً. ان مع العسر يسراً»^(٢) وقال الله تعالى: «أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى»^(٣) وقال: «مأدراك ما يوم الدين، ثم ما أدراك ما يوم الدين»^(٤) كل هذا يراد به التوكيد. وقد يقول القائل لغيره: اعجل اعجل وللرامي ارم ارم، قال الشاعر:

كم نعمة كانت لكم كم كـم و كم^(٥)
وقال آخر:

هلاً سألت جموع كند دة يوم ولّوا أين أيننا^(٦)
وقال عوف بن الخرق^(٧):
وكادت فزارة تصلى بسنا فاولى فزار فباولى فزار^(٨)

- (١) التكاثر: ٣ - ٤.
(٢) الانشراح: ٥ - ٦.
(٣) القيامة: ٣٤ - ٣٥.
(٤) الانفطار: ١٧ - ١٨.
(٥) البيت ذكره الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٧٧، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: ص ٢٣٦ ولم ينسب لأحد.
(٦) البيت لعبيد بن الأبرص جاء في ديوانه المطبوع: ص ٢٨، ونقله الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٧٧، واستشهد به ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: ص ٢٣٦.
(٧) وهو عوف بن عطية بن عمرو الملقب بالخرق بن عبس بن دبيعة التميمي من تيم الرباب، شاعر جاهلي، له ديوان شعر.

(الاعلام: ج ٥ ص ٩٦)

(٨) نقل البيت واستشهد به سيويه في الكتاب: ج ١ ص ٣٨٧، وابن قتيبة في تأويل مشكل

فأما تكرار معنى واحد بلفظين مختلفين، كقوله: «الرحمن الرحيم»^(١) وقوله: «نسمع سرهم ونجواهم»^(٢) والنجوى هو السرّ، فالوجه فيه ما ذكرنا من ان عادة القوم، تكرير المعنى بلفظين مختلفين، اتساعاً في اللغة، كقول الشاعر: كذباً ومينا، وهما بمعنى واحد، وقول الآخر:

لمياء في شفيتها حوة لعمس وفي اللثات وفي انيابها شنب^(٣)
واللمى: سواد في الشفتين، والحوة واللعمس كلاهما سواد في الشفتين
وكرر لاختلاف اللفظ. والشنب: تحرز في الانياب كالمنشار، وهونعت لها.
ورحم ورحيم، سنين القول فيها فيما بعد.

وقوله: «فغشاها ما غشى»^(٤) وقوله: «فغشهم من اليمّ ما غشهم»^(٥)
وقوله: «ولاطائر يطير بجناحيه»^(٦) على ما قلناه من التوكيد، كما يقول
القائل: كلمته بلساني، ونظرت اليه بعيني، ويقال بين زيد وبين عمرو،
وانما البين واحد. والمراد بين زيد وعمرو. وقال الشاعر أوس بن حجر^(٧).
ألم تكسف الشمس شمس النها ر مع النجم والقمر الواجب^(٨)

القرآن: ص ٢٣٦.

(٢) الزخرف: ٨٠.

(١) الحمد: ٢، فصلت: ٢.

(٣) البيت الذي الرمة، انظر ديوانه: ص ٥، وذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن:

ص ٢٤١.

(٥) طه: ٧٨.

(٤) النجم: ٥٤.

(٦) الأنعام: ٣٨.

(٧) أوس بن حجر: أوس بن حجر بن عتاب، قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحل مصر
حتى نشأ النابغة وزهير فاحلاه، وكان بصيراً بالشعر ومن أشعر الناس، وكان عاقلاً في شعره
كثير الوصف لمكارم الاخلاق.

(الشعر والشعراء لأبي قتيبة: ص ٩٩-١٠٢)

(٨) في ديوان أوس: ص ٣ البيت: «ألم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب»

والشمس لا تكون إلا بالنهار، فأكد.

ذكرنا هذه الجملة تنبيهاً عن الجواب عما لم نذكره، ولعلنا نستوفيه فيما بعد اذا جرى ما يقتضي ذكره ولولا عناد الملحدین وتعجرفهم لما احتج الى الاحتجاج بالشعر وغيره للشيء المشتبه في القرآن، لأن غاية ذلك أن يستشهد عليه ببیت شعر جاهلي، أو لفظ منقول عن بعض الأعراب، أو مثل سائر عن بعض أهل البادية، ولا تكون منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وحاشاه من ذلك - أقل من منزلة واحد من هؤلاء، ولا ينقص عن رتبة النابغة الجعدي^(١)، وزهير بن الكعب^(٢) وغيرهم.

ومن طرائف الامور ان المخالف اذا أورد عليه شعر من ذكرناه، ومن هو دونهم سكنت نفسه واطمأن قلبه، وهو لا يرضى بقول محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب.

ومهما شك الناس في نبوته، فلا مرية في نسبه، وفصاحته، فانه نشأ بين قومه الذين هم الغاية القصوى في الفصاحة، ويرجع اليهم في معرفة اللغة. ولو كان المشركون من قريش وغيرهم وجدوا متعلقاً عليه في اللحن والغلط والمناقصة، لتعلقوا به، وجعلوه حجة وذريعة الى إطفاء نوره وإبطال أمره،

وكذلك نقله الطبري في تفسيره: ج ١٧ ص ١١٩، ولم نثر على النص الذي أورده المصنف.

(١) النابغة الجعدي: هو قيس بن عبدالله وكنيته أبوليلي من فحول الشعراء، عاش في الجاهلية زمناً طويلاً، وروى العلامة المجلسي عن أبي عبيدة قال كان النابغة الجعدي ممن يتأله في الجاهلية، وأنكر الخمر وهجر الأوثان والأزلام ثم أدرك الاسلام وحسن إسلامه. مات وهو ابن ١٢٠ سنة وقيل أكثر. (تنقيح المقال: ج ٣ ص ٦٨، الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٢٢٧)

(٢) هكذا في النسخة المطبوعة والمخطئة، والظاهر أنه من سهو القلم والصحيح: كعب بن زهير وستأتي ترجمته في ص ٢٩٦.

واستغنوا بذلك عن تكلف ما تكلفوه من المشاق في بذل النفوس والأموال. ولو فعلوا ذلك لظهر واشتهر، ولكن حبّ الاتحاد والاستشقال لتحمل العبادات، والميل الى الفواشش اعماهم وأصتهم، فلا يدفع أحد من الملحدّين - وان جحدوا نبوته صلى الله عليه وآله وسلم - انه أتى بهذا القرآن، وجعله حجةً لنفسه، وقرأه على العرب. وقد علمنا انه ليس بأدون الجماعة في الفصاحة.

وكيف يجوز ان يحتج بشعر الشعراء عليه؛ ولا يجوز أن يحتج بقوله عليهم وهل هذا إلا عناد محض، وعصبية صرف؟! وانما يحتج علماء الموحدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء، اتساعاً في العلم، وقطعاً للشغب، وازاحةً للعلّة، وإلا فكان يجب ألا يلتفت الى جميع ما يطعن عليه، لأنهم ليسوا بان يجعلوا عياراً عليه بأولى من ان يجعل هو عليه السلام عياراً عليهم.

وروي عن ابن مسعود، انه قال: «كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن»^(١).

وروي انه استعمل علي عليه السلام عبدالله بن العباس على الحج فخطب خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور - وروي سورة القمر - ففسرها. فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت^(٢).

ويروى عن سعيد بن الجبير، انه «من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعجمي أو الاعرابي»^(٣).

(١) مستدرک الحاكم: ج ١ ص ٥٥٧، شعب الإيمان للبيهقي: ج ٢ ص ٢٣٠ ح ١٦٥٣ قريب منه، تفسير

الطبري ج ١ ص ٢٧.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨ وفيه «كالأعمى».

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨.

فصل

في ذكر أسامي القرآن، وتسمية السور والآيات

سمى الله تعالى القرآن بأربعة أسماء:

سمّاه قرآنًا في قوله تعالى: «انا جعلناه قرآنًا عربيًّا»^(١) وفي قوله: «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن»^(٢) وغير ذلك من الآي.
وسمّاه فرقانًا في قوله تعالى: «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا»^(٣).

وسماه الكتاب في قوله: «الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا قيمًا»^(٤).

وسماه الذكر في قوله: «انا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون»^(٥).

وتسميته بالقرآن تحتل أمرين:

أحدهما: ما روي عن ابن عباس، انه قال: هو مصدر قرأت قرآنًا أي

(١) الزخرف: ٣.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) الفرقان: ١.

(٤) الكهف: ١.

(٥) الحجر: ٩.

تلوته، مثل: غفرت غفرانا، وكفرت كفرانا^(١).

والثاني: ماحكي عن قتادة، انه قال: هو مصدر قرأت الشيء اذا جمعت بعضه الى بعض^(٢)، قال عمرو بن كلثوم^(٣):

ذراعي عيطل ادماء بكر
هجان اللون لم تقرأ جنينا^(٤)
أي لم تضم جنينها في رحمها.

وقال قطرب^(٥): في معناه قولان: أحدهما هذا وعليه أكثر المفسرين. وقال قولاً آخر معناه لفظت به مجموعاً^(٦). وقال معنى البيت أيضاً أي لم تلقه مجموعاً، وتفسير ابن عباس أولى، لأن قوله تعالى «ان علينا جمعه وقرآنه، فاذا قرآناه فاتبع قرآنه»^(٧).

والوجه المختار ان يكون المراد واذا تلوناه عليك، وبيناه لك، فاتبع

- (١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٢. (٢) حكاه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٢.
(٣) عمرو بن كلثوم: من بني تغلب من بني عتاب، جاهلي قديم وهو قاتل عمر بن هند ملك الحيرة لقصة طريفة أوردتها كتب التاريخ. الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ١١٧-١٢٠. وفي أنوار الربيع: أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي من شعراء الطبقة الاولى ومن أصحاب المعلقات، وكان أعز الناس نفساً وأكثرهم ترفعاً، قيل انه توفي حوالي سنة ٦٠٠ للميلاد، وعاش ١٥٠ سنة.

(شرح المعلقات السبع للزوزني: ص ١٦٣)

- (٤) البيت اورده الفراهيدي في كتاب العين: مادة قرء، ج ٥ ص ٢٠٥.
(٥) قطرب: أبو علي عماد بن المستنير النحوي اللغوي البارع أخذ الأدب عن سيبويه، يروي عن الصادق عليه السلام كما في تهذيب الشيخ في باب النفر من منى له مصنفات منها كتاب معاني القرآن وكتاب الرد على الملحدين في متشابه القرآن وكتاب العلل في النحو، توفي سنة ست ومائتين.
(الكنى والألقاب ج ٣ ص ٧٥)

(٦) حكى الزبيدي في تاج العروس: مادة قرأ، ج ١ ص ٣٧٠ أحد قوله، ولا يوجد لدينا كتابه.

(٧) القيامة: ١٧ - ١٨.

تلاوته. ولو حملناه على الجمع - على ما قال قتادة - لكان يجب ألا يلزم اتباع آية آية من القرآن النازلة في كل وقت، وكان يقف وجوب الاتباع على حين الجمع، لأنه علّقه بذلك على هذا القول، لانه قال: «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» يعني جمعناه على ما قالوه فاتبع قرآنه، وكان يقف وجوب الاتباع على تكامل الجميع، وذلك خلاف الاجماع فالاول أولى.

فان قيل: كيف يسمي القراءة قرآنا، وانما هو مقروء؟
قلنا: سمي بذلك كما يسمى المكتوب كتاباً بمعنى: كتاب الكاتب،
قال الشاعر في صفة طلاق كتبه لامرأته:

تؤمل رجعة منّي وفيها كتابٌ مثل المصق الغراء^(١)
يعني طلاقاً مكتوباً.

وتسميته بانه فرقان، لأنه يفرق بين الحق والباطل. والفرقان هو الفرق بين الشئين، وانما يقع الفرق بين الحق والباطل بأدلتها الدالة على صحة الحق، وبطلان الباطل.

وتسميته بالكتاب لأنه مصدر من قولك، كتبت كتاباً، كما تقول قمت قياماً. وسمي كتاباً وانما هو مكتوب، كما قال الشاعر في البيت المتقدم.
والكتابة مأخوذة من الجمع في قولهم: كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز، قال الشاعر:

لا تأمن فزارياً خلوت به على قلوصلك فاكبتها باسيار^(٢)
والكتابة: الخرز. وكلما ضمنت بعضه الى بعض على وجه التقارب فقد

(١) لم نجد البيت في المراجع المتوفرة لدينا، وذكره الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣٣.

(٢) البيت لابن دارة. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ٢٣٦-٢٣٧.

كتبته. والكتيبة من الجيش من هذا، لانضمام بعضها الى بعض.

وتسميته بالذكر يحتمل أمرين:

أحدهما - انه ذكر من الله تعالى ذكره عباده، فعرفهم فيه فرائضه، وحدوده.

والآخر - انه ذكر وشرف لمن آمن به وصدق بما فيه. كقوله «وانه لذكر

لك ولقومك»^(١).

وأما السورة - بغير همز - فهي منزلة من منازل الارتفاع، ومن ذلك سور

المدينة سمي بذلك الحائط الذي يحويها لارتفاعه عما يحويه، غير ان سور

المدينة لم يجمع سوراً، وسورة القرآن تجمع سوراً. وهذا أليق بتسميته سورة

القرآن سورة. قال النابغة^(٢):

ألم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب^(٣)

يعنى منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها الملوك .

واما من همز السورة من القرآن، فانه أراد به القطعة التي انفصلت من

القرآن عما سواها وأبقيت، وسور كل شيء بقيته. يقال اسأرت في الاناء

أي أبقيت فيه. قال الاعشى بن ثعلبة^(٤)، يصف امرأة:

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) النابغة: أبو أمامة زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني من أصحاب المعلقات

وعذ من أشعر الشعراء بعد امرئ القيس، كان مقرباً الى النعمان بن المنذر وجع من عطاياه

ثروة كبيرة. توفي حوالي سنة ٦٠٤ للميلاد ولم يدرك الاسلام.

(الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٢٢٨)

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ص ٤٦، مجاز القرآن: ج ١ ص ٤.

(٤) وهو أبو بصير ميمون بن قيس من بني ثعلبة، ويقال له الأعشى الكبير من شعراء الجاهلية وفحولهم،

سكن الحيرة وكان يتردد على النصارى فيها، له ديوان شعر ولايته معروفة.

(الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٤٣)

فبانت وقد أسارت في الفؤاد
د صدعاً على نأيتها مستطاراً^(١)

وتسمية الآية بأنها آية، يحتمل وجهين:

أحدهما: لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها، ومنه قوله تعالى: «أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك»^(٢) يعني علامة لاجابتك دعاءنا.

والآخر: أن الآية القصة والرسالة، قال كعب بن زهير^(٣):

ألا أبليغا هذا المعرض آية

أيقظان قال القول اذا قال أم حلم^(٤)

يعني رسالة: فيكون معنى الآيات القصص؛ قصة تتلو قصة.

روى واثلة بن الاصقع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أعطيت مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الانجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»^(٥).

فالسبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف

(١) ديوان الاعشى بن ثعلبة: ص ٨٥ وفيه بدل «أسارت» «أورثت» وهو تصحيف.

(٢) المائدة: ١١٤.

(٣) وهو أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى، شاعر فحل من المخضرمين وهو صاحب قصيدة

بانت سعد فيها مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاعتذار إليه، وروي أنه بعد أن تم

إنشاد القصيدة اعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم برده. أسلم وحسن اسلامه. توفي سنة

٢٤هـ، وله ديوان شعر.

(الأغاني: ج ١٧ ص ٨٢ - ٩٢)

(٤) ديوان كعب بن زهير: ص ٦٤.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ١٠٧.

ويونس، في قول سعيد بن جبير^(١)، وروي مثل ذلك عن ابن عباس^(٢).
وسميت السبع الطوال، لطولها على سائر القرآن. وأما المثنى، فهو كل
سورة تكون مائة آية أو يزيد عليها شيئاً يسيراً، أو ينقص عنها شيئاً يسيراً.
وأما المثنى فهي مائنت المثنى، فتلاها. فكان المثنى لها أوائل، وكان
المثنى لها ثوان وقيل: إنها سميت بذلك لتثنية الله فيها الأمثال، والحدود،
والقرآن، والفرائض وهو قول ابن عباس^(٣).

وقال قوم: «المثنى سورة الحمد، لأنها تثني قراءتها في كل صلاة»^(٤)
وبه قال الحسن البصري، وهو المروي في أخبارنا^(٥)، قال الشاعر:

حلفت بالسبع اللواتي طولت	وبمثن بعدها قد أميت
و بثمان ثنيت و كررت	و بالطواسين التي قد ثلثت
و بالحواميم التي قد سبعت	و بالمفصل اللواتي فصلت ^(٦)

(١) سعيد بن جبير: بن هشام الأسدي مولى بني والبة عده الشيخ في رجاله من أصحاب السجاد عليه السلام، وعده في المناقب كذلك وهو من التابعين، وقال: كان يسمى جهيد العلماء وقرأ القرآن في ركعتين وروى الكشي إن السجاد عليه السلام كان يثني عليه وما قتله الحجاج الاعلى هذا الأمر وكان في شوال سنة ٩٥ هـ.

(رجال الطوسي: ص ٩، معجم رجال الحديث ج ٨ ص ١١٢)

نقل قوله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٤.

(٢) سنن البيهقي: ج ٢ ص ٤٢.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٤.

(٤) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩ ح ٣.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٧ ونسب الأبيات الى سليمان ولعله سليمان بن يزيد

العدوي لان أبا عبيدة استشهد له ببيت في: ج ٢ ص ١٢٤.

وسميت المفصل مفصلاً، لكثرة الفصول التي بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم وسمي المفصل محكماً، لما قيل انه لم ينسخ. وقال أكثر اهل العلم: أول المفصل من سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى سورة الناس^(١). وقال آخرون: من ق الى الناس^(٢). وقال فرقة ثالثة: وهو المحكي عن ابن عباس: أنه من سورة الضحى الى الناس، وكان يفصل من الضحى بين كل سورتين بالتكبير^(٣)، وهو قراءة ابن كثير^(٤) (٥).

وإن قيل: ما وجه الحكمة في تفصيل القرآن على السور؟

قيل: فيه وجوه من الجواب:

احدها: أن القارئ اذا خرج من ق الى ق كان احلى في نفسه وأشهى لقراءته.

ومنها: ان جعل الشيء مع شكله، وما هو أولى به هو الترتيب الذي

(١) انظر الكافي: ج ٢ ص ٦٠١ ح ١٠ وفيه: «..وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة..» والسور هذه من محمد الى الناس.

(٢) أشار الى هذا الوجه أحمد في مسنده: ج ٤ ص ٩ باسناده عن أوس بن حذيفة وفيه: «..وحزب المفصل من قاف حتى يختم».

(٣) حكاه الخطابي، أنظر الاقناع للسيوطي: ج ١ ص ٦٣.

(٤) وهو عبد الله بن كثير الداري المكي، أبوعبد معبد القارئ، روى عن أبي الزبير ومجاهد وقرأ عليه القرآن. وعنه أيوب و جرير بن حازم وابن أبي نجيع وابن جريح و حماد بن سلمه و جماعة.

قال عنه علي بن المديني: كان ثقة. وقال ابن عيينه: لم يكن بمكة أقرأ منه ومن حميد بن قيس. توفي سنة ١٢٠ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٣٦٧)

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني: ص ٢٢٦.

يعمل عليه.

ومنها: أن الانسان قد يضعف عن حفظ الجميع، فيحفظ منه سورة تامة ويقتصر عليها، وقد يكون ذلك سبباً يدعو الى غيرها.

ومنها: ان التفصيل أبين، إذ كان الاشكال مع الاختلاط والالتباس أكثر.

ومنها: ان كل ما ترقى اليه درجة درجة ومنزلة منزلة كانت القوة عليه أشد، والوصول اليه أسهل وانما السورة منزلة يرتفع منها الى منزلة.

سُورَةُ الْفُحْلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمُ ٣ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧

سُورَةُ الْفَجَلَةِ

أسمائها وسبب تسميتها بها:

روي عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: أنه سماها أم القرآن، وفاتحة الكتاب والسبع المثاني^(١).

فسميت فاتحة الكتاب لأنه يفتح بكتابها المصاحف، وبقراءتها في الصلاة، فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة.

وسميت أم القرآن لتقدمها على سائر القرآن، وتسمى العرب كل جامع أمراً أو متقدماً لأمر إذا كانت له توابع تتبعه أمماً، فيقولون للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس، وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أمماً، ومن ذلك قول ذي الرمة^(٢):

وأسمر قوام اذا نام صحبتي خفيف الثياب لا توارى له إزرا
على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع امور لانعاصي له امرا^(٣)

(١) سنن البيهقي: ج ٢ ص ٤٥ ط. دارالمعرفة، بيروت.

(٢) وهو أبو الحارث غيلان بن عتبة، أحد العشاق المشهورين صاحب مئة بنت مقاتل الذي وفد على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فأكرمه وقال له انت سيد اهل الوبر. توفي سنة ١١٧هـ.

(وفيات الأعيان: ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٩)

(٣) ديوانه: ص ١٨٣.

يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبه.
وقيل: مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها، وجميعها ماسواها، وقيل:
إنما سميت بذلك، لأن الأرض دحيت منها فصارت لجميعها أم^(١)، ومن
ذلك قول حميد بن ثور الهلالي^(٢):
إذا كانت الخمسون أمك لم يكن
لأن الخمسين جامعة مادونها من العدد، فسمّاها أم الذي بلغها.
وسميت السبع، لأنها سبع آيات بلاخلاف في جملتها.
وسميت مثاني لأنها تثنى بها في كل صلاة فرض ونفل، وقيل: في كل
ركعة^(٣)، وليس إذا سميت بأنها مثاني، منع ذلك تسمية غيرها بالمثاني من
سور المثين على ماضى القول فيه.
واتفق القراء على التلفظ بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قبل
التسمية^(٤).

المعنى:

ومعنى ذلك، استجير بالله دون غيره، لأن الاستعاذة هي الاستجارة.

(١) راجع تفسير الطبري: ج ٧ ص ١٨٠.

(٢) أبو المثنى شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية، شهد حينئذ مع المشركين اسلم وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. توفي في خلافة عثمان.

(الأعلام: ج ٢ ص ٢٨٣)

(٣) البيت ليس لحميد بن ثور، ولا هو في ديوانه، بل هو لأبي محمد التيمي من أهل الكوفة، من شعراء الدولة العباسية.

(راجع الأغاني: ج ١٨ ص ١١٥)

(٤) راجع تفسير الطبري: ج ١٤ ص ٣٧. (٥) التيسير في القراءات السبع للداني: ص ١٧.

وقوله: من الشيطان. فالشيطان في اللغة^(١) كلّ متمرّد من الجن والانس والدواب، ولذلك قال الله تعالى: «وكذلك جعلنا لكلّ نبي عدواً شياطين الانس والجن...»^(٢) فجعل من الانس شياطين، كما جعل من الجن. وانما سمي المتمرد شيطاناً؛ لمفارقة اخلاقه وافعاله، أخلاق جميع جنسه وبعده من الخير.

وقيل^(٣): هو مشتق من قولهم شطنت داري من دارك أي بعدت، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانّت والفؤاد بها رهين^(٤)
والشطون: البعيد فيكون شيطاناً على هذا - فيعالا - من شطن على وزن يبطار وغيداق، قال أمية بن أبي الصلت^(٥):

أما شاطنٍ عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاكباد^(٦).
ولو كان مشتقاً من شاط لقال: شائط، ولما قال: شاطن، علم أنه مشتق من شطن؛ والشطن الحبل.

وأما الرّجيم: فهو فعيل بمعنى مفعول، كقولهم كف خضيب، ولحية دهن، ورجل لعين، يراد مخضوبة، ومدهونة، وملعون ومعنى المرجوم المشتوم،

(١) الصحاح للجوهري: مادة «شطن» ج ٥ ص ٢١٤٤. (٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) حكاة الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٨. (٤) ديوانه: ص ١٠٤.

(٥) هو ابو عثمان أمية بن ابي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي، قرأ الكتب المقدسة فغاف الاوثان، وكان يخبر عن بعث نبي وطمع ان يكون ذلك النبي ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسده وأصرّ على كفره، توفي كافراً في سنة ٢٢ هـ.

(٦) الاغانى: ج ٤ ص ١٢٠.

(٦) ديوانه: ص ٥١، وجهرة اللغة: مادة «ع ك و» ج ٣ ص ١٣٧، واللسان: مادة (شطن) و(عكا).

فكل مشتوم بقول ردي فهو مرجوم، وأصل الرجم الرمي بقول كان أو بفعل، ومنه قوله تعالى: «لئن لم تنته لأرجنك»^(١)، ويجوز أن يكون الشيطان رجيماً، لأن الله طرده من سمائه ورجه بالشهب الثاقبة. وسورة الحمد مكية في قول قتادة^(٢)، ومدينة في قول مجاهد^(٣). وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

[قوله تعالى:]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الحجة:

عندنا آية من الحمد ومن كل سورة، بدلالة إثباتهم لها في المصاحف بالخط الذي كتب به المصحف، مع تحجبهم إثبات الأعشار والأخماس كذلك، وفي ذلك خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء^(٤). ولا خلاف أنها بعض آية في سورة التمل.

فأما القراء فترك الفصل بين السور بالتسمية حمزة^(٥) وخلف^(٦)

(١) مرص: ٤٦. (٢) نقله الواحدي في اسباب النزول: ص ١١.

(٣) المصدر المتقدم.

(٤) الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ مسألة ٨٢. ط مؤسسة النشر الاسلامي.

(٥) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل أبو عمارة الكوفي التيمي عدّه الشيخ في رجاله بهذا العنوان من أصحاب الصادق عليه السلام وكان من علماء زمانه بالقراءات، ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٥٩ هـ. (رجال الطوسي، ص ١٧٧، تهذيب التهذيب ج ٣، ص ٢٧)

ذكر قوله أبو محمد مكي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات: ج ١ ص ١٦.

(٦) وهو خلف بن هشام بن ثعلب البزاز البغدادي المقرئ، روى عن مالك وحامد بن زيد وهشيم

ويعقوب^(١) واليزيدي^(٢) إلّا القرظي عن سجادة وآل بن اللبان عن مدين والمعدل^(٣) إلّا السوسي من طريق ابن حبش، والباقون يفصلون بالتسمية إلّا بين الانفال والتوبة^(٤).

وعندنا أن من تركها في الصلاة بطلت صلاته، لأن الصلاة عندنا لا تصح إلّا بفاتحة الكتاب وهي من تمامها، سواء كانت الصلاة فرضاً أو نافلة، وفيه خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء.

ومن قال^(٥): أنها ليست من القرآن قال إن الله أدب نبيه وعلمه تقديم

وغيرهم، وروى عنه أبو داود ومسلم وابن أبي خيثمة وغيرهم، قال النسائي بانه ثقة وقال الدارقطني كان عابداً فاضلاً، وكذا ذكره ابن حبان وزاد: عالماً بالقراءات، مات سنة ٢٢٩هـ في جادى الآخرة. (تهذيب التهذيب: ج ٣، ص ١٥٦)

(١) هو يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي مولاهم أبو محمد المقرئ النحوي البصري. قال أحمد وأبو حاتم عنه: انه صدوق. وقال البخاري نقلاً عن أحمد بن سعيد الرباطي: مات سنة خمس ومائتين في شهر ذي الحجة.

(تهذيب التهذيب: ج ١، ص ٣٨٢)

(٢) اليزيدي: هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي المقرئ النحوي اللغوي، صاحب أبي عمرو بن العلا المقرئ البصري، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بعده، كان يؤدب أولاد النصور خال ولد المهدي واليه كان ينتسب ثم اتصل بهارون الرشيد وأدب ولده، وهو أحد القراء الفصحاء، وكان صدوقاً وله تصانيف حسنة وله شعر مدون. توفي سنة اثنتين ومائتين بخراسان. (الكنى والألقاب ج ٣، ص ٢٩٥).

راجع في قوله: التيسير في القراءات السبع: ص ١٧

(٣) المعدل: هو أحمد بن سلمة الحافظ الحجة أبو الفضل النيسابوري البزاز المعدل رفيق مسلم في الرحلة الى بلخ والبصرة له ترجمة في تاريخ بغداد وتذكرة الحفاظ.

(طبقات الحفاظ: ص ٢٧٩)

(٤) أشار الى اقوال جملة منهم الداني في التيسير في القراءات السبع: ص ١٧.

(٥) تفسير الطبري: ج ١، ص ٣٨.

ذكر اسم الله أمام جميع أفعاله وأقواله ليقترني به جميع الخلق في صدور رسالاتهم وأمام حوائجهم.

قالوا^(١): والدليل على أنها ليست من القرآن أنها لو كانت من نفس الحمد لوجب أن يكون قبلها مثلها لتكون إحداها افتتاحاً للسورة حسب الواجب في سائر السور، والأخرى أول آية منها.

وهذا عندنا ليس بصحيح، لأننا قد بينا أنها آية من كل سورة، ومع هذا لم يتقدمها غيرها، على أنه لا يمتنع أن تكون من نفس التلاوة، وإن تعبدنا باستعمالها في افتتاح جميع أموره.

/ومن قال^(٢): إن قوله «الرحمن الرحيم» بعد قوله: «الحمد لله رب العالمين» يدل على أن التي افتتح بها ليست من الحمد وإلا كان يكون ذلك تكراراً بلا فصل شيء من الآيات قبل ذلك وليس بموجود في شيء من القرآن.

/فبقوله باطل؛ لأنه قد حصل الفصل بقوله: «الحمد لله رب العالمين»^(٣) وقد ورد في مثله في: «قل يا أيها الكافرون، لأعبد ما تعبدون، ولانتم عابدون ما أعبد، ولانا عابد ما عبدتم، ولانتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين»^(٤) وكرر آيتين بلفظ واحد فصل بينهما بآية واحدة، وقد ذكرنا الأدلة على صحة ما ذهبنا إليه في خلاف الفقهاء^(٥).

(١) أحكام القرآن للجصاص: ج ١، ص ١٠ ط بيروت.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٩.

(٣) الحمد: ١.

(٤) الكافرون: ١ - ٦.

(٥) الخلاف: ج ١ ص ٣٢٨. ط مؤسسة النشر الاسلامي.

ومن جعلها آية جعل من قوله: «صراط الذين انعمت عليهم الى آخرها آية. ومن لم يجعلها كذلك جعل: صراط الذين انعمت عليهم آية. وعندنا انه يجب الجهر بها فيما يحرفه بالقراءة، ويستحب الجهر بها فيما لا يحرفه.

الاعراب:

وقوله تعالى «بسم الله» يقتضي فعلاً تتعلق به الباء، ويجوز أن يكون ذلك الفعل قوله أبدأ أو اقرأ بسم الله أو شبهه، أو قولوا بسم الله، ولم يذكر لدلالة الكلام عليه، وحذفت الألف في اللفظ لأنه ألف الوصل تسقط في الدرج وحذفت ها هنا وحدها في الخط لكثرة الاستعمال، ولا تحذف في قوله تعالى: «إقرأ باسم ربك»^(١) وقوله: «فسبح باسم ربك»^(٢) وما أشبه ذلك لقلة استعمالها هناك وذكر أبو عبيدة^(٣): ان «اسم» صلة والمراد هو بالله الرحمن الرحيم، واعتقد قوم - لأجل ذلك - إن الاسم هو المسمى، واستدلوا بقول لبيد^(٤):

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن ييك حولا كاملا فقد اعتذر^(٥)

(٢) الواقعة: ٧٤.

(١) العلق: ١.

(٣) هو معمر بن مثنى البصري النحوي اللغوي؛ كان متبحراً في علم اللغة وأيام العرب وأخبارهم، وهو أول من صنف غريب الحديث، كان يرى رأي الخوارج توفي سنة ٢٠٩.

(الكنى والالفاظ ج ١، ص ١١٨)

(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، شاعر مخضرم من اصحاب المعلقات ادرك الاسلام وقدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، وترك الشعر. توفي سنة ٤١ هـ.

(شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٢١)

(٥) ديوانه: ج ٢، القصيدة ٢١، ومجاز القرآن: ج ١ ص ١٦، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٥٥ والشعر

قال: ومعناه السلام عليكما، فاسم السلام هو السلام^(١) وهذا خطأ عظيم ذكرناه في شرح الجمل^(٢) والأصول^(٣)، ومعنى قول الشاعر: «ثم اسم السلام»: انه أراد به اسم الله تعالى لأن السلام من أساء الله في قوله: «السلام المؤمن المهيمن»^(٤)، وهذا كما قال عليه السلام: «لا تسبوا الدهر، فان الله هو الدهر»^(٥)، أي ان الله هو الفاعل لما تضيفونه الى الدهر وتسبونه لأجله، ونظير ذلك أيضاً قول القائل اذا سمع غيره يشتم زيداً وهو يريد عمرواً، زيد في هذا المكان هو عمرو، أي هو المراد بالشم دون زيد. ويحتمل ان يكون اراد اسم الله عليكما أي الزماه، وانما رفع لأنه آخر عليكما، كما قال الشاعر:

يا ايها الماتح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا^(٦)

يقوله لابنتيه، إذ قال:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما	وهل أنا إلا من ربيعة او مضر
ثم أمرهما بأمره فقال:	
فقوموا فقولوا بالذي قد علمنا	ولا تخمشا وجهاً ولا تخلقا شعر
وقولاً: هو المرء الذي لا خليله	أضاع، ولا خان الصديق، ولا غدر
ثم قال بيت الشاهد، انتهى.	

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ١٦.

(٢) لم نثر عليه في كتاب تهديد الاصول في علم الكلام وهو شرح على القسم النظري من رسالة جل العلم والعمل للسيد المرتضى، بعد الفحص والتتبع، علماً بأن النسخة المطبوعة ناقصة من آخرها كما اشار الى ذلك المحقق.

(٣) لم نثر عليه في كتب الشيخ المتوفى لدينا. (٤) الحشر: ٢٣.

(٥) رواه السيد المرتضى في أماليه: ج ١ ص ٤٥، وأحمد في مسنده: ج ٥ ص ٢٩٩ و ٣١١.

(٦) هذا رجز في خبر طويل ورد في الخزائنة: ج ٣ ص ١٧، قيل هزأ برجل ألقوه في بئر رجزوابه.

والمراد، دونك دلوي، فكيف يكون الاسم هو المسمى؟! وقد يعرف الاسم من لا يعرف المسمى، والاسم يكون مدركاً وإن لم يدرك المسمى، والاسم يكتب في مواضع كثيرة، والمسمى لا يكون إلا في موضوع واحد، ولو كان الاسم هو المسمى، لكان إذا قال القائل «نار» احترق لسانه، وإذا قال «عسل» وجد الحلاوة في فمه، وذلك تجاهل.

ومن قال: إن ذلك تسمية وليس ذلك باسم قوله باطل، لأن القائل لو قال: اكلت اسم العسل، لكان جاهلاً.

وقال قوم^(١): إن (اسم) ليس بصلة، والمراد ابتدئ بتسمية الله، فوضع الاسم موضع المصدر ويكون موضع (بسم) نصباً. قالوا: لأن العرب تجري المصادر المهمة على أسماء مختلفة، كقولهم: أكرمت فلاناً كرامة، وأهنت فلاناً هواناً، وكلمته كلاماً وكان يجب أن يكون: أكرمته إكراماً وأهنته أهانة وكلمته تكليماً، ومنه قول الشاعر:

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا^(٢)
وقال آخر:

فان كان هذا البخل منك سجية لقد كنت في طول رجائك اشعبا^(٣)
أراد في اطالتي رجائك، (فيكون على هذا تقدير الكلام: أقرأ مبتدئاً

والماتح: الرجل الذي ينزل الى قرار البئر اذا قل ماؤها، فيلقي الدلاء فيملؤها بيده ويميح لأصحابه.

(١) قاله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٩.

(٢) البيت للقطامي في ديوانه: ص ٤١.

(٣) لم نجد البيت، وذكره الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٩. واشعب: الطماع الذي يضرب به المثل.

بتسمية الله، وابتدئ قراءتي بسم الله. فجعل الاسم مكان التسمية، وهذا أولى، لأن المأموران يفتحون العباد أمورهم بتسمية الله، لا بالخبر عن عظمتهم وصفاته، كما أمروا بالتسمية على الذبائح والصيد، والأكل، والشرب. وكذلك أمروا بالتسمية عند افتتاح تلاوة تنزيل الله تعالى، ولا خلاف أن القائل لو قال عند الذباجة: بالله ولم يقل: باسم الله لكان مخالفاً للمأمور.

اللغة:

والاسم: مشتق من السمو وهو الرفع، والأصل فيه سمو بالواو، وجمعه أسماء مثل قنوا وأقنأ، وحنوا وأحنأ. وإذا صغرته قلت سمي، قال الرازي: باسم الذي في كل سورة سمه^(١)

والسمة أيضاً: ذكره ابوزيد^(٢) وغيره. وقيل: انه مشتق من وسمت، وذلك غلط لأن ما حذفت واو الفعل منه لا يدخله الف الوصل، نحو عدة ووعد، وزنة ووزن، لما حذفت الفاء لم تدخل عليه الالف. وأيضاً كان يجب اذا صغر ان يرد الواو فيقال: وسيم، كما يقال وعيدة ووزينة ووصيلة في تصغير عدة وزنة وصلة. والأمر بخلافه.

وحكي عن ابن كيسان^(٣) انه قال: انه لقب فلذلك ابتدئ به واتبع

(١) الرجز في نوادر أبي زيد: ص ٦٦.

(٢) هوسعيد بن اوس بن ثابت الأنصاري من ائمة الأدب وله مصنفات مفيدة. توفي في البصرة سنة ٢١٥ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ١، ص ٨١)

(٣) طاووس بن كيسان اليماني من فقهاء العامة ومتصوفهم، عده الشيخ في رجاله من أصحاب السجاد عليه السلام ويعتبر عنه بطاووس الفقيه. توفي سنة ١٠١ هـ.

(رجال الطوسي: ص ٩٠، تنقيح المقال: ج ٢، ص ١٠٧)

بالرحمن لأنه يختصه ثم بالرحيم لأنه يشاركه فيه غيره.
والصحيح أنه ليس بلقب لأنَّ اللقب انما يجوز على من تجوز عليه الغيبة والحضور، وهما لا يجوزان عليه، ولانه يمكن وصفه بصفة لا يشاركه فيها غيره، ولا معنى للقب لانه غيب ^{عنه}.

والصحيح انه اسم مقيد لكنه لا يطلق إلا عليه تعالى.

وقيل: في معناها قولان:

أحدهما: إن أصله لاه كما قال الشاعر:

كحلقة من أبي رياح يسمعها لاهه الكبار

فادخل عليه الالف واللام^(١).

والثاني: إن أصله إله فادخلت عليه الالف واللام ثم خففت الهمزة وادغمت احدى اللامين في الاخرى ف قيل: الله^(٢).

وإله معناه يحق له العبادة، وانما يحق له العبادة لأنه قادر على خلق الاجسام وحياتها والانعام عليها بما يستحق به العبادة، ولذلك يوصف فيما لم يزل بانه إله، ولا يجوز أن يكون إلهاً للاعراض، ولا للجواهر لاستحالة ان ينعم عليها بما يستحق به العبادة، وهو إله الاجسام: حيوانها، وجمادها لأنه قادر على ان ينعم على كل جسم بما معه يستحق العبادة، وليس الاله من يستحق العبادة؛ لأنه لو كان كذلك لما وصف فيما لم يزل بانه إله، لأنه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة، ومن قال: انه إله للجماد، فقد أخطأ، لما قلناه من أنه عبارة عن يستحق العبادة، وهو انه قادر على أصول النعم التي

(١) الصحاح للجوهري: مادة «ليه» ج ٦ ص ٢٢٤٨ والبيت للاعشى راجع ديوانه: ص ٧٤.

(٢) الصحاح للجوهري: مادة «أله» ج ٦ ص ٢٢٢٣.

يستحق بها العبادة دون ان يكون عبارة عن يستحق العبادة ولا يجوز ان يوصف بهذه الصفة غير الله.

(١) وفي الناس من قال انه مشتق من الوله، لأن الخلق يأهلون اليه: أي يفزعون اليه في امورهم، فقليل للمألوه: إله كما قيل للمؤمن: إمام. وقال بعضهم: انه مشتق من الوهان، وهذا غلط، لأن الوهان: الهيمان، وذلك لا يجوز في صفات الله تعالى. على ان التصريف بلزوم الهمة يشهد بفساد هذا على ما قاله آخرون. وقال قوم: هو مشتق من الألوهية، التي هي العبادة. يقال فلان متأله أي متعبد^(١)؛ قال رؤبة^(٢):

لله در الغانيات المده لما رأين حليي المموه
سبحن واسترجعن من تألهي^(٣)

أي من تعبدي. قرأ ابن عباس «ويذكر وأهتك»^(٤) يعني عبادتك. ويقال أله الله فلان إلهة كما يقال عبده عبادة. وقيل: أنه مشتق من الارتفاع تقول العرب للشيء المرتفع: لاه. يقولون: طلعت لاهة، أي الشمس، وغربت أيضاً، وقيل: وصف به تعالى لأنه لا تدركه الأبصار ومعنى لاه أي احتجب عنا^(٥). قال الشاعر:

(١) راجع تفسير الطبري: ج ٢١ ص ٤١، والبيان للانباري: ج ١ ص ٣٢، ولسان العرب: مادة «أله» ج ١٣ ص ٤٦٨.

(٢) هو أبو العجاج رؤبة بن العجاج البصري، كان بصيراً باللغة، له ديوان شعر، توفي سنة ١٤٥هـ.

(٣) ديوانه: ص ١٦٥. المده: جمع ماده. ومده فلاناً يدهه مدهاً: نعت هينته وجماله وإثني عليه ومدحه.

(٤) الأعراف: ١٢٧. نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٤١ - ٤٢ وج ٩ ص ١٨.

(٥) راجع لسان العرب: مادة «أله»، ج ١٣ ص ٤٦٨.

لاه ربي عن الخلائق طراً خالق الخلق لا يرى ويرانا^(١).

وقيل: سمي الله، لأنه يوله قلوب العباد بحبه.

الرحمن الرحيم

اللغة:

هما اسمان مشتقان من الرحمة، وهي النعمة التي يستحق بها العبادة، وهما موضوعان للمبالغة، وفي رحمان خاصة مبالغة يختص الله بها.

وقيل: ان تلك المزية من حيث فعل النعمة التي يستحق بها العبادة، لا يشاركه في هذا المعنى سواه.

والأصل في باب فعل يفعل وفعل يفعل ان يكون اسم الفاعل منه، فاعلاً، فان أرادوا المبالغة حملوا على فعلاان وفعل، كما قالوا: غضب فهو غضبان، وسكر فهو سكران اذا امتلاً غضباً وسكراً. وكذلك قالوا: رحم فهو رحمان، وخصوه به تعالى لما قلناه. وكذلك قالوا علم فهو عليم ورحم فهو رحيم. وعلى هذا الوجه لا يكونان للتكرار، كقولهم ندمان ونديم بل التزايد فيه حاصل والاختصاص فيه بين.

وقيل في معنى الرحيم: لا يكلف عباده جميع ما يطيقونه فان الملك لا يوصف بانه رحيم، اذا كلف عبده جميع ما يطيقونه، ذكره ابو الليث^(٢).

وانما قدّم الرحمن على الرحيم لأن وصفه بالرحمن بمنزلة الاسم العلم، من

(١) لم نعرّ عليه.

(٢) هو الحافظ عبدالله بن شريع بن حجر الشيباني البخاري والد أبي عبيدة، قيل انه حفظ عشرة آلاف حديث، ولم نعرف تاريخ وفاته.

(راجع تذكرة الحفاظ: ج ٢ ص ٥٨٧)

حيث لا يوصف به إلا الله تعالى، فصار بذلك كاسم العلم في انه يجب تقديمه على صفته.

وورد الاثر بذلك، روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة^(١).

وروي عن بعض التابعين انه قال: الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة^(٢). ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق هو انشاؤه اياهم وجعلهم احياء قادرين وخلق فيهم الشهوات، وتمكينهم من المشتيات، وتعريضهم بالتكليف لعظيم الثواب، ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين، ما فعل الله تعالى بهم في الدنيا من الألطاف التي لم يفعلها بالكفار، وما يفعله بهم في الآخرة من عظيم الثواب، فهذا وجه الاختصاص.

وحكي عن عطاء^(٣) أنه قال: الرحمن كان يختص الله تعالى به فلما تسمى مسيلمه بذلك صار الرحمن الرحيم مختصين به تعالى، ولا يجتمعان لأحد^(٤).

(١) الحديث طويل، رواه ابن حبان في كتاب المجروحين في ترجمة اسماعيل بن يحيى: رقم ٤٤ ص ٨٥، وذكره ابن كثير في التفسير: ج ١ ص ٣٥، والسيوطي في الدر المنثور: ج ١ ص ٨، ورواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٤٣ عن اسماعيل بن الفضل.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٣، أخرجه عن العزمي.

(٣) هو أبو محمد بن أبي رباح المكي القرشي: عده الشيخ (ره) في رجاله من اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: غلط، ولد سنة ٢٧ وتوفي سنة ١١٤ للهجرة روى عن الشيخين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم.

(تنقيح المقال: ج ٢، ص ٢٥٣، تهذيب التهذيب: ج ١، ص ١٩٩)

(٤) حكاها الطبري عن تفسيره: ج ١ ص ٤٤.

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأنَّ تسمي مسيلمه بذلك لا يخرج الاسم من أن يكون مختصاً به تعالى، لأنَّ المراد بذلك استحقاق هذه الصفة وذلك لا يثبت لأحد، كما أنهم سمّوا أصنامهم آلهة، ولم يخرج بذلك من أن يكون الإله صفة يختص بالوصف به.

لوقال بعضهم: إنّ لفظة الرحمن ليست عربية، وإنّما هي ببعض اللغات، كقوله تعالى: «قسطاس» فإنها بالرومية، واستدل على ذلك بقوله تعالى: «قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا»^(١) إنكاراً منهم لهذا الاسم، حكى ذلك عن ثعلب^(٢)، والصحيح انه معروف واشتقاقه من الرحمة، على ما بينا.

قال الشنفرى^(٣):

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها
وقال سلامة بن جندل الطهوي^(٤):
عجلتم عليه قد عجلنا عليكم
وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق^(٥)

(١) الفرقان: ٦٠.

(٢) وهو أحمد بن يحيى الشيباني، أبو العباس، كوفي، له كتاب في القراءات، قرأ على ابن الاعرابي والزيبر بن نكّار، وهو صاحب كتاب الفصيح في اللغة توفي سنة ٢٩١ هـ.

(الكنى والالاقاب: ج ٢، ص ١٢٩)

(٣) وهو عمرو بن مالك الأزدي المعروف بالشنفرى، شاعر جاهلي صاحب لامية العرب قتل سنة ٧٠ قبل الهجرة.

(٤) المحخص لابن سيدة: ج ٥ سفر ١٧ ص ١٥٢.

(٥) وهو سلامة بن جندل بن عمرو التميمي، شاعر جاهلي، يمتاز شعره بالحكمة والحوودة.

(الأعلام: ج ٢ ص ١٠٦، والشعر والشعراء: ص ١٤٧)

(٦) انظر ديوانه: ص ١٩.

وحكي عن أبي عبيدة انه قال: رحمن: ذورحة، ورحيم معناه انه راحم
وكرر لضرب من التأكيد كما قالوا ندمان ونديم^(١).

وانما قدم اسم الله لأنه الاسم الذي يختص به من يحق له العبادة،
وذكر بعده الصفة، ولأجل ذلك أعرب بأعرابه، وبدأ بالرحمن لما بينا إن فيه
المبالغة. وما روي عن ابن عباس: من انها اسمان رقيقان احدهما أرق من
الآخر^(٢).

فالرحمن: الرقيق، والرحيم: العطاف على عباده بالرزق محمول على أنه
يعود عليهم بالفضل بعد الفضل، وبالنعمة بعد النعمة، لأنه تعالى لا يوصف
برقة القلب.

ودلت هذه الآية على التوحيد، لأن وصفه بالرحمن يقتضي مبالغة في
الوصف بالرحمة على وجه يعم جميع الخلق، وذلك لا يقدر عليه غير الله القادر
لنفسه، وذلك لا يكون إلا واحداً، ولأن وصفه بالالهية يفيد انه تحق له
العبادة؛ وذلك لا يكون إلا للقادر للنفس^(٣) وهي تدل على العدل؛ لأن وصفه
بالرحمة التي وسعت كل شيء، يعم كل محتاج الى الرحمة، من مؤمن وكافر،
وطفل وبالغ، من كل حي.

وذلك يبطل قول المجبرة الذين قالوا: ليس لله على الكافر نعمة، ولأنها
صفة مدح تنافي وصفه بأنه يخلق الكافر في الكافر ثم يعذبه عليه لأن هذا
صفة ذم.

في قوله
ج ١ ص ٢١

* * *

(١) المجازي في القرآن لابي عبيدة: ج ١ ص ٢١.

(٢) الأسماء والصفات لليحيى: ص ٥١، ط دار إحياء التراث - بيروت.

[قوله تعالى]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

الإعراب:

أُجْمع القراء على ضمّ الدال من الحمد وكسر اللام الأولى من لله^(١). وكان يجوز أن يفتح الدال مع كسر اللام ويكسر الدال واللام لكن لم يقرأ به إلا أهل البوادي، ومن نصب فعلى المصدر، ومن كسرهما اتبع كسرة الدال كسرة اللام ومن ضمهما اتبع ضم الدال بضمة اللام، ونصب الدال لغة في قريش^(٢) والحارث بن أسامة بن لؤي، وكسرهما لغة في تميم^(٣)، وغطفان^(٤)، وضمهما لغة في ربيعة^(٥) توهموا إنه حرف واحد مثل الحلم^(٦).

(١) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه: ١٩. وكذلك اشار ابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ٢٢ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ج ١ ص ١٣٤ الى هذا الاجماع.

(٢) وهي قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم، ف قيل لهم قريش على ماذهب اليه جمهور النساين، وهناك قول آخر. وتنقسم قريش الى قسمين البطاح والظواهر. فالاول من ولد قصي بن كلاب، والثاني من سواهم. وقد تولد من قريش الى زمن الاسلام عدة قبائل وتفرق منهم بطون.

(٣) وهم بطن من طابخة، وطابخة من العدنانية، وهم بنو تميم ابن مر بن أذ بن طابخة، ومنازلهم بأرض نجد على البصرة واليمامة.

(٤) بطن من قيس بن عيلان من العدنانية، ومنازلهم بمالي وادي القرى.

(٥) نهاية الإرب: ص ٣٥٥

(٥) حي من مضر من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن نزار من مضر وتعرف ربيعة الحمراء وديارهم ما بين اليمامة والبحرين والعراق.

(٦) نهاية الإرب: ص ٢٤٤

(٦) اشار الى هذه اللغات ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١.

وقوله: (الله) مخفوض بالاضافة. ورب العالمين مخفوض لأنه نعت، ويجوز نصبه على الحال والنداء وما قرئ به، والعالمين مخفوض بالاضافة ونونها مفتوحة لانها نون الجمع فرقاً بينها وبين نون التثنية.
وبعض قيس يحذف الالف التي قبل الهاء ويخلص الهاء ويشدها ويقصرها، انشد بعضهم:

ألا لا بارك الله في سهيل اذا ما بارك الله في الرجال^(١)
اختلس الاولى واشبع الثانية. ولا يقرأ بهذا.

المعنى:

ومعنى «الحمد لله» الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد، بما أنعم على عباده من ضروب النعم الدينية والدنيوية وقال بعضهم: الحمد لله ثناء عليه باسمائه وصفاته وقوله الشكر لله ثناء على نعمه وإياديه.

والأول أصح في اللغة، لأن الحمد والشكر يوضع كل واحد منهما موضع صاحبه. ويقال أيضاً: الحمد لله شكراً فنصب شكراً على المصدر، ولو لم يكن في معناه لما نصبه، ودخول الألف واللام فيه لفائدة الاستيعاب، فكانه قال جميع الحمد لله، لأن التالي مخبر بذلك، ولو نصبه فقال حمداً لله، أفاد أن القائل هو الحامد فحسب وليس ذلك المراد، ولذلك اجمعت القراء على ضم الدال على ما بيناه، والتقدير: قولوا الحمد لله.

واذا كان الحمد هو الشكر، والشكر هو الاعتراف بالنعمة على ضرب من التعظيم، فالمدح ليس من الشكر في شيء وإنما هو القول المنبئ عن عظم حال المدوح مع القصد اليه.

وأما «الرب» فله معان في اللغة: فيسمى السيد المطاع رباً^(١)، قال

ليبد بن ربيعة:

فاهلكن يوماً ربّ كندة وابنة وربّ معد بين خبت وعرعر^(٢)

يعني سيد كندة^(٣). ومنه قوله تعالى: «أما أحدكما فيسقي ربه خمرأ»^(٤)

يعني سيده.

ويسمى الرجل المصلح رباً، قال الفرزدق بن غالب^(٥).

كانوا كسائلة حقاء اذ حقنت سلاءها في اديم غير مربوب^(٦)

يعني غير مصلح ومنه قيل: فلان ربّ ضيعة اذا كان يحاول اتمامها.

والربانيون من هذا من حيث كانوا مدبرين لهم.

واشتق ربّ من التربية يقال ربيته وربيته بمعنى واحد، والربّي: الشاة

(١) الاسماء والصفات للبيهي: ص ٧٤. ط دار احياء التراث.

(٢) انظر ديوانه: القصيدة: ١٥ ص ٣٢. وسيد كندة هو حجر أبو امرئ القيس. ورب معد: حذيفة

بن بدر، كما يقول شارح ديوانه. خبت وعرعر: موضعان.

(٣) قبيلة من كهلان، وكندة ابوهم واسمه ثور، وانما سمي كندة لانه كند أباه أي كفر نعمه،

وكان لهم ملك بالحجاز واليمن، ومنهم امرئ القيس.

(نهاية الإرب: ص ٣٧٤)

(٤) يوسف: ٤١.

(٥) وهو هتام بن غالب التميمي أبو فراس من أهل البصرة الشاعر المشهور صاحب جرير صاحب القصيدة

الميمية المعروفة التي قالها في مدح السجاد عليه السلام، ويقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة

العرب، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ٣، ص ٢٧)

(٦) ديوانه: ص ٢٥. سلاً السمن يسلؤه: طبخه فأذاب زبده. والسلاء، بكسر السين: السمن.

انظر تاج العروس: ج ١ ص ٢٦٩ والصاحح للجوهري ج ١ ص ٥٥.

ولدت حديثاً لأنها تربى.

وقوله: «رب العالمين» أي المالك لتدبيرهم. والمالك للشيء يسمى ربه ولا يطلق هذا الاسم إلا على الله تعالى، وأما في غيره فبقيد، فيقال: رب الدار ورب الضيعة.

وقيل: انه مشتق من التربية، ومنه قوله تعالى: «وربائبكم اللاتي في حجوركم»^(١)

ومتى قيل في الله انه رب، بمعنى أنه سيد فهو من صفات ذاته، واذا قيل بمعنى أنه مدبر مصلح فهو من صفات الأفعال. و«العالمين» جمع عالم وعالم لا واحد له من لفظه، كالرهب والجيش وغير ذلك.

والعالم في عرف اللغة عبارة عن الجماعة من العقلاء، لأنهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر. وفي عرف الناس: عبارة عن جميع المخلوقات. وقيل: انه أيضاً اسم لكل صنف من الأصناف، وأهل كل زمن من كل صنف يسمى عالماً ولذلك جمع. وقيل عالمون لعالم كل زمان. قال العجاج^(٢).
«فخندف هامة هذا العالم»^(٣)

(١) النساء: ٢٣.

(٢) وهو عبدالله بن ربيعة السعدي التيمي، راجز مجيد، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، أسلم وعاش الى ايام الوليد بن عبدالملك توفي سنة ٩٠هـ.

(الأعلام: ج ٤ ص ٨٦ - ٨٧)

(٣) ديوانه: ص ٦٠، وطبقات فحول الشعراء: ٦٤، وخندف: أم بني الياس بن مضر.

وهذا قول أكثر المفسرين كابن عباس^(١) وسعيد بن جبير^(٢) وقتادة^(٣) وغيرهم.

واشتقاقه من العلامة، لأنه علامة ودلالة على الصانع تعالى، وقيل: انه مشتق من العلم- على ما روى ابن عباس-^(٤) قال: هم صنف من الملائكة والانس والجن لأنه يصح ان يكون كل صنف منهم عالماً.

فان قيل: كيف يجوز أن يقول: الحمد لله والقائل هو الله تعالى وإنما كان يجب ان يقول الحمد لنا؟.

فيل: العالي الرتبة اذا خاطب من دونه لا يقول كما يقول للنظير، ألا ترى ان السيد يقول لعبده الواجب ان تطيع سيدك ولا تعصيه، وكذلك يقول الأب لابنه يلزمك أن تبرأ بك والمئة لأبيك. والخلفاء يكتبون عن انفسهم إن امير المؤمنين رأى كيت وكيت، ليقع ذلك موقع إجلال وإكرام وإعظام.

على أنا قد بينا ان المراد بذلك: قولوا الحمد لله، وحذف لدلالة الكلام عليه.

[قوله تعالى]

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ آية

مخفوضان لانهما نعت لله وقد مضى معناهما.
قوله تعالى:

(١) و(٢) نقل الطبري قولها في التفسير: ج ١ ص ٤٨.

(٣) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٠٨.

(٤) تهذيب اللغة: مادة «علم» ج ٢ ص ٤١٦.

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ آية

القراءة:

قرأ عاصم^(١) والكسائي^(٢) وخلف^(٣) ويعقوب: مالك بالألف. الباقون ملك بغير الف^(٤)؛ ولم يمل أحد الف مالك، وكسر جميعهم الكاف. وروي عن الأعمش^(٥)، انه فتحها على النداء، وربيعه بن نزار يخففون مالك ويسقطون الألف، فيقولون: ملك بتسكين اللام وفتح الميم، كما قال أبو النجم^(٦):

* تمشي الملك عليه حلله *

(١) عاصم بن بهدلة الكوفي الاسدي المقرئ توفي سنة ٢٨ هـ.

(تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٨٣)

(٢) وهو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءة، قال العلامة بجر العلوم: انه أخذ القراءة عن حمزة الزيات وجاء اليه وهو ملتف بكساء، فقال حمزة: من يقرأ؟ فقبل الكسائي فبقي علماً له وقيل غير ذلك، ولد سنة ١١٢ هـ وتوفي بالري سنة ١٨٩ هـ. (وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٤٥٧، والكنى والألقاب: ج ٣ ص ١١٢)

(٣) انظر السبع في القراءات لابن مجاهد: ص ١٠٤.

(٤) نقل ذلك الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «ملك» ج ١٠ ص ٢٦٨.

(٥) وهو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكوفي، ثقة معروف بالفضل والجلالة والشيع والاستقامة والعامية يشنون عليه أيضاً ومطبقون على فضله، ولد سنة ٦٠ هـ وتوفي سنة ١٤٨ هـ.

(وفيات الأعيان: ج ٢ ص ١٣٦، والكنى والألقاب: ج ٢ ص ٣٩)

(٦) وهو أبو النجم الراجز الفضل بن قدامة من عجل كان ينزل بسور الكوفة وهو من أبرز الرجاز في الطبقة الأولى. توفي سنة ١١٤ هـ، وقيل سنة ١٢٠ هـ.

(الشعر والشعراء: ص ٣٨١).

والألف ساقط في الحظ في القراءتين، والمعول على الأولتين دون
النصب وإسكان اللام، ومعنى ملك يوم الدين باسقاط الألف أنه الملك
يومئذ لا ملك غيره، وأنه لا يؤتى في ذلك الوقت أحداً الملك كما اتاه في
الدنيا، وقوى ذلك بقوله تعالى: «لن الملك اليوم لله الواحد القهار»^(١)،
وبأنه يطابق ما تقدم من قوله: «رب العالمين. الرحمن الرحيم».
ومن قرأ مالِك بألف معناه انه مالِك يوم الدين، والحساب لا يملكه
غيره ولا يليه سواه.

اللغة:

والمالك هو القادر على التصرف في ماله، وأن يتصرف فيه على وجه
ليس لأحدٍ منعه منه، ويوصف العاجز بأنه مالِك من جهة الحكم.
والملك هو القادر الواسع القدرة الذي له السياسة والتدبير.
ويقال: ملك بينَ الملك مضمومة الميم، ومالك بينَ الملك والملك بفتح
الميم وكسرهما، وضَمَّ الميم فيه لغة شاذة ذكرها ابو علي الفارسي^(٢).
ويقال: طالت مملكة الأمير ومملكته بكسر اللام وفتحها وطال مُلكه
وملكه اذا طال رقه، وأعطاني من ملكه ومملكه، ولي في هذا الوادي ملك

(١) غافر: ١٦.

(٢) وهو الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفسوي النحوي، فارس ميدان العلم والادب وامام وقته في
علم النحو، اقام بجلب، وصنف كتاباً لم يسبق الى مثلها، ولد بمدينة «فسا» سنة ٢٨٨، وتوفي
ببغداد سنة ٣٧٧.

(الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٤)

وتحققنا قوله في كتابه الحجة للقراء السبعة: ج ١، ص ١٦.

وملك وملك .

ويقال: نحن عبيد مملكة وليس بعبيد قن، أي سبياً لم يملك في الأصل،
ويقال: شهدنا أملاك فلان وملكه، ولا يقال ملاكه، فأصل الملك الشد
من قول الشاعر:

• ملكت بها كفي وانهرت فتقها^(١) •

أي شددت . وملكك العجين . أي شددت عجنه .

ويقال: هذا ملك فلان اذا كان له التصرف فيه على ما بيناه .

فأما من رجح قراءة ملك من حيث أنه وُصف نفسه بأنه ملك كل شيء بقوله: «رب العالمين» فلا فائدة في تكرير ما قد مضى فقد أبعد لأن في القرآن له نظائر تقدّمها العام وذكر بعد العام الخاص، «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق»^(٢) فعمّ في الأول، ثم خصّ ذكر الانسان تنبيهاً على تأمل ما فيه من إتقان الصنعة ووجوه الحكمة، كما قال: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون»^(٣) ولذلك نظائر كثيرة.

وفي الناس من قال: إنّ ملك أبلغ في المدح من مالك، لأنّ كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً. وقال تغلب: إنّ مالك أبلغ من ملك لأنه قد يكون الملك على من لا يملك، كما يقال: ملك العرب وملك الروم وإن كان لا يملكهم

(١) البيت لقيس بن الخطيم الاوسي من قصيدة اولها:

وبانت فأمسى ما ينال لقاءها

تذكر ليلي حسنهما وصفاءها

والمعنى: انه شد كفه بهذه الطعنة فأهراي: وسع فتقها.

انظر ديوانه: ص ٨، والخرّانة: ج ٣ ص ١٦٨، والمختص لابن سيدة: السفر ١٧ ص ١٥٧.

(٢) العلق: ٢ - ١.

(٣) الذاريات: ٢١.

ولا يكون مالكا إلا على ما يملك .

وقال بعضهم: ان مالك أبلغ في المدح للخالق من ملك . وملك ابلغ في مدح المخلوقين من مالك ، لأن مالك من المخلوقين قد يكون غير ملك . وإذا كان الله تعالى مالكا كان ملكاً^(١) . والاقوى أن يكون ملك أبلغ في المدح فيه تعالى؛ لانه ينفرد بالملك ويملك جميع الاشياء فكان أبلغ .

[وقوله تعالى]

يوم الدين

الاعراب:

مجرور بالاضافة في القراءتين معاً، وهو من باب ياسارق الليلة أهل الدار، اتسع في الظرف فنصب . نصب المفعول به ثم أضيف على هذا الحد . وليس ذلك مثل قوله: «وعنده علم الساعة»^(٢) مفعول بها على الحقيقة، ولأن جعل الظرف مفعولاً على السعة، لأنّ الظرف اذا جعل مفعولاً على السعة فعناه معنى الظرف، ولو جعل ظرفاً لكان المعنى: يعلم في الساعة . وذلك لا يجوز لأنّه تعالى يعلم في كل وقت، والمعنى: انه يعلم الساعة أي يعرفها . ومن نصب انما هرب ان يخرج من خطاب الغائب الى المواجه في قوله: «اياك نعبد واياك نستعين» . وليس ذلك ببديع، لأنه مستعمل في القرآن وفي الشعر، قال الله تعالى: «حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم»^(٣) فعدل عن خطاب المواجه الى الكناية عن الغائب، وقال الشاعر:

(١) انظر حجة القراءات لابي زهرة: ص ٧٧ - ٧٩ . (٢) الزخرف: ٨٥ .

(٣) يونس: ٢٢ .

- كذبتُم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب^(١)
 وقال ابو كثير الهذلي:
 يا لهف نفسي، كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر^(٢)
 وقال ليبد بن ربيعة:
 باتت تشكيّ الي النفس مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا^(٣).
 فرجع الى مخاطبة نفسه، وقد تقدم الاخبار عنها.
 وقال الكسائي التقدير: قولوا اياك نعبد^(٤). فيكون على حكاية ما امروا
 به.

اللغة:

- والدين الحساب، والدين الجزاء أيضاً. قال كعب بن جعيل^(٥):
 اذا ما رمونا رميناهاهم ودناهم فوق ما يقرضونا^(٦)

(١) نسبه أبي عبيدة في مجاز القرآن: ص ١٠٠ إلى رجل من بني أسد، وهو شاهد مشهور استشهد به
 سيويه في الكتاب: ج ١ ص ٢٥٩ وج ٢ ص ٧. «وبني شاب قرناها»، يعني قوماً، يقول: بني
 التي يقال لها: شاب قرناها، وهي العجوز الراعية، التي تشد الصرار على الضرع حتى تجتمع
 الدرة ثم تحلب. وذلك ذم لها. والقرن: الضفيرة.

(٢) راجع ديوان الهذليين: ج ٢ ص ١٠١.

(٣) ديوانه: ص ٢٢٥.

(٤) لا يوجد لدينا كتابه.

(٥) كعب بن جعيل بن قير الشعلي، شاعر مخضرم من شعراء معاوية بن أبي سفيان توفي سنة
 (الاعلام: ج ٥ ص ٢٢٥ - ٢٢٦) هـ.

(٦) الكامل للمبرد: ج ١ ص ١٩١، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم: ج ١ ص ٥٢. والمختص: السفر ١٧
 ص ١٥٥.

وقال آخر:

واعلم وايقن ان ملكك زائل
واعلم بانك ما تدين تدان^(١)
يعني: ماتجزى تجزى. ومنه قوله تعالى: «كلا بل تكذبون بالدين»^(٢)
يعني بالجزاء، وقوله: «فلولا إن كنتم غير مدينين»^(٣) أي غير مجزين، وهذا
قال جماعة من التابعين كسعيد بن جبيرة^(٤) وقتادة^(٥). وروي عن ابن
عباس^(٦) ومجاهد^(٧) وإبي جعفر^(٨): انه الحساب.
والدين أيضاً الطاعة، وقال عمرو بن كلثوم:
وايام لنا غرطوال
عصينا الملك فيها ان نديننا^(٩).
والدين الملك قال زهير^(١٠):

(١) الكامل: ج ١ ص ١٩٢ منسوباً الى يزيد بن الصق الكلابي، وكذلك في المخصص: السفر ١٧ ص ١٥٥، وفي اللسان مادة «زنأ» و«دان» منسوباً الى خويلد بن نوفل الكلابي، وفي الخزانة: ج ٤ ص ٢٣٠ الى بعض الكلابيين.

(٢) الانفطار: ٩. (٣) الواقعة: ٨٦.

(٤) أخرجه الدر المنثور عن عبد بن حميد عن سعيد وقتادة في ج ٦ ص ١٦٦.

(٥) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ج ١ ص ١١٥.

(٦) تفسير ابن عباس: ص ٤٥٥ و ص ٥٠٤.

(٧) تفسير مجاهد: ج ٢ ص ٦٥٣، و ص ٧٣٦، في تفسير آية ٨٦ من سورة الواقعة وآية ٩ من الانفطار.

(٨) تفسير الطبري: ج ٢٧ ص ١٢١، وجاء أيضاً في تفسير سورة الحمد.

(٩) راجع شرح المعلقات للزوزني: ص ١٧٢.

(١٠) وهو زهير بن أبي سلمى، حكيم الشعراء في الجاهلية، وقد فضله بعض ائمة الادب على شعراء الأدب كافة، ومن أشهر شعره معلقته، توفي سنة ١٣ قبل الهجرة ولم يدرك الاسلام.

(الأغاني: ج ١٠ ص ٢٨٨، طبقات الشعراء: ص ١٥، الشعر والشعراء: ص ٥٧)

لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك (١).
والدين القهر والاستعلاء، قال الأعشى
هودان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصقال (٢)
يعني ذلهم للطاعة.
والدين العادة، قال المثقب العبدى (٣):
تقول وقد درأت لها وضيئي أهذا دينه ابدأ وديني (٤)

التفسير:

ويوم الدين: عبارة عن زمان الجزاء كله، وليس المراد به ما بين المشرق والمغرب طلوع الشمس الى غروبها.

[قوله تعالى]

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٣﴾ آية

الاعراب:

إياك : نصب بوقوع الفعل عليه، وموضع الكاف في إياك خفض

(١) ديوان زهير: ص ٨٣، وتأويل مشكل القرآن: ص ٤٥٣.

(٢) ديوانه: ص ١٦٨ ط. داربيروت.

(٣) وهو عصم بن ثعلبة العبدى من نكزة، من شعراء الجاهلية، وإنما سمي المثقب لقوله:

رَدَدْنِ نَحْبَهُ وَكُنَّ الْحُرَى وَنَقَبْنِ الْوَصَاوِصَ لِلْعِيُونِ

وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة له ويقول: لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس

ان يتعلموه، توفي سنة ٥٨٧ م. (الشعر والشعراء: ص ٢٢٣)

(٤) تأويل مشكل القرآن: ص ١٠٧.

بإضافة إِيَّا إليها، وإِيا اسم للضمير المنصوب، إِلَّا أَنَّهُ ظاهر يضاف الى سائر المضمرات. نحو قوله: إِيَّاكَ ضربت وإِيَّاهُ ضربت، وإِياي ضربت ولو قلت: إِيَّا زيد حدثت؛ كان قبيحاً، لَأَنَّهُ خَصَّ به المضمر، وقدرى الخليل جوازه^(١)، وهو قولهم: إِذَا بلغ الرجل الستين فإِيَّاه وإِيَّا الشواب^(٢).

وقال الأخفش^(٣): لاموضع للكاف من الإعراب، لأنها حرف الخطاب^(٤). وهو قول ابن السراج^(٥) واختاره الرماني^(٦)، لَأَنَّ المضمر معرفة تمتع من الإضافة كما تمتع من الصفة وحملوا مارواه الخليل على الشذوذ. ولو قلت نعبد إِيَّاكَ لم يجز، لَأَنَّكَ تقدر على ضمير متصل بان تقول نعبدكَ فلا يجوز ان تأتي بضمير منفصل، ولَأَنَّهُ لو أخر لكان قد قَدَّم ذكر العابد على المعبود، وليس بجيد ومن قال إن إِيَّاكَ بكامله اسم فقد أخطأ، لَأَنَّهُ لو كان كذلك لما اضيف، كما حكيناه في قولهم إِيَّاه وإِيَّا الشواب، لَأَنَّهُمْ أَجْرُوا الماء فيه مجرى الماء في عصاه.

(١) العين: مادة «أَي» ج ٨ ص ٤٤١.

(٢) العين: مادة «شوب» ج ٦ ص ٢٩١.

(٣) وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط، أخذ النحو عن سيبويه، وله كتب في النحو، توفي سنة ٢١٥ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ٢ ص ١٦)

(٤) معاني القرآن للأخفش: ج ٢ ص ٤٨٩.

(٥) وهو أبو بكر محمد بن السري النحوي، أخذ عن أبي العباس المبرد. توفي سنة ٣١٦ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ١ ص ٢٩٥، واللباب: ج ٢ ص ١١١)

(٦) وهو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الواسطي المعتزلي النحوي المشهور بابي الحسن الوراق، أخذ عن أبي دريد وابن السراج. توفي سنة ٣٨٤ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٢٨٠، والفهرست لابن النديم: ص ٦٩)

والنون مفتوحة من «نعبد». وقد روي عن يحيى بن وثاب^(١) أنه كان يكسرهما، وهي لغة هذيل^(٢)، يقولون نعلم وتعلم وإعلم وتخاف وتقام وتنام فيكسرون أوائل هذه الحروف كلها ولا يكسرون الياء، ولا في يستعمل ويفتعل ولا يقولون يبيض ويطمس - بكسر الياء - بل يفتحونها والبدال والنون مرفوعان، لأن في أوله إحدى الزوائد الأربع فأعربا.

المعنى واللغة :

والعبادة: ضرب من الشكر مع ضرب من الخضوع، ولا تستحق إلا بأصول النعم التي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة وما يقدر من النعم لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله بأن يعبد، وإن استحق بعضنا على بعض الشكر.

والعبادة في اللغة: هي الذلة، يقال هذا طريق معبد إذا كان مذلاً بكثرة الوطء وبغير معبد أي مذل بالركوب، وقيل أصله إذا طلي بالقطران، وسمي العبد عبداً لذلته لمولاه.

ومن العرب من يقول: هياك، فيبدل الألف هاء كما يقولون: هيه وأيه.

«نستعين»: أي نطلب منك المعونة على طاعتك وعبادتك. وأصله نستعون لأنه من المعونة فقلبت الواو ياء لثقل الكسرة عليها، ونقلت كسرتها

(١) يحيى بن وثاب، كوفي له قراءة. عده في الوجيزة ممدوحاً وذكره العامة في كتبهم وأثنوا عليه مع إعتراهم بتشيعه. (تنقيح المقال: ج ٣ ص ٣٢٢)

(٢) هذيل: بطن من خندف من مضر، بنو هذيل بن مدركة. (نهاية الأرب: ص ٣٩٥)

الى العين قبلها، وبقيت الباء ساكنة.

والتقدير في أول السورة الى هاهنا، أي قل يا محمد هذا الحمد.

وهذا كما قال: «ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم، ربنا

أبصرنا»^(١) أي: يقولون ربنا. وكما قال: «والملائكة يدخلون عليهم من كل

باب، سلام عليكم»^(٢) أي: يقولون سلام عليكم.

وحمة والكسائي اذا وقفنا أشنما الدال الرفع، وكذلك في سائر القرآن،

فاما اذا وقفنا على النصب، تخير الكسائي الإشمام، وتركه أجود.

ومن استدلك بهذه الآية على أن القدرة مع الفعل من حيث إن القدرة لو

كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه اذا كان الله قد فعلها فيه؛ فقد

أخطأ لأن الرغبة في ذلك تحتل أمرين:

أحدهما: أن يسأل الله تعالى من الطافه، وما يقوي دواعيه، ويسهل

الفعل عليه ما ليس بحاصل، ومتى لطف له بأن يعلمه أن له في عاقبة الثواب

العظيم والمنازل الجليلة، زاد ذلك في نشاطه ورغبته.

والثاني: أن يطلب بقاء كونه قادراً على طاعاته المستقبلية، بأن يجدد له

القدرة حالاً بعد حال -عند من لا يقول ببقائها- أو لا يفعل ما يضاعفها

وينفها -عند من قال ببقائها-.

فان قيل: هلا قدم طلب المعونة على فعل العبادة، لأن العبادة لا تتم إلا

بتقدم المعونة أولاً؟

قيل: في الناس من قال المراد به التقديم والتأخير، فكأنه قال: إياك

(١) السجدة: ١٢.

(٢) الرعد: ٢٣ - ٢٤.

نستعين وإياك نعبد.

وممنهم من قال: ليس يتغير بذلك المعنى، كما إن القائل إذا قال: أحسنت إليّ فقضيت حاجتي، أو قضيت حاجتي فأحسنت إليّ، فإنّ في الحالين المعنى واحد^(١).

قال قوم: انهم سألو المعونة على عبادة مستأنفة لاعلى عبادة واقعة منهم^(٢)، وانما حسن طلب المعونة، وان كان لابد منها مع التكليف، على وجه الانقطاع إليه، كما قال: «رب احكم بالحق»^(٣). ولأنّه قد لا يكون في إدامته التكليف اللطف، ولا في فعل المعونة به إلّا بعد تقدّم الدعاء من العبد.

وانما كرّر «إياك» لأنّ الكاف التي فيها هي كاف الضمير التي كانت تكون بعد الفعل في قوله نعبدك، فلما قدّمت، زيد عليها إيا، لأنّ الاسم اذا انفرد لا يمكن أن يكون على حرف واحد فقل: إياك، ولما كانت الكاف يلزم تكرارها لو كرر الفعل وجب مثل ذلك في إياك. ألا ترى انه لو قال: نعبدك ونستعينك ونستهديك لم يكن بدّ من تكرير الكاف، وكذلك لو قدّم فقل: إياك نعبد وإياك نستعين. وفيه تعليم لنا ان نجدّد ذكره عند كلّ حاجة.

ومن قال: إنه يجري مجرى قول عدي بن زيد العبادي^(٤):

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٥٤.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٥٤.

(٣) الأنبياء: ١١٢.

(٤) وهو أبو عمير، عدي بن زيد، شاعر جاهلي، يدين بالنصرانية، عمل في ديوان كسرى ترجماناً،

وجاعل الشمس مصراً لاخفاء به
وكقول أعشى همدان:

بين الأشج وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده وللمولود^(٢)
فكرّر لفظ (بين) فقد اخطأ، لأنّ في البيتين، لولم تكرر (بين) لكان
الفعل مستحيلاً الا ترى انه لو قال: الشمس قد فصلت بين النهار لم يكن
كلاماً صحيحاً، وكذلك البيت الآخر، وليس كذلك الآية، لأنّه لو قال
إياك نعبد وسكت، لكان مستقلاً بنفسه. ولهذا طعن به بعض
المفسرين^(٣).

وعندي إنّ هذا ليس بطعن، لأنّه مغالطة لأنّه لو قال: بين النهار و
الليل لكان كلاماً صحيحاً وانما كرر بين، وكذلك لو قال: إياك نعبد و
نستعين كان كلاماً صحيحاً، وانما كرّر إياك تأكيداً والعلة ما ذكرناه أولاً.
[قوله تعالى]

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ آية

زوجه النعمان بن المنذر ابنته «هند»، ثم قتل سنة ٥٨٧ م.

(الشعر والشعراء: ص ١١١)

(١) المخصص: السفر ١٣ ص ١٦٤ ورد البيت منسوباً الى امية بن أبي الصلت. والمصر: الحاجز
بين الشيتين.

(٢) ديوان الأعشين: ص ٣٢٣، ونقله ابوالفرج الاصفهاني في الأغاني: ج ٦ ص ٤٦ ومروج
الذهب: ج ٣ ص ١٥٥، والعين: ج ٤ ص ١٤٦.

(٣) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٥٥.

القراءة:

قرأ ابن كثير في رواية ابن مجاهد عن قنبل^(١)، والكسائي من طريق ابن حمدون^(٢) ويعقوب من طريق رويس^(٣) بالسین. وكذلك في سراط، في جميع القرآن. الباقر بالصاد.

واشم الصاد زائياً حمزة في الموضوعين^(٤)، خاصة في رواية علي بن سالم. وفي رواية الدوري وخلاد إشمائها الزاي ما كان فيه ألف ولام^(٥).
واما الصاد اذا سكنت وكان بعدها دال نحو: يصدر، وفاصدع، ويصدفون، فاشم الصاد الزاي حيث وقع حمزة والكسائي وخلف ورويس^(٦).

الاعراب:

«إهدنا»: مبني على الوقف لأنه أمر، والهمزة مكسورة لأن ثالث المضارع منه مكسور في نحو يهدي. وموضع النون والألف من إهدنا نصب، لأنه مفعول به.
«والصراط» منصوب لأنه مفعول ثان. فن قرأ بالسین فلأنه الأصل،

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٠٥.

(٢) المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني: ص ٨٧.

(٣) المبسوط في القراءات العشر: ص ٨٦.

(٤) المبسوط في القراءات العشر: ص ٨٦.

(٥) المبسوط في القراءات العشر: ص ٨٧.

(٦) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٠٦ - ١٠٧، والمبسوط في القراءات العشر:

من غير سبب يمنع منه، ومن قرأ باشمام الزاي، فللمؤاخاة بين السين و الطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاء من غير إبطال للأصل، ومن قرأ بالصاد فللمؤاخات بين الصاد والطاء بالاستعلاء والاطباق بحرف من مخرج السين التي هي الأصل. والقراءة بالصاد احسن لأن فيها جمعاً بين المتشاكين في المسموع.

اللغة والتفسير:

ومعنى «أهدنا» يحتمل أمرين:

أحدهما: أرشدنا، كما قال طرفة^(١):

للفتي عقل يعيش به حيث يهدي ساقه قدمه^(٢)

والثاني: وقفنا، كما قال الشاعر:

فلا تعجلنّ هذاك المليك فان لكلّ مقام مقالاً^(٣)

أي وقفك، والآية تدل على بطلان قول من يقول: لا يجوز الدعاء بأن يفعل الله ما يعلم أنه يفعله لأنه عبث، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عالماً بأن الله يهديه الصراط المستقيم، وأنه قد فعل ذلك، ومع ذلك كان يدعوه به.

وقد تكون الهداية بمعنى أن يفعل بهم اللطف الذي يندعوهم الى فعل

(١) وهو ابو عمرو وطرفة بن العبد من بكرين وائل، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات. قتله عامل عمرو بن هند وكان عمره بين ٢٠ - ٢٦ سنة.

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني: ص ٥٧

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ص ٢٣٧.

(٣) البيت منسوب الى طرفة بن العبد، نسبة المفضل بن سلمة في الفاخر: ص ٢٥٣ ولم نجد البيت في ديوانه.

الطاعة.

والهدى يكون أيضاً بمعنى العلم لصاحبه لأنه مهتدٍ على وجه المدح.
والهدى يكون ان يهده الى طريق الجنة ، كما قال الله تعالى: «وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا»^(١)

وأصل الهدايه في اللغة: الدلالة على طريق الرشد.

فان قيل: مامعنى المسألة في ذلك وقد هداهم الله الصراط المستقيم،
ومعلوم أن الله تعالى يفعل بهم ما هو أصلح لهم في دينهم؟.

قيل: يجوز أن يكون ذلك عبادة وانقطاعاً إليه تعالى كما قال: «رب
احكم بالحق»^(٢)، وإن علمنا أنه لا يحكم إلّا بالحق، ويكون لنا في ذلك
مصلحة كسائر العبادات، وكما تعبدنا بأن نكرّر تسميحه وتحميده والاقرار له
بتوحيده ولرسوله بالصدق. وإن كنا معتقدين لجميع ذلك.

وجوز أن يكون المراد بذلك الزيادة في الألطاف كما قال تعالى:
«والذين اهتدوا زادهم هدى»^(٣) وقال: «يهدي به الله من اتبع
رضوانه»^(٤) ويجوز أن يكون الله تعالى يعلم أن أشياء كثيرة تكون أصلح لنا،
وأفنع لنا إذا سألناه، وإذا لم نسأله لا يكون ذلك مصلحة، وكان ذلك وجهاً
في حسن المصلحة.

وجوز أن يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب، لأن إدامته
ليست بواجبة بل هو تفضل محض، جاز أن يرغب فيه بالدعاء.

(١) الاعراف: ٤٣.

(٢) الانبياء: ١١٢.

(٣) محمد: ١٧.

(٤) المائدة: ١٦.

ويلزم المخالف أن يقال له: إذا كان الله تعالى قد علم أنه يفعل ذلك لاحالة فما معنى سؤاله ما علم أنه يفعله، فما أجابوا به فهو جوابنا.
و«الصراط المستقيم»: هو الدين الحق الذي أمر الله به من توحيده، وعدله، وولاية من أوجب طاعته. قال جرير^(١):

أمير المؤمنين على صراط
أي على طريق واضح، وقال الشاعر:

* فصّد عن نهج السراط القاصد *^(٢)

وقيل: إنه مشتق من «مسترط» الطعام، وهو ممرّه في الحلق^(٣).
والصاد لغة قريش^(٤)؛ وهي اللغة الجيدة، وعامة العرب يجعلونها سينا.
والزاي لغة لعذره^(٥). وكعب^(٦) وبني القين^(٧) يقولون: أزدق، فيجعلونها زايأ

(١) وهو أبو حرزة، جرير بن عطية الحنظلي التيمي، من ابرز شعراء عصره، اشتهر بالهجاء وخاصم ثمانين شاعراً. توفي باليمامة سنة ١١٠ هـ.

(الشعر والشعراء: ص ٢٨٣)

(٢) ديوان جرير: ص ٤١١، يمدح فيه هشام بن عبد الملك.

(٣) لم نجد البيت في المراجع المتوفرة، ونقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٥٧، والقرطبي في التفسير: ج ١ ص ١٢٨.

(٤) راجع مقابيس اللغة: مادة «سراط»، ج ٢ ص ١٥٣.

(٥) قال الفراء: وهي بالصاد لغة قريش وعامة العرب تجعلها سينا، انظر اللسان: ج ٩ ص ١٨٥، والبحر المحيط: ج ١ ص ٢٥، وتفسير ابن كثير: ج ١ ص ٤٩.

(٦) وهم بطن من كلب من قضاة من القحطانية، بنو عذرة بن زيد اللات.

(نهاية الإرب: ص ٣٣٢)

(٧) بطن من خزاعة، بنو كعب بن عمرو بن ربيعة.

(نهاية الإرب: ص ٣٧١)

(٨) وهم بطن من قضاة من القحطانية، والقين اسمه النعمان بن جسر.

(نهاية الإرب: ص ٦٩)

إذا سكنت وأهل الحجاز يؤثنون الصراط كالطريق والسبيل والزقاق والسوق، وبنو تميم يذكرون هذا كله^(١).

وأصل الاستقامة: التقويم والاستواء في جهة الانتصار وهو وضد الاعوجاج، فنه القيام والتقويم والتقويم، ومنه المقاومة، لأنه بمنزلة المائلة بما هو كالاستواء، وتقاوמוا في الأمر إذا تماثلوا، والاستقامة المرور في جهة واحدة.

وقيل في معنى قوله: «الصراط المستقيم» وجوه:

أحدها: انه كتاب الله، وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) وعن علي عليه السلام^(٣) وابن مسعود^(٤).

والثاني: انه الاسلام، حكى ذلك عن جابر^(٥) وابن عباس^(٦).

والثالث: انه دين الله عز وجل الذي لا يقبل من العباد غيره.

والرابع: انه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام القائمون مقامه صلوات الله عليهم، وهو المروي في أخبارنا^(٧).

والأولى حمل الآية على عمومها لأننا إذا حملناها على العموم دخل جميع ذلك فيه فالتخصيص لا معنى له.

(١) معاني القرآن للاخفش: ج ١ ص ١٦٧.

(٢) و (٣) سنن الدارمي: ج ٢ ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٥٧.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٥٧.

(٦) تفسير ابن عباس: ص ٢.

(٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤ ح ٢٥، وتفسير القمي: ج ١ ص ٢٨، ومعاني الأخبار: ص ٣٢،

وشواهد التنزيل: ج ١ ص ٥٧ - ٦٦.

[قوله تعالى]

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

المعنى :

معناه: بيان الصراط المستقيم، إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً. والمعنى صراط من أنعمت عليهم بطاعتك.

القراءة :

وقرأ حمزة بضم الهاء من ذلك، وفي أيديهم، وإليهم، حيث وقع^(١).
وروى الدوري عنه بضم الهاء في قوله: «فعلهم غضب من الله»^{(٢)(٣)}.

وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية وجمع المذكر والمؤنث، نحو: عليها وفيها وعليهم وفيهم وعليهن وفيهن^(٤).
وضم ميم الجمع ووصلها بواو في اللفظ ابن كثير^(٥) وأبو جعفر^{(٦)(٧)}.
وعن نافع فيه خلاف كثير^(٨). وعن غيره لانطوّل بذكره، وهو مذكور في

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٠٨.

(٢) النحل: ١٠٦. (٣) لم نعر عليه.

(٤) المبسوط في القراءات العشر: ص ٨٧.

(٥) المبسوط في القراءات العشر: ص ٨٨.

(٦) وهو يزيد بن القعقاع القارئ المدني، كان إمام أهل المدينة في القراءة. توفي سنة ١٢٧هـ.

(٧) تهذيب التهذيب: ج ١٢ ص ٥٨.

(٨) المبسوط في القراءات العشر: ص ٨٨.

(٩) الحجة للقراء السبعة: ج ١ ص ٥٧.

كتب القراءات.

فمن قرأ بكسر الهاء وإسكان الميم قال: إنه آمن من اللبس إذا كانت الألف في التثنية قد دلت على الاثنين ولا ميم في الواحد، فلما لزم الميم الجمع حذفوا الواو وسكنوا الميم طلباً للتخفيف.

وحجة من قرأ «عليهم» أنهم قالوا: ضم الهاء هو الأصل لأن الهاء إذا انفردت من حرف متصل بها قيل: هم فعلوا ومن ضم الميم إذا لقيها ساكن بعد الهاء المكسورة قال: لَمَّا احتجت إلى الحركة رددت الحرف إلى أصله فضممت وتركت الهاء على كسرتها، لأنه لم تأت ضرورة تحوج إلى ردها إلى الأصل، ومن كسر الميم فالساكن الذي لقيها، والهاء مكسورة ثم اتبع الكسرة الكسرة.

الاعراب:

و«الذين» في موضع جر بالاضافة، ولا يقال في الرفع اللذون، لأن إسم ليس يتمكن. وقد حكى اللذون شاذاً، كما قيل الشياطون، وذلك في حال الرفع ولا يقرأ به.

وقرأ «صراط من أنعمت عليهم» عمر بن الخطاب^(١)، وعبدالله بن الزبير^{(٢)(٣)}، وروي ذلك عن أهل البيت عليهم السلام^(٤). والمشهور

(١) لم نثر عليه في المصادر بعد التفحص الكثير.

(٢) وهو عبدالله بن الزبير بن العوام الاسدي كنيته ابوبكر وابو خبيث، حضر وقعة اليرموك وبويع له بالخلافة عقب موت يزيد. قتله الحجاج سنة ٧٣هـ.

(٣) تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٢١٣

(٤) الدر المنثور: ج ١ ص ١٥.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٩.

الأول.

والنعمة التي أنعم بها على المذكورين وإن لم تذكر في اللفظ فالكلام يدل عليها لأنه لما قال: «إهدنا الصراط المستقيم»، وبيننا المراد بذلك، ثم بين أن هذا صراط من أنعمت عليهم بها، فلم يحتاج إلى إعادة اللفظ، كما قال النابغة الذبياني:

كأنتك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجله بشن^(١)
لما قال جمال بني أقيش قال: يقعقع، ومعناه جل يقعقع خلف رجله، ونظير ذلك كثيراً جداً.

[قوله تعالى]

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

الاعراب:

أجمع المفسرون والقراء على جر «غير» لأنها نعت للذين^(٢).
وانما جاز أن تكون نعتاً للذين. و«الذين» معرفة «وغير» نكرة، لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفة كالأسماء المعينة التي هي أعلام كزيد وعمرو، وانما هي كالنكرات اذا عرفت كالرجل والبعير، فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك أيضاً.

وجاز ان تكون نعتاً للذين، كما يقال لأجلس إلا الى العالم غير

(١) ديوان النابغة الذبياني: ص ١٩٠، وسيبويه: ج ١ ص ٤٤٠، وبجاز القرآن: ص ١٠١. وقعقع:

حرك شيئاً يابساً. والشن: القرية البالية.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص ١١١، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٥٩.

الجاهل، ولو كانت بمنزلة الأعلام لما جاز، كما لم يحز في قولهم: مررتُ بزيد غير الظريف، فلا يجزها على إنها نعت، وإن نصبها في مثل هذا جاز على الحال.

ويحتمل أيضاً أن تكون مجرورة لتكرير العامل الذي خفض الذين، فكأنك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم. ويتقارب معناهما لأن الذين انعمت عليهم هم الذين لم يغضب عليهم.

وقرئ في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب^(١)، ووجهها أن تكون صفة للهاء والميم اللتين في عليهم، العائدة على الذين، لأنها وإن خفضت بـ«على» فهي موضع نصب بوقوع الانعام عليها، ويجوز أن يكون نصباً على الحال.

وقال الاخفش^(٢) والزجاج^(٣): أنها نصب على وجه الاستثناء من معاني صفة الذين أنعمت عليهم^(٤).

وتقديره: إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم إلا المغضوب عليهم الذين لم تنعم عليهم في أديانهم فلا تجعلنا منهم، ويكون استثناء من غير جنس، كما قال النابغة الذبياني:

وقفت فيها أصيلاً لأسائلها أعيت جواباً وما بالربع من أحد

(١) مختصر في شواذ القرآن: ص ١.

(٢) السبعة في القراءات: ص ١١٢.

(٣) وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج، قرأ على المبرد، له كتب كثيرة، كان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه، توفي سنة ٣١٠ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٢٩٣)

(٤) إعراب القرآن: ج ١ ص ١٦٥.

إلا أوارى لأيا ما ابسينها والنؤي كالخوض بالمظلومة الجلد^(١).
وقال الفراء^(٢)، وتغلب: هذا خطأ، لأنه لو كان كذلك لما قال:
ولا الضالين لأن لاني وجحد. ولا يعطف على جحد إلا بجحد، ولا يعطف
بالجحد على الاستثناء، وإنما يعطف بالاستثناء على الاستثناء وبالجحد على
الجحد. يقولون: قام القوم إلّا أخاك وإلّا أباك ولا قام أخوك ولا أبوك،
ولا يقولون: ما قام القوم إلّا أخاك ولا أباك، فعلى هذا تكون «غير» بمعنى:
لا فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين.
قال الرماني: من نصب على الاستثناء جعل لاصلة، كما انشد أبو
عبدة:

❦ في بئرٍ لا حور سرى وما شعر ❦^(٣)
أي في بئر هلكة.

و«المغضوب عليهم» هم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام^(٤)،
لأنه تعالى قد أخبر أنه غضب عليهم وجعل فيهم القردة والخنازير.
«ولا الضالين» هم النصارى لأنه قال: «وضلّوا عن سواء السبيل»^(٥).

(١) ديوانه: ص ١٩، وكتاب سيبويه: ج ١ ص ٤٢٧.

(٢) وهو أبو زكريا يحيى بن زياد، لقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام، اخذ عن الكسائي. توفي
بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ.

(الفهرست لابن النديم: ص ٧٣)

راجع معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٨.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبدة: ص ٢٥، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٨، ديوان أبي عبدة: ص ١٦.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧، وتفسير ابن عباس: ص ٢، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٦١-٦٢.

(٥) المائدة: ٧٧.

وقال «لعن الذين كفروا»^(١) يعني النصارى. وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

وقال بعضهم^(٣) (لا) زائدة تقديره غير المغضوب عليهم والضالين كما قال: «ما منعك ان لا تسجد»^(٤) أي معناه أن تسجد قال أبو النجم:

فما ألوم البيض ألا تسخرأ لما رأين الشَّمَطَ القفندرا^(٥)
يعني أن تسخر.

وتكون غير بمعنى سوى. وقد يتنا ضعف هذا عند الكوفيين لما مضى، ولأنه انما يجوز ذلك اذا تقدّمه نفي، كقول الشاعر:

ما كان يرضي رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر^(٦)
وأما الغضب من الله فهو إرادة العقاب المستحقّ بهم، ولعنهم وبراءته منهم وأصل الغضب الشدة، ومنه الغضبة: الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل المخالفة له، ورجل غضوب: شديد الغضب، والغضوب: الحية الخبيثة لشدها، والغضوب: الناقة العبوس.

وأصل الضلال الهلاك ومنه قوله «إذا ضللنا في الارض»^(٧) أي هلكنا، ومنه قوله تعالى: «وأضلّ أعمالهم»^(٨) أي أهلكها. والضلال في الدين: الذهاب عن الحق، والاضلال: الدعاء الى الضلال والحمل عليه،

(١) المائدة: ٧٨.

(٢) مسند أحمد: ج ٤ ص ٣٧٩ وج ٥ ص ٧٧، وسنن الترمذي: ج ٤ ص ٢٩٥ وج ٥ ص ٢٠٤.

(٣) البيان في غريب القرآن: ج ١ ص ٤١.

(٤) الاعراف: ١٢.

(٥) مجاز القرآن: ص ٢٦.

(٦) البيت لجريز يهجو فيه الأخطل، ديوان جرير: ص ٢٦٣.

(٨) محمّد: ٨.

(٧) السجدة: ١٠.

ومنه قوله تعالى: «وَأَضْلَهُمُ السَّامِرِيُّ»^(١) والاضلال الأخذ بالعاصين الى النار والاضلال الحكم بالفضلال والاضلال التحيير بالفضلال بالتشكيك لتعدل عنه.

واليهود وان كانوا ضلّالاً، والنصارى وان كانوا مغضوباً عليهم، فانما خص الله تعالى كل فريق منهم بسمة يعرف بها ويميّز بينه وبين غيره بها، وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة.

وقيل^(٢): انه أراد (بالمغضوب عليهم ولا الضالين) جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين.

وروى جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي فَلَهُ مِاسَأَلٌ فَاِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ هَدَيْتِي عَبْدِي وَاِذَا قَالَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ قَالَ اِثْنِي عَلَيَّ عَبْدِي، وَاِذَا قَالَ مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ مَجِدْنِي عَبْدِي ثُمَّ قَالَ هَذَا لِي وَلَهُ مَا بَقِيَ^(٣).

ولا يجوز عندنا ان يقول القارئ عند خاتمة الحمد: آمين. فان قال ذلك في الصلاة متعمداً بطلت صلاته، لانه كلام لا يتعلق بالصلاة، ولانه كلام لا يستقل بنفسه، وانما يفيد اذا كان تأمينا على ما تقدم ومتى قصد بما تقدم

(١) طه: ٨٥.

(٢) لم نعرف القائل ولم نثر على قوله في المصادر المتوفرة.

(٣) رواه بهذا الإسناد الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٦، وذكره ابن كثير: ج ١ ص ٢٥ نقلاً عن الطبري، ورواه احمد في مسنده: ج ٢ ص ٢٤١، وشرح صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٠٢، وسنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٢٣، وسنن أبي داود: ج ١ ص ٢١٧ جميعهم عن أبي هريرة.

الدعاء لم يكن تالياً للقرآن، فتبطل صلاته وان قصد التلاوة لا يكون داعياً فلا يصح التأمين وان قصدهما فعند كثير من الأصوليين ان المعنيين المختلفين لا يصح أن يردا بلفظ واحد، ومن أجاز ذلك - وهو الصحيح - منع منه لقيام الدلالة على المنع من ذلك فلاجل ذلك لم يجز.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ

هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
 أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
 مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتُمْ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
 يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
 وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
 لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ
 لَهُمْ ءَامِنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خُلُوا إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا
 مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
 فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
 بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتِ يَحْدَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾
 مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
 ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ
 بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ

ظَلُمْتُ وَرَعْدٌ وَرَقٌّ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِيَّ إِذَا نَزَّاهُمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ
حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ
أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾



مدينة كلها، وهي مائتان وست وثمانون آية في الكوفي وسبع
بصري وخمس مدني.

وروي أن قوله: واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله^(١) - نزلت في حجة
الوداع^(٢).

[قوله تعالى]

الْمَ ١ آية عند الكوفيين.

المعنى:

واختلف العلماء في معنى أوائل أمثال هذه السور مثل (آلم) و(المص)

(١) البقرة: ٢٨١.

(٢) لم نقف على رواية حول نزول الآية الشريفة في حجة الوداع في مراجعتنا الحديثية غير أنه وردت روايات من طريق العامة تشير الى أنها آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وآله، راجع تفسير الطبري: ج ٣ ص ٧٦ وأسباب النزول للواحدي: ص ٩ والاتقان للسيوطي: ج ١ ص ٢٧.

وقد ورد من طرق الخاصة والعامة أيضاً أن آية «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» هي آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وآله، أنظر الكافي: ج ١ ص ٢٨٩، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢١٦ باب ٢٠ ح ١، تفسير علي بن ابراهيم: ج ١ ص ١٦٢ ومن مصادر العامة أنظر أسباب النزول: ص ١٢٦-١٢٧، تفسير الطبري: ٦٩٠ ص ٥١ تاريخ البعقولي: ج ٢ ص ٤٣.

و(كهيعص) و(طه) و(صاد) و(قاف) و(حم)^(١) وغير ذلك على وجوه:
فقال بعضهم: انها إسم من أسماء القرآن، ذهب اليه قتادة^(٢)
ومجاهد^(٣) وابن جريح^(٤).

وقال بعضهم: هي فواتح يفتح بها القرآن، روي ذلك عن مجاهد^(٥)
أيضاً، واختاره البلخي^(٦)، وفائدتها أن يعلم ابتداء السورة وانقضاء ما قبلها
وذلك معروف في كلام العرب، وأنشد بعضهم:

* بل وبلدة ما الانس من أهلها^(٧) *

ويقول آخر:

* بل ماهيج أحزاناً وشجواً قد شجا^(٨) *

وقوله (بل) ليس من الشعر؛ وانما أراد أن يعلم أنه قطع كلامه وأخذ في
غيره؛ وأنه مبتدأ الذي أخذ فيه غير ناسق له على ما قبله.

(١) البقرة: ١، الاعراف: ١، مريم: ١، طه: ١، ص: ١، ق: ١، غافر: ١.

(٢) حكاة الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٧، والقرطبي في الجامع: ج ١ ص ١٥٦.

(٣) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٧.

(٤) وهو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريح، كان احد العلماء المشهورين، قيل انه اول من صنف
في الاسلام. توفي سنة ١٥٠ هـ.

(٥) وفيات الاعيان: ج ٢ ص ٣٤٨، والتفسير والمفسرون: ج ١ ص ١٩٨.

ذكر قوله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٦٧.

(٥) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٧.

(٦) وهو أبو القاسم عبدالله بن أحمد الكعبي البلخي، عالم مشهور، كان رئيس الطائفة الكعبية،
وهم فرقة من المعتزلة. توفي سنة ٣١٧ هـ. (وفيات الاعيان: ج ٢ ص ٢٤٨)

(٧) نسبة في اللسان: مادة «اهل» ج ١١ ص ٢٨ للجوهري، وفي معاني القرآن للاخفش: ج ١
ص ١٧٠، والصحاح: مادة «اهل» ج ٤ ص ١٦٢٩ غير منسوب لاحد.

(٨) البيت للعجاج، ديوانه: ص ٧.

وقال بعضهم: هي اسم للسورة، روي ذلك عن زيد بن أسلم^(١) والحسن^(٢).

وقال بعضهم: هي اسم الله الأعظم، وروي ذلك عن السدي^(٣) اسماعيل وعن الشعبي^(٤).

وقال بعضهم: هي قسم أقسم الله به وهي من اسمائه وروي ذلك عن ابن عباس^(٥) وعكرمة^(٦).

وقال قوم: هي حروف مقطعة من أساء وأفعال واقعاً كل حرف من ذلك بمعنى غير معنى الحرف الآخر يعرفه النبي صلى الله عليه وآله، نحو قول الشاعر:
نادوهم أن أجمعوا ألا تا قالوا جميعاً كلهم ألافا^(٧)
يريد ألا تركبون قالوا: ألا فاركبوا. وقال آخر:

(١) وهو أبو أسامة، زيد بن أسلم العدوي، كان فقيهاً عالماً بتفسير القرآن. عده الشيخ تارة من أصحاب السجاد عليه السلام وأخرى من أصحاب الصادق عليه السلام وقال: فيه نظر.

(تنقيح المقال: ج ١ ص ٤٦١، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٥).

ذكر قوله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٦٧، والقرطبي في التفسير: ج ١ ص ١٥٦. وأشار إلى هذا القول من دون ذكر القائل ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: ص ٢٩٩.

(٢) نقله عنه في تنزيه القرآن: ص ١١.

(٣) رواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٧، ونقله ابن كثير في التفسير: ج ١ ص ٣٦.

(٤) وهو أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي الشعبي، كان فقيهاً ومن كبار التابعين روى عنه مائة وخمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن لا يخفى أنه عند علماء الشيعة مذموم مطعون وقد روي عنه أشياء ردية. توفي بالكوفة سنة ١٠٤ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٣٦١، ووفيات الأعيان: ج ٢ ص ٢٢٧)

رواه الطبري عنه في التفسير: ج ١ ص ٦٧.

(٥) تفسير ابن عباس: ص ٣. (٦) أخرجه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٧، عن عكرمة.

(٧) أورده القرطبي في التفسير: ج ١ ص ١٥٦.

❖ قلنا لها قني فقالت قاف^(١) ❖

بمعنى قالت انا واقفة. روى ذلك أبو الضحى عن ابن عباس وعن ابن مسعود وجماعة من الصحابة^(٢).

وقال بعضهم: هي حروف هجاء موضوعة، روي ذلك عن مجاهد^(٣).
وقال بعضهم هي حروف هجاء يشتمل كل حرف على معانٍ مختلفة،
روي ذلك عن أنس واختاره الطبري^(٤).

وقال بعضهم: هي حروف من حساب الجمل^(٥).
وقال بعضهم: لكل كتاب سرّ وسرّ القرآن في فواتحه^(٦)، هذه أقوال
المفسرين.

اللغة:

فاما أهل اللغة؛ فانهم اختلفوا فقال بعضهم: هي حروف المعجم

(١) رجز للوليد بن عتبة، وهو أول رجز قاله عند ما شهد عليه بشرب الخمر عند عثمان بن عفان،
فكتب إليه يأمره بالشخص إليه، فخرج وخرج معه قوم يمدرونه وفيهم عدي بن حاتم، فنزل
الوليد يوماً يسوق بهم فقال يرتجز:

قلت لها قني فقالت قاف لا تحسبنا نسينا الا يحياف
والنشوات من عتيق أوصاف وعزف قينات علينا عزاف
(الأغاني: ج ٥ ص ١٣١، وتأويل مشكل القرآن: ص ٣٠٨)

(٢) روى ذلك الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٧، والقرطبي في الجامع: ج ١ ص ١٥٥.

(٣) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٦٧.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٧٢.

(٥) حكاها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٦٨.

(٦) قال القرطبي في الجامع: ج ١ ص ١٥٤: «قال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من
المحدثين: هي سرّ الله في القرآن».

استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام ثمانية وعشرين حرفاً كما يستغني بذكر أ ب ت ث عن ذكر الباقي وبذكر - قفا نيك - عن ذكر باقي القصيدة قالوا: ولذلك رفع «ذلك الكتاب» لأنَّ معناه عن الألف واللام والميم من الحروف المقطعة؛ وقوله ذلك الكتاب الذي أنزلته إليك مجموعاً لا ريب فيه، كما قالوا في أبي جاد وفي أ ب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف وقال راجز بني أسد:

لما رأيت أمرها في حطي أخذت منها بقرون شمط^(١)
فاراد الخبر عن المرأة بانها في أبي جاد، فأقام قوله في حطي مقامه لدلالة الكلام عليه.

وقال آخرون: بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعه أسماع المشركين اذ تواصلوا بالاعراض عن القرآن حتى اذا استمعوا له، تلا عليهم آلم^(٢).

وقال بعضهم: الحروف التي هي أوائل السور حروف يفتح الله بها كلامه^(٣).

وقال ابو مسلم: المراد بذلك، ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته، ولم تقدروا على الاتيان بمثله هو من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في كلامكم وخطابكم، فحيث لم تقدروا عليه فاعلموا انه من فعل الله، وانما كررت في مواضع استظهاراً في الحجة^(٤)، وحكي ذلك

(١) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٦٨، وتأويل القرآن لابن قتيبة: ص ٣٠٠.

(٢) حكاه المرتضى في رسائله: ج ٣ ص ٣٠٠.

(٣) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ١٧٠.

(٤) نقله عنه المرتضى في رسائله: ج ٣ ص ٣٠٠.

عن قطرب^(١).

وروي في اخبارنا ان ذلك من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله^(٢)، واختاره الحسين بن علي المغربي^(٣).

وأحسن الوجوه التي قيلت قول من قال: إنها أسماء للسور خصص الله تعالى بها بعض السور بتلك كما قيل للمعوذتين - الملقشتان - أي تبرءان من النفاق، وكما سميت الحمد أم القرآن وفاتحة الكتاب.

ولا يلزم أن لا تشترك سورتان أو ثلاث في إسم واحد، وذلك أنه كما يشترك جماعة من الناس في إسم واحد، فاذا أريد التمييز زيد في صفته، وكذلك اذا أرادوا تمييز السورة قالوا: الم ذلك، الم الله، الم، وغير ذلك.

وليس لأحد أن يقول: كيف تكون أسماء للسور، والاسم غير المسمى، فكان يجب ألا تكون هذه الحروف من السورة، وذلك خلاف الاجماع.

قيل: لا يمتنع أن يسمى الشيء ببعض ما فيه، ألا ترى أنهم قالوا: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، ولا خلاف انها أسماء للسور وإن كانت بعضاً للسور، ومن فرق بين الأشخاص وغيرها في هذا المعنى فأوجب في الأشخاص أن يكون الاسم غير المسمى ولم يوجب في غيرها فقد أبعد. لأنه لافرق بين الموضعين على ماضى القول فيه.

ولا يلزم أن تسمى كل سورة بمثل ذلك، لأن المصلحة في ذلك معتبرة،

(١) لا يوجد لدينا كتابه ونقله عنه القرطبي في الجامع: ج ١ ص ١٥٥.

(٢) معاني الأخبار: ص ٢٢، ورسائل المرتضى: ج ٣ ص ٢٩٨.

(٣) وهو أبو القاسم الحسين بن علي المغربي المعروف بالوزير المغربي، له مصنفات في اللغة والنحو والجبر والحساب، وله ديوان شعر، ولد يوم الاحد سنة ٣٧٠، وتوفي سنة ٤١٨ هـ.

(الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٢٨٦).

وقد سَمَى الله كل سورة بتسمية تخصها وإن لم تكن من هذا الجنس، كما انه لما سَمَى الحمد بأسمائها لم يلزم ذلك في كل سورة.

وقيل: انها أوائل أسماء يعلم النبي صلى الله عليه وآله تمامها، والغرض بها^(١)، نحو مارويناه عن ابن عباس، كما قال الشاعر:

* سألتها الوصل فقالت: قاف^(٢) *

يعني: وقفت. وقال آخر:

* بالخير خيرات وإن شراً فإ *

يريد: فشرأ. وقال آخر:

* ولا أريد الشر إلا أن تا^(٣) *

يعني: إلا أن تشاء. وقال آخر:

ماللظلم عال كيف لا يا
أي: اذا يفزع.

الاعراب

فعلى هذا يحتمل ان يكون الالف: انا، واللام: الله، والميم: اعلم، وكذلك القول في الحروف.

وعلى هذا لاموضع لالف لام ميم من الاعراب.

(١) رسائل المرتضى: المجموعة الثالثة، ص ٣٠٣.

(٢) لم نقف على قائله.

(٣) الكتاب لسبويه: ج ٢ ص ٧١. والظاهر ان هذا المصراع عجز للمصراع المتقدم. وقوله «وقال آخر» لعله من سهو القلم.

(٤) شرح شواهد الشافية: ص ٢٦٧.

وعلى قول من قال انها اسماء السور موضعها الرفع، كأنه قال هذه الم، أو يكون ابتداءه ويكون خبره ذلك الكتاب.

واجمع النحويون^(١) على ان هذه الحروف وجميع حروف الهجاء مبنية على الوقف لا تعرب، كما بني العدد على الوقف، ولأجل ذلك جاز ان يجمع بين ساكنين كما جاز ذلك في العدد، تقول واحد، اثنان، ثلاثة، اربعة، فتقطع ألف اثنين وهي الف وصل، وتذكر الهاء في ثلاثة واربعة، فلو لم تنو الوقف لقلت ثلاث بالثاء.

وحكي عن عاصم^(٢) في الشواذ وغيره ألم الله بقطع الهمزة، والباقون بفتح الميم، وقالوا: فتح الميم لالتقاء الساكنين^(٣). وقال قوم: لأنّه نقل حركة الهمزة اليه^(٤)، واختار أبو علي الاول^(٥)، لأنّ همزة الوصل تسقط في الوصل، فلا يبقى هناك حركة تنقل، وأنشد في نقل حركة همزة الوصل قول الشاعر:

أقبلت من عند زياد كالحرف تخط رجلاي بخط مختلف

فيكتبان في الطريق لام الف^(٦)

ومتى أجريتها مجرى الأسماء لا الحكاية وأخبرت عنها، قلت: هذه كاف حسنة، وهذا كاف حسن، وكذلك باقي الحروف فتذكر وتؤنث، فن أنث

(١) سيبويه: ج ٢ ص ٣٩، ومعاني القرآن للاخفش: ج ١ ص ١٦٧، والبيان للأنباري: ج ١ ص ٤٣.

(٢) وهو عاصم الجحدري من شواذ أقرء من أهل البصرة، له قراءة.

(٣) الفهرست لابن النديم: ص ٣٣

(٤) حكاة الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٩.

(٥) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٩.

(٦) لا يوجد لدينا كتابه.

(٧) سيبويه: ج ٢ ص ٤٠.

قصد الكلمة، ومن ذكر قصد الحرف.

فأما إعراب: أبي جاد وهواز، وحطي وكلمن، فزعم سيبويه^(١) أنها مصروفات، تقول: علمت ابا جاد، ونفني ابوجاد، وانتفعت بأبي جاد. وكذلك: هواز، وهواز، وهوازاً. وحطياً، وحطي، وحطي، وأما كلمن وسعفص وقرشيات فأعجميات، تقول: هذه كلمن، وتعلمت كلمن، وانتفعت بكلمن، وكذلك سعفص. وقرشيات اسم للجمع مصروفة لأجل الألف والتاء^(٢).

وأما معنى أبي جاد، فقال الضحاك^(٣): أنها أسماء الأيام الستة التي خلق الله تعالى فيها الدنيا. وقال الشعبي: انها أسماء ملوك مدين^(٤) وانشد:
 ألا يا شعيب قد نطقت مقالة سببت بها عمرو وأوحى بني عمرو
 ملوك بني حطي وهواز منهم وسعفص أهل للمكارم والفخر
 هم صبحوا أهل الحجاز بغارة كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر^(٥)
 وروي عن ابن عباس: «إن لأبي جاد حديثاً عجيباً، أي: آدم جد في اكل الشجرة، وهواز: فلز آدم فهو من السماء الى الأرض، وأما حطي:

(١) هو أبوبشر عمرو بن عثمان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، وجميع الناس عيال عليه، أخذ النحو عن الخليل وغيره واللغة عن الأخفش الأكبر وغيره توفي سنة ١٨٠ هـ وأمره مشهور.
 (رجال السيد بحر العلوم: ج ٣ ص ١٨١)

(٢) كتاب سيبويه: ج ٢ ص ٤٢.

(٣) وهو الضحاك بن مزاحم الهلالي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقد عرف بالتفسير، وله كتاب مات سنة ١٠٦ هـ.
 (تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ٤٥٣، والأعلام: ج ٣ ص ٢١٥)
 لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) تاج العروس: مادة الجبد، ج ٧ ص ٤٠١.

(٥) ذكره في تاج العروس: مادة الجبد، ج ٧ ص ٤٠٢.

فحطت عنه خطيئته، وأما كل من: فأكل من الشجرة ومنّ عليه بالتوبة، وسعفص: عصى آدم فأخرج من النعيم الى النكد، وقرشيات: أقر بالذنب فسلم من العقوبة»^(١).

وهذا خبر ضعيف يتضمن وصف آدم وهوني بما لا يليق به.
وقال قوم: أنها حروف من أسماء الله^(٢)، وروى ذلك معاوية بن قرة^(٣) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[قوله تعالى]

ذَلِكَ الْكِتَابُ

المعنى:

هذه لفظة يشار بها إلى ما قرب، وذلك إلى ما بعد، وذلك إلى ما بينها، ويحتمل أن يكون معنى ذلك هاهنا؛ هذا على قول عكرمة^(٤) وجماعة من أهل العربية كالأخفش^(٥) وأبي عبيدة^(٦) وغيرهما؛ قال الشاعر:

(١) لم نثر عليه في المصادر المتوفرة.

(٢) حكاها المرتضى عن جماعة من المفسرين، رسائل المرتضى: ج ٣ ص ٣٠١.

(٣) وهو معاوية بن قرة الزني، أبو إياس البصري، كان من الثقة على قول ابن سعد وابن حبان، توفي سنة ١١٣ هـ.

(٤) تهذيب التهذيب: ج ١٠ ص ٢١٦، والتقريب: ج ٢ ص ٢٦١.

(٥) نقله عنه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٧٤، والقرطبي في الجامع: ج ١ ص ١٥٧.

(٦) لم نثر عليه.

(٦) قال القرطبي في الجامع: ج ١ ص ١٥٧: «ذلك إشارة إلى هذا القرآن موضوع موضع هذا. وهذا قول أبي عبيدة».

أقول له والرمح يأطرمته تأمل خفافاً انني أنا ذلكا^(١)
أي انني انا هذا.

وقال تعالى: « ذلك عالم الغيب والشهادة »^(٢)، وهو موجود في الحال.
وانما جاز أن يستعمل هذا، وهي اشارة الى حاضر، بمعنى ذلك وهي اشارة
الى غائب لأنه كالحاضر عند الغائب، ألا ترى ان الرجل يحدث حديثاً
فيقول السامع: هذا كما قلت، وربما قال: ان ذلك كما قلت، وانما جاز
ذلك لقرب جوابه من كلام المخبر، وكذلك لما قال تعالى «آلم» وذكرنا معنى
ذلك، قال لنبية: يا محمد هذا الذي ذكرته وبينته. ذلك الكتاب، فلذلك
حسن وضع ذلك في مكان هذا. لأنه اشارة الى ماضى.

وقال قوم^(٣): ان معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى
وعيسى كما قال: «الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم»^(٤)
يعني: هذا ذلك الكتاب. وقال قوم^(٥): انما أشار الى ما كان نزل من القرآن
بمكة من السور فقال ذلك، والأول أقوى لأنه أشبه بأقوال المفسرين.
وأما من حمل ذلك على انه اشار به الى التوراة والانجيل فقد ابطل، لأنه
وصفه بانه لا ريب فيه وآته هدى للمتقين، ووصف ما في أيديهم بأنه مغير
محرف في قوله: «يحرفون الكلم عن مواضعه»^(٦).

(١) البيت لخفاف بن ندبة، الأغاني: ج ٢ ص ٣٢٩، والشعر والشعراء: ص ١٩٦.

(٢) السجدة: ٦.

(٣) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٧٥.

(٤) الأنعام: ٢٠.

(٥) ذكر ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٧٥.

(٦) المائدة: ١٣.

[قوله تعالى]

لَأَرْبَبَ فِيهِ

القراءة:

قرأ ابن كثير بوصل الهاء بياء في اللفظ، وكذلك كل هاء كناية قبلها بياء ساكنة فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو^(١). ووافقه حفص^(٢) في قوله: «فيه مهانا»^(٣). ووافقه المنسي^(٤) في قوله: «وأشركه في أمري»^(٥). ووافقه قتيبة^(٦) في قوله: «فلاقية»^(٧) و«سأصليه»^(٨) فن كسر

(١) راجع التيسير في القراءات السبع: ص ٢٩، والنشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٤٠٦.
(٢) وهو حفص بن سليمان الاسدي، صاحب قراءة قال عنه ابن حبان كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، توفي سنة ١٨٠ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٠٠)

التيسير في القراءات السبع: ص ١٦٤.

(٣) الفرقان: ٦٩.

(٤) وهو محمد بن اسحاق، روى عن أبيه عن نافع القراءات وكان راوياً للحديث. مات في ربيع الاول سنة ٢٣٦ هـ.

(الوافي بالوفيات: ج ٢ ص ١٨٩، وتهذيب التهذيب: ج ٩ ص ٣٧)

كتاب السبعة في القراءات: ص ١٢٨.

(٥) طه: ٣٢.

(٦) هو أبو رجاء قتيبة بن سعيد الشقفي مولا هم البلخي البغلاني الحافظ أحد أئمة الحديث عند العامة مات سنة ٢٤٠ هـ.

(شذارات الذهب: ج ٢ ص ٩٤، طبقات الحفاظ: ص ١٩٥)

(٧) الانشقاق: ٦.

(٨) المذثر: ٢٦.

الهاء مع ان الأصل الضمة فلاجل الياء والكسرة اللتين قبلها.
والهاء تشبه الألف لأنها من حروف الخلق ولما فيها من الخفاء فكما نحووا
بالألف نحو الياء بالامالة لأجل الكسرة والياء؛ كذلك كسروا الهاء
للكسرة والياء ليتجانس الصوتان، وذلك حسن، وتركوا الاشباع كراهية
اجتماع المقارنة، كما كرهوا اجتماع الأمثال.
ومن أشبع وأتبعها الياء فإنّ الهاء وإن كانت خفية فليس يخرجها
ذلك من أن تكون كغيرها من حروف المعجم التي لاخفاء فيها، نحو الراء
والصاد، وإنّ الهاء والنون عند الجميع في وزن الشعر بمنزلة الراء والصاد؛
وان كان في الراء تكرير وفي الصاد استطالة، فاذا كان كذلك كان
حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لاخفاء فيها.

المعنى:

ومعنى (لاريب فيه)، أي لا شك فيه. والريب الشك، وهو قول ابن
عباس^(١) ومجاهد وعطاء والسدي وغيرهم^(٢).
وقيل: هو أسوأ الشك وهو مصدر رابني الشيء يربني^(٣)، قال ساعدة
بن جويه الهذلي^(٤):

(١) تفسير ابن عباس: ص ٣.

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري: ج ١ ص ٧٥.

(٣) جهرة اللغة مادة «برى»، ج ١ ص ٢٨٠، ومادة «برأ» ج ٣ ص ٢٠٤، والنهاية: ج ٢ ص ٢٨٦.

(٤) وهو ساعدة بن جويه الهذلي، من بني كعب، شاعر مخضرم، شعره محشوب الغريب والمعاني
الغامضة كما قال عنه الأموي، وله ديوان مطبوع.

وقالوا تركنا الحي قد حصروا به فلا ريب ان قد كان ثم لحيم^(١)

أي أطافوا به واللحيم القليل، يقال لحم اذا قتل.

والهاء [في] ^(٢) «فيه» عائدة على الكتاب.

ويحتمل ان يكون لاريب فيه خبراً، والمعنى انه حق في نفسه، ولا يكون المراد به انه لا يقع فيه ريب؛ لأن من المعلوم أن الريب واقع فيه من الكفار وفي صحته، ويجري ذلك مجرى الخبر اذا كان مخبره على ماهو به في أنه يكون صدقاً وان كذبه قوم ولم يصدقوه.

ويحتمل أن يكون معناه الأمر أي تيقنوه ولا ترتابوا فيه.

[قوله تعالى]

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾

المعنى:

معناه نور وضياء ودلالة للمتقين من الضلالة، وانما خص المتقين وان كان هدى لغيرهم من حيث أنهم هم الذين اهتدوا به وانتفعوا به، كما قال «إنما تنذر من اتبع الذكر»^(٣) وان كان أنذر من لم يتبع الذكر. ويقول القائل: في هذا الأمر موعظة لي أولك وان كان فيه موعظة لغيرهما. ويقال هديت فلاناً الطريق اذا أرشدته ودلته عليه، أهديه هدايةً.

الاعراب:

ويحتمل أن يكون منصوباً على الحال من الكتاب وتقديره ذلك

(٣) يس: ١١.

(١) ديوان الهذليين: ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) أدخلناها في المتن لاتمام المعنى.

الكتاب هادياً للمتقين، وذلك يكون مرفوعاً بآلم. والكتاب نعت لذلك، ويحتمل ان يكون حالاً من الهاء في (فيه)، كأنه قال: لاريب فيه هادياً، ويحتمل ان يكون رفعاً من وجوه:

أولها: ان يكون خبراً بعد خبر، كأنه قال: هذا كتاب هدى أي قد جمع انه الكتاب الذي وعدوا به وانه هدى كما يقولون: هذا حلوا حامض يريدون انه قد جمع الطعمين.

ويحتمل أن يكون رفعاً بانه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو هدى لأن الكلام الأول قد تم.

ويحتمل أن يكون رفعه على قولك ذلك الكتاب لاريب كأنك قلت: ذلك الكتاب حق لأن لا شك بمعنى حق، ثم قال بعد ذلك فيه هدى للمتقين.

وهدى يذكر في جميع اللغات، وحكي عن بعض بني أسد^(١) هذه هدى حسنة، وتدغم النون في اللام عند الأكثر^(٢). والمتقين مجرور باللام.

التفسير:

والمتقي هو الذي يتقي بصلاح أعماله عذاب الله، مأخوذ من إتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينه، كما قال أبو حية النخعي^(٣):

(١) وهم حي من بني خزاعة من العدنانية، بلادهم بمالي الكرخ من أرض نجد.

(نهاية الإرب: ص ٣٩)

(٢) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٧٩.

(٣) وهو الهيثم بن الربيع، شاعر بصري فصيح، كان جباناً كذاباً أهوج، وقيل كان مجنوناً، توفي

والقت قناعاً دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم^(١)
 وقيل: ان المتقين هم الذين اتقوا ما حرم عليهم وفعلوا ما وجب عليهم.
 وقيل: إن المتقين هم الذين يرجون رحمة الله ويحذرون عقابه.
 وقيل: ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق^(٢). وهذا
 الوجه ضعيف لأنه يلزم عليه وصف الفاسق المتهتك بأنه متق اذا كان بريئاً
 من الشرك والنفاق.

وأصل الاتقاء الحجز بين الشيئين، ومنه اتقاه بالترس لأنه جعله حاجزاً بينه
 وبينه، واتقاه بحقه كذلك، ومنه الوقاية لأنها تحجز بين الرأس والأذى،
 ومنه التقية في إظهار خلاف الإبطان. والفرق بينه وبين النفاق ان المنافق
 يظهر الخير ويبطن الشر، والمتقي يظهر القبيح ويبطن الحسن. ويقال وقاه
 بقيه وقاية وتوقاه توقياً.

[قوله تعالى]

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ ﴿٥﴾ آية بلاخلاف.

الاعراب:

«الذين» في موضع خفض لأنه نعت للمتقين، ويجوز أن يكون رفعاً على
 الإبتداء.

(الكنى والألقاب: ج ١ ص ٦١)

سنة ٢٢٠ هـ.

(١) لم نعر عليه في المصادر المتوفرة وذكره القرطبي في الجامع: ج ١ ص ١٦١.

(٢) نقل أقوالهم الطبري في التفسير: ج ١ ص ٧٧.

«ويؤمنون» رفع لأنه فعل مستقبل والواو والنون في موضع رفع لأنه كناية عن الفاعل، والنون الأخيرة مفتوحة لأنها نون الجمع. (والصلاة) نصب لأنها مفعول به.

المعنى:

والايمان في اللغة هو التصديق^(١)، ومنه قوله: «وما أنت بمؤمن لنا»^(٢) أي بمصدق لنا. وقال: «يؤمنون بالجبّ والطاغوت»^(٣).

وكذلك هو في الشرع عند أكثر المرجئة، والمراد بذلك التصديق بجميع ما أوجب الله أو ندب اليه أو أباحه وهو المحكي عن ابن عباس في هذه الآية لأنه قال: الذين يصدقون بالغيب^(٤).

وحكي عن الربيع بن أنس^(٥) انه قال: الذين يخشون بالغيب. وقال: معناه يطيعون الله في السرّ والعلانية.

وقيل: إن الايمان مشتق من الأمان. والمؤمن من يؤمن نفسه من عذاب الله، والله المؤمن لأوليائه من عقابه، وذلك مروي في أخبارنا^(٦).

(١) العين: مادة «امن» ج ٨ ص ٣٨٨.

(٢) يوسف: ١٧.

(٣) النساء: ٥١.

(٤) حكاية الطبري في التفسير: ج ١ ص ٧٨.

(٥) وهو الربيع بن أنس البكري الحنفي، صدوق على قول العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ١٢٩ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٢٣٨)

(٦) راجع تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٦٠.

وقالت المعتزلة باجمعها: الايمان هو فعل الطاعة، ومنهم من اعتبر فرائضها ونوافلها، ومنهم من اعتبر الواجب منها لاغير، واعتبروا اجتناب الكبائر من جملةا.

وروي عن الرضا عليه السلام: ان الايمان هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان والقول باللسان^(١).

وقد بينا الأقوى من ذلك في كتاب الاصول^(٢).

واما «الغيب» فحكى عن ابن عباس انه قال: ما جاء من عندالله^(٣)، وقال جماعة من الصحابة كابن مسعود وغيره: أنّ الغيب ماغاب عن العباد علمه من أمر الجنة والنار والأرزاق والاعمال وغير ذلك^(٤)، وهو الأولى لأنه عام، ويدخل فيه مارواه اصحابنا من زمان الغيبة ووقت خروج المهدي عليه السلام^(٥).

وقال قوم: الغيب هو القرآن، حكى ذلك عن زر بن حبیش^(٦).

وذكر البلخي: ان الغيب كل ما ادرك بالدلائل والآيات مما تلزم معرفته^(٧).

وقال الرماني: الغيب خفاء الشيء عن الحس قرب أو بعد إلا انه قد كثرت صيغة الغائب على البعيد الذي لا يظهر للحس^(٨).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٧٧ ح ١.

(٢) تمهيد الأصول في علم الكلام: ج ١ ص ٣، ط جامعة طهران.

(٣) (٤) حكاية الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٧٨.

(٥) كمال الدين: ج ٢ ص ٣٤٠ ح ١٩ و ٢٠.

(٦) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٧٨.

(٧) و (٨) لا توجد لدينا كتبها.

واصل الغيب من غاب، يقولون: غاب فلان يغيّب، وليس الغيب ماغاب عن الادراك لأنّ ما هو معلوم وان لم يكن مشاهداً، لا يسمى غيباً، والأولى ان تحمل الآية على عمومها في جميع من يؤمن بالغيب.

وقال قوم: انها متناولة للمؤمن العربي خاصّة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب، قالوا: بدلالة قوله فيما بعد «والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك». قالوا: ولم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي انزله الله على نبيه تدين بتصديقه، وانما كان الكتاب لأهل الكتابين^(١).

وهذا غير صحيح، لأنه لا يمنع أن تكون الآية الأولى عامة في جميع المؤمنين المصدقين بالغيب، وإن كانت الآية الثانية خاصة في قوم، دون قوم لأن تخصيص الثانية لا يقتضي تخصيص الأولى.

وقال قوم: انها مع الآيتين اللتين بعدها أربع آياتٍ نزلت في مؤمني أهل الكتاب، لأنه ذكرهم في بعضها^(٢).

وقال قوم: ان الأربع آيات من أول السورة نزلت في جميع المؤمنين، واثنان نزلتا في نعت الكافرين، وثلاثة عشر في المنافقين وهذا أقوى الوجوه، لأنه حمل على عمومهم، وحكي ذلك عن مجاهد^(٣).

وقوله: «يقيمون الصلاة»، فاقامتها أدائها بمحدودها وفرائضها وواجباتها، كما فرضت عليهم يقال: أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها من البيع والشراء، قال الشاعر:

(١) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٧٩.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٧٩.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ص ١٢.

أفنا لأهل العراقين سوق الضراب فحاموا وولوا حمية^(١)

وقال أبو مسلم محمد بن بحر: معنى «يقيمون الصلاة» يديمون أداء فرضها، يقال للشيء الراتب قائم ولفاعله مقيم، ومن ذلك: فلان يقيم أرزاق الجنـد^(٢). وقيل: انه مشتق من تقوم الشيء من قولهم: قام بالأمر، إذا أحكمه وحافظ عليه^(٣). وقيل: انه مشتق مما فيه من القيام، ولذلك قيل قد قامت الصلاة^(٤).

وأما الصلاة فهي الدعاء في اللغة. قال الشاعر:

وقابلها الريح في دنـها و صلى على دنـها وارتسم^(٥)
أي دعا لها؛ وقال الأعشى:

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها فان ذبحت صلى عليها وزمر ما^(٦)

يعني دعا لها: وأصل الاشتقاق في الصلاة من اللزوم من قوله: «تصلى ناراً حامية» والمصدر الصلاة، ومنه اصطلى بالنار إذا لزمها، والمصلي الذي يجيء في أثر السابق للزوم أثره، ويقال للعظم الذي في العجز صلواً، وهما صلوان.

فأما في الشرع ففي الناس من قال: إنها تخصصت بالدعاء والذكر في موضع مخصوص. ومنهم من قال -وهو الصحيح-: انها في الشرع عبارة عن

(١) أورده الطبري في التفسير: ج ١ ص ٨٠، ولم تعرف قائله.

(٢) راجع أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٢٤.

(٣) نقله الجصاص في احكام القرآن: ج ١ ص ٢٤، ولم نقف عليه.

(٤) راجع احكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٢٤.

(٥) البيت للأعشى، انظر ديوانه: ص ١٩٦.

(٦) ديوان الأعشى: ص ١٨٦.

الركوع والسجود على وجه مخصوص وأركان واذكارٍ مخصوصة.
وقيل: انها سميت صلاة لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله ونعمه مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته^(١).

وأما الرزق، فهو مال للحي الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه، وهذا لا يطلق إلا فيما هو حلال، فأما الحرام فلا يكون رزقاً لأنه ممنوع منه بالنهي، ولصاحبه أيضاً منعه منه، ولأنه أيضاً مدحهم بالإنفاق مما رزقهم، والمغصوب والحرام يستحقّ الذم على إنفاقه، فلا يجوز أن يكون رزقاً.

وقوله: «ومما رزقناهم ينفقون»، حكى عن ابن عباس أنها الزكاة المفروضة يؤتيها احتساباً^(٢). وحكى عن ابن مسعود أنها نفقة الرجل على أهله، لأن الآية نزلت قبل وجوب الزكاة^(٣). وقال الضحاك: هو التطوع بالنفقة فيما قرب من الله^(٤)، والأولى حمل الآية على عمومها فيمن أخرج الزكاة الواجبة والتنفقات الواجبة وتطوع بالخيرات.

وأصل الرزق الحظ لقوله: «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون»^(٥): أي حظكم، وما جعله حظاً لهم فهو رزقهم.

والإنفاق أصله الإخراج، ومنه قيل: نفقت الدابة إذا خرجت روحها^(٦)، والنافقاء: جحر اليربوع، من ذلك لأنه يخرج منها. ومنه النفاق

(١) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٨١.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٣.

(٣) حكاها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٨١.

(٤) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٨١.

(٥) الواقعة: ٨٢.

(٦) راجع العين: «مادة نفق» ج ٥ ص ١٧٧، والصحاح: «مادة نفق» ج ٤ ص ١٥٦٠.

لأنه يخرج إلى المؤمن بالايان وإلى الكافر بالكفر.

[قوله تعالى]

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ ﴿١﴾ آية.

القراءة:

لا يمدّ القراء الألف من ما إلا حمزة فإنه مدها^(١)، وقد لحن في ذلك .
وكان يقف قبل الهمزة فيقرأ «وبالآخرة» تسكيناً على اللام شيئاً ثم يتدئ
بالهمزة، وكذلك «الأرض» و«شيء» يقطع عند الياء من شيء كأنه
يقف ثم يهمز. وموضع (ما) خفض بالياء ويكره الوقف على (ما) لأنّ
الألف حرف منقوص.

التفسير:

وقال قتادة: «ما أنزل إليك» القرآن «وما أنزل من قبلك» الكتب
الماضية^(٢)، وقد بينا أن الأولى حل الآية على عمومها في المؤمنين، وذكرنا
الخلاف فيه.

والآخرة صفة الدار، فحذف الموصوف، قال الله تعالى: «وإن الدار
الآخرة هي الحيوان»^(٣) ووصفت بذلك لمصيرها آخرة لأولى كانت قبلها. كما

(١) التيسير في القراءات السبع: ص ٣٠.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٨١.

(٣) العنكبوت: ٦٤.

يقال: جئت مرة بعد أخرى، ويجوز أن يكون سميت بذلك لتأخيرها عن الخلق، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق. وإيقانهم ما جحدته المشركون من البعث والنشور والحساب والعقاب، وروي ذلك عن ابن عباس^(١)، والإيقان بالشيء هو العلم به؛ وسمي يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس إليه.

[قوله تعالى]

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ آية

القراءة:

«أولئك» بهمزتين، وفيهم من يخففهما، وحزة يمد «أولئك»^(٢).
وأولئك: اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الإشارة كقولك ذاك في الواحد، وأولاء جمع ذاك في المعنى ومن قصر قال: أولا وأولاء، وإذا مددته لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الهمزة وثقل الزيادة، وتقول: أولاء للقريب، وها أولئك للبعيد، وأولئك للمتوسط.

المعنى:

وأضيف الهدى الى الله لأحد الأمرين:
أحدهما: لما فعل بهم من الدلالة على الهدى والإيضاح له، والدعاء إليه.

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٨١.

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٣٣.

الثاني: لأنه يثيب عليه، فعلى هذا يضاف الايمان بأنه هداية من الله.
«وهدى» في موضع خفض بـ «على». ومعنى «على هدى»: أي على
حق وخير هداية الله إياهم ودعائه الى ما قالوا به، ومن قال: هم على نور
واستقامة أو بيان ورشد، فهو داخل تحت ما قلنا.

والأولى أن يكون ذلك عاماً فيمن تقدم ذكره في الآيتين، ومن خصّ
ذلك فقد ترك الظاهر، لأنّ فيهم من خصها بالمعنيين في الآية الاولى، وفيهم
من خصها بالمدكورين في الآية الثانية، وقد بينا أن الجمع محمول على
العموم وحملها على العموم في الفريقين محكي عن ابن عباس وابن
مسعود^(١).

«والمفلحون» هم المنجحون الذين أدركوا ما طلبوا من عند الله بأعمالهم
وإيمانهم، والفلاح: النجاح، قال الشاعر:

اعقلي إن كنت لما تعقلي ولقد أفلح من كان عقل^(٢)
يعني من ظفر بحاجته وأصاب خيراً. وتقول: أفلح يفلح إفلاحاً،
وتقول: فلح يفلح فلاحاً وفلاحاً، والفلاح البقاء أيضاً، قال لبيد:

نحل بلاداً كلها حل قبلنا ونرجو فلاحاً بعد عاد وحمير^(٣)
يعني البقاء، وأصل الفلح القطع، فكأنه قطع لهم بالخير، ومنه قيل
للاكار فلاحاً لأنه يشق الأرض، والفلاح المكاري لأنه يقطع الارض، قال
الشاعر:

(١) حكاة الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٨٢.

(٢) البيت للبديع بن ربيعة، ديوانه: ص ١٤٠.

(٣) ديوانه ص ٧٢.

* إن الحديد بالحديد يفلح ^(١) *

وفي أولئك لغات: فلغة أهل الحجاز: أوليك بالياء، وأهل نجد ^(٢) وقيس ^(٣) وربيعة وأسد يقولون: أولئك بهمز. وبعض بني سعيد من بني تميم يقولون: الاك مشددة، وبعضهم يقول: الا لك ^(٤). قال الشاعر:
ألا لك قوم لم يكونوا أشابة
وهل يعظ الضليل إلا ألا لك ^(٥).
و«هم» دخلت للفصل.

[قوله تعالى]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ آية

النزول:

نزلت في أبي جهل ^(٦) وفي خمسة من قومه من قادة الأحزاب قتلوا يوم

(١) جهرة اللغة «مادة حفل»: ج ٢ ص ١٧٧.

(٢) نجد: موقع بين الحجاز والعراق، قيل ان المدينة النبوية منها.

(نهاية الإرب: ص ١٧)

(٣) وهم بطون متعددة، منهم بطن من آل عامر بن صعصعة من العدنانية، ومنازلهم بالبحرين، وبطن من ذهل بن شيبان من العدنانية، وبطن من لحم من القحطانية ومساكنهم في أسكر.

(نهاية الإرب: ص ٣٦٩)

(٤) راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٣٦.

(٥) قال القرطبي في تفسيره: ج ١ ص ١٨١، أنه من إنشاد ابن السكيت.

(٦) وهو عمرو بن هشام بن مغيرة المخزومي، كان من أشد الناس عدواة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قتل يوم بدر كافراً.
(الكنى والألقاب: ج ١ ص ٣٧)

بدر في قول الربيع بن أنس (١) ، واختاره البلخي والمغربي (٢) .
وقال ابن عباس: نزلت في قوم باعياهم من أحبار اليهود، ذكرهم
باعياهم، من اليهود الذين حول المدينة (٣).
وقال قوم: نزلت في مشركي العرب (٤)، واختار الطبري قول ابن
عباس (٥).

والذي نقوله: إنه لابد أن تكون الآية مخصوصة لأن حملها على العموم
غير ممكن، لأننا علمنا أن في الكفار من يؤمن فلا يمكن العموم، وأما القطع
على واحد مما قالوه فلا دليل عليه، ويجب تجويز كل واحد من هذه الأقوال،
ومن مات منهم على كفره يقطع على أنه مراد بالآية، فعلى هذه قادة
الاحزاب مرادون على ما قال ربيع بن أنس ومن قتل يوم بدر كذلك .
ومن قال: ان الآية مخصوصة بكفار أهل الكتاب قال: لأن ما تقدمها
مختص بمؤمنهم فيجب ان يكون ما يعقبها مختصاً بكفارهم . وقد قلنا: إن
الآية الأولى حملها على عمومها أولى؛ ولو كانت خاصة بهم لم يجب حمل هذه
الآية على الخصوص لما تقدم فيما مضى .

الاعراب:

«والذين» نصب بأن.

(١) اسباب النزول للواحي: ص ١٣.

(٢) لا توجد عندنا كتبها.

(٣) و (٤) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٨٤.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٨٤.

المعنى:

والكفر: هو الجحود والستر، ولذلك سمي الليل كافراً لظلمته، قال

الشاعر:

فتذكروا نقلاً رشيداً بعدما القت ذكاء يمينها في كافراً^(١)

وقال لبيد:

* في ليلة كفر النجوم غمامها^(٢) *

يعني غطاها. والكافور اكمام الكرم الذي يكون فيه، والكفري وعاء الطلعة لأنه يستر اللب، ومنه قوله تعالى: «كمثل غيث أعجب الكفار نباته»^(٣) وسمي الزارع كافراً لتغطيته البذر ويقال: فلان متكفر بالسلاح اذا تغطى به.

وفي الشرع عبارة عمن جحد ما أوجب الله عليه معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه والاقارب بما جاء به من أركان الشرع، فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً، وربما تعلقت به أحكام مخصوصة من منع الموارثة والمناكة والمدافنة والصلاة عليه وربما لم يتعلق بحسب الدليل عليه.

قوله تعالى: «سواء عليهم أأنذرتهم» جمع بين الهمزتين أهل الكوفة^(٤)

(١) البيت للشاعر ثعلبة بن صعيّر المازني، الصحاح: «مادة كفر» ج ٢ ص ٨٠٨.

(٢) الانشاد للشاعر لبيد بن ربيعة، احد اصحاب المعلقات السبع يقول فيها:

يعلو طريفة منها متواتر في ليلة كفر النجوم غمامها

شرح المعلقات السبع للزوزني: ص ١٤٥.

(٣) الحديد: ٢٠.

(٤) الكوفة بالضم: المصر المشهور بأرض بابل، وسميت الكوفة لاستدارتها وقيل سميت بذلك

وابن عامر^(١) إلا الحلواني^(٢)، وكذلك في كل هزتين في كلمة واحدة اذا كانت الأولى للاستفهام إلا في مواضع مخصوصه نذكرها فيما بعد، الباكون بتخفيف الاولى وتلين الثانية وفصل بينها بالألف أهل المدينة^(٣) إلا ورشاً^(٤) وأبا عمر^(٥) والحلواني عن هشام^(٦).

لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكثف الرمل.

(معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٩٠)

راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٣٤.

(١) وهو أبو عمران عبدالله بن عامر بن يزيد المقرئ، قرأ القرآن على المغيرة بن أبي شهاب، توفي سنة ١١٨ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٢٧٤، البيان في تفسير القرآن: ص ١٤٠)

راجع السبعة في القراءات: ص ١٣٤.

(٢) وهو أبو علي الحسن بن علي الحلواني، نزيل مكة، كان حافظاً للقرآن، ويقول: ان القرآن كلام الله غير مخلوق، توفي سنة ٢٤٢ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٣٠٢، وتقريب التهذيب: ج ١ ص ١٦٨)

السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص ٢٩١.

(٣) وهي المدينة المنورة، تقع في الحجاز شمالي مكة، كانت تسمى قديماً «يثرب»، هاجر إليها النبي صلى الله عليه وآله سنة ٦٢٢ م، واجتمع إليه المسلمون المهاجرون والأنصار، ومنها انتشر الاسلام.

(٤) وهو عثمان بن سعيد المعروف بـ«ورش»، انتهت إليه رئاسة الاقراء في الديار المصرية في زمانه ولد في ١١٠ هـ بمصر، وتوفي سنة ١٩٧ هـ فيها.

(التيسير في القراءات السبع: ص ٤، والبيان في تفسير القرآن: ص ١٥٤)

(٥) وهو زياد بن العلاء بن عمار المازني البصري، قيل انه من فارس قرأ بمكة والمدينة والبصرة والكوفة على جماعة كثيرة، وهو أكثر شيوخاً بين القراء السبعة، توفي سنة ١٥٤ هـ.

(البيان في تفسير القرآن: ص ١٤٧)

(٦) راجع في ذلك السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٣٤.

ومعنى قوله: «سواء» أي معتدل مأخوذ من التساوي، كقولك متساوٍ،
وتقول: هذان الأمران عندي سواء، أي معتدلان، ومنه قوله: «فانبذ إليهم
على سواء»^(١) يعني بذلك اعلمهم وآذنهم للحرب ليستوي علمك وعلمهم
بما عليه كل فريق منكم للآخر، ومعناه: أي الأمرين كان منك إليهم
الانذار أم ترك الانذار فانهم لا يؤمنون، وقال عبدالله بن قيس الرقيات^(٢):
تعدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها^(٣)
يعني بذلك عندها معتدل في السير الليل والنهار، لأنها لا فتور فيه، ومنه
قول الآخر:

وليل يقول المرء من ظلماته سواء صحاحات العيون وعورها^(٤)
لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصرأً ضعيفاً من ظلمته، وهذا لفظه لفظ
الاستفهام ومعناه الخبر، وله نظائر في القرآن، كما تقول ما أبالي أفت أم
قعدت، وانت مخبر لاستفهام لأنه وقع موقع أي، كأنك قلت ما أبالي أي
الأمرين كان منك .

وكذلك معنى الآية: «سواء عليهم» أي هذين كان منك إليهم حسن في
موضعه، سواء فعلت أم لم تفعل .
وقال بعض النحويين^(٥): ان حرف الاستفهام انما دخل مع سواء

(١) الانفال: ٥٨ .

(٢) وهو عبدالله بن قيس الرقيات، سمي بالرقيات لانه كان يتشبت بثلاث نسوة اسم كل
واحدة منهن «رقية»، توفي سنة ٨٥ هـ . (الشعر والشعراء: ص ٣٣٤، والأعلام: ج ٤ ص ١٩٦)

(٣) راجع ديوانه: ص ٦٣ .

(٤) البيت لمضر بن ربعي الفقمي، الحماسة لابن الشجري: ص ٢٠٤ .

(٥) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ١٨١ .

وليس باستفهام؛ لأن المستفهم اذا استفهم غيره قال: أزيد عندك أم عمرو، ويستفهم صاحبه أيها عنده وليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر فلما كان قوله: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم» بمعنى التسوية أشبه ذلك الاستفهام اذا أشبهه بالتسوية، وقال جرير:

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(١)
فهذا في صورة الاستفهام وهو خبر، لأنه لو أراد الاستفهام لما كان مدحاً، وقال آخر:

سواء عليه أي حين أتيت أساعة نحس تحق أم باسعد^(٢)
ولا يجوز أن تقع «أو» في مثل هذا مكان «أم» لأن أم هي التي تعادل بها الهمزة لا أو، والفرق بينها ان «أو» يستفهم بها عن أحد الأمرين هل حصل أم لا وهو لا يعلمها معاً كقول القائل: أذن أو أقام؟ اذ المراد تعلمها، فاذا علم واحداً منها ولم يعلمه بعينه قال: أأذن أم أقام؟ يستفهم عن تعيين أحدهما هذا في الاستفهام. وفي الخبر تقول: لأبالي أقمت أم قعدت. أي هما عندي سواء، ولا يجوز ان تقول: لأبالي أقمت أو قعدت، لأنك لست بمستفهم من شيء.

وحكي عن عاصم الجحدري انه قرأ سواو بواو مضمومة لاهمزة^(٣). وهذا غلط لأن العرب كلها تهزم ما بعده مدة، يقولون: كسآء وردآء وهوآء وجزآء وغير ذلك.

(١) ديوان جرير: ص ٧٧، ط. دارصادر.

(٢) لم نعرف قائله.

(٣) البسوط في القراءات العشرة: ص ٨٩.

وأما الانذار فهو اعلام وتخويف، وكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً وقد سَمَّى الله نفسه بذلك فقال: «انا انذرناكم عذاباً قريباً»^(١)، لأن الاعلام يجوز وصفه به والتخويف أيضاً كذلك في قوله: «ذلك يخوف الله به عباده»^(٢) فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بلفظ يشتمل عليهما. وأندرت: فعل متعدٍ الى مفعولين كقوله تعالى: «انذرتكم صاعقة»^(٣) و«انا انذرناكم عذاباً قريباً»^(٤) وقد ورد معدّاً بالباء في قوله تعالى: «قل انما انذركم بالوحي»^(٥).

وقيل: الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه الاحتراز، فان لم يتسع زمانه للاحتراز كان اشعاراً ولم يكن انذاراً. قال الشاعر:

انذرت عمرواً وهو في مهل قبل الصباح فقد عصى عمرو^(٦)
فان قيل: الذين علم الله منهم انهم لا يؤمنون، هل كانوا قادرين على الايمان أم لا؟ فان قلتم: ما كانوا قادرين، وقد كلفهم الله تعالى الايمان، فقد كلفهم ما لا يقدرّون عليه، وهذا لا يجوز وان كانوا قادرين فقد قلتم: انهم كانوا قادرين على تجهيل الله.

قلنا: هذا يلزم المخالف مثله، فانه لا خلاف أنهم مأمورون بالايمان. فيقال [لهم: انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان، ان يكونوا مأمورين بابطال ما علم الله]^(٧) أليس الله قد علم انه لا يقيم القيامة

(١) النبأ: ٤٠.

(٢) الزمر: ١٦.

(٣) فصلت: ١٣.

(٤) النبأ: ٤٠.

(٥) الأنبياء: ٤٥.

(٦) لم نعرف قائله.

(٧) ما بين المعقوفتين غير موجود في النسخة الخطية وأثبتناه من المطبوعة.

اليوم؟ ايقولون: انه قادر على اقامتها أم لا؟ فان قلتم: انه لا يقدر، فقد عجزتم الله. وان قلتم: انه يقدر، فقد قلتم: انه يقدر على ان يحل نفسه. والجواب الصحيح عن ذلك: أن العلم يتناول الشيء على ماهو به، ولا يجعله على ماهو به، فليس يمتنع ان يعلم حصول شيء بعينه، وان كان غيره مقدوراً؛ ألا ترى أن من خير بين الصدق والكذب وقد علم أن كل واحد منها يقوم مقام صاحبه في باب العرض وقد علم قبح الكذب وحسن الصدق لا يجوز أن يختار الكذب على الصدق وان كان قادراً على الكذب، فبان بذلك صحة ماقلناه. .

[قوله تعالى]

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ آية

القراءة:

أجمع القراء السبعة^(١) على كسر الغين وضم التاء، وروي عن بعض القراء فتح الغين^(٢)، وعن الحسن ضم الغين^(٣). وحكي عن عاصم في الشواذ: غشاوة، بنصب التاء، ولا يقرأ بجميع ذلك.

التفسير:

«ختم الله على قلوبهم» أي شهد عليها بأنها لا تقبل الحق، يقول

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٣٨.

(٢) و(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٢.

القائل: أراك تختم على كل مايقول فلان، أي تشهد به وتصدّقه، وقد ختمت عليك بانك لا تعلم، أي شهدت، وذلك استعارة.

وقيل: ان ختم بمعنى طبع فيها أثراً للذنوب كالسمة والعلامة لتعرفها الملائكة فيتبرءوا منهم، ولايوالوهم، ولايستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين^(١). وقيل: المعنى في ذلك أنه ذمهم بانها كالمختوم عليها في انها لايدخلها الايمان ولايخرج عنها الكفر^(٢)، قال الشاعر:

لقد أسمعت لونا ديت حياً
ولكن لاحياة لمن تنادي^(٣)
أي كأنه لاحياة فيه.

والختم آخر الشيء، ومنه قوله تعالى: «ختامه مسك»^(٤) ومنه: «خاتم النبیین»^(٥) أي آخرهم. ومنه: ختم الكتاب، لأنه آخر حال الفراغ منه، والختم الطبع، والخاتم الطابع.

وما يختم الله على القلوب من السمة والعلامة التي ذكرناها ليست بمانعة من الايمان كما أن ختم الكتاب والظرف والوعاء لا يمنع من أخذها فيه. وحكي عن مجاهد أنه قال: الرين أيسر من الطبع والطبع أيسر من الختم ومن الاقوال والقفل أشد من ذلك^(٦).

وقيل: إن قوله تعالى: «ختم الله» إخبار عن تكبرهم وإعراضهم عن

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٨٦.

(٢) تنزيه القرآن: ص ١٤.

(٣) لم نعرف قائله.

(٤) المطففين: ٢٦.

(٥) الأحزاب: ٤٠.

(٦) حكاما الطبري في التفسير: ج ١ ص ٨٧.

الاستماع لما دعوا اليه من الحق، كما يقال: فلان أصم عن هذا الكلام اذا امتنع عن سماعة ورفع نفسه عن تفهمه^(١).

والغشاوة: الغطاء وفيها ثلاث لغات: فتح الغين وضمها وكسرهما وكذلك غشوة فيها ثلاث لغات. ويقال: تغشاني السهم اذا تجلله، وكل ما اشتمل على شيء مبني على فعالة كالعمامة والقلادة والعصابة، وكذلك في الصناعة كالخياطة والقصارة والصباغة والنساجة وغير ذلك، وكذلك من استولى على شيء كالخلافة والامارة والاجارة وغير ذلك.

قال أبو عبيدة^(٢): «وعلى سمعهم» معناه على اسماعهم ووضع الواحد موضع الجمع لأنه اسم جنس، كما قال: «نخرجكم طفلاً»^(٣) يعني اطفالاً. ويجوز ان يكون أراد موضع سمعهم فحذف لدلالة الكلام عليه. ويجوز ان يكون اراد المصدر لأنه يدل على القليل والكثير.

فن رفع التاء قال: الكلام الأول قد تم عند قوله: «وعلى سمعهم» واستأنف: «وعلى أبصارهم غشاوة» وتقديره: وغشاوة على أبصارهم، ومن نصب قدره، يعني: جعل على أبصارهم غشاوة، كما قال الشاعر:

* علفتها تبناً وماء بارداً^(٤) *

وقال الآخر:

* متقلداً سيفاً وريحاً^(٥) *

(١) حكاها الطبري في التفسير: ج ١ ص ٨٧.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٣٦٥.

(٣) الحج: ٥.

(٤) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ١٤.

(٥) أورده المبرد في الكامل: ص ١٨٩.

لما دلّ الكلام الأول عليه، فاذا لم يكن في الكلام ما يدل عليه، لا يجوز إضماره، ولا يجوز أن ينصب بالفعل الأول الذي هو الختم، لأن الختم لا يطلق على البصر، كما ذكر في قوله تعالى: «وختم على سمعه وقلبه»^(١) ثم قال: «وجعل على بصره غشاوة»^(٢) فلم يدخل المنصوب في معنى الختم.

وقال قوم: إن ذلك على وجه الدعاء عليهم، لا الاخبار عنهم، وهذا يمكن في قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» وفي قوله: «وعلى أبصارهم غشاوة» فيمن نصب غشاوة، فاما من رفع ذلك، فلا يكون دعاء. والأقوى أن ذلك خبر، لأنه خرج مخرج الذم لهم والازراء عليهم، فكيف يحمل على الدعاء؟.

ويحتمل أن يكون المراد بـ«ختم» أنه سيختم، ويكون الماضي بمعنى المستقبل، كما قال: «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار»^(٣) وعلى هذا يسقط سؤال المخالف.

والقلب: جعل الشيء على خلاف ما كان، يقال: قلبه يقلبه قلباً، والقلب، البرّ لأن الماء ينقلب إليها، وما به قلبه أي انقلاب عن صحة، وفلان حوّل قلبه إذا كان يقلب الأمور برأيه ويحتال عليها، والقلوب الذئب لتقلبه في الحيلة على الصيد بخبثه، وسمي القلب قلباً لتقلبه بالخواطر. قال الشاعر:

ما سمي القلب إلا من تقلبه والرأي يعزب والانسان أطوار^(٤)

(١) و(٢) الجاثية: ٢٣.

(٣) الأعراف: ٤٤.

(٤) لسان العرب «مادة قلب»: ج ١ ص ٦٨٧.

والبصر: مصدر بصر به يبصر بصراً، بمعنى أبصره أبصاراً. والبصيرة: الإبصار للحق بالقلب. والبصائر قطع الدم، لأنها ترى كثيرة للقليل. «ولهم عذاب عظيم» باظهار التنوين، لأنّ النون تبين عند حروف الحلق وهي ستة أحرف: العين والغين والحاء والخاء والهمزة والهاء، ومن هذه الاحرف ما لا يجوز فيه الاخفاء، وهي العين، كقوله: «من عند الله»^(١) و«من عليها»^(٢). والهمزة، نحو قوله: «غشاء أحوى»^(٣) والحاء والغين يجوز إخفاؤهما عندهم على ضعفٍ فيه من قوله: «والمنخنقة»^(٤) و«ناراً خالداً»^(٥) «فان خفت»^(٦) «من خلفهم»^(٧) و«ميثاقاً غليظاً»^(٨) «ماءً غدقاً»^(٩) «قولاً غير الذي»^(١٠) قال الفراء: أهل العراق يشبتون، وأهل الحجاز يخفون^(١١)، وكلّ صواب.

فان قيل: اذا قلتم: ان الله ختم على قلوبهم، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فكيف يكونون قادرين على الايمان؟

(١) آل عمران: ٧٨.

(٢) الرحمن: ٢٦.

(٣) الاعلى: ٥.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) النساء: ١٤.

(٦) البقرة: ٢٢٩ و٢٣٩، والنساء: ٣.

(٧) آل عمران: ١٧٠، والنساء: ٩، والاعراف: ١٧، والانفال: ٥٧ ويس: ٩.

(٨) النساء: ٢١ و١٥٤.

(٩) الجن: ١٦.

(١٠) البقرة: ٥٩.

(١١) لم نعثّر على قوله في المصادر المتوفرة لدينا.

قيل: يكونون قادرين عليه لأن الختم والغشاوة ليسا بشيئين يفعلهما الله تعالى في القلب والعين يصد بها عن الايمان، ولكن الختم شهادة على ما فسرناه. من الله عليهم بانهم لا يؤمنون، وعلى قلوبهم بانها لا تعي الذكر، ولا تعي الحق، وعلى اسماعهم بانها لا تصغي الى الحق. وهذا إخبار عمن يُعلم منه أنه لا يؤمن.

والغشاوة هي إلفهم [الكفر]^(١) بحجهم له ولم يقل تعالى: إنه جعل على قلوبهم بل أخبر أنه كذلك. ومن قرأ بالنصب - وإن كان شاذاً - يحتمل أن يكون أراد معنى قوله: ان السورة زادتهم رجساً الى رجسهم والسورة لم تزدهم ولكنهم ازدادوا عندها، وسنوضح ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى.

«ولهم عذاب عظيم» تقديره ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم، وحكي ذلك عن ابن عباس^(٢).

وأصل العذاب الاستمرار بالشيء يقال: عذبه تعذيباً، إذا استمر به الألم، وعذب الماء عذوبة: إذا استمر في الحلق، وحمار عاذب وعذوب: إذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش. وفرس عذوب مثل ذلك. والعذوب الذي ليس بينه وبين السماء ستر. وأعذبتة عن الشيء بمعنى فطمته. وعذبة السوط طرفه والعذاب استمرار الألم.

وأصل العِظَم عِظَم الشخص، ومنه عظيم الشأن الغني بالشيء عن غيره وعظمة الله تعالى كبرياؤه والعظام من العظم لأنه من أكبر ما يتركب منه البدن.

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في النسخة واستنتجناه من سياق الكلام.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٨٩.

[قوله تعالى]

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ آية

التفسير:

«من» لفظ يخبر به عن الواحد من العقلاء واثنين وجماعة، فلما قال: «وما هم بمؤمنين» دلّ على أنه أراد الجمع، وانما قال: «يقول» بلفظ الواحد حملاً له على اللفظ، قال الشاعر:

* نكن مثل من ياذنب يصطحبان^(١) *

وقيل في معنى الناس وجهان:^(٢)

أحدهما: أن يكون جمعاً لا واحد له من لفظه واحدهم إنسان والانثى انسانة.

والثاني: أن أصله: أناس فأسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الألف واللام للتعريف، ثم أدغمت لام التعريف في النون، كما قيل: «لكنّا هو الله»^(٣) وأصله: لكن أنا.

وقال بعضهم: إنّ الناس لغة غير أناس، وإلاّ لقليل في التصغير: انيس رداً الى أصله^(٤).

واشتقاقه من النوس: وهو الحركة، ناس ينوس نوساً: اذا تحرك،

(١) عجز من بيت انشده الفرزدق، ديوانه: ص ٨٧٣. صدره: تعش فإن وانقتي لائحوني...

(٢) القائل الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٩٠.

(٣) الكهف: ٣٨.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٩٠.

والنوس: تذبذب الشيء في الهواء، ومنه نوس القرط في الأذن لكثرة حركته.

ولاخلاف بين المفسرين^(١) ان هذه الآية وما بعدها نزلت في قوم من المنافقين من الأوس^(٢) والخزرج^(٣) وغيرهم، روي ذلك عن ابن عباس^(٤)، وذكر اسماءهم، ولافائدة في ذكرها.

وكذلك ما بعدها الى قوله: «وما كانوا مهتدين»^(٥) كلها في صفة هؤلاء المنافقين، والمنافق هو الذي يظهر الاسلام بلسانه وينكره بقلبه.

واليوم الآخر هو يوم القيامة، وانما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه يوم لا يوم بعده سواء. وقيل: لأنه بعد ايام الدنيا واول ايام الآخرة.

فان قيل: كيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء؟

قيل: اليوم في الآخرة سمي يوماً بليته التي قبله فاذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوماً، فيوم القيامة يوم لاليل بعده، فلذلك سماه اليوم الآخر.

وانما قال: «وما هم بمؤمنين» مع قوله: «...من يقول آمنا بالله»

(١) راجع تفسير القمي: ج ١ ص ٣٤، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٩٠.

(٢) وهم بنو الاوس بن حارثة، بطن من القحطانية، احدى قبيلتي الأنصار. والأوس كان لهم ملك يشرب، نزلوها عند خروجهم من اليمن، وجاء الاسلام وهم بها فكانوا أنصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(نهاية الإرب: ص ٩٠)

(٣) وهم بطن من الأزد، غلب عليهم اسم ابيهم ف قيل لهم الخزرج وهم احدى قبيلتي الأنصار أخوة الأوس.

(نهاية الإرب: ص ٥٣)

(٤) تفسير ابن عباس: ص ٤.

(٥) البقرة: ١٦.

تكذيباً لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث والنبوة،
فبين ان مقالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم، وذلك يدل على ان الايمان
لا يكون مجرد القول على ما قالته الكرامية.

«يقول» من القول، ومنه تقول اذا تخرص القول، واقتال فهو مقيال.
اذا أخذ نفعاً الى نفسه بالقول أو دفع به ضرراً عنها، والمقول: اللسان، يقوله
تقويلاً اذا طالبه باظهار القول.

[قوله تعالى]

يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾

القراءة:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وبضم الياء وبألف. الباقيون بفتح الياء
بلا الف في قوله: «وما يخدعون»^(١).

اللغة:

قال أبو زيد: خدعت الرجل اخدعه خدعاً بكسر الخاء وخديعة ويقال
في المثل: إنك لأخدع من ضب حرشته^(٢).
وقال ابن الاعرابي^(٣): الخادع: الفاسد من الطعام ومن كل شيء

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٣٩.

(٢) لم نثر على قوله في الكتب المتقدمة وحكى قوله ابن منظور في لسان العرب: مادة خدع، ج ٨
ص ٦٣.

(٣) هو محمد بن زياد بن الاعرابي مولى العباس بن محمد علامة باللغة، من أهل الكوفة، قال ابن
←

وانشد:

أبيض اللون لذيداً طعمه طيب الريق اذا الريق خدع^(١)
أي تغير وفسد. وقال ابو عبيدة^(٢): يخادعون بمعنى يخدعون، قال
الشاعر:

وخادعت المنية عنك سرّاً فلا جزع الاوان ولا رواعا^(٣)

التفسير:

وخداع المنافق إظهاره بلسانه من القول أو التصديق خلاف ما في قلبه
من الشك والتكذيب.

وليس لأحد أن يقول: كيف يكون المنافق لله ولرسوله وللمؤمنين
مخادعاً وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية؟

وذلك إن العرب تسمي من أظهر بلسانه غير ما في قلبه لينجو مما يخافه
مخادعاً لمن تخلص منه؛ بما أظهر له من التقية، فلذلك سمي المنافق مخادعاً
من حيث إنه نجا من إجراء حكم الكفر عليه بما أظهره بلسانه، فهو وان
كان مخادعاً للمؤمنين فهو لنفسه مخادع؛ لأنه يظهر لها بذلك أنه يعطيها
أمنيتها وهو يوردها بذلك أليم العذاب وشديد الويل، فلذلك قال: «وما

ثعلب: شاهدت مجلس ابن الاعرابي وكان يحضره زهاء مائة انسان ولم ير أحد في علم
الشعر أغزر منه، وله من المصنفات كتاب النوادر والخيال والاثواء وتاريخ القبائل وغير ذلك.

(الاعلام: ج ٦ ص ١٣١، والكنى والألقاب: ج ١ ص ٢٠٥)

نقل قوله الزبيدي في تاج العروس: مادة خدع، ج ٥ ص ٣١٢.

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل في الفضليات: ج ١ ص ١٨٩.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٣١.

(٣) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري: ص ١١٧، نسبه الى عرفطة بن الطماح.

يخدعون إلا أنفسهم».

وقوله: «وما يشعرون» يدل على بطلان قول من قال: إن الله لا يعذب إلا من كفر عناداً بعد علمه بوجدانيته ضرورة، لأنه أخبر عنهم بالنفاق وبأنهم لا يعلمون ذلك.

والمفاعلة وإن كانت تكون من اثنين من كل واحد منها لصاحبه مثل ضاربت وقالت وغير ذلك، فقد ورد من هذا الوزن (فاعل) بمعنى (فعل) مثل: قاتله الله، وطابقت النعل، وعافاه الله، وغير ذلك. وقد حكينا أن معناه: يخدعون، كما قال في البيت المقدم.

وقيل^(١): إنه لم يخرج بذلك عن الباب ومعناه: إن المنافق يخادع الله بكذبه بلسانه على ما تقدم، والله يخادعه بخلافه بما فيه نجاة نفسه، كما قال: «انما غلي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين»^(٢).

وحكي عن الحسن^(٣) أن معنى يخادعون الله أنهم يخدعون نبيه لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، كما قال: «وان يريدوا ان يخدعوك»^(٤).

وقيل^(٥): معناه أنهم يعملون عمل المخادع، كما يقال فلان يسخر من نفسه، و من قرأ (وما يخادعون) بألف^(٦) طلب المشاكلة والازدواج، كما

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٩٢.

(٢) آل عمران: ١٧٨.

(٣) حكاة الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٢٦، ولم ينسب لحد.

(٤) الانفال: ٦٢.

(٥) تنزيه القرآن: ص ١٥.

(٦) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٢.

قال: «وان عاقبتهم فعاقبوا»^(١) وكما قال: «وجزاء سيئة سيئة مثلها»^(٢)، وكما قال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٣)
وقال تعالى: «فيسخرون منهم سخرا لله منهم»^(٤) ومثله كثير.

وقيل: في حجة من قرأ يخادعون بألف هو ان ينزل ما يخطر بباله وهجس في نفسه من الخداع بمنزلة آخر يجازيه ذلك ويفاوضه، فكأن الفعل من اثنين^(٥)، كما قال الشاعر وذكر حمراً أراد الورد:

تذكر من أتى ومن أين شربه يؤامر نفسه كذي الهجمة الابل^(٦)
فجعل ما يكون من وروده الماء وترك الورد والتمثيل بينها بمنزلة نفسين، وقال الآخر:

• وهل تطيق وداعاً أيها الرجل •^(٧)

وعلى هذا قول من قرأ: «قال أعلم ان الله على كل شيء قدير»^(٨) فوصل فخطب نفسه، ونظائر ذلك كثيرة.
وانما دعاهم الى المخادعة أمور:

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) البيت للشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي، انظر، أمالي المرتضى: ج ١ ص ٥٧.

(٤) التوبة: ٧٩.

(٥) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ١٩٢.

(٦) البيت للكيت، أورده الطبري في تفسيره: ج ٢ ص ٣٣٦.

(٧) قائله الأعشى، راجع ديوانه: ص ١٤٨.

(٨) البقرة: ٢٥٩.

أحدها: التقية وخوف القتل.

والثاني: ليكرمهم إكرام المؤمنين.

الثالث: ليأنسوا اليهم في أسرارهم فينقلوها الى أعدائهم.

والخداع مشتق من الخدع وهو اخفاء الشيء مع إيهام غيره، ومنه

المخدع: البيت الذي يخفى فيه الشيء.

فان قيل: أليس الكفار قد خدعوا المؤمنين بما اظهروا بالسنتهم حتى

حقنوا بذلك دماءهم واموالهم، وان كانوا مخدوعين في أمر آخرتهم؟

قيل: لانقول خدعوا المؤمنين لأنّ اطلاق ذلك يوجب حقيقة الخديعة؛

لكن نقول: خادعهم وماخدعهم بل خدعوا انفسهم، كما قال تعالى في الآية،

ولو أن انساناً قاتل غيره، فقتل نفسه جاز أن يقال: انه قاتل فلاناً فلم يقتل

إلا نفسه، فيوجب مقاتلة صاحبه وينبغي عنه قتله.

والنفس مأخوذة من النفاسة، لأنها أجل ما في الانسان، تقول: نفس

بنفس نفاسة: اذا ضنّ به، وتنافسوا في الأمر: اذا تشاحوا. والنفس:

الروح، ونفس عنه تنفيساً: اذا روح عن نفسه. والنفس: الدم، ومنه

النفساء، ونفست المرأة. والنفس: خاصة الشيء.

وقوله: «وما يشعرون» يعني وما يعلمون، يقال ماسعر فلان بهذا الأمر

وهو لا يشعر به اذا لم يدر، شعراً وشعوراً ومشعوراً قال الشاعر:

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح (١)

يعني: لم يعلم به أحد.

واصل الشعر: الدقة، شعر به يشعر: اذا أعلمه بأمر يدق، ومنه الشعيرة

والشعر ، لأنّ في رأسهما كالشعر في الدقة. والمشاعر: العلامات في مناسك الحجّ كالوقوف والطواف، وغيرهما. واشعرت البدنة: اذا اعلمتها على انها هدي. والشعار مما يلي الجسد، لأنه يلي شعر البدن.

الأعراب:

«إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» نصب على الاستثناء.

قوله تعالى

فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ آية

القراءة:

أمال الزاي ابن عامر^(١) والحلواني^(٢) وحزمة^(٣)، وقرأ أهل الكوفة^(٤) بفتح الياء يكذبون مخففاً.

اللغة والتفسير:

يقال: زاد يزيد زيادة، وقال الشاعر:

(١) المبسوط في القراءات العشر: ص ١١٩، والسبعة في القراءات: ص ١٣٩.

(٢) السبعة في القراءات: ص ١٤٠.

(٣) التيسير في القراءات السبع: ص ٥٠، والسبعة في القراءات: ص ١٣٩.

(٤) التيسير في القراءات السبع: ص ٧٢.

• كذلك زيد المرء بعد انتقاصه^(١)

وزدت فعل يتعدى الى مفعولين، قال تعالى: «وزدناهم هدى»^(٢)
«وزدناهم عذاباً فوق العذاب»^(٣) «وزاده بسطة في العلم والجسم»^(٤)
وقوله: «فزادهم ايماناً»^(٥) والمعنى: زادهم فوق الناس لهم ايماناً اضر
المصدر في الفعل، واسند الفعل اليه، كما قال: «مازادهم إلا نفورا»^(٦) أي
مازادهم مجيء النذير، والمعنى ازدادوا عنده.

وقال ابو عبيدة: المرض: الشك والتناق^(٧)، وقيل في قوله: «فيقطع
الذي في قلبه مرض»^(٨): أي فجور^(٩)، وقال سيبويه: مرضته قت عليه،
وليته، وأمرضته: جعلته مريضاً^(١٠).

وقيل: إِنَّ المرض الغمّ والوجع من الحسد والعداوة لكم^(١١) «فزادهم
الله مرضاً» دعاء عليهم، كما قال تعالى: «ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم»^(١٢).

(١) البيت لحسان السعدي، ذكره أبو زيد في نوادره: ص ١١٢.

(٢) الكهف: ١٣.

(٣) النحل: ٨٨.

(٤) البقرة: ٢٤٧.

(٥) آل عمران: ١٧٣.

(٦) فاطر: ٤٢.

(٧) تهذيب اللغة: مادة «مرض»، ج ١٢ ص ٣٥.

(٨) الأحزاب: ٣٢.

(٩) معاني القرآن للفراء: ج ٢ ص ٣٤٢.

(١٠) لم نعر عليه في كتبه المتوفرة لدينا، ونسب الأزهري الى الليث انظر تهذيب اللغة: مادة «مرض»

ج ١٢ ص ٣٤.

(١١) التوبة: ١٢٧.

(١٢) حكاية الفراهيدي في العين: ج ٧ ص ٤٠.

وأصل المرض: السقم في البدن فشبه ما في قلوبهم من النفاق والشك بمرض الاجساد.

والأليم بمعنى المؤلم الموجع، فعيل بمعنى مفعول، مثل بديع بمعنى مبدع، ومكان حريز بمعنى محرز. قال ذو الرمة:

• يصكّ وجوهها وهج اليم (١) •

فان قيل: اذا كان معنى قوله: «في قلوبهم مرض» أي شك ونفاق، ثم قال: «فزادهم الله مرضاً» ثبت ان الله يفعل الكفر بخلاف ما تذهبون اليه.

قيل: ليس الأمر على ما ذكرتم، بل معناه: إن المنافقين كانوا كلما أنزل الله آية أو سورة كفروا بها، فازدادوا بذلك كفراً الى كفرهم، وشكاً الى شكهم، فجاز لذلك أن يقال: فزادهم الله مرضاً لما ازدادوا هم مرضاً عند نزول الآيات.

ومثل ذلك قوله حكاية عن نوح: «رب اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً» (٢) وهم الذين ازدادوا فراراً عند دعائه. ومثل قوله: «فزادهم رجساً الى رجسهم» (٣) وانما أراد انهم ازدادوا عند نزول الآية.

وكقوله: «فاتخذتموهم سخرياً حتى انسوكم ذكري» (٤) والمؤمنون ما أنسوهم ذكر الله بل كانوا يدعونهم اليه تعالى، لكن لما نسوا ذكر الله عند ضحكهم من المؤمنين واتخاذهم إياهم سخرياً، جاز أن يقال: إن المؤمنين

(١) ديوان ذو الرمة: ص ٥٩٢.

(٢) نوح: ٥ و ٦.

(٣) التوبة: ١٢٥.

(٤) المؤمنون: ١١٠.

انسوهم.

ويقول القائل لغيره اذا وعظه فلم يقبل نصيحته: قد كنت شريراً فزادتك نصيحتي شراً، وانما يريد أنه ازداد عنده.

فلما كان المنافقون قد مرضت قلوبهم بما فيها من الشك، ثم ازدادوا شكاً وكفراً عند ما كان تجدد من امر الله ونهيه، وما ينزل من آياته، جاز أن يقال: «فزادهم الله مرضاً»

فان قيل: فعلى هذا ينبغي أن يكون انزال الآيات مفسدة، لانهم يزدادون عند ذلك الكفر.

قلنا: ليس حدّ المفسدة ما وقع عنده الفساد، وانما المفسدة ما وقع عندها الفساد، ولولاها لم يقع ولم يكن تمكيناً، وهذا تمكين لهم من النظر في معجزاته ودلائله فلم يكن استفساداً.

ولو كان الأمر على ما قالته المجبرة: إن الله يخلق فيهم الكفر لقالت الكفار ما ذنبنا، والله تعالى يخلق فينا الكفر ويمنعنا من الايمان، فلم تلومونا على ما فعله الله؟! فتكون الحجة لهم لاعليهم. وذلك باطل.

والتقدير في الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بنبيه مرض، وحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه، قال الشاعر:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي^(١)
يعني أصحاب الخيل كما قال: يا خيل الله اركبي، يعني يا أصحاب خيل الله، وكما قال تعالى: «واسأل القرية»^(٢) وانما أراد أهلها.

وروي عن ابن عباس أن المرض المراد به الشك والنفاق^(٣)، وبه قال

(١) البيت لعنترة العسبي في معلقته، ديوانه: ص ٦٣، وشرح المعلقات السبع للزوزني: ص ٢٠٦.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٤.

قتادة، وعبدالرحمن بن زيد^(١) و^(٢).

والكذب ضد الصدق، وهو الاخبار عن الشيء لاعلى ما هو به، يقال كذب يكذب كذبا وكذابا - خفيف وثقيل - مصدران. والكذب كالضحك، والكذاب كالكتاب، والاكذاب: جعل الفاعل على صفة الكذب. والتكذب: التحلي بالكذب.

وحجة من ضم الياء وشدد الذال أنه ذهب الى أنهم استحقوا العذاب بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وبما جاء به. ومن فتح الياء وخفف الذال قدر المضاف، كأنه قال: بكذبهم، وهو اشبه بما تقدم، وهو قولهم: «آمنا بالله وباليوم الآخر»^(٣)، فآخبر الله عنهم فقال: «وما هم بمؤمنين» ولذلك يحمل بتكذيبهم.

وادخل كان ليعلم ان ذلك كان فيما مضى، كقول القائل: ما احسن ما كان زيداً. وقال بعض الكوفيين^(٤): لا يجوز ذلك، لأن حذف كان، انما أجازوه في التعجب. لأن الفعل قد تقدمها فكأنه قال حسناً كان زيد. ولا يجوز ذلك هاهنا لأن كان تقدمت الفعل. قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ آية.

(١) وهو عبدالرحمان بن زيد بن أسلم العدوي العمري، له كتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب في التفسير، توفي في أوائل خلافة هارون الرشيد سنة ١٨٢ هـ.

(فهرست ابن النديم: ص ٢٨١، وشذرات الذهب: ج ١ ص ٢٩٧)

(٢) أشار الى قولها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٩٤.

(٣) البقرة: ٨.

(٤) راجع معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ١٩٦.

القراءة:

رام ضمّ القاف فيها وفي أخواتها الكسائي^(١) وهشام^(٢) ورويس^(٣) ووافقهم ابن ذكوان^(٤) في السين والحاء^(٥)، مثل: (حيل)^(٦) (وسيق)^(٧)، (سيئت)^(٨)، ووافقهم أهل المدينة في سيق وسيئت. فمن ضم ذهب إلى ما حكى عن بعض العرب^(٩): قد قول، وقد بوع المتاع، بدل قيل وبيع. ومن كسرهما قال: لأنّ ياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم. ومن أشمّ قال: أصله قول، فاستثقلت الضمة، فقلبت كسرة، واشمّت ليعلم أنّ الأصل كانت ضمة.

المعنى:

وروي عن سلمان^(١٠) -رحمه الله- أنه قال:

- (١) التيسير في القراءات السبع: ص ٧٢، السبعة في القراءات: ص ١٤١.
- (٢) التيسير في القراءات السبع: ص ٧٢.
- (٣) راجع السبعة في القراءات: ص ١٤١ و ١٤٢.
- (٤) وهو عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان الدمشقي المقرئ ويكنى أبو عمرو قرأ على أيوب بن تميم، ذكره ابن حبان في الثقات. توفي سنة ٢٤٢ هـ.
- (٥) البيان في تفسير القرآن: ص ١٤١، تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤٠١.
- (٦) السبعة في القراءات: ص ١٤٢.
- (٧) سبأ: ٥٤.
- (٨) الزمر: ٧١.
- (٩) الملك: ٢٧.
- (١٠) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ١٩٧.
- (١١) وهو أبو عبد الله سلمان الفارسي، لقّب رسول الله صلى الله عليه وآله بـ«سلمان المحمدي»،

لم يحییء هؤلاء^(١). وقال أكثر المفسرين: إنها نزلت في المنافقين الذين فيهم الآيات المتقدمة^(٢)، وهو الأقوى.

ويجوز أن يراد بها من صورتهم صورتهم، فيحمل قول سلمان - رحمه الله - على أنه أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية.

ومعنى قولهم له: «انما نحن مصلحون» يحتمل أمرين:

أحدهما: ان يقول: إن هذا الذي عندكم فساد هو صلاح عندنا، لأننا إذا قابلناهم استدعيناهم الى الحق في الدين.

والثاني: أن يجحدوا ذلك البلاغ.

والإفساد مأخوذ من الفساد، وهو كل ما يغير عن استقامة الحال،

تقول: فسد يفسد فساداً، والافساد إحداث الفساد، والمفاسدة المعاملة

بالفساد، والتفاسد تعاطي الفسادين اثنين. والاستفساد المطاوعة على الفساد.

[يقال لهم] لا تفسدوا في الأرض فيقولون انما نحن مصلحون، ويقال

لهم آمنوا كما آمن الناس فيقولون أنؤمن كما آمن السفهاء فليس هؤلاء

منافقين، بل مظهرون لكفرهم.

والآية في المنافقين، قيل: المنافقون وإن كانوا يظهرون الايمان للنبي

ويقال له «سلمان الخير» وردت الروايات الكثيرة في مدحه، وفي الحديث عن زرارة عن

أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: ضاقت الأرض

بسبعة بهم ترزقون وهم تصرون وهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبوذر وعمار

وحذيفة (رحمة الله عليهم) وكان علي عليه السلام يقول: وأنا امامهم، وهم الذين صلوا على

فاطمة عليها السلام. توفي سنة ٣٦ هـ.

(راجع رجال الكشي: ج ١ ص ٢٦ - ٣٤، والاصابة في تمييز الصحابة: ج ٢ ص ٦٢)

(١) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٩٧.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٢٥، والطبري في التفسير: ج ١ ص ٩٧.

(٣) ما بين المقوفتين اثبتناه لاقتضاء السياق.

صلى الله عليه وآله فانهم كانوا لا يألون المسلمين خبالا، وكانوا يشبطون عن النبي صلى الله عليه وآله ويدعون الى ترك نصرته من يشقون باستماعهم منهم، ومن يظنون ذلك به، فرعا صادفوا من المؤمنين التقي فيجيبهم بما ذكر الله، فاذا أخبر أولئك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكروا له ما قالوا، وعاتبهم النبي صلى الله عليه وآله عادوا الى إظهار الايمان والندم عليه، او كذبوا قائله والحاكي عنهم، وكان لا يجوز في الدين إلا قبول ذلك منهم بما يظهرون، وخاصة في صدر الاسلام، والحاجة الى تألف قلوبهم ماسة. ومن قرأ الاخبار تبين صحة ما قلناه^(١).

والافساد في الارض: العمل فيها بما نهى الله عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه، كما قال تعالى حاكياً عن الملائكة: «أتجعل فيها من يفسد فيها»^(٢) يعنون من يعصيك ويخالف امرك، وهذه صفة المنافقين.

والأرض: هي المستقر للحيوان، ويقال لقوائم البعير: أرض، وكذلك الفرس ان قوي. والأرض: الرعدة، وقال ابن عباس: ما أدري إذا زلزلت الأرض أم بي أرض^(٣)؟ أي بي رعدة، والأرضة: دوية تأكل الخشب. والصلاح: استقامة الحال، فالاصلاح: جعل الحال على الاستقامة. والاصطلاح الاجتماع. والتصالح: التماسي على الصلاح، ومنه المصالحة والاستصلاح، والصالح: المستقيم الحال، والمصلح: المقوم للشيء على الاستقامة.

[قوله تعالى]

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

(١) لاحظ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ١١٨.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) نقله عنه الجوهرى في الصحاح: مادة «أرض» ج ٣ ص ١٠٦٤.

الأعراب والتفسير:

ألا: فيها تنبيه، ومعناها لاستفتاح الكلام، ومثله: ألا ترى؟ أما
تسمع؟ وأصلها (لا) دخل عليها ألف الاستفهام والألف إذا دخل على
الجحد أخرجه الى الايجاب نحو قوله: «أليس ذلك بقادر على أن يحيي
الموتى»^(١)؟ لأنه لا يجوز للمجيب إلا الاقرار بـ (بلى).

والهاء والميم في موضع النصب بأن، وهم فصل عند البصريين^(٢)،
ويستمي الكوفيون عماداً^(٣).

وقوله «لا يشعرون» قد فسرناه وفيها دلالة على من قال: بان الكفار
معاندون عالمون بخطأ ما هم عليه، وان المعرفة مزورة، فوصفهم بانهم «هم
المفسدون» لا يمنع من وصف غيرهم بانه مفسد، لأن ذلك دليل الخطاب.
وحكي عن ابن عباس: أن معنى قوله «إنما نحن مصلحون» إنما يريد
الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب^(٤).

وحكي عن مجاهد انهم اذا ركبوا معصية الله، قيل لهم: لا تفعلوا هذا،
قالوا: إنما نحن مصلحون، أي: إنما نحن على الهدى^(٥).

وكلا الأمرين محتمل؛ لأنها جميعاً عندهم أنه إصلاح في الدين وإن
كان ذلك إفساداً عند الله، ومن حيث أنه خلاف لما أمرهم به، وإنما جاز

(١) القيامة: ٤٠.

(٢) كتاب سيبويه: ج ١ ص ٤٦١.

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٤.

(٤) حكاة الطبري في التفسير: ج ١ ص ٩٨.

(٥) حكاة الطبري في التفسير: ج ١ ص ٩٨.

تكليف ما لا يشعر أنه على ظلال لأن له طريقاً الى العلم به .

[قوله تعالى]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ آية .

القراءة:

قرأ ابن عامر^(١) وأهل الكوفة^(٢) بتحقيق الهمزتين، وكذلك كل همزتين مختلفتين من كلمتين . الباقر بتحقيق الاولى وتلين الثانية .

المعنى:

المعنى بهذه الآية هم الذين وصفهم تعالى بأنهم يقولون: «آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين»^(٣) .

والمعنى إذا قيل لهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وبما جاء من عند الله، كما آمن به الناس، يعني المؤمنين حقاً، لأن الألف واللام ليسا فيه للاستغراق، بل دخلا للعهد، فكأنه قيل: آمنوا كما آمن الناس الذين تعرفونهم باليقين والتصديق بالله ونبيه صلى الله عليه وآله وبما جاء به من عند الله .

والألف في قوله: «أنؤمن» ألف إنكار، وأصلها الاستفهام، ومثله

(١) راجع التيسير في القراءات السبع: ص ٣٣ .

(٢) لم نعر عليه .

(٣) البقرة: ٨ .

«أنطعم من لو يشاء الله أطعمه»^(١) وكقول القائل: أأضيع ديني وأتلم مروتي؟ وكل هذا جواب، لكن قد وضع السؤال فيه وضعاً فاسداً، لوصفهم ان الذين دعوا إليهم سفهاء.

وموضع (إذا) نصب، وتقديره: قالوا إذا قيل لهم ذلك أنؤمن، فالعامل فيه قالوا.

والسفهاء جمع سفيه، مثل: علماء وعلم، وحكماء وحكيم، والسفيه: الضعيف الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار، ولذلك سَمَى الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله: «لا تَتُوتُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم»^(٢) فقال عامة أهل التأويل هم النساء والصبيان لضعف آرائهم.

وأصل السفه: خفة الحلم وكثرة الجهل، يقال: ثوب سفيه إذا كان رقيقاً بالياً. وسفهته الريح: إذا طيرته كل مطير. وفي أخبارنا: أن شارب الخمر سفيه^(٣).

فأمر الله تعالى أن يؤمنوا كما آمن المؤمنون المستبصرون فقالوا: أنؤمن كما آمن الجاهل ومن لا رأي له ومن لا عقل له كالصبيان والنساء، فحكم الله عليهم حينئذٍ بأنهم السفهاء بأخباره عنهم بذلك. وهو من تقدّم ذكره من المنافقين.

والسفيه إنما سمي مفسداً من حيث انه يفسد من حيث يظن انه يصلح، ويضَيِّع من حيث يرى أنه يحفظ، وكذلك المنافق يعصي ربه من

(١) يس: ٤٧.

(٢) النساء: ٥.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٢٩٩ ح ١، تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٠ ح ٢١ و ٢٢.

حيث يظن انه يطيع ويكفر به من حيث يظن أنه يؤمن به . والألف واللام في السفهاء للعهد كما قلناه في الناس .
وهذه الآية أيضاً فيها دلالة على من قال: إن الكافر لا يكون إلا معانداً، لأنه قال: «ولكن لا يعلمون».

[قوله تعالى]

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤٢﴾ آية.

القراءة:

قريء في الشواذ: «واذا لاقوا الذين»^(١)، قرأها البجلي وفي القراءة من همز «مستهزئون»، ومنهم من ترك الهمزة^(٢).

المعنى:

حكى عن ابن عباس أنه قال: هذه في صفة المنافقين فكان الواحد منهم اذا لقي اصحاب النبي صلى الله عليه وآله قال: إنا معكم أي على دينكم وإذا خلوا الى شياطينهم -يعني اصحابهم- قالوا انما نحن مستهزئون يعني نسخر منهم^(٣).

(١) لم نعر على هذه القراءة في كتب القراءات المتوفرة لدينا.

(٢) لاحظ السبعة في القراءات: ص ١٤٢ .

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٤، ونحوه في أسباب النزول للواحدي: ص ١٣.

يقال خلوت اليه، وخلوت معه. ويقال خلوت به على ضربين: أحدهما: بمعنى خلوت معه، والآخر: بمعنى سخرت منه. وخلوت اليه في قضاء الحاجة لاغير. وخلوت إليه له معنيان: أحدهما: هذا، والآخر: سخرت منه. قال الأخفش^(١). «وقد تكون «الى» في موضع الباء، «وعلى» في موضع عن، وانشد:

إذا رضيت عليّ بنوقشير
لعمر الله أعجبنى رضاها^(٢)
فعلى هذا يحتمل أن تكون الآية: «خلوا مع...».

وقال الرماني: الفرق بين اللقاء والاجتماع، أن اللقاء لا يكون إلا على وجه المجاورة، والاجتماع قد يكون كاجتماع العزمين في محل^(٣). وقد بينا معنى الشيطان فيما مضى.

معكم ومعكم - بفتح العين وسكونها - لغتان.

وترك الهمزة في «مستهزئون» لغة قريش وعامة غطفان وكنانة بعضها يجعلها بمنزلة يستقصون، ويستعدون بحذفها. وبعض بني تميم وقيس يشيرون الى الزاء بالرفع، بين الرفع والكسر، وهذيل، وكثير من تميم يخففون الهمزة.

وقال بعض الكوفيين: إن معنى «إذا خلوا»: إذا انصرفوا خالين، فلأجل ذلك قال: الى شياطينهم. على المعنى^(٤)، وهو مليح.

(١) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣١٦.

(٢) قائله الفحيف العامري، انظر مجاز القرآن لابي عبيدة: ج ٢ ص ٨٤.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٠٢.

وقيل: إن شياطينهم: رؤساؤهم^(١) وقيل: أريد بهم أصحابهم من الكفار^(٢).

وروي عن أبي جعفر عليه السلام: أنهم كهانهم^(٣). والاستهزاء: طلب الهزء بايهاً أمر ليس له حقيقة في من يظن فيه الغفلة. والهزء: ضد الجدة يقال هزئ به هزء، والتهزي: طلب الهزء بالشيء، وغرضهم كان بالاستهزاء مع علمهم بقبحه وحقن دمائهم باظهار الايمان واذا خلوا الى شياطينهم كشفوا ما في نفوسهم. [قوله تعالى]

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤٥﴾ آية.

الاعراب:

الله: رفع بالابتداء وخبره: يستهزئ بهم.

المعنى:

والله تعالى لا يجوز عليه حقيقة الاستهزاء لأنها السخرية على ما بيناه ومعناها من الله هو الجزاء عليها وقد يسمى الشيء باسم جزائه، كما يسمى الجزاء باسم ما يستحق به، كما قال تعالى: «وجزاء سيئة سيئة مثلها»^(٤)

(١) تفسير ابن عباس: ص ٤.

(٢) لاحظ تفسير الطبري: ج ١ ص ١٠١.

(٣) ذكرها الطبري في مجمع البيان: ج ١ ص ١١٠، ونقلها عنه العلامة الحويزي في نور الثقلين: ج ١ ص ٣٥، ولم نثر على نصها في مصادرنا المتقدمة.

(٤) الشورى: ٤٠.

وقال: «ومكروا ومكر الله»^(١) وقال: «وان عاقبتهم فعاقبوا»^(٢) والأول ليس بعقوبة والعرب تقول: الجزاء بالجزاء. والأول ليس بجزاء والبيت الاول شاهد بذلك .

وقيل: إن استهزاءهم لما رجع عليهم جاز أن يقول عقيب ذلك: «الله يستهزئ بهم» يراد به ان استهزاءهم لم يضر سواهم وانه دمر عليهم واهلكهم، يقول القائل: أراد فلان أن يخدعني فخدعته: أي دبر علي امرأ فرجع ضرره عليه. وحكي عن بعض من تقدم أنه قال اذا تخادع لك انسان ليخدعك فقد خدعته.

وقيل^(٣): أيضاً: ان الاستهزاء من الله: الاملاء الذي يظنونه إغفالاً.
وقيل^(٤): إنه لما كان ماظهره من اجراء حكم الاسلام عليهم في الدنيا بخلاف ماأجراه عليهم في الآخرة من العقاب، وكانوا فيه على اغترار به كان كالاستهزاء.

وروي في الاخبار^(٥): أنه يفتح لهم باب جهنم فيظنون أنهم يخرجون منها فيزدحمون للخروج فاذا انتهوا الى الباب ردتهم الملائكة حتى يرجعوا، فهذا نوع من العقاب وكان كالاستهزاء، كما قال الله تعالى: «كلما أرادوا أن يخرجوا منها من عم أعيدوا فيها»^(٦).

(١) آل عمران: ٥٤.

(٢) النحل: ١٢٦.

(٣) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ١٤٥.

(٤) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ١٤٦.

(٥) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ١٢٣.

(٦) الحج: ٢٢.

وقوله «يَمْدَهُم» حكى عن ابن عباس^(١) وابن مسعود^(٢) أنها قالوا: معناه يملئ لهم بأن يطول أعمارهم، وقال مجاهد^(٣): يزيدهم، وقال بعض النحويين: يمدّهم كما يقولون نلعب الكعاب: أي بالكعاب^(٤).

وحكى أن مد وأمدّ لغتان، وقيل مددت له وأمددت له يقال مدّ البحر فهو مادم، وأمدّ الجرح فهو ممد^(٥)، قال الجرمي^(٦)، ما كان من الشرف فهو مددت وما كان من الخير فهو أمددت^(٧)، فعلى هذا، إن أراد تركهم، فهو من مددت وإذا أراد إعطاءهم يقال أمدّهم، وقرئ في الشواذ: ويمدّهم بضم الياء^(٨).

وقال بعض الكوفيين كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه، فهو مددت بغير ألف، كما يقولون مدّ النهر ومدّه نهر آخر، فصار منه إذا اتصل به، وكل زيادة حدثت في الشيء من غيره فهو أمددت بألف، كما يقال أمدّ الجرح لأن المدة من غير الجرح، وأمددت الجيش^(٩).

وأقوى الأقوال أن يكون المراد به نمدّهم على وجه الاملاء والترك لهم

(١) قال ابن عباس في التفسير: ص ٤ ويمدّهم: أي يتركهم في الدنيا في كفرهم وضلالتهم، وحكاة

أيضاً الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٠٤.

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٠٤.

(٣) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٠٤.

(٤) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٠٦.

(٥) لاحظ معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٠٦.

(٦) هويونس الجرمي.

(٧) نقل قوله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٠٦.

(٨) لم نثر على هذه القراءة في المصادر المتوفرة.

(٩) ذكره الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٠٥.

في خيرهم، كما قال: «انما نعلي لهم ليزدادوا إثماً»^(١)، وكما قال: «ويمدهم في طغيانهم يعمهون» يعني يتركهم فيه.

والطغيان: الفعلان من قولك طغى فلان يطغى طغياناً اذا تجاوز حده، ومنه قوله: «كلا إن الانسان ليطغى»^(٢) أي يتجاوز حده، والطاغية: الجبار العنيد، وقال أمية بن أبي الصلت:

ودعا الله دعوة لات هتأ بعد طغيانه فظلّ مشيراً^(٣)

يعني لاهنا. ومعناه في الآية: في كفرهم يترددون. والعمه: التحير. يقال: عمه يعمه عمهاً فهو عمه، وعامه: أي حائر عن الحق، قال رؤبة.

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالجائرين العمه^(٤)
جمع عامه.

فإن قيل: كيف يخبر الله أنه يمدهم في طغيانهم يعمهون، وانتم تقولون: إنما أبقاهم ليؤمنوا لالیکفروا، وانه أراد منهم الايمان دون الكفر.

قيل معناه: أنه يتركهم وما هم فيه لا يحول بينهم وبين ما يفعلونه، ولا يفعل بهم من الألطاف التي يؤتيا المؤمنين، فيكون ذلك عقوبة لهم واستصلاحاً. ونظير ذلك قول القائل لأخيه اذا هجره أخوه متجنّياً عليه اذا استعته فلم يراجعه: سأمدّ لك في الهجران مدّاً، يريد سأتركك وما صرت اليه تركاً ينبهك على قبح فعلك، لأنه يريد بذلك أن يهجره أخوه، ولكن على وجه الغضب والاستصلاح والتنبيه.

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) العلق: ٦.

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت: ص ٣٤.

(٤) ديوان رؤبة: ص ١٦٦.

[قوله تعالى]

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ بِمَحَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿١١﴾ آية.

القراءة:

ضم جميع القراء الواو من «اشترُوا الضلالة»^(١). وروى السوخري عن زيد ابن اسماعيل بتخفيف ضمة الواو^(٢)، وكذلك نظائره، نحو: «لتبلون»^(٣) و«فتمتوا الموت»^(٤).

وروي عن يحيى بن يعمر^(٥) في الشواذ أنه كسرهما^(٦)، شبهها بواو لوفي قوله: «لو استطعنا لخرجنا»^(٧). وضم يحيى بن وثاب واو «لواو»^(٨) وفيما ذكرناه شبهها بواو الجمع.

والصحيح ما عليه القراء، لأن الواو في الآية ونظائرها واو الجمع فحركات بالحركة التي من جنسها لالتقاء الساكنين.

(١) السبعة في القراءات: ص ١٤٣.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) آل عمران: ١٨٦.

(٤) البقرة: ٩٤.

(٥) وهو أبو سليمان يحيى بن يعمر البصري، روى عن علي عليه السلام وأبي ذر وعمار، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان من فصحاء أهل زمانه، توفي سنة ٨٩هـ.

(٦) تهذيب التهذيب: ج ١١ ص ٣٠٥، وتقريب التهذيب: ج ٢ ص ٣٦١

(٧) الشواذ لابن خالويه: ص ٢.

(٨) التوبة: ٤٢.

(٩) المنافقون: ٥.

المعنى:

وهذه الآية الاشارة بها الى من تقدم ذكره من المنافقين، وقال ابن عباس^(١) اشتروا الكفر بالايمان، وقال قتادة^(٢): استحبوا الضلالة على الهدى، وقال ابن مسعود^(٣): اخذوا الضلالة وتركوا الهدى، وقال مجاهد^(٤): آمنوا ثم كفروا.

وهذه الأقوال متقاربة المعاني.

فان قيل: كيف اشتروا هؤلاء القوم الضلالة بالهدى، وانما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان. فيقال: فيهم باعوا ما كانوا عليه بضاللتهم التي استبدلوها منه، والمفهوم من الشراء اعتياض شيء ببذل شيء مكانه عوضاً منه، وهؤلاء ما كانوا قط على الهدى؟.

قلنا: من قال بأن الآية مخصوصة بمن كفر بعد إيمانه فقد تخلص من هذا السؤال، غير أن هذا لا يصح عندنا، من أن من آمن بالله لا يجوز أن يكفر. وان حملنا على اظهار الايمان لم يكن في الآية توبيخ ولا ذم؛ والآية تتضمن التوبيخ على ما هم عليه؛ لأنها اشارة الى ما تقدم وتلك صفات المنافقين.

والجواب عن ذلك ان نقول: إن من ارتكب الضلالة وترك الهدى جاز أن يقال ذلك فيه، ويكون معناه: كان الهدى الذي تركه هو الثمن الذي جعله عوضاً عن الضلالة التي أخذها فيكون المشتري أخذ المشتري مكان الثمن المشتري به، كما قال الشاعر:

(١) تفسير ابن عباس: ص ٤.

(٢) و(٣) و(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٠٦.

أخذت بالجمعة رأساً أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمراً جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصراً^(١).
ومنها من قال: استحبوا الضلالة على الهدى^(٢)، انما قال ذلك لقوله
تعالى: «واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى»^(٣) فحمل هذه
الآية عليه.

ومن حملها على انهم اختاروا الضلالة على الهدى فان ذلك مستعمل في
اللغة يقولون: اشتريت كذا على كذا، واشتريته يعنون اخترته. قال أعشى
بني ثعلبة:

فقد أخرج الكاعب المشتراة من خدرها واشيع القمارا^(٤)
يعني: المختارة، قال ذوالرمة في معنى الاختيار:
يذب القصايا عن شراة كأنها جاهير تحت المدجنات الهواضب^(٥)
وقال آخر:

إن الشراة روقة الاموال وحزرة القلب خيار المال^(٦)
والأول أقوى لقوله: «فما ربحت تجارتهم» فبين إن ذلك بمعنى الشراء
والبيع الذي يتعارفه الناس. والربح - وان اضافة الى التجارة - فالمراد به
التاجر لأنهم يقولون: ربح بيعك وخسر بيعك، وذلك يحسن في البيع

(١) رجز لابي نعم، أورده النيشابوري في هامش تفسير الطبري: ج ١ ص ١٦٢، ولم نعر عليه.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٠٦.

(٣) فصلت: ١٧.

(٤) انظر ديوانه: ص ٣٥، وفيه المستراة بدل المشتراة فلاحظ.

(٥) انظر ديوانه: ص ٦٢.

(٦) البيت أورده الجوهري في الصحاح، مادة «حرز»: ج ٢ ص ٦٢٩.

والتجارة؛ لأن الربح والخسران يكون فيهما. ومتى التبس فلا يجوز إطلاقه. لا يقال: ربح عبدك إذا أراد ربح في عبده، لأن العبد نفسه قد يربح ويخسر. فلما أوهم لم يطلق ذلك فيه. وقيل^(١): إن المراد، فما ربحوا في تجارتهم، كما يقال: خاب سعيك؛ أي خبت في سعيك.

وانما قال ذلك ها هنا لأن المنافقين بشرائهم الضلالة خسروا ولم يربحوا، لأن الرابح من استبدل سلعة بما هو أرفع منها.

فاما اذا استبدلها بما هو أدون منها فانما يقال خسر؛ فلما كان المنافق استبدل بالهدى الضلالة وبالرشاد الخيبة عاجلاً وفي الآخرة الثواب بالعقاب كان خاسراً غير رابح.

وانما قال: «وما كانوا مهتدين»، لانه يخسر التاجر ولا يربح ويكون على هدى، فأراد الله تعالى أن ينفي عنهم الربح والهداية فقال: «فما ربح تجارتهم وما كانوا مهتدين» باستبدالهم الكفر بالايان، واشترائهم النفاق بالتصديق والاقرار بها.

فان قيل: لم قال: فما ربحت تجارتهم في موضع ذهب رؤوس أموالهم؟

قيل: لأنه قد ذكر الضلالة بالهدى، فكأنه قال: طلبوا الربح فما ربحوا، لما هلكوا، وفيه معنى ذهب رؤوس أموالهم ويحتمل أن يكون ذلك على وجه التقابل، وهوان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا، كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا.

[قوله تعالى]

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ
بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ آية.

اللغة:

إن قيل: كيف قال: «مثلهم»، أضاف المثل الى الجمع، ثم شبهه
بالواحد في قوله: «كمثل الذي استوقد ناراً»، هلا قال كمثل الذين
استوقدوا ناراً، يكتفي به عن جماعة من الرجال والنساء والصبيان، والذي
لا يعبر به إلا عن واحد مذكّر ولو جاز ذلك، لجاز أن يقول القائل: كأن
أجسام هؤلاء - ويشير الى جماعة عظيمي القامة - نخلة، وقد علمنا أن ذلك
لا يجوز؟

قلنا: في الموضع الذي جعله مثلاً لأفعالهم جائز حسن وله نظائر كقوله:
«تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت»^(١)، والمعنى: كدور أعين
الذي يغشى عليه من الموت. وكقوله: «ما خلقتكم ولا بعثتكم إلا كنفس
واحدة»^(٢) ومعناه: إلا كبعث نفس واحدة لأن التمثيل وقع للفعل بالفعل.
وأما في تمثيل الأجسام لجماعة من الرجال في تمام الخلق والطول
بالواحد من النخيل، فغير جائز، ولا في نظائره.

التفسير:

والفرق بينهما، أن معنى الآية، أن مثل استضاءة المنافقين بما أظهرها من

الاقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله وبما جاء به قولاً، وهم به مكذبون اعتقاداً، كمثّل استضاءة الموقد، ثم اسقط ذكر الاستضاءة، وأضاف المثل اليهم كما قال الشاعر وهو نابغة جعدة:

وكيف تواصل من اصبحت خلالته كأبي مرحب^(١)
أي كخلالة أبي مرحب، واسقط لدلالة الكلام عليه.

وأما إذا أراد تشبيه الجماعة من بني آدم وأعيان ذوي الصور والاجسام بشيء فالصواب أن يشبه الجماعة بالجماعة، والواحد بالواحد، لأن عين كل واحد منهم غير اعيان الاخر، كما قال تعالى: «كانهم خشب مسندة»^(٢) وقال: «كانهم أعجاز نخل خاوية»^(٣) واراد جنس النخل ومثّل قوله: ما فاعلكم إلا كفعل الكلب ثم يحذف الفعل فيقال: ما فاعلكم إلا كالكلب.

وقيل^(٤): إن «الذي» بمعنى الذين كقوله: «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون»^(٥) وقال الشاعر:

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد^(٦)
وانما جاز ذلك، لأنّ الذين منهم يحتمل الوجوه المختلفة.

(١) كتاب سيبويه: ج ١ ص ١٣٣، وأورده في اللسان: مادة «رحب»، ج ١ ص ٤١٦. الخلاصة: الصداقة، وأبو مرحب كناية عن الظل.

(٢) المنافقون: ٤.

(٣) الحاقة: ٧.

(٤) معاني القرآن للقرّاء: ج ١ ص ١٥، وتأويل مشكل القرآن: ص ٣٦١.

(٥) الزمر: ٣٣.

(٦) الشعر لأشهب بن رميلة، راجع كتاب سيبويه: ج ١ ص ١١٧، والعين: ج ٨ ص ٢٠٩، وبجاز القرآن: ج ١ ص ١٩٠.

وضَعَفَ هذا الوجه من حيث أنَّ في الآية الثانية وفي البيت دلالة على انه أريد به الجمع، وليس ذلك في الآية التي نحن فيها.

وقيل فيه وجه ثالث وهو: ان التقدير مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد ناراً، وكما قال: «واسأل القرية»^(١) وانما أراد أهلها، وفي الآية حذف «طفئت عليهم النار»^(٢).

وقوله: «استوقد ناراً» معناه: أوقد ناراً، كما يقال استجاب بمعنى أجاب قال الشاعر:

وداع دعا يامن يحيب الى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب^(٣)
يريد: فلم يجبه.

الوقود: الحطب، والوقود: مصدر وقدت النار وقوداً، والاستيقاد: طلب الوقود، والايقاد: إيقاد النار، والتوقد: التوهج، والايقاد: التهاب النار، وزند ميقاد: سريع الوري، وقلب وقاد: سريع الذكاء والنشاط، وكل شيء يتلأأ فهو يتقد. وفي الحجر نار لا تقد، لأنها لا تقبل الاحتراق، والوقود: ظهور النار فيما يقبل الاحتراق.

وأصل النار النور. نار الشيء اذا ظهر نوره، وأنار: اظهر نوره، واستنار: طلب اظهار نوره، والمنار: العلامات، والنار: السمات، وضاءت النار: ظهر ضوءها، وكل ماوضح فقد أضاء، وضاء القمر الدار، كقوله: أضاءت ماحوله، قال الشاعر:

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) لاحظ معاني القرآن للفرّاء: ج ١ ص ١٥.

(٣) رثاء لكعب بن سعد الغنوي، انظر الأصمعيات: ص ١٤.

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الدرثاقبه^(١) وقوله: «حوله» مأخوذ من الحول وهو الانقلاب، يقال: حال الحول إذا انقلب الى أول السنة، وأحال في كلامه إذا صرفه عن وجهه، وحوله عن المكان أي نقله الى مكان آخر، وتحول: تنقل واحتال عليه، وحاوله: طالبه بالانقلاب الى مراده.

والحول في العين - بالفتح - والجول - بالكسر - الانقلاب عن الأمر، ومنه قوله: «لا يبيغون عنها حولا»^(٢)، والحوالة انقلاب الحق عن شخص الى غيره، والمحالة: البكرة. والحيلة: إيهام الأمر للخديعة، وحال بينه وبينه: مانع، والحائل: الناقة التي انقطع حملها. والحائل: العير. وحولة الصبا: أي دائرته.

ذهب به وأذهب: أي أهلكه، لا ذهابه الى مكان يعرف، ومنه «ذهب الله بنورهم»، والمذهب: الطريقة في الأمر، والذهبة: المطرة الجود. وقوله: «وتركهم في ظلمات»: أي أذهب النور بالظلمات. وتاركه متاركة وتشاركوا: تقابلوا في الترك، واترك اتراكا: اعتمد الترك، والتركة والتريكة: بيضة النعام المنفردة لتركها وحدها.

والظلمات: جمع الظلمة، واصلها انتقاص الحق من قوله: ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص، واطلم الجواد احتمل انتقاص الحق لكرمه، ومن أشبه أباه فما ظلم أي ما انتقص حق الشبه، وظلمت الناقة: اذا انحرت من غير علة. والظلم: ماء الاسنان من اللون لامن الريق، والظلم: الثلج.

وقوله: «في ظلمات لا يبصرون»، قال ابن عباس: إنهم يبصرون الحق

(١) لم نجد البيت، ولم نقف على قائله.

(٢) الكهف: ١٠٨.

ويقولون به حتى اذا خرجوا من ظلمة الكفر، أطفأوه بكفرهم به، فتركهم في ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق^(١).

وروي عنه أيضاً أنه قال: هذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالاسلام، فيناكحهم المسلمون ويولدونهم، ويقاسمونهم الفتي، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلب صاحب النار ضوؤه، وتركهم في عذاب^(٢). وهو أحسن الوجوه.

وقال أبو مسلم: معناه أنه لانور لهم في الآخرة، وإن ما أظهره في الدنيا يضمحل سريعاً كاضمحلال هذه اللمة وحال من يقع في الظلمة بعد الضياء أشقى في الحيرة، وكذلك حال المنافقين في حيرتهم بعد اهتدائهم، ويزيد استضرارهم على استضرار من طفئت ناره بسوء العاقبة^(٣).

وروي عن ابن مسعود وغيره: أن ذلك في قوم كانوا اظهروا الاسلام، ثم اظهروا النفاق، فكان النور الايمان، والظلمة نفاقهم^(٤).

وقيل: فيها وجه تقارب ماقلناه^(٥).

وتقدر بعد قوله: «فلما اضاءت ماحوله» انطفأت، لدلالة الكلام عليها كما قال أبو ذؤيب الهذلي: ^(٦)

(١) تفسير ابن عباس: ص ٥.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٥، نقلاً بالمعنى.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه، ولم نجد من نقل عنه في المراجع المتوفرة.

(٤) رواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٠.

(٥) راجع تفسير ابن عباس: ص ٥، ومعاني القرآن للقرطبي: ج ١ ص ١٥.

(٦) وهو خويلد بن خالد بن غرث، يكنى أبو ذؤيب الهذلي، شاعر جاهلي وفي عصر الاسلام، من الشعراء المخضرمين، هلك له خمسة أولاد في الطاعون، خرج مع عبدالله بن الزبير في مغزى نحو

دعاني إليها القلب إنني لامره مطيع فما ادري أرشد طلابها؟^(١)
وتقديره، أرشد طلابها أم غي؟.

وقال الفراء: يقال ضاء القمر يضيء، وأضاء يضيء، لغتان وهو الضوء والضوء بفتح الضاد وضما، وقد اظلم الليل، وظلم بفتح الظاء وكسر اللام^(٢)، وظلمات على وزن غرفات وحجرات وخطوات.

فاهل الحجاز وبنو اسد يثقلون، وتميم وبعض قيس يخفون، والكسائي يشم الهاء الرفع بعد نصب اللام في قوله: «حوله»، و«نجم عظامه»^(٣) في حال الوقف، الباكون لا يشمون وهو أحسن.

[قوله تعالى]

صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ آية بلاخلاف.

التفسير واللغة:

قال قتادة: «صم» لا يسمعون الحق «بكم» لا ينطقون به «عمي» لا يرجعون عن ضلالتهم^(١).

«صم» رفع على انه خبر ابتداء محذوف، وتقديره هؤلاء الذين ذكرناهم في القصة صم بكم عمي.

المغرب فات هناك ، وقبل مات في خلافة عثمان بطريق مكة، فدفنه ابن الزبير.

(الشعر والشعراء: ص ٤١٣)

(١) ديوان المهذلين: ج ١ ص ٧١.

(٢) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ١٨.

(٣) القيامة: ٣.

(٤) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٤.

والأصم: هو الذي ولد كذلك، وكذلك الأبكم هو الذي ولد أخرس، ويقال الأبكم: المسلوب الفؤاد. ويجوز أن يجمع أصم صمان، مثل أسود وسودان.

وأصل الصم: السد، فنه الصم: سدّ الاذن بما لا يقع معه سمع. وقناة صماء: كبيرة الجوف صلبة، لسدّ جوفها بامتلائها. وفلان أصم: لسدّ خروق مسامعه عن إدراك الصوت، وحجر أصم؛ أي صلب، وفتنة صماء. أي شديدة. والتصميم: المضي في الأمر، والصمام: ما يشدّ به رأس القارورة، لسدّه رأسها، والفعل: أصمّها. والصميم: العظم الذي هو قوام العضو، لسدّ الخلل به.

وأصل البكم: الخرس. وقيل: هو الذي يولد أخرس، وبكم عن الكلام: إذا امتنع منه جهلاً أو تعمداً كالخرس، والأبكم: الذي لا يفصح، لأنه كالأخرس^(١).

وأصل العمى: ذهاب الإدراك بالعين، والعمى في القلب كالعمى في العين بأفة تمنع من الفهم، وأعماه: إذا أوجد في عينيه عمى، وعمى الكتاب تعمية، وتعمى عن الأمر تعامياً، وتعمى الأمر: تطمس كأنّ به عمى، وما أعماه: من عمى القلب، ولا يقال ذلك من الجارحة، والعماية: الغواية. والعماء: السحاب الكثيف المنطبق.

والرجوع: مصدر رجع يرجع رجوعاً، ورجعة ورجعا، والارتجاع: اجتلاب الرجوع، والاسترجاع: طلب الرجوع، وتراجع: تحامل، وترجع: تعمد للرجوع، ورجع: كثر في الرجوع، ورجع الجواب: ردّه، والمرجوعة:

(١) مقاييس اللغة: مادة «بكم»، ج ١ ص ٢٨٤.

جواب الرسالة. والرجع: المطر، ومنه قوله: «والسواء ذات الرجع»^(١)
والرجع: نبت الربيع والرجوع عن الشيء بخلاف الرجوع اليه.

المعنى:

والمعنى: إنهم صم عن الحق لا يعرفونه، لأنهم كانوا يسمعون بآذانهم،
وبكم عن الحق لا ينطقون مع ان ألسنتهم صحيحة، عمى لا يعرفون الحق
واعينهم صحيحة، كما قال: «وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون»^(٢).
«فهم لا يرجعون» ويحتمل أمرين:

أحدهما: ما روي عن ابن عباس، أنه على الذم والاستبطاء^(٣).
والثاني: ما روي عن ابن مسعود، انهم لا يرجعون الى الاسلام^(٤).
وقال قوم: انهم لا يرجعون عن شراء الضلالة بالهدى^(٥). وهو أليق بما
تقدم.

وهذا يدل على أن قوله: «ختم الله على قلوبهم»^(٦) «وطبع الله
عليها»^(٧)، ليس هو على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان، لأنه وصفهم
بالصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم. وانما أخبر بذلك عن إلفهم

(١) الطارق: ١١.

(٢) الاعراف: ١٩٨.

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٥، نقلاً بالمعنى، ورواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٤.

(٤) رواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٤.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ١١٤.

(٦) البقرة: ٧.

(٧) النساء: ١٥٥.

الكفر واستثقالهم للحق والايان، كأنهم ماسمعه ولا رأوه فلذلك قال: «طبع الله على قلوبهم»^(١) «وأصلهم»^(٢) و«أصتهم وأعمى أبصارهم»^(٣) «وجعلنا على قلوبهم أكنة»^(٤) «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم»^(٥). وكان ذلك إخباراً عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم وأمره لهم بالطاعة والايان لأنه مافعل بهم مامنهم من الايمان.

وقد يقول الرجل: حب المال قد أعمى فلاناً واصمته ولا يريد بذلك نفي حاسته لكنه اذا شغله عن الحقوق والقيام بما يجب عليه قيل: أصمته وأعماه وكما قيل في المثل: حبك للشيء يعمي ويصم^(٦)، ويريدون به ماقلناه وقال مسكين الدارمي^(٧):

أعمى اذا ماجارتي خرجت حتى يوارى جارتي الخدر
ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر^(٨)
وقال آخر:

(١) التوبة: ٩٣، النحل: ١٠٨، محمد: ١٦.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) محمد: ٢٣.

(٤) الانعام: ٢٥، والاسراء: ٤٦، والكهف: ٧.

(٥) الصف: ٥.

(٦) مجمع الأمثال للنيسابوري: ج ١ ص ١٩٦، تحت رقم ١٠٣٧.

(٧) وهو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارمي القمي، ومسكين لقب له، كان شاعراً مطبوعاً، وسيداً من سادات قومه، كان له أثر كبير في ترشيح يزيد بن معاوية للخلافة، توفي سنة ٩٠ هـ.

(الأغاني: ج ٢٠ ص ٢٠٥)

(٨) معجم الأدباء: ج ١١ ص ١٣٢.

• أصم عما ساءه سميع^(١) •

فجمع الوصفين.

وانما جاز صم وبكم بعد وصف حالهم في الآخرة كما في قوله:
«وتركهم في ظلمات لا يبصرون»^(٢) لأمرين:

أحدهما: إِنَّ المعتمد من الكلام على ضرب المثل لهم في الدنيا في
الانتفاع باظهار الايمان.

الثاني: إنه اعتراض بين مثلين بما يحقق حالهم فيها على سائر أمرهما.
وقيل: إن معناه: التقديم والتأخير^(٣).

[قوله تعالى]

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَرَقٌّ يَّجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءًا إِذْ أَنِمْ

مِّنَ الصَّوْعِ حَدَرُ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾

اللفظة والتفسير:

الصيب على فيعل من صاب يصوب، وأصله صيوب، لكن استقبلتها
ياء ساكنة فقلبت الواو ياء وأدغمتا، كما قيل: سيد من ساد يسود، وجيد
من جاد يجود، قياساً مطرداً.

والصيب المطر. وكل نازل من علو الى أسفل يقال فيه صاب
يصوب^(٤)، قال الشاعر:

(١) تهذيب اللغة: مادة «سمع»، ج ٢ ص ١٢٥. (٢) البقرة: ١٧.

(٣) لاحظ تفسير الطبري: ج ١ ص ١١٣.

(٤) العين: مادة «صوب»، ج ٧ ص ١٦٦.

كأنهم صابت عليهم سحابة
وقال عبيد بن الأبرص^(٢):
صواعقها لطيرهن ديب^(١).

حيّ عفاها صيب رعه
داني النواحي مغدق وابل^(٣)
وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين، لأنّ المعنى: أو كاصحاب صيب.
فجعل كفر الاسلام لهم مثلاً فيما ينالهم فيه من الشدائد والخوف، وما
يستضيئون به من البرق مثلاً لما يستضيئون به من الاسلام، وما ينالهم من
الخوف في البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل بدلالة قوله: «يحسبون كل
صيحة عليهم»^(٤).

وقال ابن عباس: الصيب القطر^(٥). وقال عطا: هو المطر، وبه قال ابن
مسعود وجماعة من الصحابة، وبه قال قتادة^(٦)، وقال مجاهد: الصيب
الربيع^(٧).

(١) الشعر من انشاد علقمة بن عبدة، ديوانه: ص ٣٤، من قصيدة يمدح فيها الحارث بن جبلة بن
أبي شمر الفسائي، في حادثة أسره لأخيه شامساً فشذّ الرحال اليه يطلب منه فك أسره.

(٢) وهو عبيد بن الأبرص بن عوف وقيل عون الأسدي، من مضر، شاعر جاهلي فحل، شهد مقتل
حجر بن الحارث أبي إسرئيل القيس، عمّر كثيراً الى ان قتله النعمان بن ماء السماء في أيام
بأسه سنة ٥٥٠ م.

(٣) طبقات الشعراء: ص ٣٠، والشعر والشعراء: ص ١٤٢.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ١٠٧.

(٥) المناقب: ٤.

(٦) تفسير ابن عباس: ص ٥.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ص ٣٦٢، وراجع تفسير الطبري: ج ١ ص ١١٦.

(٨) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٦.

المعنى:

وتأويل الآية: مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالاسلام مع استسراهم الكفر كمثل موقد نار يستضيء بضوء ناره، أو كمثل مطر مظلم ودقه يجري من السماء، تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة.

فان قيل: فان كان المشلان للمنافقين فلم قال: «أو كصيب» و«أو» لا تكون إلا للشك، وان كان مثلهم واحداً منها فما وجه ذكر الآخر بـ«أو» وهي موضوعة للشك من المخبر عما أخبر به.

قيل: إن «أو» قد تستعمل بمعنى الواو كما تستعمل للشك بحسب ما يدل عليه سياق الكلام، قال توبة بن الحمير^(١).

وقد زعمت ليلى باني فاجر
لنفسى تقاها أو عليها فجورها^(٢)
ومعلوم أن توبة لم يقل ذلك على وجه الشك، وانما وضعها موضع الواو وقال جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدرا
كما أتى ربّه موسى على قدر^(٣)
ومثله كثير. قال الزّجاج: معنى «أو» في الآية التخيير^(٤)، كأنه قال:

(١) وهو توبة بن الحمير من بني عقيل بن كعب بن ربيعة، كان شاعراً لصباً، واحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبته ليلى الاخيلية، وقد قتله بني عوف عندما أغار عليهم وطردهم وقتل رجلاً منهم.

(الشعر والشعراء: ص ٢٦٩).

(٢) البيت أورده المرتضى في أماليه: ج ١ ص ٥٧.

(٣) ديوان جرير: ص ٢١١، وشرح الديوان: ص ٢٠٥، من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز.

(٤) لم نعره عليه.

إنكم مخيرون بأن تمثلوا المنافقين تارة بموقد النار، وتارة بمن حصل في المطر.
يقال: جالس الحسن أو ابن سيرين. أي: أنت مخير في مجالسة من شئت
منهما.

والرعد: قال قوم: هو ملك موكل بالسحاب يسبح. روي ذلك عن
مجاهد^(١) وابن عباس^(٢)، وإبي صالح^(٣). وهو المروي عن أئمتنا عليهم
السلام^(٤).

وقال قوم: هو ريح يختنق تحت السماء^(٥)، رواه أبو خالد^(٦) عن ابن
عباس.

وقال قوم: هو اصطكاك اجرام السحاب.
فمن قال انه ملك قدر فيه صوته، كأنه قال: فيه ظلمات وصوت رعد،
لأنه روي انه يزعم به، كما يزعم الراعي بغنمه. والصيب اذا كان مطراً.
والرعد إذا كان صوت ملك، كان يجب أن يكون الصوت في المطر،
لأنه قال «فيه» والهاء راجعة اليه، والمعلوم خلافه، لأن الصوت في
السحاب والمطر في الجو الى أن ينزل.
ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال: لا يمتنع أن يحل الصوت المطر

(١) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٦.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٢٠٦.

(٣) رواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٢٥ ح ١٤٩٦.

(٥) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٧.

(٦) وهو هرمز، ويقال هرم الوالي الكوفي، أبو خالد، روى عن ابن عباس وجابر بن سمرة وأبي
هريرة وميمونة، وروى عنه الأعمش ومنصور وغيرهم.

حين انفصاله من السحاب، ولأمانع يمنع منه، ويحتمل أن يكون المراد بني مع، كأنه قال: معه ظلمات ورعد، وقد بينا جوازه فيما مضى.

وأما البرق، فروي عن علي عليه السلام أنه قال: مغاريق الملائكة من حديد تضرب بها السحاب فتتقدح منها النار^(١).

وروي عن ابن عباس: أنه سوط من نور يزجر به الملك السحاب^(٢).

وقال قوم: إنه مارواه أبو خالد عن ابن عباس.

وقال مجاهد: هو مصع ملك^(٣)، والمصاع: المجالدة بالسيوف وبغيرها،

قال أعشى بني ثعلبة، يصف جوارى لعبن بجليهن:

إذا هنّ نازلن أقرانهن وكان المصاع بما في الجون^(٤)

يقال منه: ماصعه مصاعا.

والمعاني متقاربة، لأن قول علي عليه السلام: إنه مغاريق، وقول ابن

عباس: إنه سياط يتقاربان، وما قال مجاهد، إنه مصاع قريب، لأنه لا يمتنع

أنه أراد مصاع الملك بذلك وإزجاره به.

والصواعق جمع صاعقة: وهو الشديد من صوت الرعد، فتقع منه قطعة

نار تحرق ما وقعت فيه، والصاعقة: صيحة العذاب. والصعاق: الصوت

الشديد للثور، والحمار صعق صعاقا، والصعق: الموت من صوت الصاعقة،

والصعق: الغشي من صوت الصاعقة، صعق فهو صعيق، ومنه قوله: «وخر

(١) رواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٧.

(٢) ورد في تفسير ابن عباس: ص ٢٠٦ في تفسير سورة الرعد، قال: «وهو ملك ويقال صوت السماء»، ولم نعر عليه.

(٣) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١١٨.

(٤) ديوان الأعشى: ص ٢٠٦.

موسى صقاً»^(١).

وروى شهر ابن حوشب^(٢): ان الملك اذا اشتد غضبه طارت النار من فيه، فهي الصواعق^(٣).

وقيل: إن الصواعق نار تنقذ من اصطكاك الاجرام^(٤).
وقريش وغيرهم من الفصحاء يقولون: صاعقة وصواعق، والقوم يصعقون، وتميم وبعض ربيعة يقولون: صواقع، والقوم يصقعون.
وفي تأويل الآية، وتشبيه المثل أقاويل:

الأول: روي عن ابن عباس: أنه مثل للقرآن^(٥)، شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما فيه من البيان، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلاً والدعاء الى الجهاد عاجلاً.
والثاني: وقيل: إنه مثل للدنيا وما فيها من الشدة والرخاء، والبلاء كالصيب الذي يجمع نفعاً وضراً، فان المنافق يدفع عاجل الضر ويطلب آجل النفع^(٦).

(١) الاعراف: ١٤٣.

(٢) وهو أبو سعيد شهر بن حوشب الاشعري، مولى أساء بنت يزيد بن السكن روى عن مولاته أساء وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديث في القراءات لا يأتي بها غيره، قال أيوب بن أبي حسين الندي: ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله منه، قال الواقدي: مات سنة ١٢ هـ.

(تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ: ج ٤ ص ٣٦٩، وتقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٥٥).

(٣) لم نثر عليه.

(٤) حكاه الجوهري في الصحاح، مادة «صق» ج ٤ ص ١٥٠٦ عن أبي زيد.

(٥) و(٦) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٢٠.

والثالث: انه مثل القيامة لما يخافونه من وعيد الآخرة، لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما فيه من إظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم ومواريتهم، وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل.

والرابع: أنه ضرب الصيب مثلاً بضرب إيمان المنافق، ومثل ما في الظلمات بضلالته، وما فيه من البرق بنور إيمانه، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه.

والوجه الأخير أشبه بالظاهر، وأليق بما تقدم.

النزول:

وروي عن ابن مسعود، وجماعة من الصحابة: أن رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأصابها المطر الذي ذكره الله «فيه رعد شديد وصواعق وبرق»، فجعلا كلما أصابتهما الصواعق جعلاً أصابعهما في آذانها من الفرق أن تدخل الصواعق في آذانها فتقتلهما، واذا لمع البرق مشيا في ضوئه، واذا لم يلعب لم يبصرا فاقاما في مكانها لا يمشيان. فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً، فنضع أيدينا في يده فاصبحا فاتياه وأسلما وحسن إسلامهما.

فضرب الله شأن هذين المنافقين مثلاً لمنافقي المدينة، وأنهم اذا حضروا النبي صلى الله عليه وآله جعلوا أصابعهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه وآله أن ينزل فيهم شيء، كما قام ذاك المنافقان يجعلان أصابعهما في آذانها^(١).

«وإذا أضاء لهم مشوا فيه» يعني إذا كثرت أموالهم، وأصابوا غنيمة وفتحاً مشوا فيه، وقالوا دين محمد صلى الله عليه وآله صحيح.

«وإذا أظلم عليهم قاموا» يعني إذا أهلكت أموالهم وولد البنات وأصابهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين محمد صلى الله عليه وآله، وارتدوا كما قام ذاك المنافقان إذا أظلم البرق عليهما.

ويقوى عندي، أن هذا مثل آخر ضربه الله بالرعد والبرق، لما هم فيه من الحيرة والالتباس. يقول: لا يرجعون الى الحق إلا خلصا كما يلمع البرق، ثم يعودون الى ضلالهم واصلهم الذي هم عليه ثابتون واليه يرجعون والكفر كظلمة الليل والمطر الذي يعرض في خللها البرق لمعاً، وهم في اثناء ذلك يحذرون الوعيد والعذاب العاجل إن أظهروا الكفر كما يحذرون الصواعق من الرعد، فيضعون أصابعهم في آذانهم ارتياحاً وانزعاجاً في الحال، ثم يعودون الى الحيرة والضلال.

«حذر الموت»: نصب على التمييز وتقديره من حذر الموت. ويجوز أن يكون نصباً، لأنه مفعول له فكأنه قال: يفعلون هذا لأجل حذر الموت. ويحتمل أن يكون نصباً على الحال.

والموت: ضد الحياة. والاماتة: فعل بعده الموت. والميتة: ما لم تدرك ذكاته. والميتة: الموت في حال مخصوص من ذلك ميتة سوء، والموتان: وقوع الموت في المواشي، وموت المواشي: إذا كثر فيها الموت، وموتان الأرض: التي لم تزرع.

والحذر: طلب السلامة من المضرّة، وحذره تحذيراً، وحاذره محاذرة والحذيرة: المكان الغليظ، لأنه يتحذر منه.

قوله: «محيط بالكافرين» يحتمل أمرين:

أحدهما: إنه عالم بهم وإن كان عالماً بغيرهم، وإنما خصّهم لما فيه من التهديد.

والثاني: إنه المقتدر عليهم وإن كان مقتدراً على غيرهم، لأنه تقدم ذكرهم، ولما فيه من الوعيد، والمحيط: القادر، قال الشاعر:

أحطنا بهم حتى إذا ماتيقنوا بما قدروا مالوا جميعاً الى السلم^(١)
أي قدرنا عليهم. فاما الاحاطة بمعنى كون الشيء حول الشيء مما يحيط به فلا يجوز على الله تعالى، لأنه من صفات الأجسام. والذي يجوز الاحاطة بمعنى الاقتدار والملك، كما يقال: أحاط ملكك بمال عظيم: يعنون أنه يملك مالاً عظيماً.

ويقال: حاطه يحوطه حوطاً: اذا حفظه من سوء يلحقه، ومنه الحائط، لأنه يحيط بما فيه^(٢). وأحاط به: جعل عليه كالحائط الدائر، والاحتياط: الاجتهاد في حفظ الشيء.

[قوله تعالى]

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ آية.

اللغة والمعنى:

معنى «يكاد»: يقارب، وفيه مبالغة في القرب، وحذفت منه أن لأنها

(١) نقل البيت القرطبي في الجامع: ج ١ ص ٢٢١، ولم نثر على قائله.

(٢) لاحظ العين: مادة «حوط»، ج ٣ ص ٢٧٧.

للاستقبال، قال الفرزدق:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم^(١)
«يخطف» فيه لغتان يقال: خطف يخطف، وخطف يخطف. والاول
أفصح، وعليه القراءة^(٢).

وروي عن الحسن يَخِطِف بكسر الخاء وكسر الطاء^(٣) ويروى
(يَخِطِف) بكسر الياء والخاء والطاء^(٤).

والخطف: السلب، ومنه الحديث: أنه نهى عن الخطفة^(٥)، يعني النبهة،

(١) شرح ديوان الفرزدق: ج ١ ص ٣٥٤، من قصيدة يمدح فيها الامام زين العابدين عليه السلام
عندما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، طاف بالبيت وجهد أن يصل الى الحجر الأسود
ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام وعدم اكتراث الناس به، فنصب له كرسي
وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك اذ أقبل الامام
زين العابدين عليه السلام، ونظر الحجيح اليه فانفرجوا له سماطين، فطاف بالبيت ثم انتهى
الى الحجر الاسود ليستلمه ويقبله. فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه
الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لأعرفه مخافة ان يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق
حاضراً، فقال: انا أعرفه، ثم اندفع فأنشد.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من انكرت والمعجم

الى آخر قصيدته.

(٢) السبعة في القراءات: ص ١٤٦. ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ١٧.

(٣) حكاه عنه الفراهيدي في العين: مادة «خطف» ج ٤ ص ٢٢٠.

(٤) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ١٧، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢١٠.

(٥) سنن الدارمي: ج ٢ ص ٨٥ والنهاية لابن الاثير: ج ٢ ص ٤٩.

ومنه قيل: الخطاف، والذي يخرج به الدلو من البئر خطاف، لاختطافه واستلابه، قال نابغة بني ذبيان.

خطاطيف حجن في حبال متينة تمتد بها أيد اليك نوازع^(١)

جعل ضوء البرق، وشدة شعاع نوره، كضوء إقرارهم بالسنتهم بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله واليوم الآخر، ثم قال: «كلما أضاء لهم مشوا فيه» يعني كلما أضاء البرق لهم.

وجعل البرق مثلاً لايمانهم، وإضاءة الايمان أن يروا فيه مايعجبهم في عاجل دنياهم، من إصابة الغنائم والنصرة على الأعداء، فلذلك أضاء لهم، لأنهم إنما يظهرون بالسنتهم ما يظهرونه من الاقرار ابتغاء ذلك، ومداغة عن انفسهم واموالهم، كما قال: «ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه»^(٢).

«واذا أظلم عليهم» يعني ضوء البرق على السائرين في الصيب الذي ضربه مثلاً للمنافقين، وظلام المنافقين: أن يروا في الاسلام ما لا يعجبهم في دنياهم، من ابتلاء الله المؤمنين بالضرأ، وتمحيصه إيتاهم بالشدائد والبلاء، من إخفاقهم في مغزاهم أو إدالة عدوهم أو إدبار دنياهم عنهم، أقاموا على نفاقهم، وثبتوا على ضلالهم، كما ثبت السائر في الصيب الذي ضربه مثلاً، «إذا أظلم» وخفت ضوء البرق، فحار في طريقه، فلم يعرف منهجه.

وقوله: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم» انما خصّ الله تعالى

(١) ديوان النابغة الذبياني: ص ٨٤.

(٢) الحج: ١١.

ذكر السمع والبصر، انه لو شاء، لذهب بها دون سائر أعضائهم، لما جرى من ذكرهما في الآيتين من قوله: «يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت»^(١)، وفي قوله: «يخطف أبصارهم» فلما جرى ذكرهما على وجه المثل، عَقِبَ بذكر ذلك بانه لو شاء اذبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم، وكفرهم، كما توعد في قوله: «محيط بالكافرين»^(٢).

وقوله: «بسمعهم» قد بينا فيما تقدم أنه مصدر يدل على الجمع، وقيل: إنه واحد موضوع للجمع^(٣)، فكأنه أراد «بأسماعهم» قال الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص^(٤)
أراد البطون ويقال: ذهبت به وأذهبت، وحكي أذهب به، وهو ضعيف، ذكره الزجاج^(٥).

والمعنى: ولو شاء الله لأظهر على كفرهم فدمر عليهم وأهلكهم لأنه «على كل شيء قدير»: أي قادر وفيه مبالغة.

(١) البقرة: ١٩.

(٢) البقرة: ١٩.

(٣) راجع معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ١٥، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢١١.

(٤) البيت أورده سيبويه في الكتاب: ج ١ ص ١٣٠، وفي معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٠٧
تعيشوا بدلاً من تعفوا، وهو غير منسوب لأحد.

(٥) لاحظ إعراب القرآن للزجاج: ج ٣ ص ٧٩٠.

فهارس الكتاب

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس أساء المعصومين «عليهم السلام»

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار المصرح بقائلها

فهرس الأشعار غير المصرح بقائلها

فهرس الأرجاز

فهرس أعلام المترجمين في التعليق

فهرس القبائل والجماعات المترجم لها في التعليق

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الجماعات والقبائل

فهرس الأمثال

فهرس الكتب المذكورة في المتن

فهرس المواضيع

فهرس الآيات

سورة الحمد (١)

٣٠٨	الحمد لله رب العالمين	١
٣٠٨	الرحمن الرحيم	٢
٣٢٧	اياك نعبد و اياك نستعين	٥
٣٠٩	صراط الذين انعمت عليهم	٧

سورة البقرة (٢)

٣٥٣	الم	١
٤٢٥	ختم الله على قلوبهم	٧
٤٠٦	آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين	٨
٣٩١	وما كانوا مهتدين	١٦
٤٢٧	وتركهم في ظلمات لا يبصرون	١٧
٣٠	اتجعل فيها من يمسد فيها	٣٠
٢٧٤	واقموا الصلاة وآتوا الزكاة	٤٣
٣٨٨	فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي	٥٩
٤١٤	فتمنّوا الموت	٩٤
٢٩٢	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	١٨٥
٢٨٥	والمطلقات يتربصن بانفسهن	٢٢٨

٢٢٩	فان خفتم	٣٨٨
٢٤٧	وزاده بسطة في العلم	٣٩٨
٢٥٩	كيف ننشرها	٢٧٩
٢٥٩	قال اعلم ان الله على كل شيء قدير	٣٩٥
٢٨٠	ميسرة	٢٧٩
٢٨٦	لا يكلف الله نفساً الا وسعها	٢٨١

سورة آل عمران (٣)

٧	وهو الذي أنزل عليك الكتاب	٢٨٣
٥٤	ومكروا ومكر الله	٤١١
٧٨	من عند الله	٣٨٨
٩٧	ولله على الناس حج البيت	٢٨٥، ٢٧٤
٩٧	ومن دخله كان آمناً	٢٨٥
١٧٠	من خلفهم	٣٨٨
١٧٣	فزادهم ايماناً	٣٩٨
١٧٨	انما غلي لهم ليزدادوا إثماً	٤١٣، ٣٩٤
١٨٦	لتبلون	٤١٤

سورة النساء (٤)

٣	فان خفتم	٣٨٨
٥	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم	٤٠٧
١٤	ناراً خالداً	٣٨٨
٢١	ميثاقاً غليظاً	٣٨٨

٣٢٢	وربائبكم اللاتي في حجوركم	٢٣
٣٦٩	يؤمنون بالجبوت والطاغوت	٣٧
٢٧٩	بالبخل	٥١
٢٧٣	لعلمه الذين يستنبطونه	٨٣
٤٢٥	وطبع الله عليها	١٥٥

سورة المائدة (٥)

٣٨٨	والمنخنقة	٣
٣٦٣	يحرفون الكلم عن مواضعه	١٣
٣٣٨	يهدي به الله من اتبع رضوانه	١٦
٣٤٥	وضلّوا عن سواء السبيل	٧٧
٣٤٦	لعن الذين كفروا	٧٨
٢٩٦	انزل علينا مائدة من السماء	١٤٤

سورة الأنعام (٦)

٣٦٣	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	٢٠
٤٢٦	وجعلنا على قلوبهم أكنة	٢٥
٢٨٩	ولا طائر يطير بجناحيه	٣٨
٢٧٢	ما فرطنا في الكتاب من شيء	٣٨
٣٠٥	وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً	١١٢
٢٧٤	وآتوا حقه يوم حصاده	١٤١
٢٨١، ٢٧٤	ولا تقتلوا النفس التي حرم الله	١٥١

سورة الأعراف (٧)

٣٥٣	المص	١
٣٤٦	ما منعك ان لاتسجد	١٢
٣٣٨	وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا	٤٣
٣٨٧	ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار	٤٤
٣١٤	ويذكر وآلهتك	١٢٧
٤٣١	وخر موسى صعقاً	١٤٣
٢٧٣	يسألونك عن الساعة أيان مرساها	١٨٧
٤٢٥	وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون	١٩٨

سورة الأنفال (٨)

٣٨١	فأنبذ إليهم على سواء	٥٨
٣٩٤	وإن يريدوا أن يخدعوك	٦٢

سورة التوبة (٩)

٤١٤	لو استطعنا لخرجنا	٤٢
٣٩٥	فيسخرون منهم سخر الله منهم	٧٩
٤٢٦	طبع الله على قلوبهم	٩٣
٣٩٩	فزادهم رجساً الى رجسهم	١٢٥
٣٩٨	ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم	١٢٧

سورة يونس (١٠)

٣٢٧	حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم	٢٢
-----	---------------------------------	----

سورة هود (١١)

٢٨٣	الر، كتاب احكمت آياته	١
٢٧٩	هؤلاء بناقي هنّ اطهر لكم	٧٨

سورة يوسف (١٢)

٣٦٩	وما أنت بمؤمن لنا	١٧
٣٢١	أما أحدكما فيسقي ربه خمرأ	٤١
٤٢٠، ٤٢٠٠	واسأل القرية	٨٢

سورة الرعد (١٣)

٣٣٣	والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم	٢٣ - ٢٤
-----	--	---------

سورة ابراهيم (١٤)

٢٧٢	وما أرسلنا من رسول	٨٩
-----	--------------------	----

سورة الحجر (١٥)

٢٩٢	إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون	٩
-----	---------------------------------------	---

سورة النحل (١٦)

٣٩٨	وزدناهم عذابا فوق العذاب	٨٨
-----	--------------------------	----

٠٣٤١	فعلهم غضب من الله	١٠٦
٤١١، ٣٩٥	وان عاقبتهم فعاقبوا	١٢٦

سورة الكهف (١٨)

٢٩٢	الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب	١
٣٩٨	وزدناهم هدى	١٣
٣٩٠	لكننا هو الله	٣٨
٤٢١	لا يبيغون عنها حولا	١٠٨

سورة مريم (١٩)

٣٥٤	كهيعص	١
٣٠٦	لئن لم تنته لإرجنك	٤٦

سورة طه (٢٠)

٣٥٤	طه	١
٣٦٤	واشركه في أمري	٣٢
٢٨٩	فغشهم من اليم ما غشهم	٧٨
٤٢٦، ٣٤٧	وأضلهم السامري	٨٥

سورة الأنبياء (٢١)

٣٨٣	قل أنا أنذركم بالوحي	٤٥
٣٣٨، ٣٣٤	رب احكم بالحق	١١٢

سورة الحج (٢٢)

٣٨٦	يخرجكم طفلاً	٥
٤٣٧	ومن الناس من يعبد الله على حرف	١١
٤١١	كلما ارادوا أن يخرجوا منها من غم	٢٢

سورة المؤمنون (٢٣)

٣٩٩	فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري	١١٠
-----	-----------------------------------	-----

سورة النور (٢٤)

٢٨٤	فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة	٢
٢٧٩	واذ تلقونه بالسنتكم	١٥

سورة الفرقان (٢٥)

٢٩٢	تبارك الذي نزل الفرقان	١
٣١٧	قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا	٦٠
٣٦٤	فيه مهانا	٦٩

سورة الشعراء (٢٦)

٢٧٢	بلسان عربي مبين	١٩٥
-----	-----------------	-----

سورة العنكبوت (٢٩)

٣٧٤	وإن الدار الآخرة لهي الحيوان	٦٤
-----	------------------------------	----

سورة لقمان (٣١)

٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة	٤١٨
٣٤	إن الله عنده علم الساعة	٢٧٤

سورة السجدة (٣٢)

٦	ذلك عالم الغيب والشهادة	٣٦٣
١٠	إذا ضللنا في الأرض	٣٤٦
١٢	ولو ترى إذ المجرمون	٣٣٣

سورة الاحزاب (٣٣)

١٩	تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت	٤١٨
٣٢	فيقطع الذي في قلبه مرض	٣٩٨
٤٠	خاتم النبيين	٣٨٥

سورة سبأ (٣٤)

١٧	وهل نجازي إلا الكفور	٢٧٩
١٩	ربنا باعد بين أسفارنا	٢٧٩
٥٤	حيل	٤٠٢

سورة فاطر (٣٥)

٨	يفضل من يشاء	٢٨٢
٤٢	ما زادهم إلا نفورا	٣٩٨

سورة يس (٣٦)

٣٦٦	إنّما تنذّر من اتّبع الذّكر	١١
٢٧٩	إن كانت إلّا صيحة واحدة	٢٩
٢٨٠	وما عملته أيديهم	٣٥
٤٠٧	أنطعم من لو يشاء الله أطعمه	٤٧

سورة ص (٣٨)

٣٥٤	ص	١
-----	---	---

سورة الزّمر (٣٩)

٣٨٣	ذلك يخوف الله به عباده	١٦
٢٨٣	الله نزل أحسن الحديث	٢٣
٤١٩	والذي جاء بالصدق وصدق به	٣٣
٢٨٢	يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله	٥٦
٢٨٢	والسّماوات مطويات بيمينه	٦٧
٤٠٢	سيق	٧١

سورة غافر (٤٠)

٣٥٤	حم	١
٣٢٥	لمن الملك اليوم	١٦

سورة فصلّت (٤١)

٢٨٩	الرحمن الرحيم	٢
-----	---------------	---

٣٨٣	انذرتكم صاعقة	١٣
٤١٦	واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى	١٧
٢٨١	وما ربك بظلام للعبيد	٤٦

سورة الشورى (٤٢)

٤١٠، ٣٩٥	وجزاء سيئة سيئة مثلها	٤٠
----------	-----------------------	----

سورة الزخرف (٤٣)

٢٩٢، ٢٧٢	انا جعلناه قرآنا عربياً	٣
٢٩٥	وانه لذكر لك ولقومك	٤٤
٢٨٩	نسمع سرهم ونجواهم	٨٠
٣٢٧	وعنده علم الساعة	٨٥

سورة الجاثية (٤٥)

٣٨٧	وختم الله على سمعه وقلبه	٢٣
-----	--------------------------	----

سورة محمد (٤٧)

٣٤٦	واضل اعماهم	٨
٣٣٨	والذين اهتدوا زادهم هدى	١٧
٤٢٦، ٢٨٢	فأصمهم وأعمى أبصارهم	٢٣
٢٧٣	افلا يتدبرون القرآن	٢٤

سورة ق (٥٠)

٣٥٤	ق	١
٢٨٠	وجاءت سكرة الموت بالحقّ	١٩

سورة الذاريات (٥١)

٣٢٦	وفي انفسكم افلا تبصرون	٢١
٢٨١	ما خلقت الجنّ والانس الا ليعبدون	٥٦

سورة التّجم (٥٣)

٢٨٩	فغشاها ما غشى ^١	٥٤
-----	----------------------------	----

سورة القمر (٥٤)

٢٨٢	تجري باعيننا	١٤
-----	--------------	----

سورة الرحمن (٥٥)

٣٨٨	من عليها	٢٦
-----	----------	----

سورة الواقعة (٥٦)

٢٧٩	وطلح منضود	٢٩
٣٠٩	فستبح باسم ربك	٧٤
٣٧٣	وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون	٨٢

سورة الحديد (٥٧)

٣٧٩	كمثل غيث اعجب	٢٠
٢٨٠	فان الله هو الغني الحميد	٢٤

سورة الحشر (٥٩)

٣١٠	السلام المؤمن المهيمن	٢٣
-----	-----------------------	----

سورة الصف (٦١)

٤٢٦	فلما ازاغوا الله قلوبهم	٥
-----	-------------------------	---

سورة المنافقون (٦٣)

٤٢٨، ٤١٩	كانهم خشب مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم	٤
----------	---------------------------------------	---

سورة الملك (٦٧)

٤٠٢	سيئت	٢٧
-----	------	----

سورة الحاقة (٦٩)

٤١٩	كانهم اعجاز نخل خاوية	٧
-----	-----------------------	---

سورة المعارج (٧٠)

٢٧٤	والذين في اموالهم حق معلوم	٢٤
-----	----------------------------	----

سورة نوح (٧١)

٣٩٩	رَبِّ أَنِّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً	٦٥
-----	--------------------------------------	----

سورة الجن (٧٢)

٣٨٨	ماءً عذفاً	١٦
-----	------------	----

سورة المدثر (٧٤)

٣٦٤	سأصليه	٢٦
-----	--------	----

سورة القيامة (٧٥)

٤٢٣	نجمع عظامه	٣
٢٩٣	ان علينا جمعه	١٨، ١٧
٢٨٨	اولى لك فاولى، ثم اولى لك فاولى	٣٤
٤٠٥	اليس ذلك بقادر	٤٠

سورة النبأ (٧٨)

٣٨٣	انا انذرناكم عذاباً قريباً	٤٠
-----	----------------------------	----

سورة الانفطار (٨٢)

٣٢٩	كلا بل تكذبون بالدين	٩
٢٨٨	وما ادراك ما يوم الدين	١٨، ١٧

سورة المطففين (٨٣)		
٣٨٥	ختامه مسك	٢٦
سورة الانشقاق (٨٤)		
٣٦٤	فلاقيه	٦
سورة الطارق (٨٦)		
٤٢٥	والسما ذات الرجع	١١
سورة الاعلى (٨٧)		
٣٨٨	غشاء احوى.	٥
سورة الشرح (٩٤)		
٢٨٨	فانّ مع العسريسرأ، انّ مع العسريسرأ	٦،٥
سورة العلق (٩٦)		
٣٢٦،٣٠٩	اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق	٢٠١
٤١٣	كلأ ان الانسان ليطغى	٦
سورة القارعة (١٠١)		
٢٧٩	العهن المنفوش	٥

سورة التكاثر (١٠٢)

٢٨٨	كلّ سوف تعلمون، ثمّ كلا سوف تعلمون	٤٢
-----	------------------------------------	----

سورة الكافرون (١٠٩)

٣٠٨، ٢٨٧	قل يا ايها الكافرون	١
٣٠٨	لا اعبد ما تعبدون	٢
٣٠٨	ولا انتم عابدون ما اعبد	٣
٣٠٨	ولا انا عابد ما عبدتم	٤
٣٠٨	ولا انتم عابدون ما أعبد	٥
٣٠٨	لكم دينكم ولي دين	٦

سورة التوحيد (١١٢)

٢٨١، ٢٧٤	قل هو الله احد	١
٢٨١	لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوءاً احد	٤، ٣

فهرس الأحاديث

النبي صلى الله عليه وآله:

- ٢٧٣ اذا جاءكم عتي حديث فأعرضوه على كتاب الله
٢٩٦ أعطيت مكان التوراة السبع الطول
٣١٦ أن عيسى بن مريم قال: الرحمان رحمان الدنياو...
٣٠٣ إنه سماها- اي سورة الفاتحة- أم القرآن و...
٢٧٣ إني مخلف فيكم الثلقين، ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا
٣٤٧ قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
٣٨٠ ما نزل من القرآن من آية الا ولها ظهر وبطن
٢٧١ من فسر القرآن برأيه واصاب الحق فقد اخطأ
٢٧٧ نزل القرآن على سبعة أبواب
٢٧٨ نزل القرآن على سبعة أحرف زجروا أمر وحلال و...
٢٧٧ نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف

الامام علي عليه السلام

- ٤٣١ مخاريق الملائكة من حديد تضرب بها السحاب

الامام الصادق عليه السلام:

- ٤١٠ انهم- أي شياطينهم- كهانهم

الامام الرضا عليه السلام:

- ٣٧٠ إنَّ الايمان هو التصديق بالقلب والعمل بالاركان و..
 ما روي عنهم عليهم السلام:
- ٣٥٨ ان ذلك من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله
- ٤٠٧ ان شارب الخمر سفيه
- ٣١٠ لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
- ٣٥٣ واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله نزلت في حجة الوداع
- ٤١١ يفتح لهم نار جهنم فيظنون انهم يخرجون منها

فهرس أسماء المعصومين «عليهم السلام»

آدم:	٣٦٢
نوح:	٢٨٧
موسى:	٣٦٣، ٢٨٧
عيسى:	٣٦٣، ٣١٦، ٢٨٧
محمد بن عبد الله - رسول الله - النبي «صلى الله عليه وآله»:	٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٧، ٣١٦، ٣٠٣، ٢٩٦، ٢٨٧، ٢٨٠، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٤، ٢٧٢، ٢٧١
	٤٠٣، ٣٩٠، ٣٦٣، ٣٦٢، ٣٥٩، ٣٥٥، ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٠، ٣٣٧
	٤٣٤، ٤٣٣، ٤١٩، ٤٠٨، ٤٠٦، ٤٠٤
علي «عليه السلام»:	٤٣١، ٣٤٠، ٢٩١
المهدي «عجل الله فرجه»:	٣٧٠
الرضا عليه السلام:	٣٧٠

فهرس الأعلام

- ابن الاعرابي: ٣٩٣، ٣٩٢
- ابن جريح: ٣٥٤
- ابن حبش: «راجع: زر بن حبش»
- ابن حمدون: ٣٣٦
- ابن ذكوان: ٤٠٢
- ابن السراج: ٣٣١
- ابن سيرين: ٤٣
- ابن عامر: ٤٠٦، ٣٩٧، ٣٨٠
- ابن عباس: ٢٧٥، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٥
- ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢.
- ابن كثير: ٣٩٢، ٣٦٤، ٣٤١، ٣٣٦، ٢٩٨
- ابن كيسان: ٣١٢
- ابن اللبان: ٣٠٧
- ابن مجاهد: ٣٣٦
- ابن مسعود: ٢٧٨، ٢٨١، ٢٩١، ٣٤٠، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٦، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٣.

- أبو جعفر بن القعقاع: ٣٤١
 أبو جعفر الطبري: ٣٧٨، ٣٥٦، ٣٢٩، ٢٨١، ٢٧٨، ٢٦٧
 أبو جهل: ٣٧٧
 أبو حية النيري: ٣٦٨، ٣٦٧
 أبو خالد: ٤٣١، ٤٣٠
 أبو ذؤيب الهذلي: ٤٢٢
 أبو زيد: ٣٩٢، ٣١٢
 أبو سعيد الخدري: ٣١٦
 أبو صالح: ٤٣٠، ٢٧٦
 أبو الضحى: ٣٥٦
 أبو عبيدة: ٣٩٨، ٣٩٣، ٣٨٦، ٣٦٢، ٣٤٥، ٣١٨، ٣٠٩، ٢٨٠.
 أبو علي الجبائي: ٢٦٨
 أبو علي الفارسي: ٣٦٠، ٣٢٥
 أبو عمر: ٣٨٠
 أبو عمرو: ٣٩٢
 أبو قلامه: ٢٧٨
 أبو كثير: ٣٢٨
 أبو الليث: ٣١٥
 أبو مسلم الأصفهاني: ٤٢٢، ٣٧٢، ٣٥٧، ٢٦٨
 أبو التجم: ٣٤٦، ٣٢٤
 الأخفش: ٤٠٩، ٣٦٢، ٣٤٤، ٣٣١
 أعشى بني ثعلبة: ٤٣١، ٤١٦، ٣٧٢، ٣٣٠، ٢٩٥
 أعشى همدان: ٣٣٥

- الأعمش: ٣٢٤
 أمية بن أبي الصلت: ٤١٣، ٣٠٥
 أنس: ٣٥٦
 أوس بن حجر: ٢٨٩
 البلخي: ٣٧٨، ٣٧٠، ٣٥٤، ٢٨٦، ٢٨١، ٢٦٨
 توبة بن الحمير: ٤٢٩
 تغلب: ٣٤٥
 ثعلب: ٣١٧
 جابر بن عبد الله: ٣٤٧، ٣٤٠
 الجاحظ: ٢٨٧
 الجرمي: ٤١٢
 جرير: ٤٢٩، ٣٨٢، ٣٣٩
 الحارث بن اسامة بن لؤي: ٣١٩
 الحسين البصري: ٢٩٧، ٢٨١
 الحسن بن أبي يسار: ٤٣٦، ٤٣٠، ٣٩٤، ٣٨٤، ٣٥٥، ٢٧٥
 الحسين بن علي المغربي: ٣٥٨
 حفص: ٣٦٤
 الحلواني: ٣٩٧، ٣٨٠
 حمزة: ٣٩٧، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٣٦، ٣٣٣، ٣٠٦
 حميد بن ثور الهلالي: ٣٠٤
 الخليل الفراهيدي: ٣٣١
 خلف: ٣٣٦، ٣٢٤، ٣٠٦
 الدوري: ٣٤١، ٣٣٦

٤٦١	فهرس الأعلام
٤١٦، ٣٩٩، ٣٠٣	ذوالرمة:
٣٧٨، ٣٦٩	الربيع بن أنس:
٣٢٤	ربيعة بن نزار:
٤٠٩، ٣٧٠، ٣٤٥، ٣٣١، ٢٦٨	الروماني - علي بن عيسى:
٤١٣، ٣١٤	رؤبة:
٤٠٢، ٣٣٦	رويس:
٤٣٨، ٣٤٤، ٢٦٧	الزجاج:
٣٧٠، ٣٠٧	زرين حبش:
٣٢٩	زهير بن أبي سلمى:
٣٥٥	زيد بن أسلم:
٤١٤	زيد بن اسماعيل:
٣٦٥	ساعة بن جويه الهذلي:
٢٧٢	صالم بن عبدالله:
٣٠٧	سجادة:
٣٦٥، ٣٥٥، ٢٧٦	السدي:
٣٢٩، ٣٢٣، ٢٩٧، ٢٩١	سعيد بن جبير:
٢٧١	سعيد بن المسيب:
٣١٧	سلامة بن جندل الطهوي:
٤٠٣، ٤٠٢	سلمان الفارسي:
٤١٤	السوخري:
٣٠٧	السوسي:
٣٩٨، ٣٦١	سيبويه:
٣٦١، ٣٥٥	الشعي:

- الشنغري: ٣١٧
- شهرين حوشب: ٤٣٢
- الضحاك: ٣٧٣، ٣٦١
- طرفة بن العبد: ٣٣٧
- عائشة: ٢٨٦، ٢٧٢
- عاصم الجحدري: ٣٨٤، ٣٨٢، ٣٦٠، ٣٢٤
- عبد الرحمن بن زيد: ٤٠١
- عبد الله بن الزبير: ٣٤٢
- عبد الله بن العباس: «راجع ابن عباس»
- عبد الله بن قيس الرقيات: ٣٨١
- عبيد بن الأبرص: ٤٢٨
- عبيدة السلماني: ٢٧١
- العجاج (عبد الله بن روية): ٣٢٢
- عدي بن زيد العبادي: ٣٣٤
- عطاء: ٤٢٨، ٣٦٥، ٣١٦
- عكرمة: ٣٦٢، ٣٥٥
- علي بن سالم: ٣٣٦
- علي بن عيسى الرماني: «راجع الرماني»
- عمر بن الخطاب: ٣٤٢
- عمرو بن كلثوم: ٣٢٩، ٢٩٣
- الفرأء: ٤٢٣، ٣٨٨، ٣٤٥، ٢٦٧
- الفرزدق بن غالب: ٤٣٦، ٣٢١
- قتادة ٢٧٥، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٥٤، ٣٧٤، ٤٠١، ٤١٥، ٤٢٣، ٤٢٨

- ٣٦٤ قتيبة:
- ٣٠٧ القرظي:
- ٣٥٨، ٢٩٣ قطرب:
- ٣٣٦ قنبل:
- ٤٢٣، ٤٠٢، ٣٣٦، ٣٣٣، ٣٢٨، ٣٢٤ الكسائي:
- ٣٢٨ كعب بن جعيل:
- ٢٩٦ كعب بن زهير:
- ٢٧٦ الكلبي:
- ٣٧٩، ٣٢٨، ٣٢١، ٣٠٩ لبيد بن ربيعة:
- ٣٣٠ المثقب العبدى:
- ٤١٥، ٤١٢، ٤٠٥، ٣٨٥، ٣٧١، ٣٦٥، ٣٥٦، ٣٥٤، ٣٢٩، ٣٠٦، ٢٧٦ مجاهد:
- ٤٣١، ٤٢٨
- ٢٦٨ محمد بن بحر:
- ٢٧١ محمد بن القاسم:
- ٢٠٧ مدين:
- ٢٦٩ المرتضى:
- ٤٢٦ مسكين الدارمي:
- ٣٦٢ معاوية بن قرّة:
- ٣٠٧ المعدل:
- ٣٧٨ المغربي:
- ٢٦٨ مفضل بن سلمة:
- ٣٦٤ المنسي:
- ٤٣٧، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٠٥، ٢٩٥ النابغة الذبياني:

٤١٩، ٣٩٠	الناطقة الجعدي:
٢٨٧	النظام:
٣٩٢، ٣٤١، ٢٧١	نافع:
٢٩٦	واثلة بن الأصقع:
٣٨٠	ورش:
٤٠٢، ٣٨٠	هشام:
٤١٤، ٣٣٢	يحيى بن وثاب:
٤١٤	يحيى بن يعمر
٣٠٧	اليزيدي:
٣٤١، ٤٢٤، ٣٣٦، ٣٠٧	يعقوب.
٤٠٨	اليمني:
٢٩٧	يونس:

فهرس الأشعار المصرح بقائلها

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٨٩	أوس بن حجر	الواجب	الم تكسف
٢٩٥	النابعة الذبياني	يتذبذب	الم تران
٣٠٤	حميد بن ثور	طبيب	اذا كانت
٣٢١	الفرزدق	مربوب	كانوا
٤١٦	ذوالرمة	الهواضب	يذب
٤١٩	النابعة الجمعدى	مرحب	وكيف
٤٢٣	أبو ذؤيب	طلابها	دعاني
٣٨٢	جرير	راح	السم
٣٠٥	أمية بن أبي الصلت	والاكباد	أيما شاطن
٣٣٥	أعشى همدان	وللمولود	بين الأشح
٣٤٤	النابعة الذبياني	من احد	وقفت فيها
٣٤٥	النابعة الذبياني	الجلد	الاواري
٢٩٦	الاعشى الكبير	مستطارا	فبانت
٣٠٣	ذوالرمة	ازارا	وأسمر
٣٠٣	ذوالرمة	امرا	على رأسه
٣٠٩	ليبد	اعتذر	الى الحول

٣٢١	لييد	وعرعر	فاهلكن
٣٢٨	ابوكثير الهذلي	الاعفر	يا لهف
٣٤٥	ابوعبيدة	وما شعر	
٣٤٦	ابوالنجم	القفنذرا	فالوم
٣٦١	الشعبي	بني عمرو	الايا شعيب
٣٦١	الشعبي	والفخر	ملوك
٣٦١	الشعبي	الفجر	هم صبّحوا
٣٧٦	لييد	وحير	محمل بلاداً
٣٨١	عبدالله بن قيس	ونهارها	تعدت
٤١٣	امية بن ابي الصلت	مشيرا	ودعا الله
٤١٦	اعشى بني ثعلبة	القمارا	فقد اخرج
٤٢٦	مسكين الدارمي	الحندر	اعبى اذا
٤٢٦	مسكين الدارمي	وقر	ويصم
٤٢٩	جرير	على قدر	نال الخلافة
٤٢٩	توبة بن الحمير	فجورها	وقد زعمت
٣٢٨	كعب بن جعيل	يقرضونا	اذا ما
٣٩٣	ابن الاعرابي	خدع	ابيض اللون
٤٣٧	النابعة الذبياني	نوازع	خطاطيف
٣١٧	سلامة بن جندل	ويطلق	عجلتم
٣٣٠	زهير	فدك	لئن حللت
٣٢٤	ابوالنجم	حلله	
٣٣٠	الاعشى	وصقال	هودان

٣٣٥	عدي بن زيد	قد فصلا	وجاعل الشمس
٤٢٨	عبيد بن الأبرص	وابل	حي عفاها
٢٩٦	كعب بن زهير	ام حلم	آلا ابلغا
٣٢٢	العجاج	العالم	
٣٣٧	طرفة	قدمه	للفتى
٣٣٩	جرير	مستقيم	أمير المؤمنين
٣٦٦	ساعدة بن جويه	ثم لحيم	وقالوا
٣٦٨	ابو حية النخيري	ومعصم	والفت
٣٧٢	الاعشى	وزمما	لها حارس
٣٧٩	ليد	غمامها	
٣٩٩	ذو الرمة	اليم	
٤٣٦	الفرزدق	يستلم	يكاد
٢٩٣	عمرو بن كلثوم	جنينا	ذراعي
٣٠٥	النابعة الذبياني	رهين	نأت
٣١٧	الشنفري	يمينها	ألا ضربت
٣٢٨	ليد بن ربيعة	سبعينا	باتت
٣٢٩	عمرو بن كلثوم	ان نديننا	وايام لنا
٣٣٠	المثقب العبدى	وديني	تقول
٣٤٣	النابعة الذبياني	بشن	كأنك
٤٣١	اعشى بني ثعلبة	الجون	اذا هن
٤١٣	رؤبة	العمه	ومهمه

فهرس الأشعار التي لم يصرح بقائلها

الصفحة	القافية	صدر البيت
٢٩٤	الغراء	تؤمل
٣١٥	ويرانا	لاه ري
٤٠٩	رضاها	إذا رضيت
٢٨٩	شنب	لمياء
٣١١	اشعبا	فان
٣٢٨	وتحلب	كذبتم
٣٩٠	يصطحبان	
٤٢٠	مجب	وداع
٤٢١	تاقبه	أضاءت
٤٢٨	ديب	كأنهم
٢٩٧	اميت	خلفت
٢٩٧	ثلثت	وبثمان
٢٩٧	فصلت	وبالحواميم
٣٥٩	ان تا	
٣٥٤	شجا	
٣٩٦	الوضح	عقوا

٣٧٧	يفلح	...
٣٨٦	ورعها	...
٣٣٩	القاصد	...
٣٨٢	باسعد	سواء
٣٨٥	تنادي	لقد
٣٨٦	بارداً	...
٤١٩	يا أم خالد	وان الذي
٢٨٨	فزار	وكادت
٢٩٤	باسيار	لا تأمن
٣١٣	الكتار	كحلقة
٣٨٦	ولا عمر	ما كان
٣٧٩	كافر	فتذاكرا
٣٨١	وعورها	وليل
٣٨٣	عمرو	انذرت
٣٨٧	اطوار	ما سمّي
٤١٦	الدرءاء	اخذت
٤١٦	تنصرا	وبالطويل
٣٩٨	انتقاصه	...
٤٣٨	خميص	كلو
٣١١	الرتاعا	اكفرا
٣٧٢	جميعاً	أقنا
٣٩٣	رواعا	وخادعت
٤٢٧	سميع	...

٣٢٦	فتقها	...
٣١٠	يحمدونكا	يا ايها
٣٦٣	ذلکا	اقول
٣٧٧	الالکا	الا
٣٢٠	الرجال	الا لا
٣٣٧	مقالا	فلا
٣٥٤	أهلها	...
٣٧٦	عقل	اعقلي
٣٩٥	الرجل	...
٣٩٥	الابل	تذكر
٤١٦	المال	ان الشراة
٢٨٨	وكم	كم نعمة
٣٧٢	وارتسم	وقابلها
٤٠٠	تعلمي	هلا سألت
٤٣٥	السلم	احطنا بهم
٢٨٨	اينا	هلا
٣٢٩	تدان	واعلم
٣٩٥	الجاهلينا	ألا لا
٣٥٩	اذايا	ما للظلم

فهرس الارجاز

٣١٢	... باسم الذي في كل سورة سمه
	لله در الغانيات المدة لما رأين حليي المموه سبحن واسترجعن
٣١٤	من تألهي رؤية
٣٥٥	نادوهم ان الجموا الأنا قالوا جميعاً كلهم الافا...
٣٥٦	... قلنا لها قفي فقالت قاف
٣٥٧	لما رأيت امرها في حطي اخذت منها يفرون شمط راجز بني أسد
٣٥٩	... سألتها الوصل فقالت قاف
٣٥٩	... بالخير خيرات وإن شراً فا
	اقبلت من عند زياد كالحرف تخط رجلاي بخط مختلف
٣٦٠	... فيكتبان في الطريق لام الالف

أعلام المترجمين في التعليق

٣٣١	ابن السراج «محمد بن السري النحوي»
٢٧٥	ابن عباس
٣٤١	أبو جعفر «يزيد بن القعقاع»
٣٧٧	أبو جهل «عمرو بن هشام»
٣٦٧	أبو حية النخيري «الهيثم بن الربيع»
٤٣٠	أبو خالد الوالبي «هرمز»
٤٢٢	أبو ذؤيب الهذلي «خويلد بن خالد»
٣٠٩	أبو عبيدة «معمر بن مثنى البصري»
٣٢٥	أبو علي الفارسي «الحسن بن أحمد النحوي»
٣٢١	أبو فراس «همام بن غالب»
٣١٥	أبو الليث «عبد الله بن شريح»
٣٢٤	أبو النجم «الفضل بن قدامة»
٣١٧	أحمد بن يحيى الشيباني
٢٧٦	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي
٢٩٥	الأعشى الكبير «ميمون بن قيس»
٣٢٤	الأعمش «سليمان بن مهران الكوفي»
٣٠٥	أمية بن أبي الصلت

٢٨٩	أوس بن الحجر
٤٢٩	توبة بن الحمير
٢٨٧	الجاحظ «عمر بن بحر»
٣٣٩	جرير بن عطية التميمي
٢٧٥	الحسن البصري
٣٨٠	الحسن بن علي الحلواني
٣٥٨	الحسين بن علي المغربي
٣٦٤	حفص بن سليمان
٣٠٦	حمزة بن حبيب
٣٠٤	حميد بن ثور الهلالي
٣٠٦	خلف بن هشام
٢٧٦	ذكوان السمان
٣٠٣	ذوالرمة
٣٦٩	الربيع بن أنس البكري
٣٣١	الروماني «علي بن عيسى بن علي»
٣٨٠	زيان بن العلاء بن عمار البصري
٣٤٤	الزجاج «ابراهيم بن محمد السري»
٣٢٩	زهير بن ابي سلمى
٣٥٥	زيد بن اسلم «ابواسامة»
٣٦٥	ساعدة بن جؤيه الهذلي
٢٧٢	سالم بن عبدالله بن عمر
٣١٢	سعيد بن اوس بن ثابت
٢٩٧	سعيد بن جبير

- ٢٧١ سعيد بن المسيّب المخزومي
 ٣١٧ سلامة بن جندل التيمي
 ٤٠٢ سلمان الفارسي
 ٣٦١ سيبويه «عمر بن عثمان»
 ٣٥٥ الشعبي «عامر بن شراحيل الكوفي»
 ٣١٧ الشنفرى «عمر بن مالك الازدي»
 ٤٣٢ شهر بن حوشب الاشعري
 ٣٦١ الضحاك بن مزاحم
 ٣١٢ طاووس بن كيسان
 ٣٣٧ طرفة بن العبد
 ٣٢٤ عاصم بن بهدلة الكوفي
 ٣٦٠ عاصم الجحدري
 ٤٠١ عبدالرحمان بن زيد العدوي
 ٣٥٤ عبدالله بن احمد البلخي
 ٣٤٢ عبدالله بن الزبير
 ٣٨٠ عبدالله بن عامر
 ٣٨١ عبدالله بن قيس الرقيات
 ٢٩٨ عبدالله بن كثير الداري
 ٣٥٤ عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريح
 ٤٢٨ عبيد بن الابرص الاسدي
 ٢٧١ عبيدة بن عمرو السلماني
 ٣٢٢ العجاج بن عبدالله بن ربيعة التيمي
 ٣٣٤ عدي بن زيد العبادي

٣١٦	عطاء بن أبي رباح المكي
٢٩٣	عمرو بن كلثوم
٢٨٨	عوف بن عطية
٣٤٥	الفراء «ابوزكريا يحيى بن زياد»
٢٧٥	قتادة بن دعامة
٣٦٤	قتيبة بن سعيد الثقفي
٢٩٣	قطرب «محمد بن المستنير»
٣٢٤	للكسائي «علي بن حمزة»
٣٢٨	كعب بن جعيل الثعلبي
٢٩٦	كعب بن زهير
٢٧٦	الكلبي «هشام بن أبي النصر»
٣٠٩	ليبد بن ربيعة
٢٧٦	مجاهد بن جبر
٣٣٠	محض بن ثعلبة العبدي
٣٩٢	محمد بن زياد الاعرابي
٢٧٢	محمد بن القاسم بن محمد
٢٦٩	المرتضى
٤٢٦	مسكين الدارمي «ربيعه بن عامر»
٣٦٢	معاوية بن قرة المزني
٣٠٧	المعدل «أحمد بن سلمة»
٣٦٤	المنسي «محمد بن إسحاق»
٢٩٠	الناطقة الجعدي
٢٩٥	الناطقة الذبياني

٢٧١	نافع بن عبد الرحمن
٢٨٧	النظام «ابراهيم بن سيار»
٣٨٠	ورث «عثمان بن سعيد»
٣٠٧	يحيى بن المبارك اليزيدي
٣٣٣	يحيى بن وثاب
٣٠٧	يعقوب بن اسحاق

فهرس القبائل والجماعات المترجم لها في التعليق

٣٦٧	بنو أسد
٣٩١	بنو الاوس
٣٣٩	بنو القين
٣١٩	تميم
٣٩١	الخزرج
٣١٩	ربيعة
٣٣٩	عذرة
٣١٩	غطفان
٣١٩	قريش
٣٧٧	قيس
٣٣٩	كعب
٣٢١	كندة
٣٧٧	نجد
٣٣٢	هذيل

فهرس الاماكن والبلدان

٤٣٣ ، ٣٧٨ ، ٢٨٦

٣٠٤ ، ٢٨٦

المدينة المنورة

مكة المكرمة

فهرس الفرق والمذاهب

٢٧٠	الخاصة
٢٧١ ، ٢٧٠	العامة
٣١٨	المجبرة
٣٧٠	المعتزلة

فهرس الجماعات والقباائل

٢٧١	الأئمة عليهم السلام
٤٢٣ ، ٣٧٧ ، ٣٦٧	أسد
٣٩١	الأوس
٣١٩	أهل البوادي
٣٧٠ ، ٣٤٢	أهل البيت عليهم السلام
٤٢٣ ، ٣٨٨	أهل الحجاز
٣٨٨	أهل العراق
٣٦٢	أهل العربية
٤١٢ ، ٤٠٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٥ ، ٣٩٧ ، ٣٧٩ ، ٣٥٣ ، ٣٤٦	أهل الكوفة - الكوفيون
٤٠٢ ، ٣٨٠	أهل المدينة
٣٧٧	أهل نجد
٤٣٢ ، ٤٢٣ ، ٤٠٩ ، ٣٧٧ ، ٣١٩	بنو تميم
٣٧٧	بنو سعيّد
٣٩٩	بنو القين
٤٠٥	البصريون
٢٧١	التابعون
٢٩١	الترك

٣٩١	الخزرج
٢٩١	الديلم
٣٧٧، ٣١٩	ربيعه
٢٩١	الروم
٢٨٧	شيوخ المعتزلة
٣٣٩	عذرة
٤١١، ٣٩٣، ٣٨٢، ٣٧٨، ٣٥٤، ٣٣٩، ٣١١، ٣٠٣، ٢٩١	العرب
٤٠٩، ٣١٩	غطفان
٢٦٨	الفقهاء
٢٧١	فقهاء المدينة
٤٣٢، ٤٠٩، ٣٩٠، ٣٣٩، ٣١٩	قريش
٤٢٣، ٤٠٩، ٣٧٧	قيس
٣٣٩	كعب
٤٠٩	كنانة
٣٢١	كندة
٢٧٥	المفسرون
٣٦١	ملوك مدين
٣٦٠	النحويون
٣٣٢	هذيل
٣٨٧	اليهود

فهرس الأمثال

٣٣١	اذا بلغ الرجل الستين فاياء وايا الشواب
٣٩٢	انك لأخدع من ضبّ حرشة
٤٢٦	حبك للشيء يعمي ويصم

فهرس الكتب المذكورة في المتن

٣٧٠، ٣١٠	الأصول للشيخ الطوسي
٢٨٦	تفسير القرآن للبلخي
٣٠٨، ٣٠٦	خلاف الفقهاء للشيخ الطوسي
٣١٠، ٢٦٩	شرح الجمل أو تمهيد الاصول للشيخ الطوسي
٢٨٦	عدة الاصول للشيخ الطوسي

فهرس المواضبع

٢٦٧	مقدمة المؤلف
٢٦٨	سبب تألف الكتاب
٢٦٩	الاعجاز القرآني
٢٧٠	الكلام في زيادة القرآن ونقصانه
٢٧١	تفسير القرآن بالرأى
٢٧٣	تقسيم معاني القرآن
٢٧٥	اقتفاء اثر اصحاب التفسير
٢٧٦	اتباع طرق المتأخرين من اصحاب التفسير
٢٧٧	نزول القرآن على سبعة احرف
٢٧٨	معاني الاحرف السبعة
٢٧٩	الاختلاف في القراءات السبعة
٢٨٠	نزول القرآن بظهور وبطن
٢٨١	المحكم والمتشابه
٢٨٢	الفوائد المترتبة على المحكم والمتشابه
٢٨٣	ثبوت المحكم والمتشابه في القرآن
٢٨٤	تعريف الناسخ
٢٨٥	انواع النسخ في القرآن
٢٨٦	شرائط النسخ في القرآن

٢٨٧	تكرار القصة في القرآن
٢٨٩	تكرار المعاني بالفاظ مختلفة
٢٩١	الحث على تعلم القرآن وتفسيره
٢٩٢	اسماء القرآن والسور والآيات
٢٩٤	وجه تسمية القرآن
٢٩٥	وجه تسمية السورة
٢٩٦	السبع الطوال وتسميتها بذلك
٢٩٧	المئين والمثاني وسبب تسميتها
٢٩٨	حدود المفصل ووجه تسميته
٢٩٩	الحكمة في تفصيل القرآن
٣٠١	سورة الفاتحة
٣٠٣	اسماء الفاتحة وسبب تسميتها
٣٠٤	الاستعادة ومعانيها
٣٠٥	معنى الشيطان
٣٠٦	دلالة البسملة على انها آية
٣٠٧	البسملة من تمام الفاتحة
٣٠٨	البسملة من القرآن
٣٠٩	اعراب «بسم الله»
٣١١	معنى الاسم واعرابه
٣١٢	اشتقاق الاسم
٣١٣	معنى الإله واشتقاقه
٣١٥	اشتقاق الرحمن والرحيم ومعناهما
٣١٦	اختصاص الرحيم بالمؤمنين

- ٣١٩ اعراب الحمد وقراءتها
 ٣٢٠ معنى الحمد لله
 ٣٢١ معنى الرب واشتقاقه
 ٣٢٢ معنى العالم
 ٣٢٣ اشتقاق العالم
 ٣٢٤ اختلاف القراء في «ملك»
 ٣٢٥ المعنى اللغوي لـ «مالك»
 ٣٢٧ «مالك» مبالغة في المدح
 ٣٢٨ المعنى اللغوي للدين
 ٣٣٠ اعراب «إِيَّاكَ»
 ٣٣٢ اختلاف القراءة في «نعبد»
 ٣٣٣ الوجه في تقديم العبادة على الاستعانة
 ٣٣٤ علة تكرير «إِيَّاكَ»
 ٣٣٦ اختلاف القراء في «الصراط»
 ٣٣٧ معنى «إِهْدِنَا»
 ٣٣٩ اشتقاق «الصراط»
 ٣٤٠ الوجوه في معنى «الصراط المستقيم»
 ٣٤١ اختلاف القراء في «عليهم»
 ٣٤٣ اختلاف النحاة في إعراب «غير المغضوب»
 ٣٤٥ معنى المغضوب عليهم
 ٣٤٦ معنى الغضب الإلهي
 ٣٤٧ قسمة الصلاة بين العبد وربّه
 ٣٤٩ سورة البقرة

- ٣٥٣ موقع نزول السورة الشريفة
- ٣٥٤ الآراء المفسرة للحروف المقطعة
- ٣٥٩ إعراب «الم»
- ٣٦٠ إعراب الحروف المقطعة
- ٣٦١ اعراب سيويه لأبي جاد وهوازو...
- ٣٦٢ معاني أبي جاد و... واختلاف الآراء فيه
- ٣٦٣ معنى «ذلك الكتاب»
- ٣٦٤ اختلاف القراء في «لاريب فيه»
- ٣٦٥ معنى «لاريب فيه»
- ٣٦٦ في معنى و اعراب «هدى للمتقين»
- ٣٦٧ معنى التقوى وصفات المتقين
- ٣٦٨ اعراب «الذين»
- ٣٦٩ معنى الايمان واشتقاقه
- ٣٧٠ قول المعتزلة في معنى الايمان
- ٣٧١ سبب نزول الآيات الاربع الاولى
- ٣٧٢ في اصل اشتقاق الصلاة
- ٣٧٣ تعريف الرزق ومعناه
- ٣٧٤ اختلاف القراء في «ما أنزل اليك»
- ٣٧٥ وجه اضافة الهدى الى الله تعالى
- ٣٧٦ معنى المفلحون
- ٣٧٧ سبب نزول «ان الذين كفروا...»
- ٣٧٩ معنى الكفر
- ٣٨٢ معاني كلمة «سواء»

٤٨٧	فهرس المواضيع
٣٨٣	معاني الانذار
٣٨٤	اختلاف القراء في «غشاوة»
٣٨٥	معاني الحتم
٣٨٦	اللغات الواردة في كلمة «غشاوة»
٣٨٧	وجه تسمية القلب
٣٩٠	اختلاف الآراء في معنى كلمة «الناس» واصل اشتقاقها
٣٩١	سبب نزول «ومن الناس...»
٣٩٢	اختلاف القراء في «ما يخذعون»
٣٩٣	علامة المنافق وخداعة
٣٩٦	اسباب المخادعة
٣٩٧	اختلاف القراء في «فزادهم»
٣٩٨	معاني المرض وأصل اشتقاقه
٤٠٠	حد المفسدة
٤٠٢	اختلاف القراء في «قيل» واخواتها
٤٠٣	سبب نزول آية «واذا قيل لهم...»
٤٠٤	معنى الإصلاح والإفساد
٤٠٥	اعراب وتفسير «ألا»
٤٠٦	اختلاف القراء في «أنؤمن»
٤٠٧	في تسمية السفه مفسداً
٤٠٨	اختلاف القراء في «واذا لقوا الذين...»
٤٠٩	الفرق بين اللقاء والاجتماع
٤١٠	حقيقة الاستهزاء ومعانيه
٤١١	توجيه الاستهزاء من الله

- ٤١٢ الفرق بين مددت وأمددت
- ٤١٤ اختلاف القراء في «اشترؤا الضلالة»
- ٤١٥ معنى الشراء في الآية الكريمة
- ٤١٧ معنى الربح والخسران
- ٤١٨ معنى «مثلهم» لغة
- ٤١٩ ورود «الذي» بمعنى «الذين»
- ٤٢٠ معنى استيقاد النار
- ٤٢١ معنى الحول
- ٤٢٣ معنى الضوء
- ٤٢٤ معنى الأصم وأصل اشتقاقه
- ٤٢٧ الصم والبكم صفتان للمنافقين
- ٤٢٨ معنى الصيب
- ٤٣٠ معنى الرعد وسبب تكوّنه
- ٤٢١ كيفية حدوث البرق
- ٤٣٢ تشبيه القرآن بالمطر